النوافح العطرية

المختصرة من النفحة العنبرية
في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

تأليف

سيدنا ومولانا شيخ العارفين ومرشد السالكين

محمد غبريم بن محمد الداغري

المالكي الأشعري التجاني

غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين آمين

ويليه للمؤلف :

١ — قصيدتان في المدائح النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية .

٢ — قصيدة في مدح الغوث الأكبر سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه .

طبع باهتمام

الشيخ الجنيد بن ثاني

التاجر بكنو - رقم ٤٤

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

النَّوافِحُ العِطْرِيَّة

المختصرة من النفحة العنبرية

فى حل ألفاظ العشرينية فى مدح خير البرية

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

تأليف

سيدنا ومولانا شيخ العارفين ومرشد السالكين

محمد غبريم بن محمد الداغرى

المالكى الأشعرى التجانى

عفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين آمين

ويليه للمؤلف :

١ — قصيدتان فى المدائح النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية .

٢ — قصيدة فى مدح الغوث الأكبر سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه .

طبع باهتمام

الشيخ الجنيد بن ثانى

التاجر بكنو – رقم ٤٤

مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

الطبعة الأولى
١٣٧٠هـ — ١٩٥١م

التعريف بأصل الكتاب

الوسائل المتقبلة المعروفة بالقصيدة العشرينية للوزير الفاضل أبي زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد يَخْلُفْتَنْ بن أحمد الفازازي الأندلسي .

أنشأه سنة ٦٠٤ هجرية في حاضرة قرطبة من بلاد الأندلس

ورواه عنه الإمام الحافظ الشهير « يوسف بن مسدى المهلبي » في شهر شعبان سنة ٦٢٤ ، وحدث به في المسجد

وتخميسه للشيخ الإمام « أبي بكر محمد بن المهيب » من صحراء المغرب .

وشرحه المعروف بالنفحة العنبرية للشيخ العالم محمد بن مَسَنِهْ بن غم بن محمد ابن عبد الله بن نوح البرنوي .

رحم الله الجميع آمين .

تقريظ

المختَصَر والمختصِر ، للمفتقر إلى الله والمنتصر

محمد الخامس بن شعيب التجانى الكنوى

قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

أَمِنْ شَرْحِ الْوَسَائِلِ قَدْ يُرِيدُ عَلَيْكُمْ بِالنَّوَافِحِ فَاسْتَفِيدُوا
فَشَرْحٌ جَاءَ مُخْتَصَرًا مُفِيدًا عَجِيبُ النَّسْجِ مَجْمُوعٌ حَمِيدُ
لِسَيِّدِنَا الرِّضَى الْحَاجِّ مُحَمَّدْ بِغَبْرِيطٍ يُلَقَّبُ يَا رَشِيدُ
فَمَعْرُوفٌ بِجَمْعٍ لِلْفُنُونِ وَلَيْسَ يَشُكُّهُ إِلاَّ حَسُودُ
كِتَابُ اللهِ جَوَّدَهُ صَغِيرًا إِلَى أَنْ صَارَ مَاهِرَهُ يَسُودُ
وَدَيْدَنُهُ مُتَابَعَةُ النَّبِيِّ لَهُ فِي سُنَّةٍ أَخْذٌ شَدِيدُ
وَسِيلَتُهُ وَقُدْوَتُهُ التِّجَانِي وَبَيْنَ يَدَيْهِ يَعْكُفُ لاَ يَحِيدُ
وَسِيطَتُهُ إِلَيْهِ إِبْرَاهَامٌ فَرِيدُ الدَّهْرِ مَنْظَرُهُ فَرِيدُ
عَنِ الأَغْيَارِ حَرَّرَهُ بِجَذْبٍ تَخَلَّصَ لاَ يَرَى إِلاَّ الْوَحِيدُ
وَذَاكَ فَنَا الْفَنَا بَعْدَ الْفَنَاءِ هُنَا مَا قُلْتُ عَارِفُهُ شَهِيدُ
أَخِي أَعْظِمْ بِهَذَا مِنْ بِنَاءٍ بِأُسٍّ فَوْقَهُ قَصْرٌ مَشِيدُ
فَبَشِّرْ سَيِّدِي كُنْ مُسْتَقِيمًا فَمَا قَدْ نِلْتَهُ فَوْزٌ مَجِيدُ
تَمَثَّلْ وَاعْفُ وَاصْفَحْ عَنْ جَهُولٍ بِغَيْظِكَ حَاسِدٌ أَشْقَى طَرِيدُ

يُرَبِّي السَّالِكِينَ مَتَى أَتَوْهُ أَعِنَّتَهُمْ إِلَى المَوْلَى يَقُودُ
عَلَيْكَ بِهِ مُرِيدًا لِلْوُصُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَابِعُهُ سَعِيدُ
أَعَانَكُمُ بِهَٰذَا الْاخْتِصَارِ زَكَاةَ الْعِلْمِ أَخْرَجَهَا مُفِيدُ
فَزَيَّنَهُ بِشَكْلِ كُلِّ بَيْتٍ وَعِنْدَ الشَّرْحِ مَمْزُوجًا يُعِيدُ
وَمَا تَحْتَاجُ مِنْهُ تَجِدْهُ سَهْلاً تَحَلَّ اللَّفْظِ أَوْ قَصَصًا تُرِيدُ
وَإِنْ لُغَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ جَاءَتْ يُعَيِّنُهَا وَآيَتَهَا يَرُودُ
كَذَلِكَ مَا أُشِيرَ مِنَ الحَدِيثِ لِيُورِدُهُ وَمُسْنَدُهُ سَدِيد
مَحَاصِلُ أَمْرِهِ فِيمَا تَرَاهُ فَيَأْتِي بِالْمُرَادِ وَلاَ يَزِيدُ
عَلَيْكَ بِهِ مُطَالَعَةً وَدَرْسًا وَأَنْتَ إِذًا بِأَقْوَالِي شَهِيدُ
إِلَٰهِي جَازِ نَاصِرَنَا بِهَٰذَا بِمَنِّكَ لاَ تَزَالُ لَهُ تَجُود
وَيَسِّرْ طَبْعَ هَٰذَا الشَّرْحِ رَبِّي لِيَنْتَفِعَ الْقَرِيبُ كَذَا الْبَعِيدُ
بِفَضْلِكَ رَبِّ وَارْزُقْهُ قَبُولاً فَيُنْشَرَ كَ(الْوَسَائِلِ) يَا مَجِيدُ
وَعَمِّمْ نَفْعَهُ لِلطَّالِبِينَ وَأَلْهِمْ فَهْمَهُ مَنْ يَسْتَفِيدُ
صَلاَةٌ مَعْ سَلاَمٍ مِنْ إِلَٰهِي عَلَى مَنْ ذِكْرُهُ أَبَدًا جَدِيدُ

(تنبيه) وجد بالنسخة الخطية قبل طبعها ما نصه :

وهذا المقرظ : هو الذى تولى انتساخ هذا الشرح المختصر من أوله إلى آخره بخط جيد ، كما ترى بعد تبيض مختصره خدمة لهذا الجناب الرفيع النبوىّ صلى الله عليه وسلم ، تقبل الله منه وكل من سعى فى طبعه ونشره بجاهه آمين اهـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذى اختص نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بخصوصيات قصرت هم الخلائق أن يطمعوا أو يصلوا لبعد غاياته ، وأنزل عليه كتابا أعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله بل ولو آية من آياته ، موضحاً كل شئ من كلياته وجزئياته ، وأرسله رحمة للعالمين بجوامع الكلم ، وبدائع الحكم ، متمما مكارم الأخلاق مرشداً بهداياته ، وأسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم إلى السماء مجاوزاً إلى سدرة المنتهى ، إلى قاب قوسين أو أدنى ، ثم رجع متحوفا بهباته ، وأثناه بكلامه القديم الذى هو صفة ذاته قائلا : « وإنك لعلى خلق عظيم » ، وقرن اسمه باسمه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة الله التى شهد بها نفسه بذاته ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا أصل وجود موجوداته ، وسر إمداداته ، البديع الذى ليس فى الإمكان أبدع منه ، ولا أكمل ولا أحسن ولا أجمل فى جميع هيئاته ، الجامع لما تفرق من العلوم والأسرار والمواهب والأنوار ؛ فهو نور أرض الله وسمواته ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأوليائه ، وكل من انتمى إليه فى بدائه ونهايته .

(أما بعد) فيقول الأستاذ الأكبر ، السنى الأشهر ، الصوفى الأنور ، سيدى ومولاى الشيخ محمد غِبْرِيمَ بن محمد عامله الله بلطفه والمسلمين ، وفسح مدته لنفع التلاميذ والمريدين آمين : إنه طال تفكرى ، وجال ترددى فى أن أختصر كتاب [النفحة العنبرية ، فى حل ألفاظ العشرينية] وأجلو الحجب عن أسرار لغاتها ، لغموض مداركها الخفيـة ، وشموخ معارجها الوفية ، وإنها لمـا سارت مسيرة

الشمس ، واستنارت من سناها الجن والإنس بالأنس ، قدّمت رجلا وأخرت أخرى ، مخافة مزج زُبدها بالزبد ، وخمرتها بالجمرة ، وفضتها بالفضة ؛ ولعلمى أن الثرى لايصاحب الثريا ، والميت لايصاحب بالسير حيا ؛ وهل يقاس السراب بالشراب ، والرضاب بالصباب ؛ ثم إننى لامحالة رجوت الإقالة ، فما زادته رهبتى إلا رغبة ، ولا كراهتى إلا محبة ؛ فلما كان العزم غير واه ، والحزم غير لاه ، تلوت عليه : « فإذا عزمت فتوكل على الله » ولو كانت بضاعتى مزجاة ، لكان رواجها مرجاة ، و إن كنت لست أهلا لذلك ، رجوت أن أنتظم فى سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم ، وأن أصبغ بسببه سوابغ مدده العميم ، ولحظه الأسعد القويم . وسميته [النوافح العطرية ، فى اختصار النفحة العنبرية] وأمزجه امتزاج الماء بالراح ، وأقويه تقوية الأشباح بالأرواح ؛ وأبين أصل لغاتها من الآيات القرآنية ، ليسهل الفهم ، ويحصل العلم .

(تنبيه) قد جرت العادة بالابتداء بالبسملة ثم الحمدلة ؛ ولعل الناظم فعل ذلك نطقاً تبعاً للجمهور ، لأنهم طلبوا ابتداءها فى الشعر ، مالم يكن محرّما أو مكروهاً ، أعاننا الله على جمعه و إكماله بمحمد صلى الله عليه وسلم وآله ، ومنّ علينا بتعميم نعمه فى الدنيا والآخرة بأكمل أحواله .

وهذا أوان الشروع فى المقصود ، بإذن الملك المعبود .

قافية حرف الهمزة

هى عبارة عن الحرف المحرك قبل الساكنين إلى آخر البيت ؛ وهذه القصيدة من بحر الطويل المقبوض ضربه ووزنه : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن مرتين ، ويجوز قبض فعولن فى هذا البحر أينما كان فيصير فعول ؛ والواقع أول البيت يجوز فيه الثلم فيصير فعلن والثرم فيصير فعل ، ويجوز قبض مفاعيلن وكفه على سبيل المعاقبة ، فيصير فى القبض مفاعلن وفى الكف مفاعيل

ولما كانت عادة العرب فى فصاحة خطاب اثنين فى أشعارهم كقول امرىء القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

جرد لنفسه شخصين فجعل يخاطبهما مناديا . وقال (ص) :

خَلِيلَيَّ عُوجَا بِالْمُحَصَّبِ وَانْزِلاَ   وَلاَ تَبْغِيَا عَنْ حَيْفِهِ مُتَحَوَّلاَ
وَأَكْرِمْ بِهِ مَغْنًى تَحَرَّاهُ مَنْزِلاَ   أَحَقُّ عِبَادِ اللهِ بِالْمَجْدِ وَالْعُلاَ
نَبِيٌّ لَهُ أَعْلَى الْجِنَانِ مُبَوَّأ

(ش) (خليلىّ) تثنية خليل، وهو الصديق وحذف حرف النداء منه وهو جائز (عوجا) ميلا واتركا كل مكان ؛ من عاج يعوج : بمعنى مال ، والباء فى (بالمحصب) ظرفية متعلق بعوجا : وهو موضع بمكة على طريق منى ، ويسمى البطحاء ، وهو أيضاً مرمى الجمار بمنى (وانزلا) فيه (و) إن نزلتما فيه ف(لاتبغيا) بكسر الغين : أى تطلبا (عن حيفه) المحصب، وهو من إضافة الشىء إلى نفسه : وهو ما ارتفع من الوادى قليلا عن مسيل الماء (متحوّلا) انتقالا، مفعول تبغيا ؛ ومنه قوله تعالى : «لا يبغون عنها حولا» وإنما قال الناظم من حيفه تبركا بقوله صلى الله عليه وسلم : «نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة» (وأكرم به) .

وفى نسخة بالواو وهو فعل أمر بمعنى التعجب : أى ما أكرم الحيف (مغنى) منزلا منصوب على التمييز (تحرّاه) قصده، وهو صفة لمغنى ، ومنه قوله تعالى : « تحروا رشدا » (منزلا) مكان نزول تمييز (أحق) أولى وأجدر أوأخص، أوهو أفعل من الحق الذى هو ضد الباطل، وهو فاعل تحراه (عباد) جمع عبد وهو كل من يمكن منه التكليف (الله) علم على الذات المعبود بحق، وهو اسم مرتجل لامنقول (بالجد) بالشرف (والعلا) بالفتح والضم (نبى) بالهمز وتركها ، وهو خبر لمبتدأ محذوف ، أو بدل من أحق (له) صلى الله عليه وسلم خبر مقدم (أعلى الجنان) ظرف ، من إضافة الصفة لموصوفها : أى له فى جنة عالية (مبوأ) منزل ومسكن مبتدأ مؤخر والجملة صفة ، لأن الجملة بعد النكرة صفة وبعد المعرفة حال ، ومنه قوله تعالى : « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت » (ص) :

نَبِيٌّ عَظِيمُ الْقَدْرِ بِالْحَقِّ مُرْسَلُ ... يُعَلُّ بِهِ مُذْ كَانَ طِفْلاً وَيُنْهَلُ

فَلِلَّهِ مِنْهُ وَهْوَ أَعْلَى وَأَكْمَلُ ... أَمِينٌ لِإِرْشَادِ الْعِبَادِ مُؤَهَّلُ

حَبِيبٌ بِأَسْرَارِ الْقُلُوبِ مُنَبَّأُ

(ش) (نبى) خبر لمبتدأ محذوف (عظيم القدر) أى عظيم قدره عند الله : أى من إضافة الصفة المشبهة إلى مرفوعه ، و (بالحق) متعلق بـ(مرسل) أى أرسله الله تعالى بدين الحق إلى الناس كافة كما قال تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » (يعلّ) المرسل (به) بالحق، أو بالنبى صلى الله عليه وسلم، فيكون إشارة إلى الاستسقاء به كما فعل أبو طالب ، والعلل : الشراب الثانى (مذ) مدة ، وهو مبنى على السكون (كان) المرسل بدين الحق (طفلا) صغيراً (وينهل) والنهل الشراب الأول، من عطف السابق على اللاحق (فلله) دره (منه) صلى الله عليه وسلم حال: أى من كونه مخلوقا و إرساله إلى كافة

الناس ، وهو جدير بان يتعجب منه (وهو) النبى صلى الله عليه وسلم (أعلى) أرفع (وأكمل) أتم الورى جاهاً وأبهرهم حلى .

فهو الذى تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم

وقال أيضاً :

منزه عن شريك فى محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

(أمين) خبر لمحذوف، أوصفة، أوهو من باب التجريد ؛ وقد وصف نفسه صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا تأمنونى فأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء مساء وصباحا» و (لإرشاد) هداية (العباد) متعلق بـ(مؤهل) الإرشاد:الدلالة على الخير والتأهيل الاستحقاق ، و (حبيب) بمعنى مفعول لأنه حبيب إله العرش خاتم رسله، أو بمعنى فاعل لأنه أحب الله وعبده حق عبادته، و (بأسرار القلوب) متعلق بـ(منبأ) مخبر، وأسرار جمع سر، وهو ما يكتم، والقلوب جمع قلب معروف؛ يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمين من فى السموات وأمين من فى الأرض ومؤهل لإرشاد الخلائق ، وحبيب رب العالمين ، ومنبأ بما فى قلوب الناس من خير وشر وغيرهما (ص) :

أَفَاضَ النَّدَى فَيْضًا وَأَعْمَلَ صَعْدَةً فَسَاسَ بِذَاكَ الْخَلْقَ لِيناً وَشِدَّةً

فَيَاحَبَّذَا مِنْهُ لِمَنْ شَاءَ عُمْدَةً إِمَامٌ لِرُسْلِ اللهِ بَدْءًا وَعَوْدَةً

بِهِ يُخْتَمُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُبْدَأُ

(ش) (أفاض) النبى صلى الله عليه وسلم: أى أعطى (الندى) عطاء كثيرا وأصله المطر (فيضاً) مصدر على غير قياس وقياسه أفاض إفاضة : أى أكثر جوده صلى الله عليه وسلم وعطاءه، ومن رضى بهما وأسلم فذاك هو(و) إلا (أعمل) عليه (صعدة) وهى القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف (ف)بسبب

ذلك (ساس) السياسة : القيام بمصالح العباد (بذاك) الندى والصعدة (الخلق) المخلوق (لينا) ضد الخشونة (وشدة) غلظة كما قال تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الجود والسخاء على الناس ، لأن في كفه بحر الندى يتموج حتى قاد الورى بصلاحه ، وأغلظ لمن أبى حتى اقتاده بسلاحه (فيا) قوم (حبذا) أي نعم ذا (منه) من النبي صلى الله عليه وسلم (لمن شاء عمدة) تمييز حبذا (إمام) خبر لمحذوف ؛ أوهو مخصوص بالمدح ، والإمام: هو الذي يقتدى به و يتبع في جميع أموره (لرسل الله) فأحرى غيرهم ، فلما رأته قدمته وصلت كما سيأتي (بدءا وعودة) منصوبان على الظرفية أولا وآخراً . والمعنى ياقوم نعم العمدة من النبي صلى الله عليه وسلم لمن شاء عمدة ، أوفياقوم حبذا إمام المرسلين لمن شاء عمدة حال كونه ، والعمدة: مايعتمد إليه (به) بذكره صلى الله عليه وسلم (يختم) يفرغ (الذكر الجميل) الثناء الحسن (و) بذكره (يبدأ) يعني أن كل داع وقارئ ومصل يفتتح عمله بذكره والصلاة عليه ، أو يفتتح المؤذن والمصلى بذكره (ص) :

لَهُ رُتْبَةٌ فَوْقَ السِّمَا كَيْنِ قَدْ سَمَتْ ... وَكَفُّ نَدًى تَحْكِي السَّحَابَ مَتَى هَمَتْ
وَآيُ هُدًى بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ أُحْكِمَتْ ... إِذَا عُدِّدَتْ لِلرُّسْلِ آيٌ تَقَدَّمَتْ
فَآيُ رَسُولِ اللهِ أَجْلَى وَأَضْوَأُ

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (رتبة) رفعة ومنزلة (فوق السما كين) صفة لرتبة ، وهما نجمان معروفان: السماك الرامح والسماك الأعزل (قد) حرف تحقيق (سمت) ارتفعت (و) له (كف) راحة (ندى) جود (تحكي) تمثل (السحاب) الغمام ، مفعول تحكي ، والجملة صفة لكف ، أو مفعول تحكي محذوف : أي تحكيها السحاب (متى) ظرف غير متمكن وهو سؤال عن مكان (همت) سالت

والمعنى له صلى الله عليه وسلم منزلة عالية فوق السما كين علا الكوكب الدرى. أسفل غرزه ، وله يد جود تشابهه السحابة متى سالت يده كقوله :

* ندى كفه كالغيث أسبل ودقه *

وفى الشفاء عن أنس رحمه الله « أن رجلا سأله وأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى بلده وقال أسلموا فإن محمدا صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لايخشى فاقة» (و) له صلى الله عليه وسلم (آى) جمع آية : وهى العلامة (هدى) رشد (بالأمر) بالمعروف (والنهى) عن المنكر (أحكمت) أتقنت لا اختلاف فيه « ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً» ومنه « كتاب أحكمت آياته» (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط غالباً (عددت للرسل آى تقدمت) صفة لآى، وفاء (فآى رسول الله) صلى الله عليه وسلم جواب إذا وهومبتدأ وخبره (أجلى) أبين وأظهر (وأضوأ) أشرق وأنور من آيهم . والمعنى له صلى الله عليه وسلم آيات من الهدى والرشد أتقنت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقصص والمواعظ إذا عددت آيات ومعجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام دلت على صدقهم ، فآى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته أظهر وأشرق وأبقى

(ص) :

أَلَيْسَ الذِى حَازَ المَفَاخِرَ وَالْعُلاَ ... بِمَا نَصَّ مِنْ آيِ الْكِتَابِ وَمَا تَلاَ

وَأَنَّى يُدَانَى فِى المَكَانِ الَّذِى اعْتَلَى ... أَتَمُّ الوَرَى جَاهاً وَأَبْهَرُهُمْ حُلَى

لَهُ المَدْحُ يُجْلَى وَالشَّفَاعَةُ تُجْتَبَى

(ش) (أليس) الهمزة للاستفهام التقريرى، ليس فعل ماض جامد واسمها ضمير يعود على النبى صلى الله عليه وسلم (الذى) خبر ليس (حاز) ضم وحوى (المفاخر) جمع مفخر : هو المكارم والمناقب من حسب ونسب (والعلا) وجواب

الاستفهام محذوف : أى بلى هو الذى حازها (بما نص) بسبب ما اظهره النبى صلى الله عليه وسلم ورفعه إلينا. والنص ما لايحتمل التأويل، و (من) بيانية (آى الكتاب) القرآن (وماتلا) قرأه علينا ، وفى نسخة : فقال جميع العارفين له بلى. والمعنى أليس النبى صلى الله عليه وسلم الذى ضم الفضائل والمزايا التى يفتخر بها المكارم والشرف إلى نفسه بسبب ما أظهره وقرأه علينا من آيات القرآن، بل هو الذى حازه ، ومع ذلك لايفتخر بها وقال «أنا سيد ولد آدم ولافخر» (وأنى) كيف (يدانى) يقارب (فى المكان الذى اعتلى) هو فيه ، والاستفهام للإنكار . والمعنى كيف يوصل ويقارب إلى المكان الذى هو فيه (أتم الورى) الخلق (جاهاً) قدرا ومنصباً منصوب على التمييز (وأبهرهم) أغلبهم (حلى) صفات جمع حلية . والمعنى كيف يقارَب النبى صلى الله عليه وسلم فى المكان الذى اعتلى فيه وهو أتم الخلق خَلقاً وخُلقا وأغلبهم صفات ، وهو كما قلنا فى كتابنا [بث الشوق] :

وقد ناسبت أجزاء حسنك جملة   كما كان للتفضيل أكمل نسبة

(له) للنبى صلى الله عليه وسلم خبر مقدم (المدح) الثناء الحسن (يجلى) حال ، أوهوخبر المبتدأ، وله متعلق بيجلى (و) له (الشفاعة تخبأ) تكتم وتستر، ومنه «يخرج الخبء» وقوله المدح يجلى : راجع لقوله : وأبهرهم حلى ، والشفاعة تخبأ : راجع لقوله : أتم الورى جاهاً لفّ ونشر معكوس ، وفى الحديث : « خيرت بين أن يدخل نصف أمتى الجنة و بين الشفاعة فاخترت الشفاعة أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين » . وفى الحديث المنتشر الصحيح : « لكل نبىّ دعوة يدعو بها واختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » (ص) :

حَوَى كُلَّ مَجْدٍ لِلْوَرَى وَجَلاَلَةٍ   وَجَاءَ بِآيَاتٍ مَحَتْ كُلَّ قَالَةٍ
فَمَنْ شَكَّ فِيهِ فَهْوَ حِلْفُ ضَلاَلَةٍ   أَفِى الْحَقِّ شَكٌّ بَعْدَ أَلْفِ دَلاَلَةٍ
تَقَدَّمَهَا ذِكْرٌ مَدَى الدَّهْرِ يُقْرَأُ

(ش) (حوى) جمع النبي صلى الله عليه وسلم (كل مجد) شرف (للورى) للخلق (و) كل (جلالة) لهم (و) هو أهل لذلك ، لأنه (جاء بآيات محت) نسخت (كل قالة) قول . والمراد أن شريعته ناسخة لجميع الشرائع وشريعته لاتنسخ (فمن شك فيه) فيمن جاء به والمجيء به: أى فى أمر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتيقن حقيقته وشك فى الآية الدالة على نبوته (فهو حلف) صاحب (ضلالة) غيّ ، وفى نسخة : بالخاء المعجمة، وهو الولد يخلف أباه كأنه خلف الضلالة ، ومنه قوله تعالى : «فخلف من بعدهم خلف» ، وفى نسخة : بالجيم جلف الضلالة : يعنى وعاء الضلالة (أفى الحق) ضد الباطل (شك) خلاف اليقين : وهو ما استوى طرفاه والراجح الظن والمرجوح الوهم ، الاستفهام إنكارى (بعد ألف دلالة) كناية عن الكثرة ؛ يعنى أن معجزاته الدالة على نبوته كثيرة جداً ، وقد ذكر جلال الدين السيوطى فى كتابه [الخصائص الكبرى] ألف معجزة ومائتى معجزة، ومع ذلك لم يستوعبها، بل وقد فاته كثير من معجزاته صلى الله عليه وسلم. قال مختصر النفحة العنبرية : ولقد قال لى قائل بين النوم واليقظة : إن محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم حين ولد صار كل ماء ملح أجاج لبناً خالصاً ، وإذا مضت هذه الساعة يصير كأول أمره ملحاً أجاجاً، وهلم جرا إذا جاءت ساعة اليوم الذى ولد فيه ؛ وإن أهل السير والأثر والمحدثين نسوه أم تناسوه ، جهلوه أم تجاهلوا : يعنى صيرورة البحار المالحة لبناً خالصا ، ثم رأيت فى عجائب المخلوقات للقزوينى : أن فى اليوم السادس من كانون الثانى ساعة تصير فيها المياه المالحة عذبة ، هل هو ساعة ولادته صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ والله أعلم بحقيقة الحال (تقدمها) يعنى الآيات (ذكر) قرآن ، ومنه قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر » والجملة صفة لدلالة (مدى الدهر) غاية الزمان (يقرأ) يتلى . والمعنى فمن شك فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فهو صاحب ضلالة ، وهل يوجد شك

بعد معجزات كثيرة تدل على نبوته ورسالتــه تقدمها القرآن المتلوّ غاية الزمان ، ومعجزة القرآن باقية مابقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه . وقال : «إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » ، وقد وقع فى هــذا الزمان حفظ القرآن عن التحريف وهو ما أخبرنى به بعض الإخوان أن بعض اليهود عليه لعنة الله أسس مطبعة فى مصر المحروسة وطبع قرآنا كثيراً ، وأسقط فى كل واحد لفظ «غير» من هذه الآية وهى : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين» ، وصار كل من اشترى القرآن المطبوع بها إذا قرأ لايجد فيه لفظ غير والإسلام الذى هو فى الأصل مضاف إليه منصوبٌ ، و بلغ خبره إلى الملك العادل [فاروق الأول] وأمر بنشره فنشر بالمنشار ونقض مطبعته (ص) :

لِتَخْصِيصِهِ فَوْقَ الخُصُوصِ مَزِيَّةٌ ثَنَتْهُ إِلَيْهَا قِسْمَةٌ أَزَلِيَّـــــةٌ
مَكَانَتُهُ فِى المُرْسَلِينَ عَلِيَّـةٌ إِنَارَتُهُ حِسًّا وَعَقْلاً جَلِيَّـةٌ
فَلاَ الْوَهْمُ يَسْتَوْلِى وَلاَ الشَّكُّ يَطْرَأُ

(ش) (لتخصيصه) التى خصه الله بها (فوق الخصوص) فوق خصوص الرسل حال (مزية) فضيلة عظيمة (ثنته) عطفت النبى صلى الله عليه وسلم وأمالته (إليها) المزية (قسمة أزلية) قديمة (مكانته) منزلته وقدره عند ربه ، ومنه: « ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم » (فى المرسلين علية) رفيعة على منزلتهم ومكانتهم. قال تعالى: « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» الآية (إنارته) المدركة (حسا وعقلا) بالحس والعقل (جلية) . وفى [مسارح الانتظار] قالت عائشة رضى الله عنها: « كنت أخيط ليلا فسقطت الإبرة وطفئ السراج فدخل صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت من نور وجهه صلى الله عليه وسلم حتى وجدت الإبرة» وأما إنارته عقلا فإشارة إلى علومه وهــدايته للناس (فلا الوهم) فبسبب ذلك لا الوهم

(يستولى) يستحوذ و يغلب منا أحدا (ولا الشك يطرأ) أى لا يحدث علينا عمى القلب ، ومعنى البيت ظاهر (ص) :

فَكَمْ فَاسِدٍ أَضْحَى بِهِ وَهْوَ صَالِحُ　　وَكَمْ بَاطِلٍ وَلَّى بِهِ وَهْوَ طَائِحُ
رَسُولٌ لِأَسْرَارِ الْمُنَافِقِ فَاضِحُ　　أَبَانَ الْهُدَى فَالْحَقُّ أَبْلَجُ وَاضِحُ
وَصَانَ الْوَرَى فَالْعَيْشُ حُلْوٌ مُهَنَّأُ

(ش) (فكم) كثير ، خبرية (فاسد) كافر (أضحى) صار (به) بسببه (وهو صالح) حال مؤمن (وكم باطل) أى أصنام (ولى به) أعرض بسبب النبى صلى الله عليه وسلم (وهو طائح) ساقط والجملة حالية . والمعنى فكثير من كافر دخل فى وقت والحال أنه مؤمن ، وكثير من صنم أدبر وأعرض والحال أنه ساقط هالك . وفى الشفاء عن ابن عباس رضى الله عنهما : « كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما مثبتة الأرجل بالرصاص فى الحجارة ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب فى يده إليها ولا يمسها ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ، فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه أو وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم » هو (رسول) مبلغ أمر الله للخلق (لأسرار المنافق) أى لكل منافق (فاضح) كاشف لمساويه حتى يفتضح . قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين ، وفضحهم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى غير مائة آية مثل : « يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » وغيرها (أبان الهدى) أظهر الرشد (فالحق أبلج) أضوأ (واضح) ظاهر ، فسبب كشفه لأسرار المنافقين الحق ظاهر واضح (وصان الورى) حفظهم ومنعهم عن اتباع الباطل .

أحلّ أمته فى حرز ملته　　كالليث حل مع الأشبال فى أجم

(فالعيش) حياتهم (حلو) مستحلى الطعام (مهنأ) ميسر بلا مشقة ، ومعنى البيت واضح (ص) :

بَنَى قُبَّةَ الْإِسْلاَمِ تَظْهَرُ خَمْسُهَا   فَأَشْرَقَ بَدْرُ الصَّالِحَاتِ وَشَمْسُهَا
وَإِذْ كَانَ مَوْضُوعًا عَلَى الْبِرِّ أُسُّهَا   أَطَاعَتْهُ جِنُّ الْأَرْضِ طَوْعًا وَإِنْسُهَا
وَفُضِّلَ بِالسَّبْقِ الْفَرِيقُ الْمُبَدَّأُ

(ش) (بنى) النبي صلى الله عليه وسلم (قبة الإسلام) وهي كناية عن قواعد الإسلام الخمس (تظهر) وفي نسخة : تزهر ، بمعنى تضيء (خمسها) وهي الشهادتان والصلاة والصيام والزكاة والحج (فأشرق) أنار بسبب ذلك (بدر الصالحات) يعني بدر الأعمال الصالحات (وشمسها) بإعلاء كلمة التوحيد و إعزاز الإسلام حتى امتدت لها الأفياء ، فنى أفيائها العجم والعرب (و إذ) حين (كان موضوعا) خبر كان (على البر) الطاعة (أسها) أصلها : اسم كان مؤخر وخبره مقدم كقوله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (أطاعته) انقادت له (جن الأرض طوعا) انقياداً (و إنسها) أي الأرض (وفضل بالسبق الفريق) الجماعة (المبدأ) الأول : أي بسبب تقدمهم في إجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فضلهم الله على من بعدهم . والمعنى أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار إنساً وجنا أفضل ممن بعدهم كما قال تعالى : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » (ص) :

أُولُو الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَهْلُ الْفَضَائِلِ   عِصَابَةُ إِشْفَاقٍ وَخَيْرٍ وَنَائِلِ
سَمَتْ بِقَبُولِ الْحَقِّ مِنْ خَيْرِ قَائِلٍ   أَقَرَّتْ لِآيَاتٍ لَهُ وَدَلاَئِلِ
بِهَا الصُّبْحُ طَلْقٌ وَالطَّرِيقُ مُوَطَّأُ

(ش) (أولو البر) هم ذوو الخير (و) أولو (التقوى) هي امتثال الأوامر

واجتناب النواهى (وأهل الفضائل) أصحاب المزايا والمناقب، وهم (عصابة) جماعة (إشفاق) رحمة كما قال تعالى: « رحماء بينهم » (و) جماعة (خير) طاعة (ونائل) عطاء (سمت) تلك العصابة (بـ)سبب (قبول الحق) ضد الباطل ، ومنه «فتقبلها ربها بقبول حسن » (من خير قائل) هو الرسول صلى الله عليه وسلم (أقرت) تلك العصابة (لآيات له ودلائل) عطف تفسير ؛ والمراد بإقرار تصديقهم إياه فيما جاء به (بها) بالآيات والدلائل (الصبح) أول النهار (طلق) مشرق ، وفى نسخة : باد : أى ظاهر (والطريق موطأ) والصبح والطريق: كنايتان عن وضوح شريعته صلى الله عليه وسلم (ص) :

أحِبّ النَّبِيَّ الهَاشِمِيَّ مُحَمَّدًا ... أَجَلَّ الوَرَى ذَاتًا وَأَصْلًا وَمَحْتِدًا
وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا وَأَطْوَلَهُمْ يَدًا ... أَطَابَ لَهُ الرَّحْمنُ نَشْأً وَمَوْلِدًا
فَمَا زَالَ مِمَّنْ خَالَفَ الحَقَّ يَبْرَأُ

(ش) (أحب النبي الهاشمى محمدًا) المنسوب لهاشم بن عبد مناف ، واسمه عمرو ؛ وسمى بذلك لهشمه الثريد للناس . قال شاعرهم :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

ومحمد نعت أو عطف بيان (أجلّ الورى) نعت لمحمداً، أو خبر لمحذوف: أى أعظمهم (ذاتا) حقيقة (وأصلا ومحتدا) عطف تفسير ، إذ الأصل : هو المحتد ، والأرومة والجرثومة والمنصب والعنصر والضئضئ والمنجر (وأطيبهم) أى الورى (نفسا) روحا تمييز (وأطولهم يدًا) تمييز (أطاب) من الطيب : ضد الخبث (له الرحمن) فعلان للمبالغة (نشأ) تربية . قالت حليمة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبّ فى اليوم شباب الصبي فى الشهر » (ومولدا) مكان ولادته : يعنى مكة (فما زال) من أخوات ليس (ممن خالف الحق) وفى نسخة :

مما (يبرأ) أى يتبرأ منـه كما قال تعالى : « فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون » (ص) :

عَلَى كُلِّ فَنٍّ فَضَّلَ اللهُ فَنَّهُ ۞ بِأَنْ فَرَضَ الدِّينَ الْقَوِيمَ وَسَنَّهُ

فَقَدْ سَاسَ إِنْسَ الْخَلْقِ طُرًّا وَجِنَّهُ ۞ أَعِدْ نَظَرًا فِى الْخَلْقِ تَعْلَمْ بِأَنَّهُ

كَأَحْمَدَ لَمْ يُنْشَأْ وَلَا هُوَ يُنْشَأُ

(ش) (على كل فنّ) شرع ودين (فضل الله فنه) شريعته ودينه ، لأن شريعته صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع ، ولأن علماء أمته كأنبيا بنى إسرائيل (بأن فرض الدين القويم) المستقيم الذى لا اعوجاج فيه (وسنه). يعنى أنه صلى الله عليه وسلم قدّر فيه الفرائض والسنن (فقدساس) فبسبب ذلك أحسن السياسة (إنس الخلق طرا) كلا (وجنه) أى أحسن السياسة لجميع الخلق الجن والإنس (أعد نظرا) ومنه « نظر المغشى عليه » (فى الخلق) فى جميع الخلائق (تعلم) جواب الأمر (بأنه) الأمر والشأن (كأحمد) مثل أحمد المرتضى بشرى عيسى (لم ينشأ) لم يخلق (ولا هو ينشأ) ولا هو يخلق فى سائر الخلق ، يعنى فيما مضى من الزمان ولا فيما يأتى منه (ص) :

جَزَاءُ مُطِيعِيهِ حَرِيرٌ وَجَنَّةٌ ۞ فَدَعْ قَوْلَ كُفَّارٍ أَصَابَتْهُ جِنَّةٌ

فَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ جَهَنَّمَ جُنَّةٌ ۞ أَغَاثَ بِهِ اللهُ الْوَرَى فَهْوَ مُزْنَةٌ

تُرَوِّى الصَّدَا أَوْ ظُلَّةٌ تَتَفَيَّأُ

(ش) (جزاء مطيعيه) ثواب مطيعين له صلى الله عليه وسلم (حرير) يلبسونه (وجنة * فدع) اترك (قول كفار) قالوه حسداً وعناداً (أصابته) مسته (جنة) جنون ، إذ هم قالوا « يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون » فكذبهم الله تعالى بقوله : « أولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة » . وقال : « ما أنت بنعمة ربك

بمجنون » وغير ذلك من الآيات (فما هو) صلى الله عليه وسلم (إلا من جهنم) أعاذنا الله منها (جُنة) بالضم ترس ووقاية من نار جهنم، وإن كان الأمر كذلك ❊ فلذ بحماه فهو للكل جنة ❊ (أغاث به) بالنبي صلى الله عليه وسلم (الله الورى) الخلق (فهو) أى النبي صلى الله عليه وسلم (مزنة) سحابة بيضاء، ومنه « ءأنتم إنزلتموه من المزن» (تروى الصدا) العطش: أى تأتى بالماء ويشرب به أهل العطش. وفى الحديث: « إن مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت طائفة قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ » . (أوظلة) أو بمعنى الواو: أى سحابة تظل، وكل شئ أظلك فهو ظلة، ومنه « عذاب يوم الظلة » (تتفيأ) تتخذ فيئاً: أى ظلا (ص):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ آوَاهُ إِذْ أَوَى ... بِغَارِ حِرَاءَ الْمَآلِ الَّذِى نَوَى
فَلَمَّا أُدِيلَ الْقُرْبَ مِنْ وَحْشَةِ النَّوَى ... أَفَقْنَا بِهِ مِنْ غَمْرَةِ الْغَىِّ وَالْهَوَى
فَلاَ الطِّبُّ مَعْدُومٌ وَلاَ النُّجْحُ مُرْجَأُ

(ش) (ألم تر) تعلم، والاستفهام للتقرير: أى علمت (أن الله) تعالى (آواه) ضمه إلى نبوته (إذ) حين (أوى) انضم نفسه إلى الله (بغار حراء) وهو كهف جبل بمكة على ثلاثة أميال وهو يصرف ولايصرف (المآل) المرجع (الذى نوى) قصده وتوجهه (فلما أديل) عوض للنبي صلى الله عليه وسلم (القرب) المعروف من الإسراء حتى كان قاب قوسين أو أدنى (من وحشة) خلوة (النوى) البعد (أفقنا) انتبهنا واستيقظنا بسبب اتباعه صلى الله عليه وسلم (من غمرة الغىّ) سكرة الضلال وشدته (والهوى) هو ماتحبه النفس مما يخالف الشريعة (فلا الطب)

فبسبب ذلك الطب لا (معدوم) بل موجود (ولا النجح) النفع الدينى والدنيوى (مرجأ) مؤخر ، ومنه «وآخرون مرجون» وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها : «أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء وجاءه الملك فقال اقرأ » الحديث بطوله . (ص) :

نَبِيُّ الْهُدَى بَحْرُ النَّدَى صَارِمُ الْعِدَا مُبِيدُهُمُ بِالسَّيْفِ إِذْ أَبَوُا الْهُدَى
وَظَنُّوا بِجَهْلٍ أَنَّهُمْ تُرِكُوا سُدًى أَتَى وَالْوَرَى أَسْرَى الضَّلَالَاتِ وَالرَّدَى
فَأَنْقَذَهُمْ نُورٌ يَدُلُّ وَيَكْلَأُ

(ش) هو (نبى الهدى) الرشد (بحر الندى) الكرم (صارم) قاطع (العدا) جمع عدوّ (مبيدهم) مهلكهم (بالسيف) معروف (إذ) حين (أبوا) امتنعوا (الهدى) الرشد . وفى الحديث : « كان صلى الله عليه وسلم قتل بسيفه أبىّ بن خلف» (و) إذ (ظنوا بجهل) بسبب جهلهم (أنهم) الكفار (تركوا سدى) بلا أمر ولا نهى ، ومنه : «أيحسب الإنسان أن يترك سدى » أى بلاتكليف وجملة أنّ سدت مسد مفعولى ظنوا (أتى) جاء النبى صلى الله عليه وسلم (و) الحال أنّ (الورى) الخلق (أسرى الضلالات) جمع أسير وهو صفة مشبهة ، وفى نسخة الضلالة بلفظ المفرد (و) أسرى (الردى) الهلاك ومنه «إذا تردى» وهذا كله استعارة وتمثيل كما قال تعالى : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها» (فأنقذهم) خلصهم من الظلمات (نور) الذى هو جسمه إذ من أسمائه النور قال تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » . وفى الحديث : « أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى له ظل فى شمس ولا قمر » (يدل) ذلك النور إلى صراط مستقيم (ويكلأ) يحفظهم من الضلالات والردى المحو بذلك النور ، ومنه : « قل من يكلؤكم » ويدل صفة لنور

(ص) :

مَحُوطٌ بِحِفْظِ اللهِ فِى كُلِّ هَيْئَةٍ ... فَفِى حَالِ إِيلَادٍ وَفِى حَالِ نَشْأَةِ
فَلَمَّا انْتَهَى بَأْسًا أُمِدَّ بِجُرْأَةٍ ... أَذَلَّ رِقَابَ الْمُشْرِكِينَ بِوَطْأَةِ
ضُلُوعُهُمْ مِنْ ذُعْرِهَا لَيْسَ تَهْدَأُ

(ش) (محوط بحفظ الله) أحاطه بحفظه إياه (فى كل هيئة) حالة، الفاء فى قوله (ففى حال إيلاد) للتفصيل (وفى حال نشأة) تربية، ومنه «أو من ينشؤ فى الحلية» والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم حفظه الله وعصمه فى كل أحواله من وقت ولادته إلى أن توفاه الله إلى رحمته، وليس هـذا محل بسط أحواله، وإن أردت ذلك فعليك بالأحاديث الطوال (فلما انتهى) بلغ صلى الله عليه وسلم (بأسًا) غاية فى شدة الحرب (أمدّ) زيد، ومنه «يمددكم ربكم» (بجرأة) شجاعة، وبالجند من أهل السماء أمده (أذل) أهان (رقاب المشركين بوطأة) بأخذة شديدة: من أسر وقتل وخصوصا يوم بدر، وجعل رؤساءهم فيها فى قليب البئر كالجعل (ضلوعهم) قلوبهم (من ذعرها) من خوف وطأته صلى الله عليه وسلم، وفى نسخة: من حرها (ليس تهدأ) تسكن (ص) :

هُوَ الْمُصْطَفَى الْمَحْبُوبُ طَبْعًا وَقُرْبَةً ... تَقَدَّسَ ذَاتًا ثُمَّ قَبْرًا وَتُرْبَةً
أُحِبُّ رَسُولَ اللهِ شَوْقًا وَحِسْبَةً ... أَقُولُ وَأَعْنِيهِ هَوًى وَمَحَبَّةً
لَعَلِّى غَدًا عَنْ حَوْضِهِ لَا أُحَلَأُ

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (المصطفى) لله بين عباده المصطفين الأخيار. وفى الحديث: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسمعيل، واصطفى من ولد إسمعيل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» الحديث (المحبوب) أى للعباد (طبعا) سجية (وقربة) عبادة وطلبا لمرضاة الله وذلك لحسنه وإحسانه لهم، إذ جبلت القلوب

على حب من أحسن إليها و بغض من أساء إليها (تقدس) تنزه (ذاتا) نفسا وحقيقة (ثم قبراً) موضع دفنه ، ولله در القائل :

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه … فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(وتربة) بلدة وذاتا ثم قبرا وتربة منصوبات على التمييز (أقول) بلسانى (وأعنيه) أقصده (هوى) لأجل هواى (ومحبة) محبتى إياه ، والجملة حالية (أحب رسول الله شوقا) للشوق ، أو شائقا (وحسبة) وجملة أحب مقول القول (لعلى غدا) يوم القيامة (عن حوضه) الكوثر (لاأحلأ) لاأطرد ولا أحبس ، إذ المرء مع من أحب ؛ وأخبار حوضه صلى الله عليه وسلم معروفة (ص) :

مَلاَئِكَةُ الرَّحْمٰنِ قَالَتْ بِفَضْلِهِ … وَحَنَّتْ كَمَا حَنَّ الحَبِيبُ لِوَصْلِهِ

حَرَامٌ عَلَى الْأَيَّامِ إِيجَادُ مِثْلِهِ … أَحِنُّ إِلَى تَقْبِيلِ مَوْطِئِ نَعْلِهِ

لَعَلِّيَ أَرْوَى بِالَّذِي كُنْتُ أَظْمَأُ

(ش) (ملائكة) هى الأرواح المجردة عن الموادّ الذين لايعصون الله ماأمرهم (الرحمن قالت) أشارت (بفضله) يعنى أن الملائكة أحسنوا الثناء له صلى الله عليه وسلم كما فى قصة الإسراء (وحنت) اشتاقت (كما حنّ الحبيب) مثل اشتياق الحبيب (لوصله) للقائه. والمعنى اشتاقت الملائكة للقاء النبى صلى الله عليه وسلم مثل اشتياق النبى صلى الله عليه وسلم إلى لقاء ربه (حرام) ممنوع خبر مقدم (على الأيام) على أهل الزمان (إيجاد مثله) مبتدأ مؤخر ولأنه :

* لقد أعجز الآباء إيلاد شبهه *

(أحنّ) أشتاق (إلى تقبيل موطئ) أثر (نعله) التى مشى عليها ، والمراد رؤية مواطنه التى عمرت بالوحى والتنزيل وتردد فيها جبريل وميكائيل وما اشتملت تربته من جسد سيد البشر عليه الصلاة والسلام (لعلى أروى) يحصل لى الرّى

(بالذى كنت أظمأ) أعطش : أى بذلك التقبيل الذى عطشت عليه (ص) :

أَفِي الرُّسْلِ مَنْ بِالهَاشِمِيِّ يُشَبَّهُ   حَرَامٌ عَلَيْهِ النَّارُ قَلْبٌ أَحَبَّهُ
رَسُولٌ كَرِيمٌ مَاعَصَى قَطُّ رَبَّهُ   أُعِدُّ لِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ حُبَّهُ
وَحَسْبِي فَلِي مِنْهُ مَلَاذٌ وَمَلْجَأُ

(ش) (أفى الرسل) عليهم الصلاة والسلام (من بالهاشمىّ يشبه) ومن مبتدأوخبره المجرور قبله، والاستفهام إنكارى: أى ليس فيهم من يشبه به (حرام) خبر (عليه النار) مبتدأ (قلب) مبتدأثان (أحبه) صفة لقلب . والمعنى كل قلب أحب النبى صلى الله عليه وسلم دخول النار حرام عليه ، هو (رسول كريم) جميل بديع الحسن أوهو جواد كثير العطاء، و(ما) نافية (عصى قط) فيما مضى من العمر (ربه) لأنهم عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الكبائر والصغائر (أعدّ) أعتد وأهيئ (لأهوال القيامة) فزعها وشدائدها من الحشر ودنوّ الشمس والعرض والحساب والقصاص والميزان والصراط وغير ذلك (حبه) فنعم ما أعد ؛ وفى الحديث : « المرء مع من أحب » (و) حبه (حسبى) كافينى ، ومنه : « يا أيها النبى حسبك الله » (ف)أنا (لى منه) من النبى صلى الله عليه وسلم حال (ملاذ) وزر ومستغاث ألوذ به، لأنى من محبيه (و) لى منه (ملجأ) حصن حصين ومنه : « أن لاملجأ من الله إلا إليه » (ص) :

عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِ وَلَعَلَّمَا   وَإِلَّا فَلَا أَنْفَكُّ دَهْرِيَ مُغْرَمَا
حَلِيفَ أَسًى قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالدَّمَا   أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالْوُصُولِ وَرُبَّمَا
تَشَكَّى الْفَتَى أَدْوَاءَهُ وَهِيَ تَبْرَأُ

(ش) (عسى) من أفعال المقاربة (وطن) محل اسمها (يدنو) يقرب (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (ولعلما) تأكيد معنوى . والمعنى ولعلما وطن يدنو به ،

فيقرّب من دار الحبيب بعيدها (وإلا) وإن لم يدن لى وطنه (فلا أنفك) أزال (دهرى) مدة حياتى (مغرما) محبوساً أو أسير حب، خبر أنفك (حليف أسى) صاحب حزن (قد خالط) مازج (اللحم والدما) لحمى ودمى امتزاج الماء بالعود الأخضر ، وجملة خالط صفة لأسى (أعلل نفسى) ألهيها وأشغلها كما يعلل الصبى بشىء من الطعام (بالوصول) إلى محبوبى ، وفى نسخة: بالوصال (وربما تشكى) اشتكى (الفتى) المرء (أدواءه) أمراضه (وهى) الأدواء (تبرأ) والجملة حال

هنا انتهى حرف الهمزة ويتلوه حرف الباء إن شاء الله وهو المستعان .

حرف البـــاء

لما فرغ من حرف الهمزة شرع فى حرف الباء زاجراً المخاطب عن حب الدنيا الدنية وأمره أن يشرق لأن فيها دابة تصبو إلى زيارته ، وقال (ص) :

صَبَوْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَذُو اللُّبِّ لاَ يَصْبُو وَغرَّكَ مِنْهَا السِّلْمُ بَاطِنُهَا حَرْبُ
فَذَرْهَا وَشَرِّقْ لاَ يَقِرُّ بِكَ الْغَرْبُ بِيَـثْرِبَ نُورٌ لِلنُّبُوَّةِ لاَ يَخْبُو
تَشَارَكَ فِى إِدْرَاكِهِ الطَّرْفُ وَالْقَلْبُ

(ش) (صبوت) ملت (إلى) حب (الدنيا) الدنية (وذو اللب)صاحب العقل السليم (لايصبو) لايميل إلى حبها، لأنها دار غرور كما قال تعالى: « وماالحياة الدنيا إلامتاع الغرور» ومنه «أصب إليهن» (وغرّك)خدعك (منها)أى الدنيا،ومنه «ماغرك بربك الكريم»(السلم)بالكسر والفتح: الصلح،ومنه «وإن جنحوا للسلم» (باطنها) أى الدنيا (حرب) وفتن مع حسن منظرها ولين ملبسها (فذرها) اترك الدنيا، ومنه «ذرنى ومن خلقت وحيداً» (وشرّق) لحج بيت ربك العظيم وزيارة قبر نبيك الكريم (لايقرّ بك الغرب)لايثبت بك حب المغرب : أى حب أىّ

موضع كنت فيه غربا أو شرقا أوغيرهما ، و إنما قال الناظم لايقرّ بك الغرب ، لأنه كان من أهل المغرب ، وإلا فأى مكان كنت فيه اتركه واقصد مكة للحج والمدينة للزيارة (بيثرب) بطيبة (نور) دائم (للنبوة) والرسالة (لايخبو) لايطفأ ولايخمد دائما سرمداً ، وهو صفة لنور (نشارك فى إدراكه) أى النور (الطرف) العين ، ومنه « لايرتد إليهم طرفهم » (والقلب) معروف (ص) :

بِهِ فَاسْتَنِرْ إِنْ تَنْتَهِضْ بِكَ هِمَّةٌ وَلاَ تَنْتَقِضْ مِنْ دُونِهِ لَكَ عَزْمَةٌ

فَكُلُّ ضِيَاءٍ دُونَهُ فَهْوَ دُهْمَةٌ بَدَا وَبِقَاعُ الْأَرْضِ ظُلْمٌ وَظُلْمَةٌ

فَأَشْرَقَتِ الْأَرْجَاءُ وَانْقَشَعَ الْكَرْبُ

(ش) (به) بذلك النور الكائن فى المدينة لابغيره (فاستنر) اطلب النور (إن تنتهض) تقم ، والانتهاض: القيام بسرعة (بك همة) تصميم القلب على إيقاع الفعل : أى إن تقم بك إرادة فى أمر دنياك وأخراك فاقصد به (ولا تنتقض) تنتكث (من دونه) من دون ذلك النور (لك عزمة) نية وقصد (فكل ضياء دونه) دون ذلك النور الكائن فى المدينة (فهو) الضياء (دهمة) ظلمة شديدة السواد (بدا) ذلك النور المسمى محمدا صلى الله عليه وسلم (و بقاع) جمع بقعة وهى القطعة من الأرض (الأرض ظلم) جور: وهو وضع الشئ فى غير محله (وظلمة) شرك وكفر، والجملة حال (فأشرقت) أضاءت ، ومنه : « وأشرقت الأرض» (الأرجاء) الجهات والنواحى ، ومنه «والملك على أرجائها » (وانقشع) انكشف واضمحلّ (الكرب) الحزن والغم عن الخلائق ، فصاروا إخوانا متساوين بعد ما كانوا أعداء (ص) :

أَلَهْفِى لِعُمْرٍ فِى الْمُحَالِ أَضَعْتُهُ سَمِعْتُ بِهِ أَمْرَ الْهوَى وَأَطَعْتُهُ

كَأَنِّىَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيًّا عَرَفْتُهُ ... بِكُلِّ كِتَابٍ لِلنَّبِيِّينَ نَعْتُهُ
وَقَدْ مَرَّ مَاقَالَ النَّبِيُّونَ وَالْكُتُبُ

(ش) (ألهفى) ياحزنى وتحسرى هذا وقتك فاحضر (لعمر) لأجل عمر (فى المحال) الباطل (أضعته) اتبعته وأهلكته فى غير هداية ورشد ، ومنه « ولا نضيع أجر المحسنين » (سمت به) بالعمر (أمر الهوى وأطعته) امتثلت ما أمرنى به الهوى حتى مرت بى دهور (كأنى) فى عدم الاستقامة (لم أعرف) معرفة تامة (نبيا عرفته) وهو :

نبى كريم ماعصى قط ربه ... سيادته للرسل غير خفية

(بكل كتاب) منزل (للنبيين نعتـه) صفته موجودة كما قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل » الآية وكما قال : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (وقد مر ماقال النبيون والكتب) أى ثبت ووافق ماقاله النبيون والكتب مما ترادفت به الأحبار والرهبان وعلماء أهل الكتاب إلى ماأنذر به الكهان (ص) :

نَبِىٌّ بِغَيْرِ الْوَحْىِ لاَ يَتَصَرَّفُ ... صَفُوحٌ عَنِ الْجَانِى وَقَدْ يَتَوَقَّفُ
يَلِينُ بِإِذْنِ اللهِ حِينًا وَيَعْنُفُ ... بَشِيرٌ نَذِيرٌ مُؤْثِرٌ مُتَعَطِّفُ
لَهُ الدِّيمَةُ الْهَطْلاَءُ وَالْعَطَنُ الرَّحْبُ

(ش) (نبى) مبتدأ ، أوخبر لمحذوف (بغير الوحى لايتصرف) فى شىء من الأشياء لأنه « ماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » (صفوح) عفو ، ومنه : « فاصفح عنهم » (عن الجانى) لأنه صلى الله عليه وسلم عفا عن اليهودية التى سمته فى الشاة بعد اعترافها ، وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره ، ونحو ذلك كثير (وقد) للتقليل (يتوقف) ينتظر ماذا يؤمر به من أمر الجانى ، كفعله فى شأن « الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » الآية

وهم: مرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك ، وهلال بن أمية رضى الله عنهم (يلين) صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم » (بإذن الله حيناً) للمسلمين والمؤمنين (ويعنف) للكفار حيناً كما أمره الله تعالى بقوله : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » هو (بشير) للمؤمنين بالجنة (نذير) لأهل المعصية بالنار كما قال تعالى : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » (مؤثر) مفضل غيره على نفسه ، ومنه : « ويؤثرون على أنفسهم » وفى الحديث : « جاءته امرأة ببردة وقال رجل يارسول الله اكسنيها وهو محتاج إليها ، فطواها صلى الله عليه وسلم وأعطاها للرجل » (متعطف) رحيم كثير الشفقة على أمته كما قال تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (له الديمة) المطر الذى لارعد فيه ولا برق (الهطلاء) المنسكبة بتتابع واتصال (والعطن) أصله مبرك الإبل بعد شربها (الرحب) الواسع ، ويضرب به مثلا لسعة صدره وكثرة جوده (ص) :

فَأَثْنِ عَلَيْـهِ بِالسَّخَاءِ وَبِالْحَيَا ... وَبِالصَّبْرِ يَوْمَ الْبَأْسِ إِنْ كُنْتَ مُثْنِيَا
بِحَقٍّ وَقُلْ فِيهِ وَلَا تَخْشَ مُنْحِيَا ... بَذُولٌ فَلَا جَدْبٌ إِذَا بَخِلَ الْحَيَا
مَلَاذٌ فَلَا خَوْفٌ إِذَا صَمَّمَ الْعَضْبُ

(ش) (فأثن عليه) امدحه (بالسخاء) لأنه يعطى عطاء من لايخشى فاقة (وبالحيا) أثن عليه ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان أشد حياء من العذراء فى خدرها (وبالصبر يوم البأس) وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « إنا كنا إذا حمى البأس ، واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » (إن كنت مثنيا) مادحا (بحق) متعلق بمثنيا (وقل فيه) فى النبي صلى الله عليه وسلم قولا حقا ولا تتجاوز الحد فى مدحه كما قال عليه

الصلاة والسلام : « لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ، فقولوا عبد الله ورسوله» (ولاتخش) تخف (منحيا) صارفا ، ومقول القول (بذول) كثير العطاء (فلاجدب) ضد الخصب : أى فلا منع (إذا بخل الحيا) المطر . يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كريم وقت بخل الكرماء ، لأنه لاأسخى ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم ، وقل فيه (ملاذ) مستغاث (فلا خوف إذا صمم العضب) مضى السيف القاطع فى العظم ، وهذا إشارة لثبوته إذا اشتد الحرب وفرّ الكماة ، وجملة فلاجدب وفلاخوف اعتراضية (ص) :

لَهُ القَدَمُ المَعْلُومُ فِى البَأْسِ وَالنَّدَى ... وَقَدْ وَهَبَ الأَعْلاَقَ وَاصْطَلَمَ العِدَا
وَفِى كُلِّ خَيْرٍ جُمْلَةً بَلَغَ المَدَى ... بَوَاطِنُهُ نُورٌ ظَوَاهِرُهُ هُدَى
فَلاَ هَدْيُهُ يَخْفَى وَلاَ نُورُهُ يَخْبُو

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (القدم) السبق فى الخير أوالأمر ، ومنه : « أنّ لهم قدم صدق » (المعلوم) الذى علم (فى البأس) الحرب (والندى) العطاء (وقد وهب الأعلاق) النفائس : راجع للندى ، لأنه صلى الله عليه وسلم أعطى يوم حنين صفوان مائة من النعم ثم مائة ثم مائة ، وردّ على هوازن سباياها وكانت ستة آلاف » (واصطلم العدا) قطع أصل أعدائه : راجع للبأس ، وفضائله غير محصورة فى البأس والندى، بل (وفى كل خير جملة) من غير تفصيل (بلغ المدى) الغاية والنهاية ، وإن ما انطوت عليه (بواطنه نور) لأن جبريل عليه السلام حشا قلبه بالنور إذ شق بطنه ، وأن ما اشتمل عليه (ظواهره هدى) مهتدى به الخلق ، ولم لا ؟ ومرآه هدى الإنس والجن . وقال ابن رواحة رضى الله عنه :

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

(فلاهديه) سيرته وطريقته (يخفى) يستتر ، ومنه : « لاتخفى منكم خافية » أى فبسبب ذلك هديه لايخفى (ولا نوره يخبو) يطفأ، لأنه دائم التوقد فى حياته و بعد مماته . وفى الحديث : « حياتى خير لكم ومماتى خير لكم » (ص) :

لَهُ خُلُقٌ عَذْبٌ وَبِرٌّ وَوُصْلَةٌ   وَصَبْرٌ عَلَى جَهْلِ الجَهُولِ وَمُهْلَةٌ
وَوَجْهٌ كَمَا لَاحَتْ مِنَ الْبَدْرِ جُمْلَةٌ   بَهِيٌّ مَهِيبٌ لَمْ تُعَايِنْهُ مُقْلَةٌ
مِنَ النَّاسِ إِلاَّ شَفَّهَا الرُّعْبُ وَالحُبُّ

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (خلق) سجية (عذب) طيبة (و) له (برّ) دين، أو إحسان (و) له (وصلة) بينه و بين الخلق، أو يوصلهم إلى رحمة الله (و) له (صبر) حبس النفس عن الجزع (على جهل الجهول) أى له صبر جميل على الجاهل الأحمق البالغ فى الجهالة الغاية . « وقال له صلى الله عليه وسلم رجل اعدل يامحمد فإن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله . فقال له : ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل » (و) له (مهلة) تؤدة وسكينة ورفق (و) له (وجه) فيهلّ (كما لاحت) ظهرت و بينت (من البدر جملة) أى له صلى الله عليه وسلم وجه جميل لامع مثل لمع البدر ، ولله در القائل :

لوجهه تلألؤ كالبدر   معتدل الخلق عريض الصدر

(بهىّ) كثير الحسن والبهاء (مهيب) صاحب الهيبة يهابه الناس (لم تعاينه) تقابله وتنظر إليه (مقلة) شحمة العين التى تجمع البياض والسواد (من الناس إلا شفها) خالطها وأذابها (الرعب) الخوف (والحب) . وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه » (ص) :

أَلاَ إِنَّ مَوْلاَهُ أَرَادَ اصْطِنَاعَهُ   فَحَسَّنَ مِنْهُ خَلْقَهُ وَطِبَاعَهُ

وَأَظْهَرَ مِنْهُ دِينَهُ وَأَشَاعَهُ ... بَلِيغٌ إِذَا اسْتَعْصَى اللِّسَانُ أَطَاعَهُ
لِسَانٌ بِقَوْلِ الْحَقِّ مُنْطَلِقٌ رَطْبُ

(ش) (ألا) للتنبيه (إن مولاه) ناصره ومتولى أمره (أراد اصطناعه) اختياره من عباده المصطفين الأخيار، ومنه: «واصطنعتك لنفسى» (فحسن) المولى (منه) صلى الله عليه وسلم (خلقه) الظاهر بكمال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته. قال أبو هريرة رضى الله عنه: «ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه» (وطباعه) سجيته كما قال تعالى: «وإنك لعلى خلق عظيم» (وأظهر) المولى (منه) من النبى صلى الله عليه وسلم (دينه) القويم (وأشاعه) أذاعه وبثه، ومنه: «أن تشيع الفاحشة» هو (بليغ) فصيح يبلغ بعبارة لسانه كنه مافى قلبه (إذا استعصى) اشتد وتلجلج (اللسان) عن الكلام بأسباب حديث له من خطب وحرب (أطاعه لسان بقول الحق) لأنه دليل ثبات القول وقوة النفس (منطلق) لاحبس له (رطب) ضد اليابس: أى اشتد لسان الفصحاء وتلجلج بما ذكرنا أطاعه لسان منطلق رطب بالحق لايفتر عنه (ص):

لَهُ فِى اقْتِيَادِ الْخَلْقِ بِالْحَقِّ مَنْزَعُ ... وَلِلّهِ عِنْدَ الأَمْرِ يَحْزُبُ مَفْزَعُ
وَفِى كُلِّ خَطْبٍ دَاؤُهُ يَتَوَقَّعُ ... بَيَانٌ لَهُ فِى النَّفْعِ وَالضُّرِّ مَوْقِعُ
عَلَيْهِ تُحَلُّ السِّلْمُ أَوْ تُعْقَدُ الْحَرْبُ

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (فى اقتياد الخلق) الناس (بالحق) إلى الهدى (منزع) رأى ومأخذ وهمة عالية * وقاد الورى بالحزم والعزم للهدى * (ولله عند الأمر) حال (يحزب) يشتد حال، والجملة صفة لخطب، وفى كل

خطب خبر مقدم ، من الأمر (مفزع) ملجأ إلى الله . وفى الحديث : «كان صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر بادر إلى الصلاة» (وفى كل خطب) أمر عظيم (داؤه) ضرره (يتوقع) ينتظر وقوعه (بيان) فصاحة مبتدأ مؤخر (له) صلى الله عليه وسلم (فى النفع والضر) والمجرور متعلق بـ(موقع) مسقط صفة لبيان ، والمعنى بيان موقع له فى النفع للمؤمنين والضر للكافرين (عليه) على البيان (تحل) تنقض (السلم) الصلح ، والجملة نعت بعد نعت (أو) بمعنى الواو (تعقد الحرب) المراد به المشى إلى الجهاد ، أو الصلح (ص) :

أَنَافَ بِوَحْىِ اللهِ أَىَّ إِنَافَةٍ   عَلَى كُلِّ ذِى زَجْرٍ وَكُلِّ عِيَافَةِ
وَكَيْفَ يُجَارَى بِاخْتِرَاعِ خُرَافَةٍ   بَرِىءٌ بِشَقِّ الصَّدْرِ مِنْ كُلِّ آفَةِ
فَلاَ لَمَمٌ يُعْزَى إِلَيْهِ وَلاَ ذَنْبُ

(ش) (أناف) أشرف، أو زاد رفعة واصطفاء (بوحى الله) بسبب بعثه إياه ، ومنه : «إنا أوحينا إليك» (أىّ إنافة) إشراف وزيادة كاملة (على كل ذى) صاحب (زجر) وهو أن يعتبر بأسماء الطيور وممرها ومساقطها وأصواتها مايستدل بها على أمور مغيبة (وكل عيافة) وهى ضرب من التكهن (وكيف) أنى (يجارى) يبارى، وتماثل الوحى (باختراع) بكذب وابتداع (خرافة) وهو رجل من عذرة أسرته الجن فى الجاهلية فمكث دهراً طويلا عندهم ثم ردته إلى الإنس ، فكان يحدّث بما رأى فيهم من الأعاجيب ، فقال الناس حديث خرافة . انظر الشريشى شرح مقامات الحريرى ، فقد ذكر بعض أخبار خرافة (برىء) خبر لمحذوف (بشق الصدر) بسبب شق الصدر (من كل آفة) . وفى الحديث : «جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً فأخذانى فشقا بطنى من نحرى إلى مراق بطنى ، ثم استخرجا منه قلبى فشقاه ،

فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها وغسلا قلبي و بطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم تناول أحدهما شيئاً فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به على قلبي فامتلأ إيمانا وحكمة ، ثم أعاداه مكانه ، وأمرّ الآخر يده على مفرق صدرى فالتأم» الحديث بطوله (فلالم) فبسبب ذلك لالم: ماقلّ وصغر من الذنب (يعزى) ينسب (إليه) صلى الله عليه وسلم (ولاذنب) كبير ، وقد قلنا فى قصيدتنا الميمية المسماة [سعد السعود] :

قدشق منه القلب جبريل قوى — وبماء ثلج غسله ومطيمه
فبذاك ما إن ضل قط وماغوى — والنطق عن أهوى نفته حلومه
حتى أتاه الوحى وهو مطهر — لم يدنه غاو ولا تسخيمه

(ص) : لَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِنُورِ بَيَانِهِ — أَلَهْفِى عَلَى مَا فَاتَنِى مِنْ عِيَانِهِ
يُحَدِّثُ مِنْهُ عَنْ عُلُومِ جَنَانِهِ — بَصِيرٌ بِسِرِّ الْغَيْبِ قَبْلَ كِيَانِهِ
لَهُ يَقْرُبُ الْمَرْمى وَتَرْتَفِعُ الْحُجْبُ

(ش) والله (لأشرقت) أنارت (الدنيا) وأصحابها (بنور بيانه) قرآنه ، ومنه : « هذا بيان للناس » (ألهفى) ياحزنى وتحسرى هذا وقتك فاحضر (على) لأجل (مافاتنى من عيانه) رؤيته صلى الله عليه وسلم فى حياته وعدم رؤية قبره بعد مماته (يحدث) يعلم ويخبر الناس (منه) من النبى (عن علوم جنانه) بالفتح قلبه هو (بصير) عليم (بسر الغيب) هو ما غاب عن الخلق (قبل كيانه) قبل حدوثه . وقال حذيفة رضى الله عنه : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ، فما ترك شيئاً يكون فى مقامه إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابى هؤلاء » الحديث بطوله (له) صلى الله عليه وسلم لا لغيره (يقرب المرمى) المنتهى (وترتفع الحجب) الأستار المانعة للرؤية

والإدراك كما قال صلى الله عليه وسلم : « ماراأيت الخير والشر كاليوم صوّرت لى الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط » الحديث بطوله . والمعنى قرب له الله منتهى كل بعيد ، ورفع له حجب كل شئ حتى الحجب التى تلى عرش الرحمن ، وقد قال قوم عاين الله جهرة (ص) :

فَأَعْظِمْ بِرِفْدٍ مِنْهُ قَدْ صَابَ عُرْفُهُ وَأَكْرِمْ بِذِكْرٍ مِنْهُ قَدْ طَابَ عَرْفُهُ
بَصِيرَتُهُ فِي الْأَمْرِ يُشْكِلُ صَرْفُهُ بَصِيرَةُ مَعْصُومٍ إِذَا نَامَ طَرْفُهُ
فَلِلْقَلْبِ طَرْفٌ لَايَنَامُ لَهُ هُدْبُ

(ش) (فأعظم برفد) عون : أى ما أعظم عطاءه (منه) من النبى صلى الله عليه وسلم (قد صاب) نزل (عرفه) بالضم معروفه (وأكرم بذكر منه) أى ما أكرم ثناء حسناً من النبى صلى الله عليه وسلم (قد طاب عرفه) بالفتح : وهو الرائحة الطيبة (بصيرته) عبادته وتفكره ، أو علمه وحجته (فى الأمر) الشأن (يشكل) يختلط و يلتبس (صرفه) وفى نسخة: حرفه : أى معناه ومذهبه ، والجملة حال من الأمر (بصيرة معصوم) عن الخطء ، أو المعنى علمه صلى الله عليه وسلم فى الأمور المشكلات علم معصوم عن الخطأ : و يدرك الأمور المشكلة على ما هى عليه (إذا نام طرفه) عينه (فللقلب) المعصوم (طرف) عين (لاينام) صفة لطرف (له) لطرف القلب (هدب) وهو الشعر النابت على أشفار العين وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام : « إن عينىّ تنامان ولا ينام قلبى » (ص):

عَلَى أَحْمَدٍ مِنْ رَبِّهِ صَلَوَاتُهُ لَقَدْ عَظُمَتْ فِي خَلْقِهِ بَرَكَاتُهُ
لَقَدْ بَهَرَتْ شَمْسَ الضُّحَى مُعْجِزَاتُهُ بَرَاهِينُهُ لَا تَنْقَضِي وَهِبَاتُهُ
وَآيَاتُهُ شُهْبٌ وَأَنْمُلُهُ سُحْبُ

(ش) (على أحمد) المرتضى بشرى عيسى (من ربه صلواته) وهى زيادة

رحمة و إنعام (لقد عظمت) كبرت (فى خلقه بركاته) ملكاوجنا و إنسا و بهائم (لقد بهرت) غلبت ورجحت (شمس الضحى) مفعول مقدم (معجزاته) هى أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة ، ولذلك (براهينه) حججه ودلائله (لاتنقضى) لاتنقطع ولاتنفد إذ منها القرآن المتلو على مر الزمان (وهباته) كذلك لاتنقضى (فآياته) معجزاته على نبوته (شهب) نيرة مثل الشهب ، والتشبيه المبالغة راجع إلى قوله براهينه (وأنمله) جمع أنملة (سحب)جمع سحاب : المراد جوده وكرمه راجع إلى قوله وهباته (ص) :

وَلَمَّا اجْتَبَاهُ رَبُّهُ لِلْمَكَارِمِ   فَهَانَتْ لَدَيْهِ أُمَّهَاتُ الْعَظَائِمِ
وَمَا أَخَذَتْهُ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمِ   بَنَى قُبَّةَ الْإِسْلَامِ فَوْقَ دَعَائِمِ
مِنَ الْخَمْسِ فِى أَفْيَائِهَا الْعُجْمُ وَالْعُرْبُ

(ش) (ولما) حين (اجتباه) اختاره (ربه) مصلح أمره ، ومنه : « فاجتباه ربه » (المكارم) لمكارم الأخلاق التى تملك سروها وهى الصنائع الحسنة (فهانت) سهلت (لديه) عنده (أمهات) أصول الأمور (العظائم) من المفارقة للأهل والوطن ومعاداة الأقارب ومواصلة الأجانب (وما) نافية (أخذته) صلى الله عليه وسلم (فيه) فى تبليغ أمر ربه (لومة لائم) ومنه : « ولا يخافون لومة لائم » ولو كان عتابا فى حقه فى قصة زينب بنت جحش رضى الله عنها ، وهى معروفة فى كتب السير (بنى) جواب لما بنى النبى صلى الله عليه وسلم (قبة الإسلام) أى قواعد الإسلام (فوق دعائم) جمع دعامة : وهى العمود ، و (من) للبيان (الخمس فى أفيائها) فى ظل تلك القبة (العجم) خلاف العرب (والعرب) من يتكلم باللغة العربية (ص) :

بَنَاهَا فَحَاطَ الْعَيْنَ مِنْهَا مَعَ الْحِمَى   كَرِيمُ الْمَسَاعِى لَا يُسَامَى إِذَا انْتَمَى

خَلَائِقُهُ أَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ إِذْ هَمَى   بَوَارِقُهُ تَهْدِي الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى
فَلَا عِلَّةٌ تُخْشَى وَقَدْ أَنْجَحَ الطِّبُّ

(ش) (بناها) القبة (لحاظ العين) حفظ وحرس ورعى الذات أو النفس (منها) من القبة (مع الحمى) مع دفع الكفرة ، أشار إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » الحديث . يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم حفظ ذات دين الإسلام مع من تدين به من أذى المشركين .

أحلّ أمته فى حرز ملته   كالليث حل مع الأشبال فى أجم

هو (كريم) عظيم، أو جميل (المساعى) جمع مسعاة : وهى المعلاة (لايسامى) لايبارى ولايفاخر (إذا انتمى) انتسب : أى لايباريه ولايساميه أحد فى شىء من الخيرات والفضائل .

ومن ذا يمارى فى علاه وسبقه   قضى الله أن الرسل أسبق خلقه
وأن رسول الله للخلق أسبق

(خلائقه) طبائعه (أندى) أكثر خيراً (من الغيث) من المطر (إذ همى) سال ، ومنه : « وهو الذى ينزل الغيث » (بوارقه) أنواره ودلائله (تهدى القلوب) تحييها بالهداية ، ومنه : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » (من العمى) من عمى الجهالة إلى العلم ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومنه : « فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (ف)بسبب ذلك (لا علة) مرض طارئة (تخشى) تخاف (و) الحال (قد أنجح) نفع وأنفذ (الطب) الدواء ، أشار بذا إلى أن الكفر مرض والإسلام دواء للقلوب ، وقد نفع طبه صلى الله عليه وسلم للقلوب لأدواء الكفر

(ص) :

سَجَايَا رَسُول اللهِ أَحْمَدَ فَوْقَ ذَا أَتُبْصِرُ أَمْ غَطًى بَصِيرَتَكَ الْقَذَى

بَدِيعُ السَّجَايَا فَهُوَ بَذْلٌ وَلَاأَذَى إِذَا شَيءٍ مِنْهُ الْخَيْرُ لَمْ يَنْأَ عَنْ إِذَا

وَمَنٌّ وَلَا مَنٌّ وَصَفْحٌ وَلَا عَتْبُ

(ش) (أتبصر) يا إنسان مآثر المصطفى بعين بصيرتك فتصفه على الجملة بجوامعها إذ لاقدرة لك على تفصيلها (أم) متصلة (غطى) ستر وغشى (بصيرتك) رؤية قلبك (القذى) هو مايسقط فى العين فلايبصر بها حقائق الأشياء : أى إن كنت تبصر بعين بصيرتك ولم يغط القذى منها شيئاً ف(سجايا) جمع سجية: وهى الطبيعة (رسول الله أحمد) المرتضى بشرى عيسى (فوق ذا) فوق ماتبصره بعين بصيرتك من مدحه ووصفه بما يمكن أن يوصف به ، ولله در ابن الفارض حيث قال :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

(إذا شىء) أريد (منه) من النبى صلى الله عليه وسلم (الخير) أى خير مع اختلاف أنواعه (لم ينأ) يبعد ذلك الخير عن طالبه ، ومنه : « و ينأون عنه » (عن إذا) عن الخير إذا أريد، و إذا تأكيد للأول، هو (بديع) عجيب (السجايا) الطبائع: أى كثير العطايا بدليل قوله : (فهو بذل) عطاء (ولاأذى) ضر (ومنّ) عطاء (ولا منّ) افتخار ، ومنه : « ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولاأذى» (وصفح) عفو و إعراض عن الجهال (ولا عتب) لوم ، وصفه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق ، وحسن الخلق ، و بذل الأموال ، والإعراض عن الجهال ، وتنزهه عن نقيض هذه الخصال (ص) :

مُبِينُ الْهُدَى لِلسَّالِكِينَ مَحَجَّةً مُحَمَّدٌ الْأَهْدَى مَقَالاً وَحُجَّةً

وَأَصْدَقُ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ لَهْجَةً ... بِهِ خُتِمَ السِّلْكُ النَّبِيُّ بَهْجَةً
لَهُ الْقُرْبُ مِنْ دُونِ الْوَرَى وَلَهُ الْحُبُّ

(ش) (محمد الأهدى) أهـدى الناس (مقالا) لسانا كما فى الحديث : « قيل له يارسول الله : مارأينا الذى هو أفصح منك ؟ قال : وما يمنعنى و إنما أنزل القرآن بلسانى ، لسان عربى مبـين » (وحجة) برهانا (مبين الهدى) مظهر هداه (للسالـكين) للداخلين (محجة) طريقة ، إنه مظهر شريعته لأمته ، مبين لهم كما قال تعالى: « لتبين للناس ما نزل إليهم » (و) محمد (أصدق من يمشى على الأرض) ملكا وجنا (لهجة) لسانا ولذلك لا أحد أبر فى قول لا منه ولا نم (به) صلى الله عليه وسلم (ختم) طبع ولهم كما قال تعالى : « وخاتم النبيين » (السلك) الخيط (النبيئ بهجة) حسناً وجمالا تمييز (له) صلى الله عليه وسـلم لالغيره (القرب) المعهود فى قوله تعالى : « فـكان قاب قوسين أو أدنى » والمراد شدة الحب والاصطفاء ، دنوّ اصطفاء لا دنوّ مسافة (من دون) غير (الورى) لاختصاصه بذلك (وله الحب) المعهود من دون الورى (ص) :

وَهَلْ بَعْدَ مَسْرَاهُ لِمَوْلَاهُ غَايَةٌ ... هُوَ الْعَبْدُ حَقًّا قَرَّبَتْهُ عِنَايَةٌ
نِهَايَتُهُ لَمْ تَـكْتَسِبْهَا بِدَايَةٌ ... بِدَايَتُهُ الْمُرْسَلِينَ نِهَايَةٌ
هُمُ الشُّهْبُ حُسْنًا حَوْلَهُ وَهُوَ الْقُطْبُ

(ش) (وهل) استفهام إنكارى بمعنى النفى (بعد مسراه) ليلا إلى العرش (لمولاه) ناصره (غاية) نهاية : أى ما بعد إسرائه مرمى يطلب « وأن إلى ربك المنتهى » وليس وراء الله مرمى،كأنّ سائلا سأله هذا المسرىّ به هل هو عبد أم لا؟ فقال : (هو العبد) كما قال تعالى : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا » (حقا) لو كان شىء أحب إليـه من العبودية لسماه به مولاه .

وقال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » بل هو كان فى وقت الإسراء عبداً نوراً خالصاً . قلت : وقال لى بعض الأولياء رضوان الله عليهم : إنه علمه الله بيتاً فى النوم على هـذا المعنى الذى قلت وهو :

أسرى بك الله نوراً نحو حضرته فنلت ثم أيا مختاره التحفا

(قربته) لمولاه قرب إنافة لاقرب مسافة (عناية) خصوصية أزلية ، والجملة حالية (نهايته) غايته صلى الله عليه وسلم فى إسرائه إلى مولاه (لم تكتسبها) نهاية (بداية) ولا نهاية من غيره : أى مانيلت نهايته باكتساب ولاحيلة ، بل وصل إليها بتخصيص الكبير المتعال (بدايته) فى الوحى إليـه والأمر له بالتبليغ (للمرسلين) سواه (نهاية) إذ بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أتاه الملك مرة أومرتين ، و بعضهم عشرة إلى أربعين و إلى أربعمائة ، وأما نبينا عليه الصلاة والسلام فأتاه الملك مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً ؛ فانظر بين بدايته و بدايتهم ونهايته ونهايتهم عليهم الصلاة والسلام . وفى الحديث : « لما وصل صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ضرب بكفه قدمه وقال : موضع لم يجاوزه أحد قبلى ولا يجاوزه أحد بعدى ، قال جبريل عليه السلام : كنت أظن أنى عرفت محمداً صلى الله عليه وسلم ، فالآن عرفت أنى لم أعرفه » وفى البيت رد العجز على الصدر (هم) المرسلون (الشهب) فى الإضاءة والاهتداء (حسناً) تمييز (حوله) صلى الله عليه وسلم (و) محمد صلى الله عليه وسلم (هو القطب) هو كوكب بين الجدى والفرقدين يدور عليه الفلك ، استعاره للنبى من حيث كونه يدور عليه سر الوجود (ص) :

أُحِبُّ رَسُولَ اللهِ حُبَّ مُوَحِّدٍ وَأَمْدَحُهُ بِالْحَقِّ غَيْرَ مُفَنَّدِ

وَإِنْ بَلَغَ الْمَطْلُوبَ بِالْمَدْحِ مُجْتَدٍ بَلَغْنَا بِمَدْحِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدِ

ذُرَى قُنَنٍ مَا إِنْ يُطَاوِلُهَا الْهُضْبُ

(ش) (أحب) محمدا (رسول الله) صلى الله عليه وسلم (حب) رجل (موحد) لله مقر بوحدانيته تعالى (وأمدحه) أى الرسول صلى الله عليه وسلم (بالحق غير) حال (مفند) مكذب فى مدحى إياه ، ومنه : « لولا أن تفندون » (وإن بلغ) وصل (المطلوب) مرغوب به من مطالب دنياه (بالمدح) بمدحه كزهير (مجتد) طالب جدوى هو العطية (بلغنا) وصلنا معاشر المداحين (ب)سبب (مدح الهاشمى محمد) صلى الله عليه وسلم ، وفى نسخة : بجاه فيه رد العجز على الصدر (ذرى) جمع ذروة مثلث الذال : أى أعلى (قنن) جمع قنة : وهى أعلى الجبل (ما) نافية (إن) زائدة (يطاولها) يساويها فى الطول (الهضب) جمع هضبة : وهو الجبل المنبسط ، وفى نسخة : ذرى شرف : أى وإن بلغ طالب الخير بمدحه للملوك والأكابر كزهير فنحن معاشر المداحين بلغنا رءوس الجبال العالية ، والجبال المنبسطة على وجه الأرض :

إذ ثنايا ثنائى للجنان طريقة فاقسم على الجدوى فلست تحنث

وفى نشر طى البردة : « من مدحنى ولو ببيت واحد كنت له شفيعاً يوم القيامة » والله أعلم (ص) :

لَقَدْ فَازَ مَنْ لَبَّى وَطَافَ وَزَارَهُ وَمَرَّغَ فِى ذَاكَ التُّرَابِ عِذَارَهُ

وَإِنْ كُنْتُ لَمْ نَبْلُغْ أُخَيَّ دِيَارَهُ بِحُبِّ رَسُولِ اللهِ نَرْجُو جِوَارَهُ

وَكُلُّ مُحِبٍّ فَالْحَبِيبُ لَهُ حَسْبُ

(ش) (لقد فاز) فوزا عظيما ، ونال ثوابا جسيما (من لبى) فاعل فاز : أى من قال « لبيك لبيك اللهم لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة والملك لك ،

لاشريك لك لبيك » ونوى ما أراد من حج وعمرة (وطاف) بالبيت العتيق الطوائف من قدوم وإفاضة ووداع (وزاره) صلى الله عليه وسلم فى مهاجره . وفى الحديث : « من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى » . وفى حديث آخر : « من زارنى بالمدينة كان معى فى جوارى ، وكنت له شفيعاً يوم القيامة » (ومرغ) عفر وتمعك (فى ذاك التراب) الروضة المشرفة (عذاره) خده أصله الشعر النابت فى الخد إن كنت ذا عذار أو نقى الخد (وإن كنت) أنا ومن اتصف بصفتى فى حبه صلى الله عليه وسلم إياه (لم نبلغ) نصل يا (أخى) تصغير أخ (دياره) جمع دار : المراد به المدينة المشرفة ، وفى نسخة : بدل هذا المصراع . يقول : * وقد أدنى الهوى منه داره * (بحب رسول الله) صلى الله عليه وسلم (نرجو) نأمل (جواره) قربه فى الآخرة (وكل محب) صادق ثابت فى محبته (فالحبيب له حسب) كاف ، إذ المرء مع من أحب .

هنا انتهى حرف الباء ، ويتلوه حرف التاء إن شاء الله تعالى ، والله المستعان .

قافية حرف التاء

لما فرغ من حرف الباء أراد أن يشرع فى حرف التاء ، مخبراً بأن أفضل مايعبد الله به مدح نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (ص) :

مَدِيحُ نَبِيِّ اللهِ أَزْكَى التَّعَبُّدِ ... لِمَا حَازَ مِنْ فَضْلٍ وَفَخْرٍ وَسُودَدِ
أَمَعْشَرَ مَنْ يُدْلِي لَهُ بِتَوَدُّدِ ... تَعَالَوْا فَعِنْدِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
مَدِيحٌ كَأَزْهَارِ الْخَمَائِلِ طُلَّتِ

(ش) (مديح) هو الثناء الحسن (نبى الله) محمد بن عبد الله (أزكى)

أنمى وأزيد وأطهر (التعبد) العبادات التى يتقرب بها إلى الله تعالى (لما حاز) لأجل الشئ الذى ضم إلى نفسه (من) بيانية (فضل وفخر وسودد) سيادة لأنه هو السيد الذى يلجأ إليه فى الحوائج (أمعشر) ياجماعة (مريدلى) يتقرب (له) صلى الله عليه وسلم (بتودد) بالمحبة (تعالوا) هلموا ، ومنه قوله تعالى : « قل تعالوا أتل» (فعندى للنبى محمد) بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (مديح) ثناء فى حسن منظره وطيب رائحته (كأزهار) أنوار (الخمائل) جمع خميلة : وهى الشجر الملتف (طلت) أصابها الطل ، وهو المطر الخفيف ، ومنه قوله تعالى: «فإن لم يصبها وابل فطل » (ص) :

مَدِيحٌ عَلَى الْإِسْهَابِ لَمْ يَقْضِ حَقَّهُ ... صَحِيحُ الْمَعَانِى يَعْلَمُ اللهُ صِدْقَهُ

وَأَنَّ سِوَى الْمُخْتَارِ لَمْ يَسْتَحِقَّهُ ... تَبَلَّجَ أَصْبَاحُ الحَقَائِقِ فَوْقَهُ

وَفَاحَ عَلَى فَحْوَاهُ مِسْكُ الْأَدِلَّةِ

(ش) (مديح) ثناء (على الإسهاب) الإكثار : أى على كثرة الكلام منى وتوفيق: أى (لم يقض) المدح حقه ولكنه (صحيح المعانى) المقاصد (يعلم الله) الخبير الذى لايخفى عليه شئ (صدقه) أى المديح (و) مع ذلك يعلم الله (أن سوى) غير صفيه محمد (المختار) من خلقه تعالى (لم يستحقه) لم يستوجب المديح بل هو صلى الله عليه وسلم مستحق له (تبلج) أضاء (أصباح) جمع صبح (الحقائق) جمع حقيقة (فوقه) المديح : أى قامت الدلائل المنيرة العقلية والنقلية على صحة معنى مامدحناه به وحده ، وأنه لاينبغى ذلك لغيره (وفاح) تضوع أوتحرك رائحته وانتشر (على فحواه) معنى المديح (مسك الأدلة) أى انتشرت على معناه رائحة الدلالة التى هى كالمسك فى نزولها فى الأزهار ، وموافقتها للطبائع (ص) :

حُلَى المُصْطَفَى أَكْرِمْ بِهِ فَضْلُ الحُلَى   يُقَصِّرُ فِيهَا القَوْلُ مِنَّا وَإِنْ غَــلاَ
هُوَ الآخِرُ المَعْدُودُ فِي الفَضْلِ أَوَّلاَ   تَبَارَكَ رَبٌّ كَمَّلَ المَجْدَ وَالعُــلاَ
لِأَفْضَلِ مَبْعُوثٍ بِأَفْضَلِ مِلَّةِ

(ش) (حلى المصطفى) أى صفاته (أكرم به) أى ما أكرمه (أفضــل الحلى) خبر الصفات : أى صفاته صلى الله عليه وسلم أفضل صفات جميع الخلق ، حلى مبتدأ أفضل خبره ، وجملة التعجب معترضة ولذلك قال : (يقصر) يعجز وينقص (فيه) فى المصطفى ، وفى نسخة : فيها : أى فى الحلى (القول منا وإن) حرف إغياء (غلا) جاوز الحد المراد بمجاوزة الحد كثرة تعداد ذكره بالجميل وخرق العادات ، لا الغلوّ الممنوع بالوصف بما لا يليق بمخلوق :

☆ دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ☆

(هو) صلى الله عليه وسلم (الآخر) آخر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثا (المعدود فى الفضــل أولا) . وفى الحديث : « كنت أول الأنبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث ، ثم قرأ : ومنك ومن نوح » الآية (تبارك) تكاثر خيره (رب) مالك (كمل المجد) الشرف الدينى والدنيوى (والعلا) الرفعة (لأفضل مبعوث) أفضل الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى أفضل أمة (بأفضل ملة) دين وشريعة ، لأن دينه أفضل الأديان ، وشريعته أفضل الشرائع ، وفى نسخة : بأكرم ، بدل أفضل . (ص) :

خِصَالُ التُّقَى وَالْبِرِّ مِنْهُ تُعُلِّمَتْ   وَشِرْعَتُهُ أُخْتُ شَرَائِعَ قُدِّمَتْ
بِنَاهَا وَكَانَتْ قَدْ عَفَتْ وَتَهَدَّمَتْ   تَمَامُ نِظَامٍ لِلنَّبِيِّينَ تُمِّمَتْ
بِآيَاتِهِ آيَاتُهُمْ فَاسْتَقَلَّتِ

(ش) (خصال التقى) سجاياه (و) خصال (البر) الإحسان (منه) صلى الله عليه وسلم (تعلمت) قالت عائشة رضى الله عنها : « ماعلمت السخاوة

إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال : « ياعائشة لاتوكى فيوكى عليك » (وشرعته) شريعته وطريقته الماشية عليها ، ومنه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (أحيت شرائع) جمع شريعة (قدمت) بالبناء للمفعول ، إذ هى متقدمة على شريعته زمانا ، فاندرست وجاءت شريعته صلى الله عليه وسلم فأحيتها (بناها) أى الشريعة (و) الحال أن الشريعة (كانت قد عفت) اندرست وانمحت (وتهدمت) خربت ، كناية عن إماتتها وعدم القائم بها ، هو (تمام نظام للنبيين تممت) أكملت (بآياته) معجزاته (آياتهم) نائب فاعل تممت (فاستقامت) فاستقامت آياته صلى الله عليه وسلم فلم تحتج لمتمم بعد ، إذ لانبى بعده صلى الله عليه وسلم ، وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ، ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو أم الكتاب : إن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين » (ص) :

تَهَدَّى بِتَوْفِيقِ الْإِلٰهِ لِدِينِهِ ... وَلاَوَحْىَ إِلاَّ مِنْ صَفَاءِ يَقِينِهِ
وَلَمَّا أَتَاهُ رَبُّهُ بِأَمِينِــهِ ... تَلأْلأَ بَرْقُ الْبِشْرِ فَوْقَ جَبِينِهِ
وَسَحَّ غَمَامُ الرَّاحَةِ الْمُسْتَهِـلَّةِ

(ش) (تهدى) رشد صلى الله عليه وسلم (بتوفيق الإله لدينه) أو إلى دين الله (و) الحال (لاوحى) من الإله إليه (إلا) لكن (من صفاء يقينه) الخالص بأن له معبودا يعبد (ولما أتاه) صلى الله عليه وسلم (ربه) مالكه ومصلح أمره (بأمينه) جبريل عليه السلام ، مخبرا بأنه صلى الله عليه وسلم مرسول إلى الخلق كافة (تلألأ) لمع وأضاء (برق البشر) بكسر الباء : طلاقة الوجه (فوق جبينه) هو مافوق الصدغ ، ولايكاد الناس يعرفون مابين الجبهة والجبين (وسحّ)

صب وسال (غمام) سحاب بيض (الراحة) الكف (المستهلة) المنهملة كما يستهل السماء بالمطر : كناية عن جوده وسخائه ، ولا سيما إذا لقى جبريل عليه السلام ، ولله در حسان بن ثابت رضى الله عنه يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

له راحة لو أن معشار جودها ... على البر كان البر أندى من البحر (ص):

تَيَمَّنْ بِهِ وَانْوِ التَّبَرُّكَ بِاسْمِهِ ... وَلاَ تَعْدُ فِى شَىْءٍ طَرِيقَةَ وَسْمِهِ
فَقَدْ قَسَمَ المَوْلَى لَهُ خَيْرَ قِسْمِهِ ... تَرَقَّى إِلى السَّبْعِ الطِّبَاقِ بِجِسْمِهِ
وَقَدْ أَشْرَقَتْ أَمْلاَ كُهَا وَتَجَلَّتِ

(ش) (تيمن به) اطلب البركة بالنبى صلى الله عليه وسلم (وانو) اقصد (التبرك) زيادة الخير (باسمه) صلى الله عليه وسلم إذا ولد لك مولود فسمه محمدا واقصد بذاك التبرك ، وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام : « من ولد له ثلاثة ولم يسم أحدهم محمدا فقد جهل » (ولا تعد) تتجاوز (فى شىء) من أمر الدين والدنيا (طريقة وسمه) علامته ، وفى نسخة : رسمه بالراء : أى أثره كما قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله » (لقد قسم المولى) الناصر (له) للنبى صلى الله عليه وسلم (خيرقسمه) نصيبه ، بأن خصه الله بالإسراء والترقى إلى السماء كما قال (ترقى) على ظهر البراق (إلى السبع الطباق) السموات السبع ، ومنه : « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا » (بجسمه) لا بروحه فى حال يقظته لا فى المنام حتى عاين الله جهرة (و) الحال أنه (قد أشرقت) أطلعت (أملا كها) السبع الطباق (وتجلت) ظهرت للقائه والترحيب ، ومنه : « فلما تجلى ربه للجبل » فلما رأته قدمته وصلت (ص) :

تَرَقَّى إِلَيْهَا إِذْ تَمَكَّنَ طِيبُهُ ... وَكَادَ لَهِيبُ الشَّوْقِ وَجْدًا يُذِيبُهُ

فَجَاءَ بِهِ نَحْوَ الْعِلَاجِ طَبِيبُهُ ... تَرَقِّيَ مَحْبُوبٍ دَعَاهُ حَبِيبُهُ

فَطَارَتْ بِهِ أَشْوَاقُهُ وَتَعَلَّتِ

(ش) (ترقى) صعد (إليها) أى السبع الطباق (إذ) حين (تمكن طيبه) بلغ أشده وبلغ أربعين سنة (وكاد) قارب (لهيب الشوق) الحب إلى مولاه (وجدا) حزنا، مفعول له (يذيبه) يتلفه (فجاء به) صلى الله عليه وسلم جهة وطريق (العلاج) الدواء (طبيبه) عالم طبه (ترقى) مصدر لفظى (محبوب) كريم (دعاه) ناداه (حبيبه) العظيم (فطارت به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (أشواقه) صلى الله عليه وسلم (وتعلت) ارتفعت به الأشواق، وهذا كله استعارة وتشبيه (ص):

تَكَنَّفَهُ حِفْظُ الْإِلٰهِ وَصَوْنُهُ ... وَتَأْيِيدُهُ فِى كُلِّ حَالٍ وَعَوْنُهُ

وَمِمَّا بِهِ قَدْ خَصَّهُ اللهُ كَوْنُهُ ... تَنَامُ عُيُونُ الْغَافِلِينَ وَعَيْنُهُ

بِمَا شَهِدَتْ فِى لَيْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ

(ش) (تكنفه) أحاط به (حفظ الإله) المعبود بحق (وصونه) عطف تفسير (و) تكنفه (تأييده) تقويته (فى كل حال) من جميع أحواله (و) تكنفه (عونه) نصرته على أعدائه (ومما) من بعض ما (به قد خصه الله) به من خصائصه المذكورة فى الكتب وهى ألف ومائتان (كونه) الضمير للشان (تنام) ترقد (عيون) جمع عين: وهى حاسة الرؤية (الغافلين) الذاهلين عن المشاهدة (وعينه) صلى الله عليه وسلم حاسة رؤيته الكريمة (بـ) سبب (ماشهدت) رأته معاينة من ملكوت الله وعظمته (فى ليلها) فى ليل العين وهو ليلة الإسراء (قد تخلت) بقيت خالية من النوم، ومنه: «وألقت مافيها وتخلت» (ص):

تَخَلَّتْ لِأَمْرٍ لَمْ يَنَوَّلْهُ مَنْ مَضَى ... رَآهُ لَهُ رَبُّ الْبَرِيَّةِ مُرْتَضَى

وَحِينَ انْقَضَى مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ مَا انْقَضَى تَلَقَّتْهُ رُسْلُ اللهِ فِى الْمَلَإِ الرِّضَا
وَقَدْ رَفَعَتْ مِنْ شَأْنِهِ وَأَجَلَّتِ

(ش) (تخلت) جواب عن سؤال مقدر كأن سائلا سأله لأى شىء تخلت من النوم ، فقال تخلت (لأمر) لأجل أمر عظيم (لم ينوله) يعطه (من مضى) سدى ، وذهب قبله من الأنبياء لاسيما من يأتون بعده من الأتقياء وهو الإسراء (رآه) علمه (له) للأمر (رب البرية) مالك المخلوقات (مرتضى) لذلك الأمر (وحين) ساعة (انقضى من ذلك الأمر) العظيم (ما انقضى) كما قال تعالى : « فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى » (تلقته) أى النبى صلى الله عليه وسلم من اللقاء (رسل الله) عليهم الصلاة والسلام (فى الملإ الرضى) الجماعة الأشراف الذين رضى الله عنهم وهم الأنبياء والملائكة ، وفى نسخة :
* تلقته أملاك المهيمن بالرضى * (و) الحال (قد رفعت) تلك الجماعة بالرضا (من) بعض (شأنه) أمره، وفى نسخة: من قدره (وأجلت) عظمت شأنه وقدره (ص) :

أَضَاءَ سَنَاهُ فَاسْتَبَانَتْ سَنَاءَهُ وَلِلّهِ دَانَتْ بِالصَّلَاةِ وَرَاءَهُ
وَلَمَّا أَطَابَ اللهُ فِيهَا ثَنَاءَهُ تَمَنَّتْ عَلَى كَرِّ الْعُصُورِ لِقَاءَهُ
فَلَمَّا رَأَتْهُ قَدَّمَتْهُ وَصَلَّتِ

(ش) (أضاء) أشرق وأنار (سناه) نوره صلى الله عليه وسلم ، ومنه « يكاد سنا برقه » (واستبانت) استوضحت وتبينت رسل الله ، ومنه « ولتستبين سبيل المجرمين » (سناءه) رفعته : أى أنار ضوءه فعرفت الرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام رفعته (ولله دانت) أطاعت (بالصلاة وراءه) خلفه : أى خضعت تلك الجماعة الرضى بالصلاة وراءه صلى الله عليه وسلم (ولما) حين (أطاب الله) عز وجل (فيها) فى الصلاة الرضى (ثناءه) صلى الله عليه وسلم: أى ذكره الجميل (تمنت)

ودّت واشتهت الملأ الرضى (على كرّ) رجع (العصور) الأزمان والدهور (لقاءه) صلى الله عليه وسلم (فلما رأته) الجماعة الرضى المتمنى لقاءه (قدمته) جعلته إماما لهم (وصلت) تلك الجماعة وراءه مأمومين . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « إنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس» وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بى إلى السماء أذّن جبريل عليه السلام فظنت الملائكة أنه يصلى بهم فقدمنى وصليت بالملائكة » (ص) :

لَقَدْ مَجَّدَتْ مِنْــــهُ أَبَرَّ مُمَجَّدٍ   عَلَى كلِّ مَايُحْظِى لَدَى الرَّبِّ مُنْجِدِ
فَلاَ قَدْرَ إِلاَّ دُونَ قَدْرِ [مُحَمَّدٍ]   تَضَاءلَتِ الْأَقْدَارُ عَنْ قَدْرِ سَيِّدٍ
شَفَى كلَّ قَلْبٍ مِنْ ضَنَى كلِّ عِلَّةٍ

(ش) والله (لقد مجدت) شرفت وعظمت الملأ الرضى (منــه) صلى الله عليه وسلم ، ومن زائدة : أى مجدته (أبرّ) أحسن (ممجد) مشرف معظم ، وأبر حال أو مصدر لمحذوف (على كل مايحظى) يسعد ويفضل (لدى الرب) عند الرب ، و (منجد) معين نعت لممجد ، أوخبر لمبتدأ محذوف ، أومبتدأ خبره على كل مايحظى وإنما كسره للضرورة (ف) بسبب ذلك (لاقدر) لاجاه لنبى أو رسول أوملك عليهم الصلاة والسلام (إلا) شرفه وجاهه (دون قدر) تحت جاه (محمد) الأمين سيد الخلق أجمعين ، كما جاء فى حديث الإسراء « من أن جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أثنوا على الله تعالى فى تلك الليلة وكان محمد صلى الله عليه وسلم آخرهم فى ذلك ، فأثنى على مولاه بما ألهمه ، فقال إبراهيم عليه السلام عند ذلك بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم» فهذا اعتراف منه بالتفضيل ، وسكوت الساكت كنطق الناطق (تضاءلت) تصاغرت (الأقدار) منازل الخلق

(عن قدر سيد) عن منزلته صلى الله عليه وسلم وقد تقدم : بدايته المرسلين نهاية (أشفا) أبرأ السيد وأزال (كل قلب) أطاعه (من ضنى) مرض (كل علة) من كفر ونفاق (ص) :

هُوَ الخَــيِّرُ الدَّاعِى إِلى خَيْرِ مِلَّةٍ ... كَرِيمٌ جَلِيلٌ مِنْ كِرَامٍ وَجِـلَّةٍ
حَوَى الفَخْرَ مِنْ وَجْهَيْنِ حُبٍّ وَخُلَّةٍ ... تَحَلَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ حِلْيَــةٍ
وَحَلَّتْ بِهِ الْأَفْهَامُ أَحْصَنَ حِلَّةٍ

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (الخير) المختار الفاضل (الداعى) إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومنه قوله تعالى : « وداعياً إلى الله بإذنه » (إلى خير ملة) لخير أمة أخرجت للناس (كريم) شريف (جليل) عظيم (من كرام وجلة) جمع جليل لف ونشر مرتب (حوى) حاز وجمع (الفخر من وجهين حب وخلة) من وجه كونه حبيباً ، ومن وجه كونه خليلا ؛ وذكر بعضهم كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة ، فمن ذلك قولهم : الخليل لا يصل إلا بالواسطة ، من قوله : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » والحبيب يصل لحبيبه من قوله « فكان قاب قوسين أو أدنى » وقيل الخليل الذى تكون مغفرته على حد الطمع ، من قوله « والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين من قوله « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » الآية ، والخليل قال : «ولا تخزنى يوم يبعثون» والحبيب قيل له « يوم لا يخزى الله النبى » فابتدأ بالبشارة قبل السؤال ، والخليل قال فى المحنة « حسبى الله » والحبيب قيل له : « يا أيها النبىّ حسبك الله » والخليل قال : « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » والحبيب قيل له : « ورفعنا لك ذكرك » أعطى بلا سؤال ، والخليل قال : « واجنبنى و بنىّ أن نعبد الأصنام » والحبيب

قيل له : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » انظر واعتبر فيما بين الحلة والمحبة (تحلت) تزينت (به) بنوره (الأيام) أى تزينت أصحاب الأيام بنوره ، أو الأيام بنفسها ، وسيأتى :

* تزينت الدنيا بنور محمد *

(أحسن حلة) إزار ورداء : أى زينة ، وفى نسخة : حلية (وحلت) نزلت (به) بسببه (الأفهام) المقول : أى أصحابها لإجابتهم دعاءه ، أو هى نفسها لحفظه إياها من اعتقاد السوء فيها (أحصن) أحفظ (حلة) منزل ، والمراد به الشرع والدين المنجى من كل هلكة والواقى من كل بدعة (ص) :

لَقَدْ فَازَ مَنْ كَانَ الرَّسُولُ إِمَامَهُ ... فَقَادَ بِهِ نَحْوَ النَّجَاةِ زِمَامَهُ

وَكُلُّ مَنِ اسْتَعْصَى عَلَيْهِ أَنَامَهُ ... تَسِيرُ رِيَاحُ النَّصْرِ شَهْرًا أَمَامَهُ

فَأَعْدَاؤُهُ مَا بَيْنَ خَوْفٍ وَذِلَّةٍ

(ش) والله (لقد فاز) فوزاً عظيما وبلغ مناه (من) فاعل فاز (كان الرسول إمامه) بالكسر : هو من يقتدى به (فقاد) الرسول (به) بالمتبع (نحو النجاة زمامه) خطامه ورسنه من كل هلاك (وكل من استعصى) أبى وتمرد (عليه) صلى الله عليه وسلم (أنامه) قتله، إما بيده كأبىّ بن خلف يوم أحد ، أو بيد أصحابه كما وقع فى قتلى بدر (تسير رياح النصر شهرا أمامه) صلى الله عليه وسلم، إشارة إلى ماروى عنه عليه الصلاة والسلام « نصرت بالرعب مسيرة شهر » (ف) بسبب ذلك (أعداؤه) صلى الله عليه وسلم (ما) زائدة (بين خوف وذلة) صغار (ص) :

هَدَى أَنْفُسًا ضَلَّتْ عَنِ الرُّشْدِ فَاهْتَدَتْ ... فَصَامَتْ وَقَامَتْ لَيْلَهَا وَتَهَجَّدَتْ

بِيُمْنِ رَسُولٍ فِى الصَّلَاحِ بِهِ اقْتَدَتْ ... تَقَلَّدَ سَيْفًا لِلرِّسَالَةِ أُغْمِدَتْ

لِهَيْبَتِهِ الْأَسْيَافُ مِنْ حَيْثُ سُلَّتِ

(ش) (هدى) صلى الله عليه وسلم (أنفسا ضلت) أصحابها (عن الرشد فاهتدت) أى قبلوا ماجاء به (فصامت) أصحاب النفوس نهارها (وقامت ليلها) يعنى النفوس (وتهجدت) صلت بالليل (بيمن) بركة (رسول) كريم خص بالفضل فى الأزل (فى الصلاح به اقتدت) تلك النفوس فى الأعمال الصالحات بالرسول فى الصلاح « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » (تقلد سيفاً للرسالة أغمدت) جعلت فى غمدها ، والغمد ، غلاف السيف: وهو القراب (لهيبته الأسياف) جمع سيف نائب فاعل أغمدت (من حيث سلت) جردت من غمدها لقتاله : أى أن وجود سيوفهم كعدمها ، وسيأتى :

ظنونهـــــــم قد أخلفتهم مخافة فلا سيف فى كف ولا نصل فى رعظ

(ص) :

تَعَزَّزَ دِيناً فَاعْتَلَى كُلَّ قِمَّةٍ وَجَرَّدَ فى أَعْدَائِهِ سَيْفَ نِقْمَةٍ
وَلَمَّا عَلاَ قَدْرًا وَرِفْعَةَ هِمَّةٍ تَدَاعَتْ لَهُ الْأَمْلاَكُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
غُرُوراً فلمَّا اسْتَقْبَلَتْهُ تَوَلَّتِ

(ش) (تعزز) تقوى الرسول وصار عزيزاً (ديناً) تمييز ، ومنه « فعززنا بثالث » (فاعتلى) ارتفع (كل قمة) أعلى كل شيء ، وفاعل اعتلى الدين (وجرد) سل الرسول (فى أعدائه) الذين كفروا به (سيف نقمة) عقاب وعذاب (ولما علا) فعلية: أى ارتفع (قدرا) تمييز: أى ارتفع قدره (ورفعة همة) أى رفعت همته، ولله در حسان بن ثابت حيث قال :

له همم لامنتهى لـــــكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

(تداعت له) إليه (الأملاك) جمع ملك : أى دعا بعض الملوك بعضاً إلى قتاله

(من كل أمة) جماعة، وجواب لما تداعت (غروراً) مفعول له أوحال:أى مغترين (فلما استقبلته) صلى الله عليه وسلم : أى قصدته وتوجهت نحوه (نوات) هربت نا كصة على أعقابها خاسرة على أعمالها داحضة فى حجتها لعلمها أن لا طاقة لها به بل :

وسل حنيناً وسل بدراً وسل أحداً فصول حتف لهم أدهى من الوخم

(ص) :

بَنَى لِخَرَابِ الشِّرْكِ أَرْفَعَ مَسْجِدٍ تَخَلَّفَهُ فِى الْأَرْضِ أَفْضَلَ مَعْهَدِ
فَـلِلّهِ مَا أَحْـلَى مَقَالَةَ مُنْشِدٍ تَزَيَّنَتِ الدُّنْيَا بِنُورِ « مُحَمَّدٍ »
فَحَلَّتْ بِهِ فِى مَأْمَنٍ وَتَحَلَّتِ

(ش) (بنى) النبى صلى الله عليه وسلم (لـ)ـأجل (خراب) أهل (الشرك أرفع) وفى نسخة : أفضل (مسجد) موضع السجود المتخذ مسجدا ، ومنه «وسعى فى خرابها » والمراد به مسجده عليه الصلاة والسلام الذى بالمدينة (تخلفه) ترك المسجد (فى الأرض أفضل معهد) منزل يتعهده الناس يأوون إليه ، إذ فى الحديث « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» فإنه أفضل منه بدون ألف (فلله ما أحلى مقالة منشد) أى العجب من قدرة الله الذى خلق هذا الناظم ، ما أحلى مقالته هى (تزينت الدنيا) أى أهلها ، هى الزمان الذى نحن فيــه ، أوله السموات والأرض ، وآخره قول الجبار : « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » (بنور) سيدنا ومولانا (محمد) صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم (فحلت) نزلت الدنيا (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (فى مأمن) فى موضع أمن لأنه :

أحــل أمته فى حرز ملته كالليث حل مع الأشبال فى أجم

(وتحلت) تزينت الدنيا (ص) :

تَبَارَكَ رَبٌّ خَصَّ بِالْفَضْلِ عَبْدَهُ ‏ وَصَانَ عَنِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ قَصْدَهُ
وَصَيَّرَهُ كَيْمَا يُخَلِّدَ مَجْدَهُ ‏ تَلُوذُ بِهِ الأَبْصَارُ فِي الْحَشْرِ وَحْدَهُ
وَيُعْرَفُ قَدْرُ الشَّمْسِ بَيْنَ الأَهِلَّةِ

(ش) (تبارك رب) كثر خيره (خص) الرب (بالفضل عبده) بخصائص لم توجد لغيره (وصان) حفظ الرب (عن الدنيا الدنية) الخسيسة الردية التى طعمها الحلو حامض (قصده) نيته حتى قال «مالى وللدنيا» وقال : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » ومات ودرعه مرهونة فى نفقة عياله (وصيره) جعله الرب (كيما يخلد) يديم (مجده) شرفه وعظمته (تلوذ) تلجأ إليه وتتحصن (به) أهل (الأبصار فى) يوم (الحشر) الجمع . يعنى يوم القيامة (وحده) حال: أى منفردا ، أشار به إلى الشفاعة الكبرى (ويعرف قدر الشمس) الذى هو محمد صلى الله عليه وسلم :

فإنه شمس فضل هم كواكبها ‏ يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

(بين الأهلة) جمع هلال . يعنى المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، ومنه : « يسألونك عن الأهلة » (ص) :

أَتَاحَ لِإِذْهَابِ الْمَنَاكِرِ عُرْفَهُ ‏ وَعَوَّضَنَا عَنْ وَاكِفِ الْقَطْرِ كَفَّهُ
وَجَاءَ بِهِ فِي الْحَشْرِ يَقْدُمُ إِلْفَهُ ‏ تَرَاهُ إِمَامًا وَالنَّبِيُّونَ خَلْفَهُ
وَقَدْ نُشِرَتْ أَعْلَامُهُ وَأَظَلَّتِ

(ش) (أتاح) قدر وهيأ الرب (لإذهاب المناكر) جمع منكر (عرفه) معروفه (وعوضنا) أعطانا الله العوض (من واكف) سائل (القطر) المطر (كفه) راحته أشار به إلى نبع الماء من كفه ، أوكثرة جوده وعطائه (وجاء) لرب (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (فى الحشر) يوم القيامة (يقدم) يتقدم

(إلفه) صاحبه ، ومنه «يقدم قومه» والمراد بالإلف : أمته ، وفى نسخة : صفة من النبيين والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهى أنسب لقوله (تراه) صلى الله عليه وسلم (إماما و) الحال (النبيون خلفه) ووراءه (و) الحال (قد نشرت أعلامه) راياته وألويته ، كما قال : «لواء الحمد فى يدى يوم القيامة ولا فخر» الحديث (وأظلت) سترت الأعلام من حر الشمس والنار ، جعلنا الله ممن يستظل بظل عرشه آمين (ص) :

لَقَدْ أَعْجَزَ الآبَاءَ إِيلَادُ شِبْهِهِ ... نَفَى دَاعِيَ الدُّنْيَا بِشِدَّةِ نَجْهِهِ

وَإِذْ رَدَّ مِنْهَا الطَّوْعَ صَادِقُ كُرْهِهِ ... تَقَدَّمَ وَالْبُشْرَى تَلُوحُ بِوَجْهِهِ

تَقَدُّمَ مَخْصُوصٍ بِحُبٍّ وَخُلَّةِ

(ش) والله (لقد أعجز) فات (الآباء إيلاد شبهه) مثله لعقم الزمان، وسيأتى :

قطعنا بإجماع على أن مثله ... مدى الدهر لم يخلق ولا هو يخلق

(نفى) طرد (داعى الدنيا) مناديها : أى إبليس ومن تلبس بحاله وجنوده (بشدة نجهه) زجره (وإذ رد منها) الدنيا (الطوع) الانقياد (صادق) فاعل رد (كرهه) أى كرهه الصادق (تقدم) إماما للنبيين عليهم الصلاة والسلام (و) الحال أثر (البشرى) السرور (تلوح) تظهر وتلمع (بوجهه) فيه أو عليه. وفى الحديث : «كان صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر» (تقدم مخصوص بحب) محبة (وخلة) مودة ، وفى الحديث : «إن الله إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل عليه السلام ، فقال : إنى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل عليه السلام ، فينادى فى السماء فيقول : إن الله أحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السموات ، ثم يوضع له القبول فى الأرض» الحديث (ص) :

عَكَفْنَا عَلَى أَمْدَاحِهِ نَسْتَطِيبُهَا ... فَنَهْتَزُّ كَالأَغْصَانِ مَاسَ رَطِيبُهَا

نَقُولُ وَقَدْ طَالَتْ وَقَامَ خَطِيبُهَا   تَطَاوَلَتِ الْأَمْدَاحُ وَازْدَادَ طِيبُهَا
وَلَوْ أَنَّهَا لَاتَنْقَضِي لَاسْتُقِلَّتِ

(ش) (عكفنا) دمنا ولزمنا (على أمداحه) التى هى أزكى التعبـد (نستطيبها) نستحليها (فنهتز) نتمايل ونتحرك يميناً وشمالا عند إنشادها وسماعها : أى نفرح بذلك ، لأن أرواحنا تشتاق وترتاح إلى القرب من حضرة الممدوح (كالأغصان) القضبان (ماس) تبختر (رطيبها) وسيأتى :

و إن زهره البطال عطفاً لمنشد   هززت بمدح الهاشمى محمد
نفوساً على طيب الثناء تزهزه

(نقول) فى اهتزازنا (و) الحال (قد طالت) الأمداح (وقام خطيبها) من الخطبة التى يخاطب بها الناس نظما ونثرا : كناية عن دوامها ، وجملة (تطاولت) كثرت (الأمداح وازداد طيبها) حلوها على طالبها : مقول القول (ولو) قدرنا (أنها) الأمداح تنشد دائما و (لاتنقضى) أبدا (لاستقلت) لعدّت قليلة فى حق المصطفى وحبيبه المجتبى صلى الله عليه وسلم .

هنا انتهى حرف التاء ويتلوه حرف الثاء إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الثاء

لما تم الكلام فى حرف التاء أراد أن يشرع فى حرف الثاء ، مخبراً عن نفسه بأنه يروح إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ويغتدى . فقال (ص) :

أَرُوحُ عَلَى ذِكْرِ النَّبِيِّ وَأَغْتَدِي   وَأَرْجُو بِهِ فِي الْحَشْرِ تَكْرِيمَ مَوْرِدِي
لِأَنِّيَ وَالْمَهْدِيُّ بِاللهِ يَهْتَدِي   ثَنَيْتُ إِلَى مَدْحِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
عِنَانَ لِسَانٍ بِالْمَحَبَّةِ يَنْفُثُ

(ش) (أروح) من الرواح: وهو السير من الزوال إلى آخر النهار، و (على) بمعنى الباء (ذكر النبي) الهاشمي المدني (وأغتدي) بذكر النبي ، والمراد أمدحه دائما لاخصوصية للوقتين ، والغدو : السير أول النهار إلى الزوال ، ومنه : «غدوها شهر ورواحها شهر» (وأرجو) آمل (به) بسبب ذكرى إياه (في الحشر) الجمع (تكريم موردي) موضع ورودي : أي جعل ثناءه مقام السؤال تعريضاً ، كما في الحديث القدسي : «من شغله ذكري أعطيه أفضل ما أعطي السائلين» الحديث . وقال الشاعر :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

(لأني و) الحال (المهديّ بالله يهتدي) وخبر أن (ثنيت) عطفت (إلى مدح النبي محمد) صلى الله عليه وسلم . وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من مسح بيده اسم محمد ، ثم قبل يده بشفتيه ، ثم مسح على عينه يرى ربه بما يراه الصالحون ، وينال شفاعتي ولو كان عاصياً» (عنان) مفعول ثنيت واحد الأعنة: وهو سير اللجام (لسان) آلة الكلام يذكر ويؤنث (بالمحبة ينفث) يتكلم وينطق نعت للسان (ص) :

سَرَى حَيْثُ لاَ إِنْسِيَّ يَسْرِي بِذَاتِهِ فَقُدِّسَ فِي أَخْلاَقِهِ وَصِفَاتِهِ
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَضْدَادِهِ وَشُنَاتِهِ ثَبَتُّ عَلَى الإِطْنَابِ فِي مُعْجِزَاتِهِ
أُبَاحِثُ عَنْهَا مَا اسْتَطَعْتُ وَأَبْحَثُ

(ش) (سرى) النبي صلى الله عليه وسلم ليلا (حيث لاإنسيّ) أحد (يسري) فيه (بذاته) بشخصه لابروحه فقط (فقدس) فطهر النبي صلى الله عليه وسلم (في أخلاقه) طبائعه (وصفاته) التي هي أفضل الحلى (على الرغم) الذل

والهوان (من أضداده) أعدائه (وشناته) مبغضيه ، ومنــه : « إن شانئك هو الأبتر » (ثبتّ) أقمت وجلست (على الإطناب) الإكثار والإبلاغ (فى) طلب (معجزاته) أى إيرادها (أباحث) أفتش (عنها) المعجزات : أى أسأل العلماء (ما استطعت) مقدار طاقتى ومبلغ علمى وفهمى (وأبحث) أنا وحدى (ص) :

وَلِمْ لاَ وَقَدْ حَابَاهُ بِالْحِفْظِ رَبُّهُ   فَلَمْ تَطْغَ عَيْنَاهُ وَلاَ زَاغَ قَلْبُهُ

ثَبَاتِى عَنْهُ حِينَ لَمْ يَقْضِ قُرْبُهُ   ثَبَاتُ بَعِيدِ الدَّارِ عَمَّنْ يُحِبُّهُ

يَطِيرُ اشْتِيَاقاً وَالْقَضَاءُ يُلَبِّثُ

(ش) (ولم لا) يسرى بذاته ، أولم لا يكون ذلك ؟ (و) الحال (قد حاباه) نصره ، واختصه (بالحفظ ربه) مالـكه ، وفى نسخة : حباه تحبية ، معناه حماه ومنعه ، وفى نسخة : حباه ، أعطاه (ف)بسبب اختصاصه بالحفظ (لم تطغ عيناه) ماجاوزت الحد (ولازاغ) مال (قلبه) إشارة إلى قوله تعالى : « مازاغ البصر وماطغى » أى مامال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه من العجائب ، وماطغى : بل أثبت إثباتاً صحيحاً : أى أمر برؤيتها ، كأن سائلا سأله : ماحملك على هذا المدح إلا فرط الحب ، أى شئ يقيمك فى وطنك ؟ فقال : (ثباتى) إقامتى فى وطنى (عنه) من زيارته صلى الله عليه وسلم (حين لم يقض) يحكم ب(قربه) صلى الله عليه وسلم (ثبات بعيد الدار عمن يحبه) وإنما قال : ثبات بعيد الدار ، لأن القريب منك ، والحاضر معك تعرف أحواله ، وتعلم أخباره وتشاهده ، والبعيد منك ، والنائى عنك ، أنت أبداً مشتاق إلى لقائه ، متطلع إلى أخباره ، والسؤال عن أموره لبعده عنك (يطير) المحب (اشتياقا) مفعول له ، أوحال : أى مشتاقا (والقضاء) وقضاء الله تعالى الذى لامعقب لحكمه (يلبث) يمكثه ويبطئه ، ويملل النفس بالوصول إلى المطلوب .

(ص) :

لَقَدْ قَسَّمَ اللهُ السِّيَادَةَ فِي الْأَزَلْ ... لِأَحْمَدَ وَالْإِحْسَانَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلْ

فَلِلّهِ مَا أَسْدَى وَلِلّهِ مَا بَذَلْ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ لَمْ يَزَلْ

لَهُمْ عِنْدَهُ ظِلٌّ وَرِيفٌ وَغَيْثُ

(ش) والله (لقد قسم الله) عز وجل (السيادة) السؤدد (فى الأزل) القدم (لأحمد) المرتضى بشرى عيسى (والإحسان) معطوف على السيادة ، وفى نسخة : بالإحسان : أى معه (فى القول والعمل) أى فى قوله وعمله (فلله) در (ما أسدى) ما أولاه وأعطاه (ولله) در (مابذل) أعطى : أى بذله شئ عظيم ، لأنه قد وهب الأعلاق والمئين (ثمال) غياث (اليتامى) أى هو غياثهم الذى يقوم بأمرهم (و) ثمال (المساكين) جمع مسكين ، لأنه أحوج على المشهور ، لأنه قال تعالى فى وصفه : «أومسكيناً ذامتربة» . وقال أبوطالب يمدحه صلى الله عليه وسلم :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

(لم يزل . لهم) لليتامى والمساكين حال (عنده) خبر يزل (ظل) اسم زال (وريف) مبهج نعت لظل إن كانت الواو أصلية ، ويحتمل أن تكون للعطف ويكون معطوفا على ظل ، ويكون معناه أرضاً خصبة (وغيث) مطر كثير ، ويحتمل أن يكون من الغوث ، وهو العون والنصر والمدد .

لما أشار إلى زهده قال (ص) :

سَلاَ عَنْ هَوَى دُنْيَاهُ أَقْطَعَ سَلْوَةٍ ... فَأَدْرَكَ مِنْ مَوْلاَهُ أَرْفَعَ حُظْوَةٍ

وَلَمَّا تَجَلَّى لِلْوَرَى نُورَ قُدْوَةٍ ... ثَوَى قَبْلَ نُورِ الْوَحْىِ فِى نُورِ خَلْوَةٍ

بِغَارِ حِرَاءٍ مُفْرَدًا يَتَحَنَّثُ

(ش) (سلا) قنع وترك (عن هوى دنياه أقطع سلوة) أى اختياراً أتم ترك (ف)بسبب ذلك (أدرك) نال (من مولاه) عند ناصره (أرفع) أشرف

(حظوة) مثلث الحاء : أى رتبة ومكانة (ولما تجلى) ظهر (للورى) للخلائق (نور) حال (قدوة) مثلث القاف : أى نوراً يقتدى به (ثوى) أقام صلى الله عليه وسلم (قبل نور الوحى) أصله الإشارة والكلام الخفىّ والإلهام (فى نور خلوة) مثلث الخاء (بغار) ثقب جبل (حراء) أى كهف فى جبل بعيد عن مكة ثلاثة أميال (مفرداً) حال (يتحنث) يتعبد وينعزل عن أهل الأصنام (ص) :

بِهِ فَاقْتَدِهْ فَهْوَ النَّبِىُّ الْمُطَهَّرُ تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا لِمَا هُوَ أَكْبَرُ

وَأَقْبَلَ يَبْغِى الْحَقَّ وَالْكُلُّ مُدْبِرُ ثَبِيتُ مَنَاطِ الْقَلْبِ وَالْجَوُّ أَغْبَرُ

كَرِيمُ مَنَالِ الْكَفِّ وَالرَّوْضُ عَثْعَثُ

(ش) (به) صلى الله عليه وسلم لا بغيره (فاقتده) ممن خالفه والهاء زائدة ، ومنه : « فبهداهم اقتده » والفاء فى (فهو) تعليلية (النبى المطهر) خلقه من كل رذيلة ، لأنه قد غسل باطنه ، وشق عن قلبه ، وملئ إيماناً وحكمة (تخلى) تفرغ (عن) حب (الدنيا) الدنية (ل)أجل (ماهو أكبر) من الدنيا : وهو طلب رضوان الله ، أشار به إلى زهده عليه الصلاة والسلام (وأقبل) النبى صلى الله عليه وسلم (يبغى) يطلب (الحق) تحقيق الحق (و) الحال (الكل مدبر) عن طلب الحق ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم على شئ مما كان عليه قومه ، بل كان محفوظاً معصوماً منذ ولد إلى أن جاءه الوحى صلى الله عليه وسلم (ثبيت مناط القلب) ثابت معلق القلب (و) الحال (الجو) مابين السماء والأرض (أغبر) ممتلئ غباراً . روى البيهقى عن أبى إسحق قال : « سمعت البراء وقال له رجل يا أبا عمارة أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ فقال البراء : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرّ ، إن هوازن كانوا قوما رماة ، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا ، فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم

الناس ، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، وأبوسفيان بن الحارث أخذ بلجام البغلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« أنا النبى لا كذب   أنا ابن عبد المطلب »

هو (كريم منال) عطاء (الكف) الراحة (و) الحال (الروض) هو الأرض ذات البقل والماء (عثمث) يابس لاماء فيه (ص) :

تَوَجَّهَ لِلأُخْرَى بِأَكْرَمِ وِجْهَةٍ   وَقَدْ نَجَهَ الدُّنْيَا بِأَزْجَرِ نَجْهَةِ
وَفِى وَجْهِهِ لِلْعَيْنِ أَمْتَعُ نُزْهَةٍ   تَقُوبُ سَنَاهُ لَمْ يَدَعْ لَيْلَ شُبْهَةٍ
فَقَدْ نُبِّهَ السَّاهِى وَغِيثَ الْمُغَوِّثُ

(ش) (توجه) استقبل النبى صلى الله عليه وسلم (للأخرى) إلى عمل الآخرة (بأكرم) أفضل (وجهة * وقد نجه) أزجر وأردع صلى الله عليه وسلم (الدنيا بأزجر نجهة) كرهة (وفى وجهه) صلى الله عليه وسلم (ل) صاحب (العين) أى الناظر بها نظر محبة (أمتع) أنفع (نزهة) فرحة : أى إذا نظرت إلى وجهه مادمت تنظر إليه تزيد فرحة وسروراً (تقوب سناه) توقد ضوئه (لم يدع) يترك (ليل شبهة) أى لم يترك الالتباس الذى هو كالليل (فقد نبه) أوقظ (الساهى) الغافل (وغيث) أجيب (المغوّث) القائل واغوثاه : أى من طلب الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد أغيث له . وعن أنس : « أن شابا من الأنصار توفى وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها . فقالت : مات ابنى ؟ قلنا نعم . قالت اللهم إن كنت تعلم أنى هاجرت إليك ، وإلى نبيك صلى الله عليه وسلم رجاء أن يعينى على كل شدة ، فلا تحملن علىّ هذه المصيبة ، فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا » (ص) :

عَفَا مُذْ أَتَى رَسْمُ الضَّلاَلَةِ وَانْمَحَى ... وَأَصْبَحَ سَكْرَانُ الْجَهَالَةِ قَدْ صَحَا
وَلاَحَ لِأَهْلِ الْفَهْمِ فِي كلِّ مُنْتَحَى ... ثَوَاقِبُ آيَاتٍ كَمَا مَتَعَ الضُّحَى
فَلاَ نَاظِرٌ فِي حَيْرَةٍ يَتَرَيَّثُ

(ش) (عفا) درس (مذ أتى) النبى صلى الله عليه وسلم (رسم) علامة فاعل أتى (الضلالة وانمحى) اضمحلّ وتلاشى (وأصبح) من أخوات كان (سكران) ضد الصاحى (الجهالة) كثير الجهل : أى الذى سكر بجهله (قد صحا) ذهب سكره وزال وانكشف (ولاح) ظهر (لأهل الفهم) لذوى المعرفة والعلم (فى كل منتحى) مقصد (ثواقب آيات) أى المعجزات المضيئات ، أوهى آيات القرآن ، وثواقب فاعل لاح (كما متع الضحى) بلغ آخر غايته وارتفاعه (ف)بسبب ذلك (لاناظر فى حيرة) لبس وتردّد (يتريث) يتوقف ويتأخر ويبطأ : أى من كان ناظرا يهدى إلى الإسلام بسرعة بدلالة القرآن ، وغير ذلك كالمعجزات

(ص) :

هُوَ الْأَمَلُ الْأَقْصَى هُوَ السُّؤْلُ وَالْمُنَى ... لَهُ شَرَفُ الْأُخْرَى إِلَى شَرَفِ الدُّنَا
شَمَائِلُهُ إِنْ حَنَّ أَوْ رَقَّ أَوْ دَنَا ... ثِمَارٌ لِمَنْ يَأْوِى لَهَا الظِّلُّ وَالْجَنَى
فَلاَ نَظَرٌ يَظْمَا وَلاَ فِكْرَ يَغْرَثُ

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (الأمل) الرجاء (الأقصى) الأبعد ، ومنه : « من المسجد الأقصى » : أى اطلب كل ماترجوه عنده لأنه :

* إذا شىء منه الخير لم ينأ عن إذا *

ومراده هو الذى أتمناه وداره بعيد منى (هو السؤل) مايسأله الإنس ، ومنه : « قد أوتيت سؤلك ياموسى » (والمنى) جمع منية : أى هو الذى يتمنى منه (له) صلى الله عليه وسلم (شرف الأخرى إلى) مع (شرف الدنا) قدّم الأخرى لأنها

دار قرار ، وأخر الدنيا لأنها دار كدار ، إشارة إلى سيادته صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ، والدنا: لغة في الدنيا (شمائله) طبائعه مبتدأ (إن حنّ) رحم ، ومنه : « وحنانا من لدنا » (أو رقّ) رحمك النبي صلى الله عليه وسلم (أو دنا) قرب منك خبره (ثمار لمن يأوى) لمن ينضم (لها) للثمار خبر مقدم (الظل) مبتدأ مؤخر (والجنى) مايجنى ومايقطع ، والجملة صفة لثمار (فلا نظر يظما) أي صاحب نظر لايعطش (ولافكر يغرث) أي صاحب فكرة لايجوع ، بل نظره وفكره شبعان لإصابته المقصود ، وهذه استعارة ترشيحية (ص) :

نَبِيٌّ كَرِيمٌ عَظَّمَ اللهُ خُلْقَهُ ... نَدَى كَفِّهِ كَالْغَيْثِ أَسْبَلَ وَدْقَهُ
سَنَا وَجْهِهِ كَالْبَدْرِ نَوَّرَ أُفْقَهُ ... ثَرَى نَعْلِهِ كَالْمِسْكِ بَلْ هُوَ فَوْقَهُ
وَشَتَّانَ طِيبًا مَا يَحُولُ وَيَمْكُثُ

(ش) هو (نبي كريم) جواد (عظم الله خلقه) لأنه قال : « وإنك لعلى خلق عظيم » . وعن عائشة رضي الله عنها : « كان خلقه القرآن يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه » (ندى) جود (كفه) راحته (كالغيث) السحاب (أسبل) أرسل وأهطل (ودقه) مطره ، ومنه : « فترى الودق » وتقدم :

* وكف ندى تحكى السحاب متى همت *

قال أنس رضي الله عنه : « ماسئل صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : ياقوم أسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لايخشى فاقة » (سنا وجهه) ضوءه ونوره (كالبدر) كالقمر ابن أربعة عشر (نوّر) البدر (أفقه) نواحيه ، أشار إلى جماله صلى الله عليه وسلم ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر (ثرى) تراب أثر موطئ (نعله كالمسك) طيبا ، ومنه : « وما تحت الثرى » (بل) حرف إضراب

(هو فوقه) أعظم رائحة وأفوح من المسك (وشتان) بعد (طيباً مايحول) يزول وهو المسك (ويمكث) يقيم وهى ترى أثر نعله . وعن جابر رضى الله عنه : « لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر فى طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه عليه الصلاة والسلام » وتلك كانت رائحته بلا طيب (ص) :

فَدُونَكَ فَاقْصِدْهُ هَوًى وَمَحَبَّةً وَفِى طَيْبَةٍ مَرِّغْ عِذَارَيْكَ حِسْبَةً
وَحَسْبُكَ أَنْ تَسْعَى لِمَكَّةَ قُرْبَةً ثَبِيرٌ وَأُحْدٌ أَكْرَمُ الْأَرْضِ تُرْبَةً
مُهَاجَرُهُ هٰذَا وَذٰلِكَ مَبْعَثُ

(ش) (فدونك) من أسماء الأفعال : معناه خذ (فاقصده هوى) طبيعيا (ومحبة) احتسابا (وفى طيبة) مدينة بالصرف للوزن (مرّغ) عفر (عذاريك) لحييك (حسبة) طلباً للآخرة (وحسبك) كافيك (أن تسعى) سعيك (لمكة) إلى مكة المشرفة بيت ربك حاجا وزائرا قبر نبيك الكريم (قربة) عبادة تمييز لأن من دخله كان آمناً (ثبير) من جبال مكة بالمزدلفة على يسار الذاهب منها إلى منى (وأحد) جبل من جبال المدينة . وفى الصحيح : «أحد جبل يحبنا ونحبه وإنه لعلى ترعة من ترع الجنة» (أكرم الأرض) أشرفها وأرفعها (تربة) تمييز ، ولا خلاف فى شرف مكة والمدينة ، وعبر بالجبلين عن البلدين (مهاجره هذا) أى المدينة (وذلك) يعنى مكة (مبعث) موضع بعثه وإرساله إلى الخلق (ص) :

بِهِ كَفَّ عَنْ عُدْوَانِهِ كُلُّ مُعْتَدٍ وَأَقْلَعَ عَنْ إِفْسَادِهِ كُلُّ مُفْسِدِ
فَفِى كُلِّ مَنْحًى لِلصَّلَاحِ وَمَقْصِدِ ثَأَى النَّاسِ مَرْءُوبٌ بِبَعْثِ مُحَمَّدِ
فَلَا غَارَةٌ تُخْشَى وَلَا عَهْدَ يُنْكَثُ

(ش) (به) بسبب اتباع شريعته صلى الله عليه وسلم (كف) امتنع (عن عدوانه) ظلمه (كل معتد) كل من يجاوز الحد ؛ لأنه من قذف حدّ ، ومن

فقتل قتل فى الشريعة (وأقلع) كفّ (عن إفساده) كفره (كل مفسد) كافر ودخل فى الإسلام (ففى كل منحى) مقصد : أى فهو صلى الله عليه وسلم فى كل مقصد (للصلاح ومقصد) مقصود (ثأى) فساد (الناس مرءوب) مصلح : أى فساد الناس، وما كانوا من الضلال وعبادة الأصنام (ببعث محمد) بن عبد الله خاتم الأنبياء (فلا غارة) فبسبب ذلك لاصاحب غارة ، ومنه : « فالمغيرات » (تخشى) تخاف (ولاعهد ينكث) يحلّ وينقض ، ومنه : «وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم » (ص) :

عَلاَ فَتَدَانَى الْخَلْقُ دُونَ ارْتِفَاعِهِ   فَمَا النَّجْمُ إِلَّا وَاقِعٌ عَنْ يَفَاعِهِ
فَأَمَّا مَنِ اسْتَعْصَى فَنَهْبُ مِصَاعِهِ   ثُبَاتُهُمُ قَدْ أُلِّفَتْ بِاتِّبَاعِهِ
وَجَمْعُ رَسُولِ اللهِ لاَ يَتَشَعَّثُ

(ش) (علا) ارتفع النبى صلى الله عليه وسلّم حسا فى ليلة الإسراء ، ومعنى فى الصفات (فتدانى) تساوى وتقارب وتذلل وتخافض (الخلق) الورى (دون ارتفاعه) تحت رفعته (فما) نافية (النجم) الثريا : المراد به هنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (إلا واقع) ساقط (عن يفاعه) ارتفاعه (فأما من استعصى) امتنع وأبى الانقياد (فنهب) غنيمة (مصاعه) قتاله : أى من امتنع كان غنيمته لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثباتهم) جماعتهم المتفرقة ، ومنه : « فانفروا ثبات » (قد ألفت) جمعت (باتباعه) صلى الله عليه وسلم « وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم» (وجمع رسول الله) صلى الله عليه وسلم (لايتشعث) يتفرق (ص) :

رِضَا اللهِ حَتْمٌ فِى امْتِدَاحِ نَبِيِّهِ   وَلِلّهِ خُلْصَانٌ وَلاَ كَصَفِيِّهِ

مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ مِنْهُمْ وَلِيِّهِ ثِغَابُهُمُ قَدْ أُفْهِقَتْ بِأَتِيِّهِ
فَكَمْ تَائِهٍ عَنْ وِرْدِهَا وَهْوَ يَلْهَثُ

(ش) (رضا الله حتم) واجب (فى امتداح نبيه) أى رضوان الله عزوجل واجب لمن امتدح نبيه صلى الله عليه وسلم ، والوجوب هنا على وجه التفضل والجود والكرم وإلا فلا شئ يجب على الله تعالى (ولله) تعالى (خلصان) أصفياء جمع خالص (ولا كصفيه) كمختاره (محمد المختار منهم) من الخلصان حال من المختار ، والمراد به الأنبياء (وليه) نعت ، أوعطف بيان (ثغابهم) غدرانهم ، جمع ثغب : وهو يكون فى جبل ونحوه لاتصيبه الشمس (قد أفهقت) ملئت (بأتيه) جدوله (فكم) كثير (تائه) متحير من تاه فى الأرض ذهب متحيراً ، ومنه : «أربعين سنة يتيهون فى الأرض» (عن وردها) عن طريق طلبها (و) الحال (هو يلهث) يتنفس بسرعة ويخرج لسانه من العطش كالكلب ، ومنه : «إن تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث» (ص) :

جَرَى الْمَاءُ مِنْ كَفَّيْهِ يَقْضِي بِنَبْعِهِ عَلَى صُنْعِ مَوْلَاهُ لَهُ خَيْرَ صُنْعِهِ
رَسُولٌ بَكَى شَوْقاً لَهُ عُودُ جِذْعِهِ تَلَلْنَا عُرُوشَ الْمُشْرِكِينَ بِشَرْعِهِ
فَذَلُّوا فَأَنْقَذْنَاهُمُ حِينَ أَوْعَثُوا

(ش) (جرى الماء من كفيه) راحتيه ، والمراد الكف (يقضى) يحكم (بنبعه) بخروج الماء من أصابعه (على) لأجل (صنع) فعل، أوعطية (مولاه له) صلى الله عليه وسلم (خير صنعه) فعله . وفى الصحيح عن جابر بن عبد الله قال : «عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه . فقالوا : وليس عندنا ماء إلا ما فى ركوتك ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين

أصابعه كأمثال العيون ، وفيه فقلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » . قال ابن زكريا : وكان خروج الماء من بين أصابعه أبدع فى الآية وأخرق للعادة ، عادة الماء أن يخرج من تراب أوحجر ، لا من لحم أوعصب ، هو (رسول بكى شوقا) مفعول له (له عود) فاعل بكى (جذعه) والإضافة بيانية ، ومنه : « فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة » . قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه :« كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار» . وفى رواية أنس رضى الله عنه: « حتى ارتج المسجد لخواره » . وفى رواية : « وكثر بكاء الناس لما رأوا به » . وفى رواية للمطلب : « حتى انصدع وانشق حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت » وزاد غيره « إن هذا لما فقد من الذكر » وزاد غيره «والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة » الحديث (ثللنا) هدمنا وكسرنا (عروش المشركين) جمع عرش وهو سرير الملك ، وهدمها : كناية عن إذهاب عزهم (بشرعه) بما جاء به من الشريعة (فذلوا) لخضعوا لنا (فأنقذناهم) أخلصناهم وأنجيناهم بعد ماقاربوا الهلاك كما قال تعالى : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (حين أوعثوا) دخلوا فى الوعث : وهو المكان الذى يشق فيه المشى (ص) :

مَحَبَّتُهُ دِينٌ زَكَا وَخَلِيقَةٌ ... وَمَدْحِى لِحَقِّ الْحُبِّ فِيهِ حَقِيقَةٌ
سَتُجْزَى بِهِ نَفْسٌ إِلَيْهِ مَشُوقَةٌ ... ثَنَايَا ثَنَائِى لِلْجِنَانِ طَرِيقَةٌ
فَأُقْسِمُ عَلَى الْجَدْوَى فَلَسْتَ تُحَنَّثُ

(ش) (محبته) صلى الله عليه وسلم (دين زكا) طهر: نعت لدين (وخليقة) طبيعة زكت ، أوهى جديرة بذلك (ومدحى) صلى الله عليه وسلم (ل)أجل (حق

الحب فيه حقيقة . ستجزى) جزاء حسناً (به) بالصلاح، أوالحب (نفس) نائب فاعل ستجزى (إليه) متعلق بـ(مشوقة * ثنايا) جمع ثنية : وهى الطريق (ثنائى) مدحى (للجنان طريقة) أى فم مدحى طريقة موجبة إلى دخول الجنة (فأقسم) أحلف (على الجدى) على إعطاء الجنة (فلست تحنث) أى تنسب إلى الحنث والكذب لأن يمينك بارة لمدحك (ص) :

مَدِيحُ سِوَى الْمُخْتَارِ بِالْعَقْلِ يَعْبَثُ   وَأَكْثَرُهُ جَهْلٌ بِهِ الْمَرْءُ يَرْفُثُ
فَسِيرُوا بِمَدْحِ الْهَاشِمِيِّ وَحَدِّثُوا   ثَنَائِى عَلَيْهِ إِنْ ذَهَبْتُ مُوَرِّثُ
وَشَوْقِى إِلَيْهِ مَابَقِيتُ مُؤَرَّثُ

(ش) (مديح) مدح (سوى) النبى (المختار) و (بالعقل) متعلق بـ(يعبث) يلعب (وأكثره) وأكثر مدح غيره (جهل به) بمدح غيره (المرء) الإنسان (يرفث) يفحش ويفسق (ف)إن كنتم عقلاء مميزين النفع والضر (سيروا بمدح) النبى (الهاشمى وحدّثوا) به الناس و بلغوا به الآفاق ، فكأنه قيل له أمرتنا بالسير بمدح الهاشمى هل أثنيته أنت أم لا ؟ فقال : أنا (ثنائى) مدحى (عليه إن ذهبت) مت (مورّث) من التوريث فأوجر عليه ، لأن « من سنّ سنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة , من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً» (وشوقى إليه) صلى الله عليه وسلم (مابقيت) مدة حياتى (مؤرث) ملتهب من التأريث وهو إيقاد النار : أى اشتياقى إليه صلى الله عليه وسلم موقد نار قلبى لعدم زيارته ولقائه مدة حياتى (ص) :

لَقَدْ نَالَ مَايَبْغِى وَفَازَتْ قِدَاحُهُ   مُحِبٌّ إِلَى الْمُخْتَارِ كَانَ ارْتِيَاحُهُ
أَلَا إِنَّهُ رُوحُ الْفُؤَادِ وَرَاحُهُ   ثَرَائِى وَجَاهِى حُبُّهُ وَامْتِدَاحُهُ
فَمَالِى بِمَخْلُوقٍ سِوَاهُ تَشَبُّثُ

(ش) (لقد نال) أصاب (ما) الذى (يبغى) يطلب (وفازت) ظفرت بِرادها (قداحه) جمع قدح بالكسر : وهو السهم قبل أن يجعل فيه النصل ، كانوا إذا أرادوا أمرًا يستقسمون بالأقداح ، والمراد هنا حاجته ، وأتى به هنا على وجه الاستعارة بالكناية (محب) فاعل نال (إلى) النبى (المختار كان) تامة بمعنى وجد (ارتياحه) نشاطه (ألا) نعم (إنه) صلى الله عليه وسلم (روح الفؤاد) بضم الراء السرّ الإلهى : أى حياة القلب و بالفتح ارتياحه (وراحه) خمره الحلال (ثرائى) كثرة مالى (وجاهى) حرمتى وشرفى (حبه وامتداحه) غدوًّا ورواحا : لفّ ونشر مرتب (فما) ليس (لى بمخلوق سواه) غير النبى صلى الله عليه وسلم (تشبث) تعلق ، لأن المرء مع من أحب (ص) :

قَصَدْتُ وَعَلَّامُ الْغُيُوبِ بِمَرْصَدِ ... لِنَفْسِى وَلِلْإِخْوَانِ أَشْرَفَ مَقْصَدِ

بِمَدْحِ النَّبِىِّ الْهَاشِمِىِّ الْمُؤَيَّدِ ... ثِقُوا بِمُنَاكُمْ إِنَّ ذِكْرَ مُحَمَّدِ

يَفُوزُ بِهِ الْمُصْغِى لَهُ وَالْمُحَدِّثُ

(ش) (قصدت) عمدت (و) الحال (علام الغيوب) الكثير العلم بالغيب (بمرصد) بطريق : أى بالمكان الذى يرصد فيه و يترقب فيه الأعمال ، ومنه «فاقعدوا لهم كل مرصد» (لنفسى) متعلق بقصدت (وللإخوان) أخوّة الإسلام كما قال تعالى : «إنما المؤمنون إخوة» ومفعول قصدت (أشرف) أفضل (مقصد) طريق (بمدح النبى الهاشمى) التقى الزكى (المؤيد) الذى أيده الله تعالى فى جميع أحواله ، وفى نسخة : الممجد (ثقوا) ائتمنوا : أى تيقنوا (ب)حصول (مناكم) آمالكم بطلبكم الفوز والغفران (إنّ ذكر) النبى (محمد) صلى الله عليه وسلم (يفوز) ينجو (به) بالثناء عليه من كل مكروه (المصغى) المستمع (له) ولو لم يعلم شيئاً (والمحدّث) المبلغ لغيره إنشادا أو إنشاء ، إذ لا يعبد الله بأزكى منه

قدم المصنى اهتماما لدفع الإيهام عن فوزه به كالمحدث . قلت : ولو كان المحدث مرائياً فإن الله يثيبه لأجل النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن مدحه عليه الصلاة والسلام لايدخله الرياء (ص) :

بِهِ هَدَمَ اللهُ المُحَالَ وَهَدَّهُ ۞ وَبِالْعَوْنِ وَالتَّأْيِيدِ مِنْهُ أَمَدَّهُ
فَصَلُّوا عَلَيْهِ تُمْنَحُوا مِنْهُ رِفْدَهُ ۞ ثَوَابِى وَإِيَّاكُمْ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ
وَإِنَّا انَرْجُو ضِعْفَهُ يَوْمَ نُبْعَثُ

(ش) (به) ببركته (هدم) كسر (الله المحال) الباطل (وهدّه) كسره ، ومنه : « وتخر الجبال هدّا » (وبالعون) النصر (والتأييد) التقوية (منه) الله (أمده) أعانه ، ومنه : « واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون » وإن شئتم أيها المؤمنون رفد الله وعطيته (فصلوا عليه) فإنها واجبة عليكم فى العمر لقوله : « يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » (تمنحوا) تعطوا بالبناء للمجهول (منه) من الله ، أومن النبى (رفده) عطاءه ، ومنه : « و بئس الرفد » فإن صليت عليه صلى الله عليه وسلم مرة تمحو لك عشرًا من السيئات ، و إن صليت فى يومك مائة صلاة محيت عنك ألف سيئة ، ولو قد عمل بالنهار ألف سيئة إلا من خذله الله ، فالويل لمن غفل عن مقام هذا النبي صاحب الخلق العظيم (ثوابى) هو مايهبه الله للعبد على العمل (وإياكم) أى ثوابكم أيها المداحون (على الله) تفضلا وجودا وكرما (وحده) حال (وإنا انرجو) لنا من (ضعفه) الثواب (يوم نبعث) « والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم »

هنا انتهى حرف التاء ويتلوه حرف الجيم إن شاء الله ، والله المستعان

قافية حرف الجيم

لما فرغ من حرف الثاء أراد أن يشرع فى حرف الجيم ، مثنياً على المولى رحيم بنعمته ببعثته علينا بالنبى الكريم . فقال (ص) :

تَبَارَكَ رَبٌّ عَمَّنَا بِحِبَائِهِ　　وَأَهْدَى إِلَيْنَا رَحْمَةً مِنْ سَمَائِهِ
رَسُولاً شَفَا أَدْوَاءَنَا بِدَوَائِهِ　　جَزَى اللهُ خَيْرَ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ
فَآثَارُهُ أَنْوَارُهَا تَتَبَلَّجُ

(ش) (تبارك) تنزه عن صفات المحدثين (رب) المالك والمصلح لأمر العباد (عمنا) معاشر الأمة (بحبائه) بعطائه السابغ (و) أعظم عطيته لنا ، لأنه تعالى (أهدى) أعطى (إلينا رحمة) نبى الرحمة أوهو نفسه رحمة (من سمائه) إذ هى مهبط للخير والشر ، وجعل رحمة من سمائه هدية إلينا . فقال تعالى : وفى السماء رزقكم وماتوعدون » (رسولا) بدل أوعطف بيان وسيأتى :

* هو الرحمة المهداة للكون كله *

(شفا) الرسول المعبر عنه بالرحمة (أدواءنا) أمراضنا الحسية والمعنوية (بدوائه) بطبه وعلاجه : أى من أدوائنا القلبية ، كسوء الاعتقاد ، والغل والغش ونحوها (جزى الله) المثيب للعمل القليل الثواب الجزيل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (خير الناس) جميع المخلوقات ملكا وجنا وإنساً (خير جزائه) أفضل ثوابه لما هو أهله ، هذا دعاء له . وفى الحديث : « من قال جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خيراً لما هو أهله مرة واحدة ، أتعب سبعين ملكا فى كتابة أجرها ألف صباح » (فآثاره) ما أتى به من الآيات والحكم وما سنه

الناس (أنوارها) أى الآثار (تتبلج) تضيء وتشرق ، والمراد به شريعته دائمة مادامت الأرض والسماء (ص) :

هُوَ الطَّاهِرُ الْمُخْتَارُ مِنْ كُلِّ طَاهِرٍ ... يُنَسِّيكَ مِنْهُ أَوَّلاً فَضْلُ آخِرِ
أَتَى بِكِتَابٍ لَيْسَ مِنْ قَوْلِ شَاعِرٍ ... جَلاَ صَدَأَ الْإِشْرَاكِ عَنْ كُلِّ نَاظِرِ
فَلِلْحَقِّ فِيهَا مَنْهَجٌ لَيْسَ يُنْهَجُ

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (الطاهر) فى نفسه حسا ومعنى ، المنزه عن كل مالايناسب علىّ منصبه (المختار من كل طاهر) أى من بين الرسل عليهم الصلاة والسلام (ينسيك) من النسيان ، ومنه : « وإما ينسينك الشيطان » (منه) من النبي . وفى نسخة منهم : أى من الرسل عليهم الصلاة والسلام (أولا) مفعول ثان لينسيك (فضل آخر) أى ينسيك عطية الأخير من الطاهر عطية أولا ؛ أشار بذلك إلى كثرة جوده، أو فضل محمد صلى الله عليه وسلم ينسيك فضل من قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام (أتى) الطاهر (بكتاب) عزيز « لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (ليس) الكتاب (من قول شاعر) بل « تنزيل من حكيم حميد » (جلا) أزال وكشف الكتاب العزيز الذى هو كلام الله (صدأ) وسخ (الإشراك) الكفر (عن كل ناظر) « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة » (فللحق) الذى أرسل به (فيها) فى الآثار التى هى السنن (منهج) طريق واضح (ليس) الطريق (ينهج) يبلى (ص) :

تَأَخَّرَ بَعْثاً وَهُوَ فَضْلاً مُقَدَّمُ ... مِنَ النَّجْمِ أَهْدَى بَلْ مِنَ الْغَيْثِ أَكْرَمُ
مِنَ الْأَبِ أَحْنَى بَلْ مِنَ الْأُمِّ أَرْحَمُ ... جَمِيلٌ جَلِيلٌ فِي الْقُلُوبِ مُعَظَّمُ
بِهِ الْأَرْضُ تَزْهُو وَالْبَرِيَّةُ تَبْهَجُ

(ش) (تأخر) صلى الله عليه وسلم (بعثا) أى إرسالا (وهو فضلا) تمييز

(مقدم) عليهم فى الفضل (من النجم) الذى به يهتدى إلى الطريق فى الأسفار المذكورة فى قوله تعالى : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » (أهدى) أظهر هداية من النجم المذكور بطريق الأسفار (بل) للإضراب (من الغيث) من المطر (أكرم) أكثر خيرًا (من الأب) الوالد (أحنى) أرحم (بل من الأم) الوالدة (أرحم * جميل) كثير الحسن (جليل) عظيم القدر (فى القلوب) فى قلوب الخلق (معظم) مبجل (به) بوجوده وجوده صلى الله عليه وسلم (الأرض تزهو) تتيه وتفتخر وتتكبر (والبرية) المخلوقات (تبهج) تفرح به وتسرّ به (ص) :

بِهِ نَهَجَ اللهُ السَّبِيلَ وَأَوْضَحَـــا وَزَحْزَحَ بِالْحَقِّ الْهَوَى فَتَزَحْزَحَا
فَلِلّٰهِ مَا أَجْلَى وَأَزْكَى وَأَفْوَحَا جَبِينٌ كَنُورِ الشَّمْسِ فِى الصَّحْوِ فِى الضُّحَى
وَعَرْفٌ كَمَا لَاقَى النَّسِيمَ الْبَنَفْسَجُ

(ش) (به) بسببه (نهج الله) أبان وأوضح (السبيل) الطريق (وأوضحا) الله السبيل ، عطف تفسير (وزحزح) أبعد ، ومنه : « فمن زحزح عن النار » (بالحق الهوى) الباطل (فتزحزحا) فتباعد الهوى بسببه صلى الله عليه وسلم (فلله ما أجلى) أظهر (وأزكى) وأطهر (وأفوحا) أنشر رائحة ، ولله خبر مقدم مبتدؤه (جبين) وجه مضىء (كنور الشمس) مثل ضياء الشمس لا فى كل حال بل (فى الصحو) فى صحو السماء : ضد الغيم (فى) وقت (الضحى) حين تشرق الشمس (و) لله در (عرف) منه صلى الله عليه وسلم : أى رائحة طيبة (كما لاقى النسيم) الريح (البنفسج) نبت له رائحة طيبة (ص) :

لَهُ الْهَدْىُ وَالسَّمْتُ الَّذِى دَلَّ فَضْلُهُ عَلَى أَنَّهُ حِبُّ الْإِلٰهِ وَخِلُّهُ
عَظِيمُ النُّهَى خَيْرٌ لِذِى الْخَيْرِ كُلُّهُ جَزِيلُ الْأُلَى يَغْشَى الْبَرِيَّةَ ظِلُّهُ
فَلَا الْبَسْطُ مَقْبُوضٌ وَلَا الْبَابُ مُرْتَجُ

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (الهدى) الطريق (والسمت) الحال الحسنة (الذى دل فضله) أى ذلك السمت (على أنه) صلى الله عليه وسلم (حب) محبوب (الإله وخله) خليله وصديقه (عظيم) جليل (النهى) جمع نهية: وهى العقل، ومنه: «إن فى ذلك لآيات لأولى النهى» هو صلى الله عليه وسلم (خير لذى) صاحب (الخير كله). وفى الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: «ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام. فقال أولهم أيهم هو؟ فقال أوسطهم خيرهم. فقال آخرهم: خذوا خيرهم» الحديث، هو (جزيل اللهى) جمع لهية: وهى العطاء؛ أى عطاؤه جزيل (يغشى البرية) يسترهم ويغطيهم (ظله) عدله، أو كرمه، أودينه، أو شريعته (فلا البسط مقبوض) لابسط كفه مقبوض (ولا الباب مرتج) ولاباب داره مغلق: أى ليس له صلى الله عليه وسلم بواب، وإنما يقول لأصحابه رضى الله عنهم أجمعين: «أبلغوا حاجة من لايستطيع إبلاغها، ومن أبلغ حاجة من لايستطيع إبلاغها، أمنه الله يوم الفزع الأكبر» (ص):

بِشَارَتُهُ مَوْجُودَةٌ قَبْلَ خَلْقِهِ ... وَلاَخُلْقَ يُرْضَى كُنْهُهَا بَعْدَخَلْقِهِ
رَءوفٌ إِذَا أَلْوَى الزَّمَانُ بِرِفْقِهِ ... جَوَادٌ إِذَا ضَنَّ الْغَمَامُ بِوَدْقِهِ
فَفِى كَفِّهِ بَحْرُ النَّدَى يَتَمَوَّجُ

(ش) (بشارته) البشارة به صلى الله عليه وسلم (موجودة قبل خلقه) قبل نشأته البشرية كما قال: «ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد» (ولاخلق) بضم الخاء طبيعة وسجية (يرضى كنهها) حقيقتها (بعد خلقه) بعد أن جاوزت خلقه وخالقته (رءوف) كثير الرحمة، ومنه: «بالمؤمنين رءوف

رحيم » (إذا ألوى) مال واشتد واعوجّ (الزمان برفقه) بلينه هو (جواد) كثير الجود (إذا ضنّ) بخل (الغمام) السحاب (بودقه) بمطره (فى كفه) صلى الله عليه وسلم (بحر الندى) وسع العطية (يتموج) يضطرب و يرتفع (ص) :

مَكَارِمُهُ التَّقْوَى وَتِلْكَ الْمَكَارِمُ ... فَلَيْلٌ وَيَوْمٌ قَائِمٌ ثُمَّ صَائِمُ

فَلِلَّهِ مِنْهُ وَالْعَطَايَا جَسَائِمُ ... جَلِيلُ الْمَزَايَا فَهْوَ لِلرُّسْلِ خَاتِمُ

وَلِلْحَقِّ بُرْهَانٌ وَلِلرُّشْدِ مَنْهَجُ

(ش) (مكارمه) مآثره وصنائعه الحسنة (التقوى ، و) لامكارم إلا (تلك المكارم ٭ ف)له (ليل و) له (يوم قائم ثم صائم) لف ونشر مرتب ، و إسناد (فلله) فالعجب من قدرة الله تعالى (منه) من هذا النبى صلى الله عليه وسلم (والعطايا) عطاه (جسائم) عظائم (جليل) عظيم ، وفى نسخة : حلىّ (المزايا) الفضائل : أى فلله منه جليل المزايا وعطاياه عظيمة (فهو) صلى الله عليه وسلم (للرسل خاتم) لأنه به ختم سلك النبيين بهجة (وللحق برهان) حجة (وللرشد) للصلاح (منهج) طريق واضح (ص) :

أَنَافَ بِهِ فَوْقَ السِّمَاكِ مَحَلُّنَا ... فَيُكْرَمُ مَثْوَانَا وَيُرْقَبُ إِلُّنَا

ظِلَالُ سِوَانَا دُونَ أُكْلٍ وَظِلُّنَا ... جَنَى دَوْحِهِ دَانِي الْقُطُوفِ فَكُلُّنَا

يَرُوحُ إِلَى مَا يَشْتَهِيهِ وَيُدْلِجُ

(ش) (أناف) ارتفع (به) بسببه (فوق السماك) المنزل المعروف من المنازل الثمانى والعشرين (محلنا) درجتنا (فيكرم) به (مثوانا) مقامنا ، ومنه : « فبئس مثوى المتكبرين » (ويرقب إلنا) يحفظ عهدنا ، ومنه : « لايرقبون فى مؤمن إلا ولاذمة » (ظلال سوانا) غنائم سيوف غيرنا من الأمم السابقة (دون أكل) ليس تحتها غنيمة تملكها وتتصرف بها كيف شاءوا (و) أما نحن معاشر الأمة

و (ظلنا) غنيمة سيوفنا (جنى روضه) مايقطف من زرعه ، ومنه : « وجنى الجنتين دان » (دانى القطوف) قريب مايقطف منه ، ومنه : « قطوفها دانية » أى المراد بالظلال الشرائع المتقدمة لايسوغ فيها أكل الغنيمة دون شريعتنا ، فهى حلال لنا (فكلنا) كل واحد منا (يروح) من ارواح (إلى مايشتهيه) يحبه من الغنيمة بعد أن كانت لنا دون غيرنا ، ومنه : « ماتشتهيه الأنفس » (ويدلج) يسير فى الليل إليه ليقسمها بينهم .

إذا حل له الله الغنائم وحده أبيحت له الأرزاق فى ظل رمحه

(ص) :

خَبَا كُلُّ مِصْبَاحٍ بِنُورِ آيَاتِهِ وَعَمَّ عُمُومَ الْقَطْرِ جُودُ هِبَاتِهِ

وَنَابَ مَنَابَ الْمَوْتِ حَدُّ قَنَاتِهِ جِمَادُ الْحَصَى وَالنَّبْتُ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ

وَحَسْبُكَ مِنْ جِذْعٍ يَحِنُّ وَيَنْشِجُ

(ش) (خبا) طفا وخمد (كل مصباح) سراج (بنور آياته) ضيائه أوشمسه، أوعلامته ؛ والمراد أن شريعته نسخت جميع الشرائع ، وفى نسخة : بنوراته (وعم) عموما مثل (عموم القطر) المطر (جود هباته) كرم عطاياه (وناب) قام (مناب) مقام (الموت حد) طرف (قناته) رمحه (جمار الحصى) صغار الحجارة ، وفى نسخة : جماد بالدال وهو ضد الدواب وهو أليق (و) جماد (النبت من معجزاته) وعن أنس رضى الله عنه : « أخذ النبى صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ، ثم صبهن فى يد أبى بكر رضى الله عنه فسبحن ، ثم فى أيدينا فما سبحن » . وعن عائشة رضى الله عنها : « لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله » (وحسبك) كافيك (من) زائدة

(جذع) أصل نخلة (يحنّ) يشتاق إليه (وينشج) يبكى ، وتقدم الكلام على حنين الجذع .   * رسول بكى شوقا له عود جذعه *

(ص) :

حَنَتْهُ عَلَى أَضْدَادِهِ أَرْيَحِيَّةٌ   وَنَفْسٌ بِأَفْعَالِ الْجَمِيلِ سَخِيَّةٌ
فَآيَاتُهُ فِى كُلِّ وَجْهٍ سَنِيَّةٌ   جَوَابٌ بِصَوْتٍ مُفْصِحٍ وَتَحِيَّةٌ
بِنُطْقٍ صَحِيحِ اللَّفْظِ لَا يَتَلَجْلَجُ

(ش) (حنته) عطفته ورجمته (على أضداده) أعدائه (أريحية) نشاط كرم وحسن خلق ، لأنه :

* حليم إذا طاشت يد الطود خفة *

(و) حنته أيضاً (نفس بأفعال الجميل سخية) كريمة جواد (فآياته) الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم (فى كل وجه سنية) رفيعة ، ومن آياته (جواب) الجذع (بصوت مفصح) لأنه لما فقد الذكر بكى . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « إن شئت أن أردك إلى الحائط الذى كنت تنبت لك عروقك ، ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة ، وإن شئت أغرسك فى الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ، ثم أصغى له صلى الله عليه وسلم يستمع مايقول ، فقال : بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله تعالى ، وأكون فى مكان لا أبلى فيه ، فسمعه من يليه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد فعلت » . انظر الشفا للقاضى عياض رحمه الله (و) منه (تحية) سلام شجر وحجر ، ومنه : « وإذا حييتم بتحية » (بنطق) بكلام (صحيح اللفظ) والمعنى (لايتلجلج) لايتردد فى الكلام ، وهو حديث عائشة رضى الله عنها المتقدم ذكره ، أو المراد به فصاحته صلى الله عليه وسلم (ص) :

بِهِ مُنِحَ التَّوْفِيقَ كُلُّ مُوَفَّقٍ   وَدَانَ بِدِينِ الْحَقِّ كُلُّ مُحَقِّقٍ

رَسُـولٌ كَمِثْلِ الْوَالِدِ الْمُتَرَفِّقِ   جَدِيرٌ بِكُلِّ الْمَدْحِ مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ
فَمِقْدَارُهُ أَعْلَى وَمَرْآهُ أَبْهَجُ

(ش) (به) بسببه (منح) أعطى (التوفيق) القدرة على الطاعة (كل) نائب فاعل منح (موفق) بدين الحق (ودان) أطاع (بدين الحق كل محقق) هو (رسول) فى ترفقه للأمة (كمثل الوالد المترفق) الذى يترفق بولده فى جميع أموره ، وقد تقدم :

* من الأب أحق بل من الأم أرحم *

(جدير) حقيق ، ومنه : « وأجـدر ألا يعلموا » أى أحق (بكل المدح) الثناء نظما ونثراً :   * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم *

(من كل منطق) بكل نطق و بكل لغة عجمية أوعربية لأنه أهل لذلك لما فضله رب الأرض والسماء ، ثم أضرب عن هذا المعنى فقال (فمقداره) قدره (أعلى) من الثناء (ومرآه) وجهه (أبهج) أحسن من كل شئ وأجمل (ص) :

فَدَيْنَاهُ بِالْأَرْوَاحِ لَوْ كَانَ يُفْتَدَى   فَـكُلٌّ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالِ قَدِ اهْتَدَى
تَمَسَّكَ قَبْلَ الْوَحْيِ بِالْحَقِّ وَاقْتَدَى   جَنَى فِى الصِّبَا زَهْرَ النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى
فَمَا زَالَ فِى أَخْلَاقِهِ يَتَأَرَّجُ

(ش) (فديناه) عوّضناه صلى الله عليه وسلم (بالأرواح) بأنفسنا (لو كان يفتدى) بالنفوس لقوله تعالى : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » وكثر كلام المشتاقين له صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى فداء لك (فـكل) واحد منا (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم لا بغيره (بعد الضلال) ضد الرشد (قد اهتدى) ارتشد (تمسك) أخذ النبى صلى الله عليه وسلم (قبل) إتيان (الوحى) إليـه (بالحق واقتدى) به : أي قبل إتيان جبريل إليه بالوحى (جنى) اقتطف (فى) حال

(الصبا زهر) نور (النبوة والهدى) الرشد (ف)بسبب ذلك (مازال) زهر النبوة (فى أخلاقه) طبائعه (يتأرّج) يفوح ريح طيبه ، والخلق ما يصدر من الإنسان من الأفعال الحسنة ، وأنه صلى الله عليه وسلم لما جرحه المشركون يوم أحد وكسر رباعيته كان يقول : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون » (ص) :

هُوَ الْفَرْعُ قَدْ أَرْبَى عَلَى طِيبِ أَصْلِهِ فَمَنْ مِثْـلُهُ مَا فِى الْأَنَامِ كَمِثْلِهِ
وَحَسْبُكَ بِالْإِسْرَاءِ أَصْلاً لِفَضْلِهِ جَلَالٌ رَآهُ اللهُ أَهْـلاً لِحَمْلِهِ
فَشَبَّ عَلَى مِرْقَاتِهِ يَتَدَرَّجُ

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (الفرع) الشريف الأعلى (قد أربى) زاد ، ومنه : « أربى من أمة » (على طيب أصله) ويأتى :

* من القوم لاحقّ يضاع لديهم *

(ف)إن قيل لك (من مثله) نظيره خَلقاً وخُلقاً من بدء الدنيا إلى انقضائها ، فقل (ما) ليس (فى الأنام) الخلائق (كمثله) ، ومنه قوله تعالى : « ليس كمثله شئ » (وحسبك) كافيك ، والباء فى (بالإسراء) زائدة : أى كافيك إسراؤه بالليل والناس هجد (أصلا) مادة (لفضله) فى فضله ، و (جلال) خبر لمحذوف : أى أمر النبوة والهدى عظيم (رآه) علمه (الله) أى نبيه (أهلا لحمله) لحمل الجلال : أى الشرع والدين (ف)بسبب ذلك (شب) كبر (على مرقاته) على مرقاة ذلك الجلال والمرقاة بالفتح الدرجة وبالكسر الآلة (يتدرج) يرقى قليلا قليلا ، وجملة يتدرّج حال من فاعل شب : أى ينتقل من حال إلى حال ، ومن درجة إلى مرتبة أعلى منها وأسنى . ولم يزل كذلك حتى لحق بالرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم (ص) :

إِلَيْهِ انْتَهَتْ فِى الْعَالَمِينَ الْمَآثِرُ بِهَا قَطَعَتْ نَحْوَ الثَّنَاءِ الْمَوَاخِرُ

وَحَسْبُكَ مِنْهُ أَوَّلاً وَهْوَ آخِرُ جَوَانِحُهُ بَحْرٌ مِنَ النُّورِ زَاخِرُ
بِسَاحِلِهِ لِلَّقْطِ دُرٌّ مُدَحْرَجُ

(ش) (إليه) صلى الله عليه وسلم (انتهت) بلغت (في العالمين المفاخر) جمع مفخرة: وهي الخصال الكريمة ، أي لم يحزها جملة وتفصيلا إلا هو (بها) بالمفاخر (قطعت بحر الثناء المواخر) السفن الجوارى ، شبه صدور حاملي المفاخر بسفن ، وفي نسخة : * بها قطعت تجرى إلينا المواخر * وهذه استعارة ترشيحية (وحسبك) كافيك (منه) من النبي صلى الله عليه وسلم (أولا) تمييز (و) الحال (هو آخر) بعثا : أي خلق روحه قبل خلق أرواح الأنبياء (جوانحه) أضلاعه ، المراد قلبه : أي ما امتلأ فيها (بحر من النور زاخر) مرتفع ممتد . وفي نسخة : جوارحه (بساحله) بشاطئ ذلك البحر (للقط) للقطه (در) لؤلؤ (مدحرج) مدوّر ، والمراد بالدر ما يؤخذ عنه من علم وهداية ويأتي :

* وبحر علوم بالهداية ينضخ *

(ص) :

أَلاَ إِنَّ رَبَّ الْعَرْشِ شَرَّفَ أَحْمَدَا وَوَافَى بِهِ بُشْرَى وَأَنْجَزَ مَوْعِدَا
وَأَسْرَى بِهِ حَالاً وَشَفَّعَهُ غَـدَا جَرَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ذِكْرًا مُخَلَّدَا
وَمَنْ كَرَسُولِ اللهِ لِلهِ يَعْرُجُ

(ش) (ألا) انتبه (إن رب) مالك (العرش شرّف) فضل (أحمدا) المرتضى بشرى عيسى تشريفاً (ووافى) أتم ، وفي نسخة ووفى : أي كمل (به) بأحمد (بشرى) عيسى التي في قوله عليه الصلاة والسلام : « إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » (وانجز) أسرع به وعجل (موعدا) أي الوعد الذي وعد به إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى حاكياً عنه : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم

آياتك » الآية ؛ ويحتمل أن الله تعالى أنجز له ماوعده بقوله : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (وأسرى) الله (به) صلى الله عليه وسلم إلى سبع سموات :

* سماء سماء ثم زاد على السبع *

(حالا) فى الدنيا (وشفعه) أعطاه الشفاعة (غدا) فى الآخرة (جرت) مضت وسارت (ليلة الإسراء) فاعل جرت (ذكراً) تمييز (مخلداً) دائما مادامت السموات والأرض (ومن) لاأحد (كرسول الله) صلى الله عليه وسلم (لله يعرج) يصعد : يعنى أن الإسراء خاص به صلى الله عليه وسلم ، ومنه قوله تعالى : « ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة » (ص) :

لَأَعْجَزَ صَرْفَ الدَّهْرِ هَدُّ بِنَائِهِ وَأَزْرَى بِعَرْفِ الْمِسْكِ طِيبُ ثَنَائِهِ
وَمَنْ ذَا يُسَامِي الْمُصْطَفَى فِي سَنَائِهِ جَمِيعُ الْوَرَى فِي الْحَشْرِ تَحْتَ لِوَائِهِ
وَأَعْنَاقُهُمْ طُرًّا إِلَيْهِ تَعَوَّجُ

(ش) والله (لأعجز صرف الدهر) حدثانه ونوائبه (هد) هدم (بنائه) دينه : أى أن ينهدم ما بنى لنا ، فكيف يَهُدُّ ما بنى لنا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق » الحديث (وأزرى) حقر (بعرف) طيب (المسك طيب) رائحة (ثنائه) استعارة وتمثيل (ومن ذا) الذى (يسامى) يشابه ويعارض (المصطفى) المختار (فى سنائه) ارتفاعه حسا ومعنى لأنه (جميع الورى) الخلائق (فى) يوم (الحشر) والنشر (تحت لوائه) كما روى الترمذى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر » ؛ وفى رواية : « لواء الكرم بيدى » وخرجه من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » . (و) الحال (أعناقهم) تليلاهم ورقابهم (طرا) جميعاً حال (إليه) صلى الله عليه وسلم (تموج) تمال ، والمراد الجثوم إليه في شفاعته الكبرى (ص) :

هَنِيئاً لَنَا مِنْهُ الشَّفَاعَةُ فِي غَدٍ　　يَنَالُ رِضَاهَا كُلُّ عَبْدٍ مُوَحِّدِ

عَلَى خَطَإٍ فِي الذَّنْبِ أَوْعَنْ تَعَمُّدٍ　　جَرَائِرُنَا تُمْحَى بِجَاهِ مُحَمَّدِ

إِذَا شَفَعَ الْمَحْبُوبُ جَازَ الْمُبَرِّحُ

(ش) ليهنئ (هنيئاً) أوثبت لك هنيئاً ، ومنه : « فكلوه هنيئاً » (لنا) معاشر الأمة (منه) من النبي حال (الشفاعة في غد) في الآخرة : أي الشفاعة لنا معاشر الأمة في الآخرة (ينال) يصيب (رضاها) الشفاعة (كل عبد موحد) لله (على) مع (خطإ في الذنب أوعن تعمد) أي على كل حال كان . وفي الحديث « أن عائشة رضي الله عنها قالت : يارسول الله ما الذي أوحى إليك ربك إذ قال - فأوحى إلى عبده ما أوحى - قال ياعائشة : أتريدين أن تعلمي مالا يعلمه جبريل وميكائيل ولانبي مرسل ولاملك مقرب ؟ فقالت : أسألك بأبي بكر إلاماعلمتني ، قال : فقال إني لما كنت قاب قوسين قلت : اللهم إنك عذبت الأمم بعضهم بالحجارة ، وبعضهم بالمسخ ، وبعضهم بالخسف ، فما أنت فاعل بأمتي ؟ قال : أنزل عليهم الرحمة من عنان السماء ، وأبدل سيئاتهم حسنات ، ومن دعاني منهم لبيته ، ومن سألني أعطيته ، ومن توكل عليّ كفيته ، وفي الدنيا أستر على العصاة وأشفعك فيهم ، ثم قال يامحمد : لولا أن الحبيب يحب معاتبة الحبيب لما حاسبت أمتك سراً وجهراً » (جرائرنا) وفي نسخة جرائمنا هما واحد : أي كبائرنا (تمحى بجاه محمد) صلى الله عليه وسلم (إذا شفع المحبوب) الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم

وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلم (جاز) مضى وانصرف (المبهرج) المبطل الردىء : أى فاعل الذنوب الذى عدل به عن الطريق المستقيم ، وارتكب الكبائر ، واقترف الجرائم (ص) :

فَطُوبَى لَهُ مَنْ لَمْ يَضِقْ عَنْهُ بِرُّهُ نَبِيٌّ عَلاَ فَوْقَ النَّعَائِمِ قَدْرُهُ
مُنِيرٌ عَلَى مَثْوَاهُ فِى اللَّحدِ بَدْرُهُ جَدِيدٌ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدَيْنِ ذِكْرُهُ
وَهَلْ هُوَ إِلاَّ الْمِسْكُ بِالشَّهْدِ يُمْزَجُ

(ش) (فطوبى) فرح وقرة عين ، أواسم شجرة تظل الجنة مبتدأ ، و (له) خبره ، أوله خبر مقدم ، وطوبى مبتدأ مؤخر ، و (من) بدل من له (لم يضق عنه بره) برالنبى : أى من وجدبره وإحسانه طوبى له ، أو برّ من نفسه ، و بره اقتداؤه بنبيه الشافع له ، والأوّل أليق لسياق الكلام ، هو (نبى علا) ارتفع (فوق النعائم) هى ثمانية نجوم كأنها سرير معوج ، أربعة صادرة وأربعة واردة ، وهى من منازل القمر (قدره) فاعل (منير) مضىء (على مثواه) مقامه (فى اللحد بدره) وجهه لأنه يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر ، اللحد: هو أن يحفر للميت فى جانب القبر إن كانت الأرض صلبة ، وهى أفضل من الشق ، فإنه اختاره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (جديد) خبر مقدم (على كر الجديدين) رجوع الليل والنهار (ذكره) ثناؤه لايبلى ولا يخلق على كر الزمان وتوالى الملوان (وهل) ما (هو) الذكر (إلا المسك بالشهد) العسل فى شمعه (يمزج) يخلط ، ومنه : « ومزاجه من تسنيم » أى أن الناس يميلون إلى ذكره ميلهم إلى العسل الأبيض المختلط بالمسك ، طعمه طيب وريحه طيب ، هذه استعارة مكنية (ص) :

نَأَى فَصَبَبْنَا الدَّمْعَ تَجْرِى شُئُونَهُ وَنُذْرِى عَلَى حُكْمِ النُّزُوعِ هَتُونَهُ

فَنَحْنُ نُقَاسِي لِلْهُيَامِ فُنُونَهُ   جَوًى ثَابِتاً عَلَى قَدْرِ التَّخَلُّفِ دُونَهُ
فَكُلُّ فُؤَادٍ جَمْرَةٌ تَتَأَجَّجُ

(ش) (نأى) بعد صلى الله عليه وسلم عنا مكانا ، ومنه : « ونأى بجانبه » (فصبينا الدمع) لذلك النأى ، ومنــه : « أنا صببنا المــاء صبا » (تمرى) تمسح (شئونه) مجاريه ومسيله (ونذرى) نصبّ، والمذرة: اسم للدمع المصبوب (على) لأجل (حكم النزوع) الشوق (هتونه) مطره الدائم وسيلانه (و)بسبب (نحن نقاسى) نكابد ونعالج (للهيام) لأجل تحير الحب والهيام جنون من العشق فكأنه المراد (فنونه) أنواعه وأصنافه (جوانا) حزننا ومرضنا ببطننا ثابت (على قدر التخلف) التأخير والقعود فى البلد (دونه) دون الوصول إليــه : أى حزن كل إنسان وتشوقه على قدر تخلفه (و)بسبب ذلك (كل فؤاد) قلب (جمرة) واحد الجمر (تتأجج) تتلهب وتتوسط (ص) :

ثَوَى بِحِرَاءٍ لِلتَّحَنُّثِ مُدَّةً   فَأَلْبَسَهُ ذَاكَ الْجَلَالَةَ بُرْدَةً
فَلِلَّهِ عَبْدٌ قَالَ فِيــهِ مَوَدَّةً   جَعَلْتُ امْتِدَاحَ الْمُصْطَفَى لِي عُدَّةً
عَسَى رَوْضَةُ الْمِيزَانِ عَنِّي تُفَرِّجُ

(ش) (ثوى) أقام النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنه : « وما كنت ثاويا فى أهل مدين » (بحراء) جبل بمكة (للتحنث) لأجل التعبد (مدة) زمانا طويلا (فألبسه) كساه (ذاك) التحنث فاعل ألبس (الجلالة) التعظيم مفعول ثان لألبس، و (بردة) حال أو بدل أو عطف بيان ، والبردة : كساء أسود مربع فيه صفرة (لله) در (عبد قال) وهو المازارى (فيه) فى النبى صلى الله عليه وسلم (مودة) لأجل المحبة : أى العجب من قدرة الله الذى خلق هذا العبد القائل (جعلت امتداح) مدح (المصطفى لى عدة) هى مايدخر : أى أعددته ليوم الفزع

الأكبر (عسى روعة) فزع (الميزان) الذى يوزن به صحائف أعمال العباد والعقل قاصر عن إدراك كيفيته (عنى تفرج) أى يزول الغم بالفرج .

هنا انتهى حرف الجيم ويتلوه حرف الحاء إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الحاء

لما فرغ من قافية الجيم ، وأراد أن يشرع فى قافية الحاء ، ورأى أن الحساد يحسدونه فى هذه النعمة التى أنعم الله عليه بها . قال مرغماً لهم (ص) :

أَصَبْتُ مِنَ الْحُسَّادِ أَنْفَذَ مَقْتَلِ ... بِمَدْحِى لِلْهَادِى النَّبِيِّ الْمُفَضَّلِ

وَأَلْزَمْتُهُ فِكْرِى فَقُلْتُ لِعُذَّلِى ... حَقِيقٌ عَلَيْنَا مَدْحُ أَفْضَلِ مُرْسَلِ

وَإِنْ كَلَّتِ الْأَقْوَالُ عَنْ وَاجِبِ الْمَدْحِ

(ش) (أصبت) نلت وأدركت (من الحساد) جمع حاسد : وهو المتمنى زوال النعمة من الغير وصرفها إليه ، وهو حرام (أنفذ) أمضى (مقتل) هو الموضع الذى لا يعيش الإنسان بعد إصابته (ب) سبب (مدحى للهادى) إلى الصراط المستقيم ، ومنه : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » (النبى المفضل) الذى فضله الله على العالمين (وألزمته) المدح (فكرى) ملكة فى الإنسان يحصل بها تأمل الأشياء (فقلت لعذلى) لمن يلوموننى (حقيق) واجب ، ومنه : « حقيق على » (علينا) معاشر الأمة (مدح) ثناء (أفضل مرسل) أى واجب على من يطيق لذلك منا اختراعا وإنشاداً ، كأن العذال قالت له كيف تقدر على مدح من أثنى الله عليه وألسنتنا تكل عن ذلك فقال نعم نمدحه (وإن كلت) عييت وتعبت ألسن أصحاب (الأقوال عن واجب المدح) (ص)

هُوَ الرَّحمَةُ المُهدَاةُ لِلكَوْنِ كُلِّهِ   هُوَ السِّترُ يَأْوِى كُلُّ ضَاحٍ لِظِلِّهِ
مُقِيمُ عِمَادِ الدِّينِ حَافِظُ أَصْلِهِ   حَبِيبُ إلٰهِ العَرْشِ خَاتِمُ رُسْلِهِ
وَلاَ شَيْءَ بَعْدَ الشُّهْبِ أَهْدَى مِنَ الصُّبْحِ

(ش) (هو) النبى صلى الله عليه وسلم عين (الرحمة المهداة) التى أهداها الله إلينا بل (للكون كله) المخلوقات ، سمى كونا لأنه من كن فيكون جنا وإنساً وملكا . وفى الحديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام : هل أصابك من هذه الرحمة شىء ؟ قال : نعم ، كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله علىّ بقوله : « ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين » (هو الستر يأوى) يرجع (كل ضاح) بارز للشمس (لظله) إلى شريعته : أى هو العدل يرجع كل مظلوم لعدله ، هو (مقيم عماد) أبنية (الدين حافظ أصله) أى لدين (حبيب إله) مالك (العرش خاتم رسله) إله العرش (ولا شىء بعد الشهب) النجوم (أهدى من الصبح) ورسولنا صلى الله عليه وسلم كالصبح ، والرسل عليهم الصلاة والسلام كالنجوم ، ولاخفاء أن الصبح أقوى هداية من جميع الكواكب ، لأن الاهتداء بالكواكب موقوف على معرفة منازلها ومطالعها والصبح ليس كذلك : أى أن النجوم إذا سترت بظلام الغيم فلاشىء أهدى من الصبح ، مع أن الصبح أهدى منها إلا أنها تقدمت عليه (ص) :

حَشَا رَبُّهُ مِنْهُ السَّرَائِرَ رَأْفَةً   كَمَا قَدْ كَسَا مِنْهُ الظَّوَاهِرَ عِفَّةً
ضِيَاءٌ إِذَا مَا الجَهْلُ أَظْلَمَ سُدْفَةً   حَلِيمٌ إِذَا طَاشَتْ يَدُ الطَّوْدِ خِفَّةً
جَوَادٌ إِذَا ضَنَّتْ يَدُ المُزْنِ بِالسَّفْحِ

(ش) (حشا) ملأ (ربه) خالقه (منه) من النبى صلى الله عليه وسلم ، أو من الله (السرائر) جمع سريرة : وهى الضمائر ، يعنى قلبه وبطنه .(رأفة) رحمة مفعول ثان

أو من أجله (كما قد كسا) با (منه) من النبي صلى الله عليه وسلم (الظواهر) خلاف البواطن (عفة) كفًّا عما لا يليق به من الحرام ، وهو (ضياء) نور مضيء (إذا ما) زائدة (الجهل) نقيض العلم (أظلم سدفة) ظلمة ، وتقدم :

* إنارته حسا وعقلا جلية *

(حليم) صبور (إذا طاشت) خفت (يد الطود) الجبل العظيم ، ومنه : « كالطود العظيم » (خفة) أي هو الرجل الثابت في الحلم، هو (جواد) كريم (إذا ضنت) بخلت (يد المزن) السحاب (بأسفح) الصب والسكب (ص) :

ألاَ إنَّهُ الرِّدْءُ القَوِيُّ مِنَ الرَّدَى ... ألاَ إنَّهُ الحَقُّ المُبِينُ لِمَنْ شَدَا

غَنِيٌّ لِمَنِ اسْتَجْدَى هُدًى لِمَنِ اقْتَدَى ... حَيِيٌّ مِنَ السُّؤَّالِ مُنْهَلُ النَّدَى

عَفُوٌّ عَنِ الجُهَّالِ مُتَّصِلُ الصَّفْحِ

(ش) (ألا) انتبه (إنه) صلى الله عليه وسلم (الردء) المعين ، ومنه قوله تعالى : « فأرسله معي ردءا » (القوى) المتين (من الردى) الهلاك (ألا) انتبه (إنه) صلى الله عليه وسلم (الحق) كما قال تعالى : « فلما جاءهم الحق » أي محمد (المبين) عن الله ما بعثه به (لمن شدا) لمن رفع صوته وأحسن شيئاً من العلم والأدب وصدع بالحق (غني لمن استجدى) طالب الجود والعطية (هدى لمن اقتدى) أي هاد المتقين الذين يقتدون به ، ومن اقتدى به فقد رشد (حيي) كثير الحياء (من السؤال) جمع سائل : أي لمن سأله ولمن لم يسأله ، فإنه لا يشافه أحداً بما يكره حياء وكرم نفس (منهل الندى) أي عطاؤه منسكب ، وفي الحديث : « جاءه رجل فسأله فقال : ما عندي شيء ، ولكن ابتع عليّ فإذا جاءنا شيء قضيناه . فقال له عمر رضي الله عنه : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه ، فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . فقال رجل من الأنصار : يارسول الله أنفق

ولا تخف من ذي العرش إقلالا ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفه البشر في وجهه وقال بهذا أمرت » (عفوّ) كثير العفو : وهو الترك والإعراض (عن الجهال متصل الصفح) متصل صفحه . قال عياض رحمه الله : « وجاءه زيد ابن سعية قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه ، فجذب ثوبه عن منكبه ، وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ، ثم قال له يابني عبد المطلب أنتم مطل ، فانتهره عمر رضي الله عنه وشدّد له في القول ، والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك ياعمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي ، ثم قال عليه الصلاة والسلام لقد بقي من أجله ثلاث ، وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روّعه ، فكان سبب إسلامه » وذلك أنه كان يقول : ما بقي من علامة النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد صلى الله عليه وسلم إلا اثنتين لم أختبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة جهل عليه إلا حلماً ، فاختبرته فوجدته كما وصفه له (ص) :

ثَنَاءٌ كَعَرْفِ الزَّهْرِ بَاكَرَهُ النَّدَى   وَرَأْيُ مَنِ اسْتَهْدَى بِعِصْمَتِهِ اهْتَدَى

وَمَرْأًى كَمَا لَاحَتْ ذُكَاءُ إِذَا بَدَا   حَكَى الشَّمْسَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالنَّجْمَ فِي الْهُدَى

وَبَدْرَ الدُّجَى فِي الْحُسْنِ وَالْمِسْكَ فِي النَّفْحِ

(ش) (ثناء) ذكر جميل طيب الرائحة تميل القلوب إليه (ك) ميلها إلى (عرف) رائحة (الزهر) النور (باكره) جاء صباحا (الندى) المطر (و) له (رأى من استهدى) طلب الهداية مبتدأ (بعصمته) بحفظه (اهتدى) خبر (و) له (مرأى) منظر جميل لائح (كما لاحت) ظهرت (ذكاء) شمس (إذا بدا) النبي صلى الله عليه وسلم (حكى الشمس في الإشراق) في الضياء كأن الشمس تجري في وجهه صلى الله عليه وسلم . « قيل لبنت معوّذ بن عفراء : صفي لنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم قالت : بأبى لو رأيته رأيت الشمس طالعة » (و) إذا بدا حكى (النجم) الثريا (فى المدى) كما قال : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » (و) حكى (بدر الدجى) قمر الظلمة (فى الحسن) فى جماله وحسن منظره (و) حكى (المسك فى المفح) التضوّع (ص) :

دَعَا فَسَقَانَا الْغَيْثَ خَيْرَ سُلَافَةٍ وَزَادَ فَجَلَّى نَوْءَهُ عَنْ كَثَافَةٍ
فَلِلّٰهِ مِنْهُ عِنْدَ كُلِّ مَخَافَةٍ حَرِيصٌ عَلَى الْإِنْقَاذِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ
فَفِى الْقَيْظِ يَسْتَسْقِى وَفِى الْفَيْضِ يَسْتَصْحِى

(ش) (دعا) النبى صلى الله عليه وسلم (ف)بسبب دعوته (سقانا الغيث) المطر، و (خير) حال (سلافة) أفضل مايخرج من كل مايعصر ، والمراد به مطر (وزاد) النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء بسبب سلافة الغيث لما خيف منه (فجلى) كشف الله (نوءه) نجمه : وهو نجم يطلع عند السحاب ، والمراد هنا السحاب (عن كثافة) عن غلظة لأن السحاب إذا كان أول حمله يغلظ ، وإذا دنا إلى الصبّ رق (فلله منه) من النبى صلى الله عليه وسلم : أى له شجاعة (عند كل مخافة) . * ولله عند الأمر يحزب مفزع *

فلله در حريص ، وعلى التفسير هو (حريص على الإنقاذ) أى على إنقاذكم وخلاصكم (من كل آفة) مكروه كما قال تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم » . وفى حديث مسلم : « إنما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدوابّ والفراش يقعن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيها » (ف)بسبب ذلك (فى القيظ) فى الصيف وشدة الحر (يستسقى) يطلب السقيا ، ومنه : « وإذ استسقى موسى » فيجاب (وفى الفيض يستصحى) يطلب الصحو فى حال الفيض ، وفى نسخة : الغيض من غاض يغيض بدل فى القيظ .

وفى الحديث عن أنس رضى الله عنه قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، إذ جاء رجل فقال يارسول الله قحط المطر ، فادع الله أن يسقينا فرفع يديه فمطرنا ، فما كدنا أن نصل إلى منازلنا ، فما زلنا نمطر من الجمعة إلى الجمعة المقبلة . قال : فقام ذلك الرجل أو غيره فقال يارسول الله ادع الله أن يصرفه عنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالينا ولا علينا . قال : فقد رأيت السماء يتقطع يميناً وشمالا لا يمطر ولا يمطر أهل المدينة » (ص) :

مَضَى غَيْرَ مَفْقُودِ السَّنَاءِ وَلاَ السَّنَا وَقَدْ أَعْجَزَ الْأَيَّامَ هَدْمُ الَّذِى بَنَى
لَنَا مِنْ أَثِيلِ الْمَجْدِ فى الدِّينِ وَالدُّنَا حَدَائِقُهُ فِيهَا لَنَا الظِّلُّ وَالْجَنَى
فَمَا نَحْنُ نَجْنِى دُونَ كَدٍّ وَلاَ كَدْحِ

(ش) (مضى) ذهب سيد الخلائق إلى ما أعد الله له من نعيم الجنة (غير) حال (مفقود السناء) الرفعة (ولا السنا) الضياء والنور بل هما باقيان مادامت السموات والأرض ولا يفنيان (وقد أعجز) أعيا (لأيام) صرف الدهور (هدم) وفى نسخة: هدّ (لذى بنى. لنا) متعلق ببنى (من أثيل) أصل (المجد) الكرم (فى الدين والدنا) أصل المجد الشريعة (حدائقه) بساتينه ، ومنه « حدائق ذات بهجة » واحدها حديقة ، والمراد هنا حوائط دين الإسلام (فيها) الحدائق حال (لنا الظل) الظليل (والجنى) مايجتنى (فما نحن نجنى) نقطف الثمرة (دون كدّ) شدة العمل (ولا كدح) مشقة ، ومنه : « إنك كادح إلى ربك كدحا » وهى مستعارة إشارة إلى لين جانبه وسهل خلقه وطلاقة وجهه :

جزيل اللهى يغشى البرية ظله فلا البسط مقبوض ولا الباب مرتج

رشحها بالظل والجنى (ص) :

فَكَمْ قَدْ هَدَى أَعْمَى وَأَرْشَدَ صَابِئًا فَأَدْبَرَ شَيْطَانُ الضَّلاَلَةِ خَاسِئًا

وَأَفْصَحَ أُمِّيُّ الْجَهَالَةِ قَارِئًا ... حِمَاهُ حَمَاهُ اللهُ كَهْلاً وَنَاشِئَا
فَلِلَّهِ صُبْحٌ لَيْسَ يَطْلُعُ مِنْ جُنْحِ

(ش) (فكم) كثير (قد هدى) النبي صلى الله عليه وسلم (أعمى) كافرا (و) كم (أرشد صابئا) خارجا من دين إلى دين آخر : أى مائلا عن طريق الحق والصابئة جنس ينتسبون إلى دين إدريس عليه السلام (ف) بسبب ذلك (أدبر) ولى (شيطان الضلالة خاسئا) ذليلا طريدا مبعدا عن مراده ، وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال « إن الشيطان عرض لى فى صورة هرة فشد على أن يقطع صلاتى فأمكننى الله منه فذعته ، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون إليه ، فذكرت قول أخى سليمان عليه السلام : قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى ، فرده الله خاسئا » (ف) لما بعث صلى الله عليه وسلم فى الأميين رسولا (أفصح) جمل فصيحا وأبان (أمى الجهالة) الذى لايقرأ ولا يكتب (قارئا) حال (حماه) منعه مبتدأ (حماه الله) منعه (كهلا) فى حال كهولته (وناشئا) فى حال صغره ، كما قال تعالى « والله يعصمك من الناس » وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه رضى الله عنهم أجمعين شجرة يقيل تحتها فأتى أعرابى فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك منى ؟ قال الله ، فأرعدت يد الأعرابى وسقط سيفه من يده وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت : والله يعصمك من الناس » (فلله) در (صبح ليس) الصبح (يطلع من جنح) الليل ، والجنح : طائفة من الليل أو بقية منه ، والمراد أنه مذ وجد صبح لاليل ولا غواية معه ، أو المراد آباؤه ليس فيهم كافر من أبيه عبد الله إلى آدم عليه السلام (ص) :

لَقَدْ خَابَ مَنْ عَادَاهُ أَخْسَرَ خَيْبَةٍ ... رَسُولٌ غَدَا لِلْوَحْيِ أَحْفَظَ عَيْبَةٍ

يَرَى مَلَـكُوتَ الْعَرْشِ وَهُوَ بِطَيْبَةٍ حُضُورُ رَسُولِ اللهِ مِنْ غَيْرِ غَيْبَةٍ
وَأَنَّى يَغِيبُ الْقَلْبُ قُدِّسَ بِالشَّرْحِ

(ش) والله (لقد خاب) فات (من عاداه) جهله عدوا ما طلبه ولم ينل مرامه (أخسر خيبة) أى خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، هو (رسول الله (غدا) صار (للوحى أحفظ عيبة) هى مايصان فيه الثياب ونحوها ، وحفظه له : إبلاغه ، وأشار به إلى ماغرس فيه من العلوم (يرى) صلى الله عليه وسلم (ملـكوت العرش) هو ماغاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة : يعنى ماأظهره الله من غيبه (و) الحال (هو بطيبة) أى المدينة المنورة (حضور رسول الله) مراقبته (من) زائدة (غير غيبة) يصفه صلى الله عليه وسلم بالمراقبة لربه والمشاهدة له فى جميع أحواله ومراقبته فى قلبه كانت غير غائبة، ولمذاق (وأنى) كيف (يغيب القلب) من النبى (قدس) طهر (بالشرح) الشق والفتح، بإذهاب الشواغل التى تصدّ عن إدراك الحق ، كما قال تعالى : « ألم نشرح لك صدرك »

(ص) :

ضَرَبْنَا بِهِ الْيَافُوخَ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ فَلَاذَ يَقُولُ الْحَقَّ بَعْدَ تَمَرُّدِ
وَقُلْنَا افْتِخَاراً حَقٌّ مِنْــهُ بِأَوْحَدِ حَجَجْنَا بِتَفْضِيلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
جَمِيعَ الْوَرَى وَالصَّفْحُ لَيْسَ مِنَ السَّفْحِ

(ش) (ضربنا به) بسببه (اليافوخ) هو الموضع الذى يتحرك من رأس الصبى (من كل ملحد) مائل عن الحق : أى جاهدنا بسبب النبى صلى الله عليه وسلم وقهرنا كل كافر ملحد عن الحق ، ومنه « إن الذين يلحدون » (ف) بسبب ذلك (لاذ) لجأ الملحد (يقول الحق) يشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعد تمرد) عتوه ولجاجه ، ومنه « وإن يدعون إلا شيطانا

حريداً » (وقلنا افتخاراً) مفعول له أو حال : أى مفتخرين (حق) وجب نعت لافتخاراً (منه) النبى صلى الله عليه وسلم (بأوحد) حق الافتخار وثبت ، وضمير منه يرجع لأوحد من باب التجريد، والأوحد: هو النبى صلى الله عليه وسلم، لأنه لانظير له (حججنا) غلبنا (بتفضيل النبى محمد) صلى الله عليه وسلم (جميع الورى) أى غيرنا معاشر الأمة (والصفح) أعلى الجبل (ليس من السفح) أسفل الجبل ، وهو مثل : أى ليس تفضيل من هو عالى الدرجة وهو النبى كتفضيل من هو كالسفح وهو غيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام (ص) :

عَرَفْنَا بِهِ أَنَّا عَبِيدُ مَشِيئَةٍ   أَثَرْنَا بِهِ لِلْغَيْبِ كُلَّ خَبِيئَةٍ

مُنِحْنَا بِهِ الْأَرْبَاحَ غَيْرَ نَسِيئَةٍ   حَطَطْنَا بِهِ أَعْبَاءَ كُلِّ خَطِيئَةٍ

وَمَنْ قَدَّمَ الْمَحْبُوبَ أَيْقَنَ بِالنُّجْحِ

(ش) (عرفنا) حصل لنا المعرفة والعلم (به) بسببه على (أنا عبيد مشيئة) أى حصل لنا المعرفة بالنبى صلى الله عليه وسلم أن الله أراد كرامتنا بتصييرنا مؤمنين بسيد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، ولم يكن ذلك بطوقنا بل بإرادة الله ومشيئته (أثرنا) نقلنا خلفاً عن سلف رضوان الله عنهم وأخرجنا (به) النبى صلى الله عليه وسلم (للغيب) فى الغيب (كل خبيئة) خفية ، وهو مايخفى على العباد . انظر [الشفاء] للقاضى عياض رضى الله عنه فى فصل : ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيب تر فيه عجب العجاب (منحنا به) أعطينا بسببه (الأرباح غير) حال (نسيئة) مؤخرة بل معجلة ، ومن أرباحنا المعجلة أن جعل الله لنا الأرض طهوراً ، وطيب لنا الغنائم ، وأحل لنا مما شدد على من قبلنا ، ولم يجعل لنا فى الدين من حرج ، ومنه : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » (حططنا) أسقطنا وأزلنا ، ومنه : « وقولوا حطة » (به) بسببه (أعباء) أثقال

(كل خطيئة) إثم (ومن قدّم المحبوب) فى طلب حاجته (أيقن بالنجح) بالظفر فيها لأنه تعالى مخاطبا بكريم خطابه : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » الآيات (ص) :

يَدَاهُ هُمَا الحَدَّانِ لِلبَأْسِ وَالنَّدَى ... يَنُوبَانِ بِالمَعْنَى عَنِ المُزْنِ وَالمُدَى
فَلِلَّهِ مَا أَرْدَى وَلِلَّهِ مَا وَدَى ... حَمَى الدِّينَ وَالدُّنْيَا بِعَضْبٍ مِنَ الْمُدَى
وَلَدْنٍ مِنَ التَّقْوَى وَزَغْفٍ مِنَ النُّصْحِ

(ش) (يداه) صلى الله عليه وسلم (هما الحدان) الغايتان (للبأس) الشدة (والندى) العطاء (ينوبان) يقومان مقامه (بالمعنى عن المزن) السحاب الماطر (والمدى) جمع مدية : وهى السكين ، وهذه كناية ، وفيه لف ونشر مشوش وتقدم : * أفاض الندى فيضاً وأعمل صعدة *

(فلله ما أردى) هذا تعجب من شدة بأسه : أى شئ عظيم أهلك من الكفار (ولله ماودى) أعطى ، هـذا تعجب من شدة كرمه وجوده : أى شئ عظيم أعطى فانه يعطى عطاء من لايخشى فاقة (حمى) منع النبى صلى الله عليه وسلم (الدين) ذات دين الإسلام (و) أهل (الدنيا بعضب) بسيف قاطع (من المدى) ومن لبيان الجنس : أى هو المدى لأنه صلى الله عليه وسلم :

أحلّ أمتــــه فى حرز ملته ... كالليث حل مع الأشبال فى أجم

(ولدن) رمح لين (من التقوى) للبيان (وزغف) دروع محكمة رقيقة النسج (من النصح) ومعنى البيت التشبيه ، وذلك أن الدفع إنما يكون بالسيف والرمح والدرع فاستعاره هنا (ص) :

لَقَدْ دَلَّ إِسْرَاهُ الإِلٰهِ بِعَبْدِهِ ... عَلَى أَنَّهُ قَدْ خَصَّ مِنْهُ بِوُدِّهِ

مُحَالٌ لِعَيْشِي أَنْ يَطِيبَ لِفَقْدِهِ حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي سُلُوٌّ لِبُعْدِهِ
وَأَنَّى لِحَرَّانِ الجَوَانِحِ بِالنَّضْحِ

(ش) والله (قد دل إسراء الإله) المعبود بالحق (بعبده) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (على أنه) العبد (قد خص منه) من الإله (بوده) بحبه واختياره بالإسراء (محال) حرام (لعيشى) لحياتى (أن يطيب) يستلذ (ل)أجل (فقده) لأجل عدم زيارته (حرام) ممنوع (على قلبى سلوّ) نسيان: أى أن يسلو عنه ويتركه اختيارا (ل)أجل (بعده) عنى:

* سلا قلب من يسلو وقلبى ماسلا *

(وأنى) كيف ينفع (لحرّان) مبالغة من الحر (الجوانح) الضلوع التى تحت الترائب (بالنضح) الرش بالماء الذى يبرد الحر: أى أين لعطشان الجوانح الشرب اليسير دون الرى (ص):

كَلِفْتُ بِحُبِّ الهَاشِمِيِّ مُحَمَّدِ وَأَكَّدَ حُبِّي فِيهِ عَنْ أُمِّ مَعْبَدِ
حَدِيثٌ بِدَرِّ الشَّاةِ لِلْمَسْحِ بِاليَدِ حَلاَ ذِكْرُهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدِ
فَكُلُّهُمْ يُمْسِي مَشُوقًا كَمَا يُضْحِي

(ش) (كلفت) أولعت (بحب الهاشمى محمد) صلى الله عليه وسلم: أى بالغت فى محبته (وأكد حبى) محبتى (فيه) فى النبى صلى الله عليه وسلم (عن أم معبد) اسمها عاتكة بنت خالد الخزاعية (حديث) فاعل أكد (بدرّ) مايدرّ من اللبن من ضرع (الشاة ل)أجل ا(لمسح باليد) بيده المباركة الشريفة، وهذا الحديث مبسوط فى الخصائص وغيره من كتب السير فلانطيل بذكره (حلا) من الحلاوة: ضد المرارة (ذكره فى قلب) فؤاد (كل موحد) يوحد الله: أى مالت قلوب أهل التوحيد إلى سماع ثنائه كميلها إلى الحلاوة (فكلهم) كل واحد

من أهل التوحيد (يمسى) يدخل فى المساء (مشوقا) حال (كما يضحى) يدخل فى الضحاء : أى الصباح ، مشوقا : أى كلهم يدومون على الاشتياق إليه (ص) :

فَكَمْ مِنْ سِقَامٍ قَدْ شَفَى مِنهُ طِبُّهُ فَنَحْنُ بِهِ نَبْأَى بِهِ وَنُحِبُّهُ
وَنَقْتُلُ مِنْ أَعْدَائِهِ مَنْ يَسُبُّهُ حَبَاهُ بِأَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ رَبُّهُ
وَحَسْبُكَ مَاقَدْ جَاءَ فِى سُورَةِ الْفَتْحِ

(ش) (فكم) كثير (من سقام) من مرض (قد شفا منه) السقام ، ومن زائدة أوظرفية : أى فيه (طبه) علاج النبى صلى الله عليه وسلم (ف)بسبب شفائه بطبه (نحن) مستمسكون (به) بالنبى (نبأى) نفتخر حال (به) عن غيرنا ، وفى نسخة : معاً نشتاقه (ونحبه) صلى الله عليه وسلم (ونقتل من أعدائه) وغير أعدائه (من يسبه) من يتكلم عليه بما لايليق به من أعدائه وغيرأعدائه تاب أولم يتب ، ومن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ولا تقبل توبته ، ولامفهوم لقوله من أعدائه ، وكذلك المؤمن إذا تكلم عليه يسوء لشمول من يسبه ، أو لأنه لما تكلم صار عدوا له (حباه) أعطاه (بأشتات) أنواع (الفضائل) المزايا (ربه) فاعل حبا والباء فى بأشتات زائدة ، ويحتمل أن يكون حباه بمعنى خصه ولا تكون الباء زائدة : أى خصه ربه بأنواع الفضائل (وحسبك) كافيك مزية وفضلا (ماقد جاء فى سورة الفتح) أى ما تضمنته سورة الفتح من أمارته صلى الله عليه وسلم وكرامة أصحابه . قال تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك » وكانوا إذ ذاك ألفا وأربعمائة ، وفى البيت تلميح (ص) :

لَئِنْ غَابَ عَنَّا إِنَّهُ غَيْرُ غَائِبِ وَنَسْكُنُهُ بَيْنَ الْحَشَا وَالتَّرَائِبِ

فَيَا لَيْتَنَا قَبْلَ اخْتِطَافِ النَّوَائِبِ حَفَفْنَا بِذَاكَ الْقَبْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
لِنَرْوَى بِمَرْآهُ مِنَ الظَّمَإِ الْبَرْحِ

(ش) والله (لئن غاب) صلى الله عليه وسلم (عنا) حسا (إنه غير غائب) عن قلوبنا معنى (ومسكنه) مكان سكناه فينا (بين الحشا) ما انضمت عليه الضلوع (والترائب) عظام الصدر، ومنه: «يخرج من بين الصلب والترائب» (فيا) قوم (ليتنا) حرف التمني (قبل اختطاف) اختلاس، ومنه: «يكاد البرق يخطف أبصارهم» (النوائب) نوازل الدهر (حففنا) طفنا، ومنه: «وحففناهما» (بذاك القبر) بالنظر إلى القبر المعظم (من كل جانب) جهة وناحية (لنروى) علة حففنا، من الري: وهو الشبع بالماء (بمرآه) بمنظر القبر (من الظمإ) العطش (البرح) الشديد (ص):

أَقَمْنَا وَنَارُ الشَّوْقِ تُذْكِى تَلَهُّبَا وَرُمْنَا إِلَيْهِ السَّيْرَ وَالْحُكْمُ قَدْ أَبَى
وَلَوْ قَدْ وَجَدْنَا نَحْوَهُ بَعْدُ مَذْهَبَا حَثَثْنَا إِلَيْهِ الْعِيسَ شَرْقًا وَمَغْرِبَا
سِرَاعًا إِلَى أَنْ نُدْرِكَ اللَّمْعَ بِاللَّمْحِ

(ش) (أقمنا) اضطرارا لا اختياراً (و) الحال أن (نار الشوق) الحب (تذكى) تشتعل (تلهبا) اشتعالا (ورمنا) طلبنا (إليه) إلى زيارته (السير و) الحال (الحكم) أى الله (قد أبى) منع السير ولا يأذن به (ولو) هنا للتمنى (قد وجدنا) أصبنا (نحوه) النبى صلى الله عليه وسلم (بعد) ما مضى من عمرنا (مذهبا حثثنا) أسرعنا وطردنا (إليه) القبر (العيس) الإبل البيض التى يخالط بياضها شئ من الشعر (شرقا) مخرجا (ومغربا . سراعا) مسرعين حال (إلى أن ندرك اللمع) النور والضوء (باللمح) بالنظر الخفيف، والمراد به رؤية قبره عليه الصلاة والسلام (ص):

حَلَفْتُ بِذِى الْعَرْشِ الَّذِى فَوْقَهُ اسْتَوَى　　لَوِ اسْطَعْتُ لَاخْتَرْتُ الدُّنُوَّ عَلَى النَّوَى
مِنَ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ مُرْشِدِ مَنْ غَوَى　　حَنِينِى إِلَى لُقْيَاهُ مُحْتَدِمُ الْجَوَى
وَدَمْعِى عَلَى مَثْوَاهُ مُتَّصِلُ السَّحِّ

(ش) (حلفت) أقسمت (بذى العرش) خالقه (الذى فوقه) العرش (استوى) . منع مالك وابن شهاب وكثير من السلف رضى الله عنهم أجمعين تأويل «الرحمن على العرش استوى» فالعرش أعظم المخلوقات . انظر كتب السير ترجماً فى صفة العرش (لو اسطعت) لو كمل لى شروط الاستطاعة : من زاد مبلغ ، وطريق سابلة ، وصحة بدن لما قعدت فى وطنى ، بل (لا اخترت الدنوّ) القرب (على النوى) البعد (من الصادق) المخبر بقول الحق (المصدوق) الذى صدقه الله وعده (مرشد من غوى) هادى من ضل (حنينى) اشتياقى وشدة حبى (إلى لقياه) لقائه (محتدم) ملتهب (الجوى) الحرقة وشدة الوجد والحب (ودمعى) دمع عينى (على مثواه) لأجل بعد مقامه ، ومنه : «أكرمى مثواه» (متصل السح) السب . والمعنى أن دمعى لاينقطع لعدم زيارتى إياه صلى الله عليه وسلم (ص) :

هُوَ الْبَرُّ لَا يَخْفَى وُضُوحُ طَرِيقِهِ　　هُوَ الْحَقُّ مَنْ عَادَاهُ غُصَّ بِرِيقِهِ
هُوَ الصِّدْقُ لَا مَنْجَى لِغَيْرِ فَرِيقِهِ　　حَفِيلُ ثَنَائِى قَاصِرٌ عَنْ حُقُوقِهِ
وَلِلْبَحْرِ قَعْرٌ لَيْسَ يُدْرَكُ بِالسَّبْحِ

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (البر) ضد البحر (لايخفى) يغيب (وضوح) ظهور (طريقه) هديه . وفى الحديث : «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات» الحديث (هو) ذو (الحق من عاداه) خالفه أو ناوأه : أى جعله عدوا (غص) اختنق وشجى ، ومنه : «وطعاما ذا غصة» (بريقه) بماء

فيه : أى مات حتف أنفه ، وهى كناية عن خيبته (هو) ذو (الصدق لامنجى) لاسلامة ولاهرب ولا نجاة (لغير فريقه) جماعته وأصحابه ، والمراد بالفريق : أهل السنة والجماعة (حفيل) كثير (ثنائى) مدحى كيفما بلغ فى غاية الفصاحة والبلاغة هو (قاصر) غير موصوف لما يجب له (عن حقوقه) من الحقوق (والبحر قعر) عمق ، وفى بعض النسخ : قطر ، معناه : الناحية والجانب (ليس) القعر (يدرك) يلحق (بالسبح) بالعوم : أى كما أن البحر لايقطع جانبه بالسباحة كذلك لايبلغ المادح وإن بلغ فى مدحه ما للمصطفى من الفضائل الجزيلة ، والمناقب الكثيرة ، والمآثر الرفيعة (ص) :

إِلَى اللهِ أَشْكُو حَرَّ نَارِ جَوَانِحِى   لِفَقْدِ نَبِيٍّ قَائِمٍ بِالْمَصَالِحِ
كَرِيمِ الْمَسَاعِى بَاذِلٍ لِلنَّصَائِحِ   حَبَسْتُ عَلَيْهِ رَأْسَ مَالِ مَدَائِحِى
لِعِلْمِى بِأَضْعَافِ الْمَثُوبَةِ فِى الرِّبْحِ

(ش) (إلى الله) لاإلى غيره (أشكو) من الشكاية : وهى إخبارك بمن فعل بك سوءاً (حر نار جوانحى) الضلوع التى تحت الترائب ، والمراد القلب ، والنار جسم لطيف حارّ محرق : أى إلى الله أرفع شكوى حر قلبى (لـ)أجل (فقد نبيّ) عدم زيارته (قائم) بالقسط و (بالمصالح) للمسلمين (كريم المساعى) رفيع الأعمال (باذل) معط (ل)أنواع (النصائح) جمع نصيحة : وهى إرادة الخير للغير : الناصح : هو الذى يحب لأخيه المؤمن مايحب لنفسه ، معناه ترك الحسد (حبست) وقفت (عليه) على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأس مال مدائحى) جمع مديحة : أى ليس لى مال سوى مدح النبى صلى الله عليه وسلم لأنه رأس مالى ، أوحبست بمعنى منعت غيره رأس مالى التى هى مدائحه : أى لاتمدح غيره ، ولاتطلب شيئاً به من زهرة الدنيا ، وإنما وقفت عليه (لعلمى) لأجل معرفتى

(بأضعاف) بفتح الهمزة وكسرها (المثوبة) الثواب والجزاء ، ومنه : « لمثوبة من عند الله » (فى الربح) هو الفضل على رأس المال « والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

هنا انتهى حرف الحاء ويتلوه حرف الخاء إن شاء الله، والله المستعان .

قافية حرف الخاء

لما كان حب الناظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم مجبولا على أصل خلقته صرح بذلك فى قوله (ص) :

بِنَجْمِ الْهَوَى فِى الْمُصْطَفَى صَحَّ مَوْلِدِى ... فَمَا زِلْتُ فِيــهِ ذَا هَوًى مُتَجَدِّدِ
فَيَامَنْ لَهُ قَلْبٌ لِأَوْصَافِهِ صَدِى ... خُذُوا فِى امْتِدَاحِ الْهَاشِمِىِّ مُحَمَّدِ
عَجَائِبَ لاَتَنْفَكُّ تَنْمِى وَتَرْسَخُ

(ش) (بنجم الهوى) الطبيعى (فى المصطفى صح مولدى) ولادتى : وهو طلوع النمائم نجم الحب فى المصطفى ، عادة العرب أن يجعلوا تقارنا بين الطوالع والحوادث فيقولون : من سافر فى طالع كذا كان له كذا ، فأفاد الناظم أنه ولد فى الطالع الذى يلازم من ولد فيه حبه صلى الله عليه وسلم (ف)بسبب مولدى بطلوع ذلك النجم (مازلت فيه) فى النبى صلى الله عليه وسلم (ذا) صاحب (هوى متجدد) أى يتجدد لى حبه مادمت حيا (فيامن له قلب) راعى لفظ من (له)إيراد (أوصافه صدى) عطشان نعت لقلب : أى مشتاق اشتياق الصديان على الماء (خذوا) راعى معنى من (فى امتداح) ثناء (الهاشمى محمد) صلى الله عليه وسلم (عجائب لاتنفك) لاتزال (تنمى) تزيد (وترسخ) تثبت ، ومنه قوله تعالى : « والراسخون » ومع ذلك : ◆ ولو أنها لاتنقضى لاستقلت ◆ (ص) :

مَدَائِحُ لاَتَعْدُو الْحَقِيقَةَ كلُّهَا أُرَدِّدُهَا مَاعِشْتُ لَسْتُ أَمَلُّهَا
مَدِيدٌ عَلَيْنَا فِي الْقِيَامَةِ ظِلُّهَا خَمَائِلُ مِنْ غَرْسِ الْجِنَانِ يَطُلُّهَا
جُمَانُ لِسَانٍ بِالثَّنَاءِ مُضَمَّخُ

(ش) هذه (مدائح) جمع مديحة، أو خذوا مدائح (لاتعدو) تتجاوز (الحقيقة كلها) بالرفع توكيد لضمير تعدو: أى كل ماوصفناه به حقيقة لا مجاز، لأن مادحه صلى الله عليه وسلم لم يبلغ فى مدحه حقيقة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يجاوزها إلى المجاز ويقول فيه ماليس فيه، بل ولا يصل مدح المادح معشار عشر عشر قدره، وهذا لايخفى لمن عرف قدره صلى الله عليه وسلم، ولله در البوصيرى حيث قال:

إنما فضلك الزمان وآيا تك فيما نعده آناء

(أرددها) أى أكررها مرة بعد أخرى (ماعشت) مادمت حيا (لست أملها) لاأسأم منه ولا أفتر، بل أفرح وأهتز إذا أنشدت: ٭ كالأغصان ماس رطيبها ٭ (مديد) ممدود خبر مقدم: أى طويل (علينا) معاشر المداحين (فى) يوم (القيامة ظلها) سترها مبتدأ مؤخر: أى نحن تحت ثواب المدائح يوم القيامة نستتر بها كستر الظل من تحتها، هى (خمائل) بالضم أو بالفتح على إضمار أعنى، أو بدل من عجائب جمع خميلة: وهى الشجر الملتف الكثيف (من) بعض (غرس) مغروس (الجنان) القلب (يطلها) يرشها: أى ينزل عليها الطل وهو المطر الخفيف (جمان لسان) جمع جمانة، وهى حبة تعمل من ذهب أو فضة كاللؤلؤة (بالثناء) الذكر الجميل (مضمخ) ملطخ بالطيب: أى استعار بهذا على البصاق القليل الذى هو كالجمان يخرج من فمه عند المدح: أى شبه مدحه بأشجار بستان نزل عليها الطل ففاحت رائحتها (ص):

هُوَ الْقَوْلُ بِالْحَقِّ الذِي لَيْسَ يُنْكَرُ وَمَاذَا عَسَى مِنْ وَصْفِهِ الْمَرْءُ يَذْكُرُ
وَقَدْرُ رَسُولِ اللهِ أَعْلَى وَأَكْبَرُ خَلِيلٌ حَبِيبٌ فِي الْوِلَادِ مُطَهَّرُ
جَلِيلٌ مَهِيبٌ فِي الشَّبَابِ مُشَيَّخُ

(ش) (هو) المدح (القول) الحسن (بالحق الذى ليس ينكر) يجحد ، لأنى ما أقول إلا مايجوز أن يقال : * رعينا له الحق المراعى لمثله * (وماذا عسى من وصفه) ثنائه بالجميل (المرء) اسم عسى (يذكر) بعد ثناء الله تعالى إياه (وقدر رسول الله) صلى الله عليه وسلم (أعلى) أرفع مايذكره الواصف (وأكبر) أعظم . قال ابن جزى رحمه الله :

أروم امتداح المصطفى فيردنى قصورى عن إدراك تلك المناقب
ولو أن كل العالمين تابعوا على مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأمسكت عنه هيبة وتأدبا وخوفاً وإعظاما لأرفع جانب
ورب سكوت كان فيه بلاغة ورب كلام فيه عتب لعاتب

(خليل) صديق حبيب ، وفى الحديث « إن صاحبكم خليل الله » يعنى نفسه عليه الصلاة والسلام (فى الولاد مطهر) روى عن أمه آمنة رضى الله عنها أنها قالت « ولدته نظيفاً مابه قذر» (جليل) عظيم القدر (مهيب) ذو هيبة يخافه الناس.

لم تماينه مقلة من الناس إلا شفها الرعب والحب

(فى الشباب مشيخ) أى يقتدى به كالشيخ فى حال صغره ، عن الربيع بن خيثم رضى الله عنه « كانوا يتحاكمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية لاشتهاره عندهم فى العدل والإنصاف قبل الإسلام ، وفى الحديث « إن قريشاً لما بنوا الكعبة و لمنوا موضع الركن اختصمت فى الركن أى القبائل لى رفعه ، فقالوا : تعالوا نحكم أول من يطلع علينا فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو غلام فحكموه فأمر بالركن فوضع فى ثوب ، ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فوضعه هو ، ثم طفق لايزيد على الألسن إلا رضى حتى دعوه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحى ، فطفقوا لاينحرون الجزور إلا التمسوه فيدعو لهم فيها » (ص) :

فَخَرْنَا بِهِ حَقًّا عَلَى كلِّ أُمَّـةٍ ظَلِلْنَا بِهِ فى نِعْمَةٍ أَىِّ نِعْمَةِ
مَثَابَةُ إِحْسَانٍ وَمَطْلِـعُ رَحْمَةٍ خِزَانَةُ إِلْهَـامٍ وَمَعْدِنُ حِكْمَةٍ
وَبَحْرُ عُلُومٍ بِالْهِدَايَةِ يَنْضَخُ

(ش) (فخرنا به) أى النبى صلى الله عليه وسلم، أحق ذلك (حقا على كل أمة) اتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام نقول نحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد فزنا بذلك الفخر من جميع الأمة (ظللنا) صرنا (به) بسبب كوننا أمته صلى الله عليه وسلم (فى نعمة أى نعمة) كاملة ، والمراد بها شفاعته ويقول : « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه» «يارب أمتى أمتى» كما فى حديث الشفاعة (مثابة) مرجع (إحسان) أى أن حسن الحال كله يرجع إليه ، أو يرجع إليه الناس لطلب إحسانه، ومنه قوله تعالى « مثابة للناس » (ومطلع رحمة) إما بالكسر اسم مكان أو بالفتح مصدر ، ومنه « حتى مطلع الفجر » أى هو موضع طلوع رحمة ، كما قال تعالى « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (خزانة) هى مايخزن فيها (إلهام) إلقاء معنى فى القلب على طريق الفيض ، فكأن النبى صلى الله عليه وسلم ملهما مرة بواسطة الملك ومرة بغير واسطة ، ومنه قوله تعالى « فألهمها » (ومعدن) موضع إقامة (حكمة) وهى الإصابة فى القول والعمل (وبحر) أصل (علوم بالهداية ينضخ) يرش ذلك البحر ، ومنه « فيهما عينان نضاختان » يعنى أنه يصف النبى صلى الله عليه وسلم بأنه أصل العلوم والحكم والفضائل ، وفى بعض النسخ : خزائن ، موضع حزانة ، ولجة علم ، موضع : وبحر علوم (ص) :

شَفِيعُ الوَرَى وَالْكُلُّ بِالخَوْفِ يَرْعُدُ ... إِلَى اللهِ يَسْعَى فِى الْجَمِيعِ وَيَحْفِدُ
أَتَعْرِفُهُ ذَاكَ النَّبِىُّ مُحَمَّدُ ... خَطِيبٌ لِرُسْلِ اللهِ فِى الحَشْرِ سَيِّدُ
تَتِيهُ بِهِ الدُّنْيَا وَأُخْرَى وَبَرْزَخُ

(ش) هو (شفيع الورى و) الحال (الكل بالخوف يرعد) يفزع : أى تأخذه الرعدة من الفزع ، والمراد شفاعته الكبرى ، وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم (إلى الله يسعى) يمشى ، أو يعمل (فى الجميع) فى جميع أحواله من شفاعة وغيرها (ويحفد) يسرع إلى الله فيها ، ومنه قول القانت « وإليك نسعى ونحفد » (أتعرفه) أتعرف الممدوح المذكور فيما مضى وما سيأتى (ذاك) إشارة تعظيم (النبى محمد) صلى الله عليه وسلم ، هو (خطيب لرسل الله) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . قال صلى الله عليه وسلم « وإذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم » وفى رواية « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا » الحديث (فى الحشر سيد) ولا خلاف فى سيادته صلى الله عليه وسلم فى الدارين ، لأنه (تتيه) تفتخر (به) بالسيد (الدنيا) أهلها بشرعه ودينه، أوهى نفسها بتعميرها بمواضع العبادة؛ وتقدم: به الأرض تزهى (و) تتيه به (أخرى) الآخرة ، وسميت بذلك لتأخيرها عنها (و) تتيه به (برزخ) قبر : وهو فى الأصل الحاجز؛ سمى به مابعد الموت لأنه فاصل بين الدنيا والآخرة : أى هو مابين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، ومن مات فقد دخل البرزخ. قال تعالى: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» (ص):

حُسَامُ مَضَاءٍ لَيْسَ شَىْءٌ يَرُدُّهُ ... وَشَخْصُ بَهَاءٍ كُلُّ قَلْبٍ يَوَدُّهُ
وَبَحْرُ عَطَاءٍ لَيْسَ لِلْبَحْرِ مَدُّهُ ... خِضَمٌّ بِحَارُ الْغَيْبِ دَأْباً تَمُدُّهُ
يُطَهِّرُ أَدْنَاسَ الْقُلُوبِ وَيَنْفَخُ

(ش) (حسام) سيف (مضاء) قاطع يبلى بهامة صارم من الـكفار (ليس شيء يرده) يصرفه عن قطعه إلا من لاذ بكلمة التوحيـد (وشخص) جسم (بهاء حسن (كل) صاحب (قلب) فؤاد (يوده) شرعا وطبعاً، وتقدم :

* أحب رسول الله شوقا وحسبة *

(وبحر عطاء) جود (ليس للبحر مده) زيادته وسيله، وإنما يزيده من بحره (خضم) جواد أو سيد كثير العطاء (بحار الغيب) المراد بها الوحى (دأبا) نصب على الحال : أى دائبا دائما (تمده) تزيده أبدا، وطبيعته أن (يطهر أدناس) أوساخ (القلوب وينفخ) يكسر العطش ويبردها، إشارة لـكثرة جوده ولين جانبه . والمعنى يطهر الرجس من قلوب الـكفار ويطفئ نار عداوتهم بالإسلام إطفاء الماء النار (ص) :

أَحَلَّ لَهُ اللهُ الغَنَائِمَ وَحْـدَهُ ... وَخَيَّرَهُ فَاخْتَارَ أَنْ كَانَ عَبْدَهُ

وَبِالجُنْدِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ أَمَدَّهُ ... خِتَامُ نِظَامٍ لاَ نُبُوَّةَ بَعْدَهُ

بِشِرْعَتِهِ كُلُّ الشَّرَائِعِ تُنْسَخُ

(ش) (أحل له) صلى الله عليه وسلم (الله الغنائم) جمع غنيمة (وحده) حال، دون غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وعلى من تبعهم من الأولياء (وخيره) الله بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبداً (فاختار) النبي صلى الله عليه وسلم (أن كان) كونه (عبده) إذ العبودية أحب الأشياء إليه . قال فى المواهب اللدنية وقد جاء فى الحديث « أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا ، فنظر عليه الصلاة والسلام إلى جبريل كالمستشير له، فنظر جبريل عليـه السلام إلى الأرض يشير إلى التواضع ، فاختار عليه السلام العبودية ، فما كان تواضعه عليه السلام إلى الأرض حيث أشار جبريل عليه السلام أورثه الله رفعته إلى السماء ثم إلى رفرف إلى حضرة قاب قوسين أو أدنى » (وبالجند) الجيش

(من أهل السماء امده) أعانه وزاده. قال تعالى: «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة» الآيات هو (ختام) تمام (نظام) خيط اللؤلؤ (لانبوة) نبي (بعده) إذ:

* به ختم السلك النبيئي بهجة *

(بشرعته) بشريعته ودينه المبعوث بها (كل الشرائع) الملل والأديان (تنسخ) تبطل وتقام شريعته مقامها، ومنه «ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها» وفي صحيح مسلم «لم تكن نبوة قط إلا تناسخت» (ص):

أَصَـــابَ بِهِ اللهُ المَرَامِىَ إِذْ رَمَى ‏ ‏ ‏ ‏ وَشَاءَ بِهِ أَنْ يَحْمِىَ الحَقَّ فَاحْتَمَى

وَجَاءَ أَخِـــيرًا سَابِقًا مَنْ تَقَدَّمَا ‏ ‏ ‏ ‏ خَلَتْ مِلَلٌ تَهْدِى الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى

وَمِلَّتُهُ أَهْدَى وَأَعْلَى وَأَشْمَخُ

(ش) (أصاب به) صلى الله عليه وسلم (الله المرامى إذ) حين (رمى) كما قال تعالى: «فلم تقتلوهم ولـكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت» الآية، بالحصباء مرتين: مرة ببدر، وفيه خلاف، ومرة بحنين بلاخلاف، والمراد بالمرامى: من قصدهم برميه، لأن القاتل والرامى بالحقيقة هوالله، فهوخالق فعل العبد ورميه وقدرته عليه ومشيئته، وليس في قدرة البشرتوصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينه. قاله عياض رحمه الله في الشفاء (وشاء) الله (به) بالرمي (أن يحمى) يحفظ (الحق فاحتمى) فاحتفظ: أى أن يمنع الحق فامتنع، والحق ضد الباطل (وجاء) النبي صلى الله عليه وسلم (أخيرا) حال (سابقا من تقدما) من الأنبياء. قال صلى الله عليـــه وسلم: «كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث ونحن الآخرون السابقون» وفي الخصائص عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم «لما أسرى بى قرّبنى ربى حتى كان بينى وبينه كقاب قوسين أو أدنى، وقال لى: يامحمد! هل غمك أن جعلتك آخر

النبيين ؟ قلت : لا . قال : فهل غم أمتك لأن جعلتهم آخر الأمم ؟ قلت : لا قال : أخبر أمتك أنى جعلتهم آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم ولا أفضحهم عند الأمم » (خلت) مضت ، ومنه : « تلك أمة قد خلت» (ملل) جمع ملة : أى دين (تهدى) الملل (القلوب من العمى) الجهل « فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (وملته) دينه (أهدى) من مللهم ، لأنها منسوخة وملته ناسخة (وأعلى) أرفع منزلة (وأشمخ) أطول (ص) :

فَضَائِلُهُ أَنْدَى وُقُوعاً مِنَ النَّدَى ذَوَابِلُهُ مَشْحُوذَةٌ لِمَنِ اعْتَدَى
شَمَائِلُهُ مَعْسُولَةٌ لِمَنِ اجْتَدَى خَلاَئِقُهُ عُلْوِيَّةُ الْبَأْسِ وَالنَّدَى
فَمَا شَبَّ إِلاَّ وَهُوَ يُسْدِي وَيُصْرِخُ

(ش) (فضائله) أى طبائعه (أندى) أكثر خيرا ونفعا (وقوعا) سقوطا تمييز (من الندى) المطر (ذوابله) رماحه: وهى التى لاتقطع من منابتها إلا بعد يبسها ، فهى أجود الرماح (مشحوذة) محدودة مصقولة (لمن اعتدى) جاوز حدود الشريعة :

دهى الشرك منه مشرفى مهند ورمح رديني ومهم مسدد

(شمائله) طبائعه (معسولة) مجعول فيها عسل : أى تميل النفوس إليها ، كميلها إلى طعام جعل فيه العسل (لمن اجتدى) طلب الجدوى : وهى العطية ، وهى الإتيان بكلمات مرتبات ، وهى فى شمائله (خلائقه) طبائعه (علوية البأس والندى) فيعة بأسه ونداه ، إشارة إلى جوده وشجاعته (ف)بسبب ذلك (ماشبّ) كبر (إلا وهو يسدى) يعطى (ويصرخ) يغيث ، ومنه : « ماأنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخىّ » (ص) :

نُفُوسُ الْهُدَى أَضْحَتْ بِهِ وَهْيَ صَبَّةٌ وَلِلْوَصْفِ وَالْمَوْصُوفِ مِنْهُ مَحَبَّةٌ

فَلِلّهِ مِنْهُ وَالشَّمَائِلُ عَـــذْبَةٌ خَصِيبُ فِنَاءِ الجُودِ وَالأَرْضُ جَدْبَةٌ
رِكَابُ الأَمَانِي فِي ذُرَاهُ تَنَوَّخُ

(ش) (نفوس) أهل (الهدى أضحت) كانت (به) صلى الله عليه وسلم (وهى) النفوس (صبة) عاشقة مشتاقة (بالوصف والموصوف منه) أى النبى (محبة) أى وللنفس التى هداها الله أن تحب وصفاً وذاتاً من النبى صلى الله عليه وسلم (فلله منه) فالعجب من قدرة الله الذى خلقه ، أو فلله در خصيب فناء الجود (والشمائل) طبائعه (عذبة) حلوة ، ومنه : « عذب فرات » (خصيب) كثير الخصوبة ، وتقدم :

* لهم عنده ظل وريف وغيث *

(فناء الجود) وفناء الدار : ما امتد من جانبها ، فاستعاره هنا لسعة جوده صلى الله عليه وسلم (و) الحال (الأرض جدبة) ضد خصب (ركاب) إلى أهل (الأمانى) جمع أمنية : هو الشىء المتمنى (فى ذراه) كنفه وجانبه ، أو جاهه وستره (تنوخ) تبرك : أى أعطى الله نبيه الإحسان (ص) :

تَمَذْهَبَ بِالْإِحْسَانِ أَكْرَمَ مَذْهَبِ فَعَمَّ بِهِ مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
فَلِلّهِ سَيْبٌ مِنْ نَدَاهُ كَصَيِّبِ خَصِيبُ فِنَاءِ الجُودِ لاَ كَفُّ مُطْلِبِ
تُرَدُّ وَلاَ وَجْهُ احْتِيَاجٍ يُوَبَّخُ

(ش) (تمذهب) اتخذ وتمسك (بالإحسان أكرم) أفضل (مذهب) أى اتخذ دين الإسلام أفضل اتخاذ (فعم به) بالإحسان (ما) زائدة (بين شرق ومغرب) والمراد الدنيا كلها (فلله) در (سيب) عطاء (من نداه) جوده الذى هو فى كثرة وقوعه (كصيب) مزن أخضل الأرض ودقه ، ومنه : « أو كصيب من السماء » (خصيب) كثير الخصب (فناء الجود لا كف مطلب) أى ذى طلب:

يعنى سائلا (ترد ولاوجه احتياج) أى ذى حاجة (يوبخ) يلام : أى ينكسر برجوعه بغير نيل مراده (ص) :

قَرِيبُ المَدَى لِلنَّاظِرِينَ بَعِيدُهُ شَرِيفٌ نَمَتْهُ لِلْعَلَاءِ جُدُودُهُ
وَحِيدٌ وَآلَافُ السَّمَاءِ جُنُودُهُ خَمِيصٌ وَأَمْلَاكُ الْبِلَادِ عَبِيدُهُ
وَأَقْطَارُهُمْ بِالذُّعْرِ مِنْهُ تُدَوَّخُ

(ش) (قريب المدى) الغاية (للناظرين بعيده) أى قريب مداه : يعنى أن أقرب مداه هو منتهى النظر للناظرين ، فهو كما قال البوصيرى رحمه الله :

فمبلغ العلم فيــه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

أومعناه قريب غايته لـكونه آدمياً، وماتضمنته من أوصافه بعيد من أوصاف الآدميين لأنها أوصاف أملاك * حلى آدمى خلقه ملـكية *

أومعناه قريب الغاية لأصحاب النظر ، و بعيده للواصفين والمداحـين كما قال و صيرى :

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى فى القرب والبعد منه غير متفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من أمم

هو (شريف) رفيع الدرجة (نمته) نسبته وزادته رفعــة (للعلاء جدوده) أى أجداده لـكونهم شرفاء الشرق . وفى قصــة هرقل مع أبى سفيان بن حرب : فقال لترجمانه « قل له : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذونسب ، وكذلك الرسل تبعث فى أنساب قومها » الحديث (وحيد) منفرد بخصوصية (و) الحال (آلاف) جمع ألف سكان (السماء) الذين يألفونها (جنوده) جيوشه، وتقدم :

* و بالجند من أهل السماء أمده * هو (خميص) ضامر البطن من جوع اختياراً (و) الحال (أملاك البلاد) جمع ملك ، وهو أحد ملوك الدنيا

« كان صلى الله عليه وسلم يشد على بطنه الحجر والحجرين من الجوع » أخرجه الترمذى وغيره ، ولم يكن هذا منه عليه الصلاة والسلام اضطراراً ، وإنما كان منه اختياراً ؛ وقد نبه هذا العالم على ذلك حيث قال : وأملاك البلاد عبيده . ومن الدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « عرض علىّ ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً أوفضة ، فقلت : لايارب أجوع يوما وأشبع يوما ، فإذا جعت تضرّعت إليك ، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك » (وأقطارهم) جمع قطر : أى جانب الملوك ، يعنى قلوبهم (بالذعر) الفزع (منه) صلى الله عليه وسلم (تدوّخ) توطأ وتذل ، أو تقهر وتغلب : أى يستولى على أهلها بعد قهرها (ص) :

مَكَارِمَ أَخْـلَاقٍ تَمَلَّكَ سَرْوَهَا ... فَفَارَقَ إِعْجَابَ النُّفُوسِ وَزَهْوَهَا

وَإِذْ قَصَدَ الْأُخْرَى وَصَوَّبَ نَحْوَهَا ... خَطَا خُطْوَةً لَمْ يَبْلُغِ الْخَلْقُ شَأْوَهَا

فَنَحْنُ بِهَا دُونَ الْبَرِيَّةِ نَبْذَخُ

(ش) (مكارم أخلاق) التى هى المجموعة فى قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » : أى هذه المذكورات مكارم أخلاق (تملك سروها) مروءاتها فى شرف وسخاءها (ف)إنه صلى الله عليه وسلم (فارق إعجاب النفوس وزهوها) كبرها وفخرها (وإذ) حين (قصد الأخرى) الآخرة (وصوّب نحوها) رأى طريق قصدها ثوابا أونزل جهتها ، والصوب : النزول (خطا) مشى (خطوة) مشية ، مثلثة الخاء (لم يبلغ الخلق) لم يصل أحد من المخلوقات (شأوها) غاية تلك الخطوة ، وجملة لم يبلغ الخ صفة لخطوة (فنحن بها) بتلك الخطوة (دون البرية) دون غيرها من الخلق (نبذخ) نفتخر بها ونتكبر ونشمخ على أعدائنا ، ودون حال ، والمراد أن الإسراء خاص بنبينا عليه الصلاة والسلام دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ص) :

فَلِلَّهِ عَبْدٌ مِنْهُ أَحْظَتْهُ طَاعَةٌ أَوَامِرُ مَوْلَاهُ لَدَيْهِ مُطَاعَةٌ
سَتَبْدِى مَزَايَاهُ الْعَلِيَّةَ سَاعَةٌ خَبِيئَتُهُ عِنْدَ الْإِلَهِ شَفَاعَةٌ
لِأُمَّتِهِ وَالْجَاهُ يُبْنَى وَيُفْسَخُ

(ش) (فلله) فالعجب لله، أو لله درّ (عبد منه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (أحظته طاعة) أى جعلته الطاعة ذاحظوة ومنزلة عندالله، وعود الضمير فى منه إلى النبى تجريد (أوامر) جمع أمر (مولاه) ناصره (لديه) لدى النبى صلى الله عليه وسلم (مطاعة) أى كل ما أمره الله بفعله فعله، وكل مانهاه عنه تركه، والأمر إن أريد به القول الطالب للفعل على سبيل الاستعلاء جمع على أوامر، وإن أريد به الفعل والشأن جمع على أمور (ستبدى) ستظهر وتبين (مزاياه) فضائله (العلية ساعة) يوم القيامة (خبيئته) مخبوءته: أى ماستره (عند الإله) المعبود بحق (شفاعة لأمته) قال صلى الله عليه وسلم: «لكل نبى دعوة مستجابة، واختبأت دعوتى شفاعة لأمتى» (و) الحال (الجاه يبنى) يعطى لمن لم يكن له جاه فى الدنيا، يعنى المؤمنين (ويفسخ) ينقض للكافرين. والمعنى أن الجاه يبنى لقوم شفع لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويفسخ جاه من لم يشفع لهم (ص):

أَجَلُّ الْوَرَى مَنْ فَاتَ مِنْهُمْ وَمَنْ بَقِى وَفِىٌّ كَرِيمٌ لَا يَخِيسُ بِمَوْثِقِ
جَدِيرٌ بِصِدْقِ الْحُبِّ مِنْ كُلِّ مُتَّقِ خَلِيقٌ بِكُلِّ الْمَدْحِ مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ
رَسُولٌ بِمَسْرَاهُ الدُّنُوُّ يُؤَرَّخُ

(ش) (أجلّ) أعظم (الورى) الخلق جاها (من فات منهم) بدل بعض من كل: أى من مضى من الخلق (ومن بقى) من لم يمض منهم (وفىّ) للعهد (كريم) مخرج من كرام (لا يخيس بموثق) لا يغدر العهد ولا ينقض. قال القاضى رحمه الله: وقال جامع بن شداد: «كان رجل منا يقال له طارق، فأخبر أنه رأى

النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة . فقال هل معكم شئ تبيعونه ؟ قلنا هذا البعير . قال بكم ؟ قلنا بكذا وكذا وسقاً من تمر ، فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة . قلنا بعنا من رجل لاندرى من هو ومعنا ظعينة . فقالت أنا ضامنة لثمن البعير ، رأيت وجه الرجل مثل القمر ليلة البدر لايخيس بكم ، فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال : أنا رسول رسول الله إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا » هو (جدير) حقيق (بصدق الحب) أى بالحب الصادق (من كل متق) أى كل من يتق الله ، فجدير أن يحبه بالحب الصادق : أى لمن منحه دنياه وأخراه (خليق) جدير (بكل المدح) نظماً ونثراً (من كل منطق) بالعربية والعجمية : * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم *

هو (رسول بمسراه) إسرائه بالليل (الدنو) القرب (يؤرخ) من التاريخ . والمعنى الدنو كائن فى مسراه ، وذلك الإسراء يؤرخ (ص) :

لَهُ أَعْطَتِ الأَيَّامُ أَسْلَسَ مِقْوَدِ   وَأَذْعَنَتِ الأَوْثَانُ بَعْدَ تَمَرُّدِ
فَكَمْ مُنْشِدٍ فِى ذِكْرِهِ وَمُرَدِّدِ   خَبَتْ نَارُ إِبْلِيسٍ بِنُورِ مُحَمَّدِ
فَوَلَّى عَلَى أَعْقَابِهِ وَهْوَ يَصْرُخُ

(ش) (له) للنبى صلى الله عليه وسلم (أعطت) أصحاب (الأيام) أو الأيام نفسها (أسلس) أهون وأسهل (مقود) هو حبل يشد فى الزمام واللجام تقاد به الدابة (وأذعنت) أطاعت أصحاب (الأوثان) جمع وثن : وهو كل مايعبد غير الله، أو الأوثان نفسها كما فى دخوله مكة (بعد تمرد) تجردها للشر (فكم) كثير (منشد) رافع صوت : أى ناظم شعرا (فى ذكره) ثنائه (و) كم (مردد) فى ذكره مرة بعد أخرى . يقول (خبت) طفئت (نار إبليس) التى استوقدها ليهلك الناس بضوئها (بنور محمد) صلى الله عليه وسلم (فولى) إبليس اللعين (على أعقابه)

جمع عقب: هو ما أصاب الأرض من مؤخر الرجل إلى موضع الشراك (و) الحال (هو بصرخ) يصيح صيحة ، ولعله أراد قوله تعالى « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون » الآية ، أوالمراد بنار إبليس التى خبت عبادة الأصنام والسجود للأوثان وما كان يأمرهم به من الضلال، أو الطغيان والفسوق والعصيان ، فأنار ذلك بنورالإسلام ودين محمد صلى الله عليه وسلم (ص) :

أُبِيحَتْ لَهُ الْأَرْزَاقُ فى ظِلِّ رُمْحِهِ فَلَاذَ أَبُوسُفْيَانَ مِنْــــهُ بِصُلْحِهِ
وَظَلَّتْ بِنَصْرِ اللهِ ثُمَّ بِفَتْحِهِ خَفَافِيشُ أَهْلِ الْأَرْضِ تَعْشَى بِصُبْحِهِ
وَهَامُهُمُو طُرًّا بِكَفَّيْهِ تُشْدَخُ

(ش) (أبيحت) أجيزت (له) للنبى صلى الله عليه وسلم (الأرزاق) الغنائم (فى ظل رمحه) قال صلى الله عليه وسلم « جعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى» (فلاذ) التجأ (أبو سفيان منه) من النبى صلى الله عليه وسلم، أو من الرمح (بصلحه) يوم فتح مكة، وخبر فتح مكة معروف فلا نطيل بذكره (وظلت) كانت (بنصر الله) للنبى صلى الله عليه وسلم (ثم بفتحه) له: يعنى فتح مكة (خفافيش) اسم ظلّ ، جمع خفاش : وهو الوطواط (أهل الأرض تعشى) تضعف ، خبر ظلت (بصبحه) بشرعه ودينه، والمراد بالخفافيش هنا: ملوك الأرض ورؤساؤهم ؛ شبههم بالخفافيش تحقيرا لهم (و) ظلت (هامهمو) رءوسهمو (طرا) جميعا حال (بكفيه تشدخ) تكسر بكفى أصحابه ومتبعى أصحابه .

ص) :

دَنَا فَتَدَلَّى حُظْوَةً وَمَبَرَّةً وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ عَايَنَ اللهَ جَهْرَةً

وَلا غَرْوَ فَهْوَ الْحِبُّ وَالْخِلُّ أُثْرَةً — خَصَائِصُهُ فَاتَتْ يَدَ الْعَدِّ كَثْرَةً

وَلَوْ أَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُمْلِي وَيَنْسَخُ

(ش) (دنا) قرب جهرة (فتدلى) زاد فى القرب (حظوة) مكانة تمييز (ومبرة) طاعة وإحسانا : * دنوّ اصطفاء لا دنوّ مكانة * (وقد قال قوم) منهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما (عاين الله) شاهده (جهرة) عياناً بعينى رأسه مرتين ، الطبرانى فى الأوسط بسند صحيح أنه كان يقول « إن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده » وحكى ابن إسحاق «أن مروان سأل أبا هريرة رضى الله عنه: هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقال : نعم » . وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : أنا أقول بحديث ابن عباس رضى الله عنهما : رآه رآه حتى انقطع نفسه ، يعنى نفس أحمد (ولا غرو) عجب فى ذلك (فهو الحبّ والخلّ) أى هو حبيب الله وخليله ، والجملة كالتعليل لما قبله (أثرة) فضيلة، تمييز، أومفعول له: أى لأجل اختيار الله إياه، فهما (خصائصه) ماخصه الله به من الكرامات (فاتت) غلبت (يد) صاحب (العدّ كثرة) تمييز بالنسبة للعد (ولو) حرف إعياء (أن من فى الأرض) ملكا وجنا وإنساً (يملى) يقرى ، ومنه قوله تعالى : « فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (وينسخ) يكتب ، أو جواب لولا محذوف تقديره لما أحصاها ، وقد حفظ أهل السير ألفاً ومائتى خصيصة (ص) :

فَمَنْ مِثْلُهُ فِي الْعَالَمِينَ جَلاَلَةً — هُوَ الْأُبُّ وَاعْدُدْ مَنْ عَدَاهُ نُخَالَةً

أَحَالَتْ لَهُ الْعَادَاتِ رَبْطًا إِحَالَةً — خُرُوقٌ كَأَمْثَالِ النُّجُومِ دَلاَلَةً

تَنَاقَلَهَا شِيبٌ ثِقَاتٌ وَشُرَّخُ

(ش) وإلا (فمن مثله) أى لا نظير له ولا شبيه (فى العالمين جلالة) تمييز

(هو اللب) الحب الخالص (واعدد من عداه) من جاوز هذا الكلام المتقدم وتركه فعدل عنه (نخالة) ساقطة ، أو واعدد من عدى شرعه الخالص وجاوز أمره وكفر به نخالة كما سيأتى : * هو المنتقى والكل منهم حثالة

وهذا أحسن ممن يفسر عداه بسواه أن يدخل فى ذلك النبيون عليهم الصلاة والسلام ، وهم أعظم من أن ينسبوا إلى النخالة (أحالت) خرقت (له) صلى الله عليه وسلم (العادات) مفعول أحالت (ربطاً) مفعول له (إحالة) خرقا مصدر لفظى منصوب على المفعول المطلق، وفاعل أحالت (خروق) جمع خرق ، وهو انفصال الأمور عن ملازمها : أى معجزات العادات ، أوهو جواب عن سؤال مقدر كيف إحالتها قال خروق (كأمثال النجوم دلالة) تمييز من انشقاق القمر، ونطق العجماء ، وكلام الضب والظبية والذئب ، وإحياء الموتى ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وسلام الحجر عليه والشجر ، كل واحدة من هذه المعجزات (تناقلها) رواها : أى من النقول به الرواية (شيب) جمع أشيب : وهو الشيخ (ثقات) عدول (وشرخ) جمع شارخ : وهو الشاب (ص) :

شَفَا كُلَّ أَدْوَاءِ القُلُوبِ بِطِبِّهِ فَرَدَّ إِلَى التَّــنْزِيهِ كُلَّ مُشَبِّهِ
وَإِذْ بَانَ لِي مِقْدَارُهُ عِنْدَ رَبِّهِ خَتَمْتُ عَلَى قَلْبِي بِطَابِـعِ حُبِّهِ
فَهَاأَنَا أَبْأَى مِلْءَ قَلْبِي وَأَشْمَخُ

(ش) (شفا) أبرأ النبى صلى الله عليه وسلم (كل أدواء القلوب) من كفر ونفاق (بطبه) والمراد به هنا آيات القرآن ، لما فيها من المواعظ الداعية إلى عبادة الرحمن (فردّ إلى التنزيه) التقديس والتطهير (كل مشبه) أى كل من يشبه الله بما لايليق به إلى التنزيه من سمات المحدثين (وإذ) حين (بان) ظهر (لى مقداره) درجته ورفعة قدره وشرفه (عند ربه) خالقه ومالكه (ختمت)

فطيت (على قلبي بطابع حبه) هو مايطبع به حتى لايدخله شيء ، ومنه : « ختم الله على قلوبهم » (فها أنا أبأى) أفتخر (ملء قلبي) مقدار مايملؤه ، ومنه : « فان يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً » (وأشمخ) أرفع أنفى .

جَلِيلُ أُناسٍ مُصْطَفَىً مِنْ أَجَلِّهِمْ ... أَتَاهُمْ بِعِلْمِ الْوَحْيِ نَفْياً لِجَهْلِهِمْ

فَلَمَّا بَدَا لِي أَنَّهُ أَصْلُ فَضْلِهِمْ ... خَصَصْتُ بِمَدْحِي سَيِّدَ النَّاسِ كُلِّهِمْ

عَسَى رَوْعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَفْرِخُ

(ش) هو (جليل) عظيم (أناس مصطفى) مختار (من أجلهم) أعظمهم ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسمعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » (أتاهم) جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم (بعلم الوحى) القرآن (نفياً) مفعول له (لجهلهم) وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الذى أوتيته وحياً أوحاه الله » . وقال تعالى : « إن هو إلا وحى يوحى » (فلما بدا) ظهر (لى أنه) صلى الله عليه وسلم (أصل فضلهم) أى الناس وسيدهم ، وجواب لما (خصصت بمدحى سيد الناس كلهم) القائل : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » (عسى روعتى) فزعتى وحزنى (يوم القيامة تفرخ) تذهب وتكشف همى وحزنى لأجل مدحى إياه (ص) :

سَلاَ قَلْبُ مَنْ يَسْلُو وَقَلْبِي مَاسَلاَ ... وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَاخَلاَ حُبَّهُ خَلاَ

يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَ وَتَرْحَلاَ ... خِفَافُ الْمَطَايَا نَحْوَهُ تَسِمُ الْفَلاَ

وَلَيْسَ لَهَا إِلاَّ الْعَقِيقَ مُنَوَّخُ

(ش) (سلا) نسى وزال (قلب من يسلو) قلب من يزول عن حبه وينسى (وقلبى ماسلا) ما انكشف قلبى عن حب زيارته ولو كنت بعيداً عنه

* حرام على قلبي سلوّ لبعده * (و) قلبي (عن) حب (كل شئ ماخلا حبه) ماعدى حب النبي صلى الله عليه وسلم (خلا) أي فرغ (يعز) يشق (علينا أن نقيم) أي قيامنا (وترحلا) من الارتحال (خفاف) جمع خف: هو للبعير كالظفر للإنسان (المطايا) الإبل (نحوه) نحو النبي صلى الله عليه وسلم (تسم) تؤثر وتعظم (الفلا) الصحراء بسرعة (وليس لها) للمطايا (إلا العقيق) هو واد بظاهر المدينة (منوخ) مبرك: المراد به المدينة المشرفة (ص):

عَلَى كُلِّ صَبٍّ أَنْ يَمُوتَ بِوَجْدِهِ ... نُزُوعًا إِلَى قَبْرِ الرَّسُولِ وَقَصْدِهِ
دَهَتْنِي اللَّيَالِي بِالدَّوَاهِي لِفَقْدِهِ ... خَبَرْتُ زَمَانِي وَالْمَكَانَ بِبُعْدِهِ
فَيَوْمِيَ عَامٌ فِيهِ وَالشِّبْرُ فَرْسَخُ

(ش) (على كل صب) كثير الشوق (أن يموت) الموت (بوجده) بحبه (نزوعا) اشتياقا (إلى قبر الرسول) صلى الله عليه وسلم (وقصده) الرسول أوالقبر (دهتني الليالي بالدواهي) جمع داهية: وهي الأمور العظام من نوائب الدهر (لفقده) لأجل عدم زيارته (خبرت) بلوت وجربت (زماني) والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيره (و) خبرت (المكان ببعده) أي مكاني، والمكان هو الموضع الذي يجلس فيه (فيومي) هو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس (عام) كالعام طولا (فيه) أي لأجل فقده، ويحتمل في الزمان أو المكان (والشبر) فيه (فرسخ) طولا، والشبر إذا كان بخنصرك إلى إبهامك فهو شبر، وبالإبهام إلى سبابتك فهو فتر، والفرسخ ثلاثة أميال، وإنما قال ذلك لأجل بعد النبي صلى الله عليه وسلم وعدم الوصول إليه، فهو كئيب حزين؛ لأجل ذلك يوم الحزن طويل ويوم الفرح قريب.

هنا انتهى حرف الخاء ويتلوه حرف الدال إن شاء الله، والله المستعان.

قافية حرف الدال

لما كان الناس معتنين بالأذكار ، وأفضلها مدح النبي الأمي المختار بين المصطفين الأخيار حضهم على ذلك فقال (ص) :

أَلاَ فَاذْكُرُوا اُخْتَارَ تَحْظَوْا بِخَيْرِهِ وَفِي كُلِّ قَصْدٍ فَلْتَسِيرُوا بِسَيْرِهِ
وَإِنْ تَشْتَرُوا نَفْعَ الْكَلاَمِ بِضَيْرِهِ دَعُوا لِامْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى مَدْحَ غَيْرِهِ
فَذِكْرُ رَسُولِ اللهِ أَعْلَى وَأَمْجَدُ

(ش) (ألا) انتبهوا (فاذكروا المختار) بين المصطفين الأخيار نظما ونثراً مسرمداً إن أطقتم (تحظوا) مجزوم على جواب شرط مقدر : أى تصيبوا الحظوة (بخيره) بخير المختار، أوخير الذكر الجميل (وفى كل قصد) سبيل (فلتسيروا بسيره) أى اعملوا بسنته فى كل قصد : أى عمل ، وعنه عليه الصلاة والسلام : « من اقتدى بى فهو منى ، ومن رغب عن سنتى فليس منى » . وعنه عليه الصلاة والسلام : « عمل قليل فى السنة خير من عمل كثير فى بدعة » . وعنه عليه الصلاة والسلام : « إن الله ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها» (و إن تشتروا) تتبدلوا (نفع الكلام) الكلام النافع بدل الضار ، ومنه : « ولا تشتروا بآياتى » (بضيره) بضره ، ومنه « قالوا لا ضير » وجواب الشرط (دعوا) اتركوا (ل)أجل (امتداح المصطفى) المختار (مدح غيره) ومدحه هو الكلام النافع ، ومدح غيره هو الكلام الضار (فذكر) مدح (رسول الله أعلى) من ذكر غيره (وأمجد) أشرف منه ، والجملة كالتعليل لما قبله (ص) :

بِذِكْرِ رَسُولِ اللهِ أَسْمُو وَأَعْتَلِي وَقَلْبِي إِلَيْهِ بِالصَّبَابَةِ يَصْطَلِي

وَلَيْسَ سِوَاهُ مَطْلَبِي وَمُؤَمَّلِي   دَلِيلُ الوَرَى وَاللَّيْلُ بِالصُّبْحِ يَنْجَلِي
شَفِيعُهُمُ وَالنَّارُ بِالنُّورِ تُخْمَدُ

(ش) (يذكر) ثناء (رسول الله) صلى الله عليه وسلم (أسمو) أرتفع (وأعتلى) عطف مرادف (وقلبي إليه) صلى الله عليه وسلم (بالصبابة) بسبب الشوق (يصطلى) يحترق، ومنه: «لعلكم تصطلون» (وليس سواه) غير النبي صلى الله عليه وسلم (مطلبي ومؤملي) لا أطلب ولا آمل إلا إياه صلى الله عليه وسلم (دليل الورى) الخلق إلى الهدى (و) الحال (الليل بالصبح ينجلي) ينكشف: أي أن ليل الكفر ينكشف بصبح بعثته ووحيه «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» وسيأتي:

محا ظلم الإشراك نور ولادة   ولا عجب فالليل بالصبح يهزم

(شفيعهم) أي الورى (و) الحال (النار بالنور تخمد) تطفأ. والمعنى الخلق بشفاعته ينجون من النار. وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «إذا كان يوم القيامة يقول الله يا محمد: إنّ لى إليك حاجة. فأقول: وهل تكون للخالق عند المخلوق حاجة؟ فيقول بلى، وما حاجتك يارب؟ فيقول: حاجتى إليك اليوم ألا تنزلنى منزلة البخلاء. اسألنى اليوم فوعزتى وجلالى لو سألتنى اليوم يا محمد للكافرين لقضيت حاجتك؛ فاطلب منى مايطلب العبد الفقير إلى السيد الكريم. اسألنى اليوم يا محمد ما أحببت حتى أقضى لك ماسألتنى لكرامتك علىّ» (ص):

فَمَنْ شَكَّ فِيهِ حِينَ يُذْكَرُ أَفْكَلُ   تُحَمُّ بِهِ أَحْشَاؤُهُ وَتَغَلْغَلُ
وَفِيهِ لَنَا مِنْ لَوْعَةِ الشَّوْقِ سَلْسَلُ   دَوَاءٌ بِأَدْوَاءِ القُلُوبِ مُوَكَّلُ
فَمَنْ شَكَّ فِي الإِبْرَاءِ فَالحِسُّ يَشْهَدُ

(ش) (فمن شك فيه) فى النبى صلى الله عليه وسلم (حين يذكر) أى فضائله

ومآثره (أفـكل) أرعد (تحم) تحرق ، أو تسخن (به) بذكره (أحشاؤه) جمع حشا : وهو ما انضم عليه الضلوع (وتغلغل) تضطرب ، وفى بعض النسخ : بمن ثلك بالباء وهى الظاهر وهى الظرفية ، هـذا وصف الحاسد مثل اليهود فانهم أنكروا القرآن والنبوّة حسداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى فـكل من حسد النبى صلى الله عليه وسلم إذا ذكر عنه النبى تأخذه الرعدة من خوف ورهبة (وفيه) فى ذلك الذكر (لنا) معشر المداحين (من لوعة) حرقة (الشوق) الحب (سلسل) ماء عذب ، أو رقّة الجسم من حرقة الحب ، هو (دواء) مايتـداوى به (بأدواء القلوب) بأمراض الأفئدة من الإشراك والـكفر والنفاق (موكل) أى وكان النبى صلى الله عليه وسلم أنفع من كل داء حيث أبرأ أعظم كل داء . فطهر القلوب من الإشراك والـكفر والنفاق ، والأبدان من الأسقام والأمراض ، وزال ما كان بين الناس من الشقاق والخـلاف ، فصاروا إخوانا كما قال تعالى : « فأصبحتم بنعمته إخوانا » (فمن شك فى الإبراء) فى إبرائه الأمراض من كفر ونفاق (فالحس) النظر (يشهد) بأنه هدى الإنس والجن ، ومنه : « فلما أحسوا بأسنا » (ص) :

تَمَسَّكَ بِالْوُثْقَى مِنَ الْحَقِّ عُرْوَةً ... فَأَرْسَلَهُ مَوْلَاهُ لِلْخَلْقِ قُدْوَةً

وَحِينَ سَطَا بِالْإِفْكِ وَالزُّورِ سَطْوَةً ... دَعَا الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ دَعْوَةً

إِلَى الْحَشْرِ فِي أَسْمَاعِهِمْ تَتَرَدَّدُ

(ش) (تمسك) أخذ النبى صلى الله عليه وسلم (بالوثقى) القوى (من) للبيان (الحق عروة) تمييز، العروة: الحبل، أى أخذ النبى صلى الله عليه وسلم العروة الوثقى الذى هو الحق (فأرسـله) صلى الله عليـه وسلم (مولاه) ربه وناصره (للخلق قدوة) حال: إلى طريق الحق (وحين) إذ (سطا) بطش وقهر ، ومنه :

« يكادون يسطون » (بالإفك والزور) معناهما واحد (سطوة) قهرة : أى حين قهر الذين يأفكون ويكذبون به قهرة (دعا الثقلين) سمى به لأنهما أثقلا الأرض (الإنس والجن دعوة) واحدة : أى أعلم الإنس والجن أن البعث حق ، والآخرة حق ، وأن الله يدخل من أطاعه الجنة ومن يعصيه النار (إلى الحشر) يوم القيامة (فى أسماعهم) آذانهم (تتردد) تلك الدعوة : أى ليس للثقلين داع بعد دعوته صلى الله عليه وسلم (ص) :

دعَاهُمْ فَلَبَّى مَنْ حَدَتْهُ عَلاَقَةٌ وَقَدْ آنَ مِنْ سُكْرِ اللَّجَاجِ إِفَاقَةٌ
وَمَنْ لَمْ يُجِبْ طَوْعاً فَلِلسَّيْفِ طَاقَةٌ دِمَاءُ الْهَوَادِى إِنْ عَصَتْهُ مُرَاقَةٌ
بِعَضْبٍ مِنَ التَّوْحِيدِ لاَ يَتَقَصَّدُ

(ش) (دعاهم) ناداهم إلى الدخول للإسلام (فلبى) أجاب نداءه (من حدته) ساقته (علاقة) محبة : أى من أحبه الله فقدّر له السعادة (و) الحال (قد آن) حان (من سكر اللجاج) التمادى فى الخصومة (إفاقة) انتباه من شدة الرأس (ومن لم يجبه) (طوعا) حال : أى طائعاً (فللسيف طاقة) قدرة قاهرة على رده على رغم أنفه ، وهو من إقامة المؤثر مقام التأثير : أى فيقطع رأسه بالسيف (دماء الهوادى) جمع هاد : وهو العنق ، وكل ماتقدم من شىء فهو هاد ، والمراد هنا أوائل الخيل تطلع من الجيش : أى دماء أصحابها إن لم يسلموا أو يعطوا الجزية (إن عصته) خالفته (مراقة) مصبوبة هدراً (بعضب) بسيف قاطع كان من يد أهل (من التوحيد) أى من يد أهل : لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايتقصد) لايتكسر ، ولعل هذا إشارة إلى دوام الجهاد بيننا وبين الكفار مالم يسلموا أو يؤدوا الجزية (ص) :

قَرِيبٌ وَإِنْ شَطَّتْ إِلَيْهِ الْمَفَاوِزُ أَحَبَّتْهُ مِنْ سِرِّ النفُوسِ غَرَائِزُ

فَطُوبَى لِمَنْ أَضْحَى بِهِ وَهُوَ فَائِزُ　　دِيَانَتُهُ سِتْرٌ عَنِ النَّارِ حَاجِزُ
فَمَنْ ضَلَّ عَنْهَا فِي الْعَذَابِ مُخَلَّدُ

(ش) (قريب) منا لشدة علاقتنا به (وإن) حرف إغياء (شطت) بعدت (إليه) النبي صلى الله عليه وسلم (المفاوز) الصحراوات (أحبته) أى النبي صلى الله عليه وسلم (من سر النفوس) أى من سر نفوسهم (غرائز) طبائع الناس وطبائعهم أحبته فى خيار أنفسهم (فطوبى) الجنة كأن (لمن أضحى) كان (به وهو فائز) بزيارته ناج بذلك، أوفرح وقرة عين ثابت لمن أضحى متلبساً به، وهو فائز جملة مستأنفة (ديانته) جمع دين (ستر) وقاية (عن النار حاجز) مانع، وأل للجنس، وتقدم　* فما هو إلا من جهنم جنة *　ومنه قوله تعالى: «وجعل بين البحرين حاجزاً» (فمن ضل عنها) أى الديانة وأبى الانقياد إليها (فى العذاب مخلد) وفى نسخة: فالعذاب المخلد: أى فمن ضل عن الديانة فله العذاب المخلد ثابت إن لم يتب ويرجع إلى الإسلام (ص):

مَخَائِلُهُ أَبْهَى مِنَ الشَّمْسِ غُرَّةً　　شَمَائِلُهُ كَالشَّهْدِ طِيبًا وَخُبْرَةً
فَضَائِلُهُ كَالرَّوْضِ حُسْناً وَنَضْرَةً　　دَلاَئِلُهُ كَالشُّهْبِ نُورًا وَكَثْرَةً
فَلاَ الزُّورُ يَسْتَهْوِي وَلاَ الْحَقُّ يُجْحَدُ

(ش) (مخائله) علاماته وأماراته جمع مخيلة: أى علامة نبوّته ومعجزاته الواضحة (أبهى) أحسن (من الشمس غرّة) بياضاً وأجمل منها، كما تقدم:

* لقد بهرت شمس الضحى معجزاته *　وغرة تمييز (شمائله) طبائعه الشاملة له على جميع أنواعها (كالشهد) كالعسل فى شمعها (طيباً) حلواً تمييز (وخبرة) تجربة. ومعنى الشبه بينهما فى التجربة أنك إذا اختبرته وجدته طيباً يحبه الطبع، كما أن الشهد كذلك (فضائله كالروض) جمع روضة (حسناً

ونضرة) لمعاً، أو تنعماً، أو حسناً ورونقاً ، ومنه : «تعرف فى وجوههم نضرة النعيم» (دلائله) جمع دليلة : هى مايستدل به على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (كالشهب) كالنجوم (نوراً) تمييز (وكثرة) هذا كله تمثيل وتشبيه (فلا الزور) الكذب (يستهوى) يستميل ويغلب ويضل أحداً منا ، ومنه : «واجتنبوا قول الزور» . وقيل يستهوى يتحير : أى لايتحير الإنسان حتى يغلب عليه فيوقعه فى الزور ، ومنه قوله تعالى : «كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران» (ولاالحق يجحد) ينكر الحق لوضوحه ، وتقدم نظيره فى قافية الهمزة :

* فلا الوهم يستولى ولا الشك يطرأ * (ص) :

بَنَى بُنْيَةً لِلّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْبُنَا   تُحَاطُ بِأَسْوَارٍ مِنَ الْبِيضِ وَالْقَنَا
فَلِلّهِ مَا أَرْسَى وَلِلّهِ مَا بَنَى   دُجَى الشِّرْكِ جَلاَّهُ عَنِ الدِّينِ وَالدُّنَا
هِلاَلٌ بِلأْلاَءِ الْهُدَى يَتَوَقَّدُ

(ش) (بنى) صلى الله عليه وسلم (بنية) بالضم : هى الإسلام وشرائعه (لله) وهى (من أعظم البنى) جمع بنية ، ولعظمتها كانت (تحاط) تكلأ وتحرس (بأسوار) جمع سور : وهو البناء المحيط بالبلد (من البيض) السيوف (والقنا) الرماح . * بناها تحاط العين منها مع الحمى * ومن لبيان الجنس فى محل نصب على الحال ، وتحتمل التبعيضية (فلله) در (ما أرسى) ما أثبته ، ومنه : «والجبال أرساها» (ولله) در (مابنى) * لنا من أثيل المجد فى الدين والدنا * أى ما أكرم ما أرسخه من القواعد الإسلامية ، وما أكرم مابناه لنا من الفروع الشرعية (دجى الشرك) ظلمة الكفر (جلاه) كشفه منا (عن الدين والدنا) و (هلال) فاعل جلاه (بلألاء) إشراق (الهدى) الرشد والبيان (يتوقد) يشرق : صفة لهلال (ص) :

أَتَى بِعُلُومٍ لَمْ تَكُنْ فِي دَفَاتِرٍ　　شَهَادَتُهَا لَمْ تَضْطَرِبْ بِتَهَاتُرِ
فَلِلَّهِ مَا لِلْمُصْطَفَى مِنْ مَآثِرٍ　　دَلَلْنَا بِإِجْمَاعٍ وَنَصٍّ تَوَاتُرِ
عَلَى أَنَّهُ بِالْحُبِّ وَالْقُرْبِ مُفْرَدُ

(ش) (أتى) جاء النبي صلى الله عليه وسلم (بعلوم) كثيرة من علوم الأولين والآخرين (لم تكن) تلك العلوم تقرأ (في دفاتر) جمع دفتر: أي جماعة المصحف: أي لم تكن في كراريس بل هو نبي أمي إلى أميين كما قال البوصيري:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة　　في الجاهلية والتأديب في اليتم

وإنما أعطي العلم من قبل الوحي «إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى» (شهادتها) العلوم (لم تضطرب) تتخلف وتتحرك (بتهاتر) بتكاذب والتهاتر: الشهادات التي يكذب بعضها بعضا، بل صدق بعضها بعضاً لا تكاذب بينهما (فلله) در (ما للمصطفى) المختار (من مآثر) فضائل وأفعال حسنة (دللنا) أقمنا دليلا (بإجماع) باتفاق علماء العصر على حكم النازلة (ونص تواتر) والنص ماوقع في بيانه إلى غاية، أوهو الذي يحتمل التأويل، والتواتر: هو الذي ينقله عدد كثير من عدد كثير يؤمن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من مشاهدة، ويسندوه إلى أمر قد شاهدوه وعلموه ضرورة، وقيل ما استوى طرفاه ووسطه، فكل خبر وجد على هذا المعنى فهو تواتر يقع العلم به ضرورة (على أنه) المصطفى (بالحب) بحب الله إياه (والقرب) وقربه ومكانته لديه (مفرد) منفرد: أي هو الذي اختصه الله بهما ولم يجمعهما أحد غيره (ص):

هُوَ الْفَرْدُ قَدْ غَصَّ الْفَضَاءُ بِجَمْعِهِ　　يَحِنُّ فُؤَادِي لِلْوُقُوفِ بِرَبْعِهِ
عَسَى الضُّرُّ مِنْ قَلْبِي يُزَاحُ بِنَفْعِهِ　　دَعَائِمُهُ اللَّاتِي اسْتَقَلَّتْ بِشَرْعِهِ
بِهَا يَسْعَدُ الْآوِي إِلَيْهَا فَيَصْعَدُ

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (الفرد) المنفرد بجميع الفضائل (قدغص) امتلأ (الفضاء) الساحـة : أى البقعة المتسعة (بجمعه) أى نشأ منفرداً وطفق يدعو الناس إلى الإسلام * فلبى من حدثه علاقة * وكثر أهل الإسلام حتى امتلأ الفضاء بمتبعيه (يحن) يشـتاق (فؤادى) قلبى (للوقوف بربعه) بمنزله لأمرغ عذارى فى ذاك التراب كما قال الشاعر :

أمر على الديار ديار ليـلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولـكن حب من سكن الديارا

(عسى الضر) ضد النفع (من قلبى) بكسر من وفتحها (يزاح) يزال ويبعـد (بنفعه) أى بنفع زيارته (دعائمه) قوائمه ، وهى أركان الإسلام الخمسة (اللاتى) بنى فيه الإسلام عليها (استقلت) ارتفعت وقامت ، ومنه : « حتى إذا أقلت سحابا ثقالا » (بشرعه) بشريعته ودينه (بها) باتباعها (يسعد الآوى) المنضم (إليها) الدعائم (فيصعد) وترتفع منزلته ، ومنه قوله تعالى : « أو آوى إلى ركن شديد » (ص) :

وَرِثْنَا الْهُدَى مِنْهُ فَأَكْرِمْ بِإِرْثِهِ فَفِى نَشْرِهِ أَفْنِى الْحَيَاةَ وَبَثِّهِ
فَكَمْ طَابَ مِنْ قَلْبٍ بِهِ بَعْدَ خُبْثِهِ دَرَى النَّاسُ طُرًّا صِدْقَهُ يَوْمَ بَعْثِهِ
وَلٰكِنَّهُ فِى النَّاسِ لِلنَّاسِ حُسَّدُ

(ش) (ورثنا الهدى) الرشد (منه) صلى الله عليه وسلم (فأكرم بإرثه) ما أكرمه إرثا « وأبوهريرة خرج إلى الناس بسوق المدينة فنادى فيهم : مابالكم ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد بين أمته وأنتم مشتغلون فى الأسواق ، فتركوا الأسواق وأتوا المسجد فوجدوا الناس حِلقاً حلقاً بتعليم العلم والحديث والحلال والحرام . فقالوا : وأين ماذكرت ياأبا هريرة ؟ فقال :

هذا ميراث نبيكم لأن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورّثوا العلم ، وههنا هذا » وكما قال : (ففي نشره) بسط الهدى (أفنى الحياة) حياتى (وبثه) تفريق الهدى : أى العلم لما رواه أبونعيم ، وأسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبع يجرى أجرها للعبد بعد موته وهو فى قبره : من علم علماً ، أو أجرى نهرًا ، أو حفر بئرً ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدًا ، أو ورّث مصحفاً ، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته » (فكم) كثير (طاب من) زائدة (قلب) أى قلبي (به) بسبب انقياده لشريعته (بعد خبثه) بعد أن كان خبيثاً : أى كثير من قلب طهر (درى) علم (الناس طرا) جميعاً (صدقه يوم بعثه) أى النبي صلى الله عليه وسلم (ولكنه) الأمر والشأن (فى الناس للناس حسد) أى حسد كائن فى الناس للناس . المعنى أن الناس كلهم علموا صدقه وأمانته قبل الوحى ، فلما جاء الوحى أعرضوا عنه حسدا مع علمهم أنه صادق ، وما كذب محمد صلى الله عليه وسلم قط . قال تعالى : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » وقال على رضى الله عنه : قال أبوجهل للنبي صلى الله عليه وسلم ، إنا لانكذبك ولكن نكذب بما جئت به ؛ وإن شئت الزيادة على ذلك انظر الشفا للقاضى عياض رحمه الله (ص) :

أَحَاسِدَهُ مُتْ إِنَّ عَيْشَكَ أَنْكَدُ ... فَهَاهُوَ فِى الدُّنْيَا وَفِى الدِّينِ سَيِّدُ

يُقَادُ بِهِ جَيْشٌ وَيُعْمَرُ مَسْجِدُ ... دَهَى الشِّرْكَ مِنْهُ مَشْرَفِىٌّ مُهَنَّدُ

وَرُمْحٌ رُدَيْنِىٌّ وَسَهْمٌ مُسَدَّدُ

(ش) (أحاسده) ياحاسد النبي صلى الله عليه وسلم إن كنت تبغى النجاة فاترك حسده * فلذ بحماه فهو للكل جنة * وإلا ف(مت) كمدا

(إن عيشك) حياتك (أنكد) أشد * وضاقت لك الدنيا الفسيح مجالها *
(فها) للتنبيه (هو) صلى الله عليه وسلم (فى الدنيا وفى الدين سيد) أى فإن تركت حسده فذاك و إلا انتبه، فهو سيد الناس فى الدين والدنيا والآخرة (يقاد به جيش) أى يقاد جيش باتباعه : المراد بعثه السرايا (و يعمر) به (مسجد) تعميره صلاة من آمن به فيه، أومعناه بنى المسجد باتباعه (دهى الشرك) أى أصاب أهل الشرك داهية (منه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (مشرفى) فاعل دهى : أى سيف مشرفى نسبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى من أرض العرب تدنو إلى الريف (مهند) مصنوع من حديد الهند (و) دهى الشرك منه (رمح رديني) منسوب إلى ردينة اسم امرأة تعمل الرماح ، و يقال بل كانت تباع عندها (و) دهى الشرك (سهم مسدد) غير حائد عن سنن القصد (ص) :

فَكَمْ أَنَّةٍ لِلْمُشْرِكِينَ وَأَهَّةٍ وَقَدْ هَدَّ مِنْ بُنْيَانِهِمْ كُلَّ رَدْهَةٍ
يُخَرِّبُهَا فِي لَحْظَةٍ صُنْعَ بُرْهَةٍ دَفَعْنَا بِهِ عَنَّا دُجَى كُلِّ شُبْهَةٍ
إِذَا انْتُضِيَ الْبُرْهَانُ فَالْإِفْكُ مُغْمَدُ

(ش) (فكم) كثير (أنة) من الأنين : وهو التوجع (للمشركين و) كم (أهة) للمشركين ؛ من قولهم آه للحزن والتوجع (وقد هد) كسر (من) للبيان (بنيانهم) المشركين (كل ردهة) بناء عظيم ذو حجارة كثيرة (يخربها) الردهة ، ومنه : « يخربون بيوتهم » (فى لحظة) مقدار ما تنظر العين بمؤخرها (صنع برهة) مدة طويلة من الزمان (دفعنا به) أزلنا بالنبى صلى الله عليه وسلم (عنا دجى) ظلم (كل شبهة) التباس وتخليط (إذا انتضى) سل (البرهان) الدليل والحجة . وحد البرهان تركيب المفهومين فصاعداً إلى جهة يتوصل منها إلى المطلوب (فالإفك) الكذب (مغمد) مجعول فى الغمد : أى إذا سل سيف الحق

أغمد سيف الكذب . قال تعالى : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » هذا تمثيل وتشبيه (ص) :

تَخَلَّصَ لِلتَّبْلِيغِ عَنْ غَيْرِ فَهَّةٍ ... وَلِلْحَقِّ وَالتَّحْقِيقِ مِنْ غَيْرِ شُبْهَةٍ

وَلَمَّا تَنَاهَى طِيبَ طَعْمٍ وَفَكْهَةٍ ... دَخَلْنَا بِهِ فِي الدِّينِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ

فَكُلُّ سَبِيلٍ فِيهِ أَحْمَدَ يُحْمَدُ

(ش) (تخلص) خرج إلينا (للتبليغ) لأجل إبلاغ الرسالة « وما على الرسول إلا البلاغ » (عن غير فهة) عيّ وعجز عن الكلام ، بل فصيحاً بليغاً (و) تخلص (للحق) ضد الباطل (والتحقيق) الكون على اليقين (من غير شبهة) التباس (ولما) حين (تناهى) بلغ الغاية (طيب طعم وفكهة) شبهه صلى الله عليه وسلم بطعام حلو وفاكهة ، بجامع ميل الطبع (دخلنا به) بالنبي صلى الله عليه وسلم (فى الدين من كل وجهة) ناحية. قال تعالى : « إذا جاء نصر الله » إلى « أفواجاً » (فكل سبيل) طريق (فيه أحمد) المرتضى بشرى عيسى (يحمد) (ص) :

هُوَ الْمُلْهَمُ الْمُوحَى إِلَيْهِ الْمُنَبَّهُ ... فَلَا لُبَّ فِي الْأَلْبَابِ يُشْبِهُ لُبَّهُ

وَإِذْ جِيءَ بِالتَّخْيِيرِ فَاخْتَارَ رَبَّهُ ... دَنَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ مِمَّنْ أَحَبَّهُ

وَثَانِيهِ رُوحُ الْقُدْسِ وَالنَّاسُ هُجَّدُ

(هو) صلى الله عليه وسلم (الملهم) الملقى فى قلبه : أى هو الذى ألهمه الله (الموحى) الذى أوحى (إليه) بالرسالة العامة كما قال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا » (المنبه) المشرف ، أو المنبه : أى المستيقظ.

* ينبَّه فى طور الصبا و ينبِّه * (فلا لب) عقل (فى الألباب) العقول (يشبه) يماثل (لبه) عقله . قال وهب بن منبه رحمه الله : قرأت فى أحد وسبعين

كتابا ، فوجدت فى جميعها أن النبى صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا ، وأفضلهم رأياً . وفى رواية أخرى : فوجدت أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقل النبى صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من رمال الدنيا (و) دليل ذلك (إذ) حين (جىء بالتخيير) بين الحياة ولقاء ربه (فاختار) لقاء (ربه) أخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : إن عبدا خيره الله بين الدنيا و بين ماعند الله فاختار ماعند الله » الحديث (دنا) قرب (ليلة الإسراء ممن أحبه. وثانيه) فى إسرائه (روح القدس) جبريل عليه السلام ، ومنه : « قل نزله روح القدس من ربك » (و) الحال (الناس هجد) جمع هاجد وهو القائم ليلا ، والمراد نائمون (ص) :

تَوَاضَعَ لاَعَنْ ذِلَّةٍ وَمَهَانَةٍ ... وَقَامَ بِحَقِّ اللهِ دُونَ اسْتِهَانَةِ

فَأَدْنَاهُ مِنْهُ حَامِلاً لِأَمَانَةٍ ... دُنُوَّ اصْطِفَاءٍ لاَدُنُوَّ مَكَانَةِ

وَقَدْ كَانَ فِى حَالاَتِهِ لَيْسَ يَبْعُدُ

(ش) (تواضع) النبى صلى الله عليه وسلم ضد تكبر (لاعن ذلة) بغير ذلة (و) بغير (مهانة) ضعف : أى لالكونه ذليلا ولا ضعيفاً ، مع مافيه من سيادة ولدآدم ، فكيف يكون تواضعه عن ذلة ومكانة !؟

* ذوالملك دانوا خاضعين لأمره * وتقدم * ففارق إعجاب النفوس وزهوها *

وحسبك من تواضعه «أنه خير بين أن يكون نبياً ملكا ونبياً عبدا ، فاختار أن يكون نبياً عبدًا » (وقام) النبى صلى الله عليه وسلم (بحق الله) بما فرض عليه (دون استهانة) ضعف وذل حال انفراده مع كثرة الأعداء بل قام بها كما أمر (فأدناه) قربه الله (منه) من رحمة الله (حاملا) حال (لأمانة) ليلة الإسراء

أى ما ائتمنه الله من العلوم والأسرار (دنوّ) قرب (اصطفاء) اختيار (لادنوّ) قرب (مكانة) أى مكان ومحل ، ومنه : « ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم » (وقد كان) صلى الله عليه وسلم (فى حالاته) قبل الإسراء وبعده (ليس يبعد) بل يقرب قرب رضى (ص) :

إِذَا الْتَهَبَتْ لِلشَّوْقِ نَارُ اقْتِدَاحِهِ نُقَرِّبُهُ بِالذِّكْرِ حَالَ انْتِزَاحِهِ
وَنَمْدَحُهُ وَالْقَلْبُ طَوْعُ ارْتِيَاحِهِ دَوَامُ الْمُنَى فِى ذِكْرِهِ وَامْتِدَاحِهِ
فَأَطْنِبْ فَقَدْ وَافَاكَ مَا لَيْسَ يَنْفَدُ

(ش) (إذا التهبت) اشتعلت (للشوق) للحب (نار اقتداحه) الشوق ، المراد نار شوقه التى تخرج من عنده (نقربه) ندانيه (بالذكر) بمدحى إياه فى (حال انتزاحه) بعده عنا (ونمدحه) صلى الله عليه وسلم (و) الحال (القلب) الفؤاد (طوع ارتياحه) نشاطه (دوام المنى) جمع منية ثابت (فى ذكره) ثنائه (وامتداحه) صلى الله عليه وسلم (فأطنب) أكثر مدحه وأبلغ (فقد وافاك) جاءك (ماليس ينفد) يفنى ، ومنه : « ماعندكم ينفد » (ص) :

تَأَخَّرْتُ عَنْهُ حِينَ عَزَّ تَقَدُّمِى وَقَلْبِى بِنَارِ الشَّوْقِ يُحْمَى فَيَحْتَمِى
سَأَبْكِى إِذَا أَنْفَدْتُ دَمْعِى مِنْ دَمِى دُمُوعِى لِبُعْدِى عَنْهُ كَالْقَطْرِ تَنْهَمِى
وَلَا طِبَّ إِلَّا الْقُرْبُ إِنْ كَانَ يُسْعِدِ

(ش) (تأخرت) تبطأت (عنه) عن زيارته (حين عز) امتنع وصعب واشتد (تقدمى) سبقى إليه (وقلبى بنار الشوق) المودة (يحمى) يحترق (فيحتمى) يقبل الاحتراق (سأبكى إذا أنفدت) أفنيت (دمعى من) زائدة (دمى*دموعى) (ل)أجل (بعدى عنه) صلى الله عليه وسلم (كالقطر) المطر (تنهمى) يسيل صفة لاحال : أى لأجل بعدى عن زيارته (ولا طب) يساعدنى عن عدم

سيلانها (إلا القرب) قرب قبره (إن كان) القرب (يسعد) يوافق و يساعد ويعين (ص) :

تَقَاصَرَ وَصْفِي عَنْ كَرِيمِ صِفَاتِهِ ... لِفَضْلِ سَجَايَاهُ وَطُهْرَةِ ذَاتِهِ

وَمَنْ ذَا يَعُدُّ الرَّمْلَ فِي عَرَصَاتِهِ ... دَأَبْتُ عَلَى الْإِيرَادِ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ

وَمَنْ ذَا يَكِيلُ الْبَحْرَ وَالْبَحْرُ مُزْبِدُ

(ش) (تقاصر) عجز (وصفي) نعتي إياه (عن كريم صفاته) عن حقائقه الكريمة ، ثم صرح بعلة التقاصر فقال (لفضل سجاياه) طبائعه، والفضل: ضد النقص لكن خص العرب استعماله بالمدح في الغالب (وطهرة) نظافة (ذاته) حقيقته كأنّ سائلا قال : قلت تقاصر وصفي الخ . مثل لي هل كالرمل كثرة . قال له : بل هي أكثر من رمال الدنيا ، سلمنا تسليما جدلياً أنها كالرمال (ومن ذا يعد) من العدد (الرمل) هو معروف ، والرملة أخص منه (في عرصاته) بقاعه ، جمع عرصة ، وهي كل بقعة واسعة ليس فيها بناء (دأبت) تعبت ، أوعكفت ولزمت (على الإيراد) على إحضار ماقدرت عليه (من معجزاته) صلى الله عليه وسلم (ومن ذا يكيل البحر) بالإناء أو الميزان (والبحر مزبد) هائج يقذف الزبد ، و إذا كان البحر على هذه الهيئة فقد طما وزاد على ما كان عليه ، ولا يقدر أحد على قاموسه ، وفيه من السؤال ماالذي قبله (ص) :

لَقَدْ خَابَ مَنْ رَدَّتْهُ كَفُّ سَمَاحِهِ ... وَضَاعَ صَلَاحُ خَارِجٌ عَنْ صَلَاحِهِ

فَمَنْ حَادَ عَنْهُ فَايْأَسُوا مِنْ فَلَاحِهِ ... دَوَاعِي التُّقَى مَجْمُوعَةٌ فِي امْتِدَاحِهِ

وَلِمْ لَا وَخَيْرُ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدُ

(ش) والله (لقد خاب) خسر ، ومنه : « وقد خاب من دساها » و(من) فاعل خاب (ردته كف) راحة (سماحه) جوده : يعني من لم يشفع له يوم القيامة

فقد خسر خسرانا مبيناً (وضاع) هلك وتلف (صلاح) ضد فساد (خارج عن صلاحه) صلى الله عليه وسلم وتفسيره (فمن حاد) مال (عنه) عن طريقه والاقتداء به واتبع غير سبيل المؤمنين (فايأسوا) فاقنطوا ، ومنه : « ولا تيأسوا من روح الله » (من فلاحه) فوزه بالنجاة ، ومنه : « لعلكم تفلحون » . وفى الحديث: « إن بنى إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن أمتى تفترق على ثلاث وسبعين ملة ، كلها فى النار إلا واحدة . قالوا: ومن هى يارسول الله ؟ قال : الذى أنا عليه اليوم وأصحابى » (دواعى) خصال (التقى) جمع داعية : وهى مايجر الشئ ويحمله (مجموعة فى امتداحه) ثنائه . وحاصله أنك إذا كنت تمدحه وتذكر صفاته فلا تسمع فيه إلا مايحض على الخصال المحمودة ، ومايزهد عن الدنيا ويرغب فى الآخرة ، والزهد عن الدنيا والرغبة فى الآخرة : هو التقوى (ولم لا) يكون ذلك (و) الحال (خير العالمين محمد) صلى الله عليه وسلم ، وتكرير هذا الاسم فى هذه العشرينية اثنان وخمسون موضعاً ليس فيها المقام المحمدىّ .

انتهت قافية الدال ويتلوها قافية الذال إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الذال

ويجب على كل مؤمن أن ينصح إخوانه المؤمنين ، ويدلهم ويحضهم على ماينتفعون به من منهج الدين بلا خصوصية أحد من ناظم وناثر ومنشد ، ولذلك قال (ص) :

أَلاَ فَاقْبَلُوا مِنِّى نَصِيحَةَ مُرْشِدِ … يَصِيخُ إِلَى إِرْشَادِهَا كُلُّ مُهْتَدِ

إِذَا شِئْتُمُ أَنْ تَحْرِزُوا الْفَوْزَ فِى غَدِ … ذَرُوا كُلَّ شُغْلٍ لِامْتِدَاحِ مُحَمَّدِ

فَذَلِكَ مَنْحَى لِلنَّجَاةِ وَمَأْخَذُ

(ش) (ألا) انتبهوا (فاقبلوا منى) من القبول (نصيحة) رجل (مرشد) هاد إلى الخير (يصيخ) يستمع (إلى إرشادها) أى النصيحة (كل مهتد) سالك سبيل الهداية وهم « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » استشعر سؤال سائل فقال : والنصيحة هى (إذا شئتم) أردتم (أن تحرزوا) تملكوا وتحضوا (الفوز) الفلاح والنجاة (فى غد) يوم القيامة (ذروا) اتركوا ، ومنه : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » (كل شغل) شاغل (لامتداح محمد) صلى الله عليه وسلم (فذلك) ترك كل شغل شاغل لمدحه (منجى) طريق مقصد (للنجاة) من كل خوف (ومأخذ) به يأخذ الإنسان ويصل إلى مراده دنيا وأخرى (ص) :

لَهُ الحَقُّ يُدْرَى وَالمَزِيَّةُ تُعْلَمُ نَبِيُّ الهُدَى المُسْرَى بِهِ وَالمُكَلَّمُ
مَحَبَّتُهُ فَوْزٌ كَبِيرٌ وَمَغْنَمُ ذِمَامُ مُحِبِّيهِ ذِمَامٌ مُكَرَّمُ
فَدُونَكُمُ نَهْجَ السَّعَادَةِ فَاحْتَذُوا

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم لا لغيره (الحق) ضد الباطل (يدرى) يعلم : أى له دين الحق يدرى ، أو يدرى له الحق : أى الصدق كما فى قضية هرقل مع أبى سفيان « هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت لا » الحديث (والمزية) الفضيلة والدرجة (تعلم) هو (نبى الهدى المسرى به) الذى أسراه الله ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على ظهر البراق وصعد سماء سماء ثم زاد على السبع (و) نبى الهدى (المكلم) الذى كلمه ربه ليلة الإسراء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قصة الإسراء عنه عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى : « ثم دنا فتدلى » قال : « فارقنى جبريل وانقطعت عنى الأصوات ، فسمعت كلام ربى وهو يقول : ليهدأ روعك يا محمد ادن لفيضى » وإنما اختص موسى عليه السلام بالكليم لأنه سمعه وهو فى الأرض (محبته) حبه (فوز) ظفر (كبير) عظيم

بالمطلوب لادعائه محبة الله . قال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (و) محبته (مغنم) كبير : أى خير ورزق حسنة ، وهو فى الأصل المال المأخوذ من العدو قهراً (ذمام محبيه) صلى الله عليه وسلم (ذمام) حرمة (مكرم) مشرفة منيفة (فدونكم) خذوا (نهج) طريق (السعادة) ضد الشقاوة (فاحتذوا) فاسلكوا واقتدوا به (ص) :

إِمَامٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَاضِعُ إِصْرِهِمْ ‏ يَسُوقُهُمُ لِلْبِرِّ فِى كُلِّ أَمْرِهِمْ
وَيَشْفَعُ فِيهِمْ عِنْدَ شِدَّةِ ذُعْرِهِمْ ‏ ذُرَاهُ مَنِيعٌ فَالْعِبَادُ بِأَسْرِهِمْ
بِأَفْيَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لُوَّذُ

(ش) هو (إمام) أرسل (ل) يقتدى به (أهل الأرض واضع) دافع (إصرهم) ثقلهم فى التكليف كما قال تعالى : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » أى كقتل النفس فى النفس فى التوبة ، وقطع موضع النجاسة ، وخمسين صلاة فى اليوم والليلة ، وصرف ربع المال للزكاة (يسوقهم) مثنى وموحدا سوق الراعى الماشية إلى المرعى (للبر) إلى أفعال الخير (فى كل أمرهم) دنيوى وأخروى (ويشفع فيهم) الشفاعة الكبرى : وهى العامة لجميع الخلائق نبياً كان أوغيره (عند شدة ذعرهم) فزعهم والضمائر الخمسة للخلائق ، أو لأهل الأرض (ذراه) هو فى الأصل فناء البيت ، والمراد به هنا جاهه ، أوستره وكنفه (منيع) حصين : أى المعنى من كان محباً له ، متبعاً لشريعته ، ومقتديا بالسنة ، كان فى ستره وكنفه لايصل إليه مكروه (فالعباد بأسرهم) بأجمعهم (بأفيائه) بظلاله جمع فىء جمع للتعظيم ، أو باعتبار استظلال كل فرد به (يوم القيامة) « يوم يقوم الناس لرب العالمين » (لوذ) لائذون بظله فى ذلك اليوم (ص) :

رَعَى كُلَّ مَاحَدَّ الْإِلٰهُ وَمَا عَدَا ‏ وَقَادَ الْوَرَى بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ لِلْهُدَى

جَمِيلُ الْمُحَيَّا بَاسِطُ الْكَفِّ بِالْجُدَى   ذَلِيلُ حُسَامِ الْبَأْسِ هَامِي يَدِ النَّدَى
فَلِلَّهِ أَوْ فِي اللهِ يُعْطِي وَيَأْخُذُ

(ش) (رعى) حفظ النبي صلى الله عليه وسلم (كل ماحد) منع (الإله وماعدا) جاوز الحد (وقاد الورى) الخلق (بالحزم) بضبط الأمور، والتأهب، وأخذه بالثقة (والعزم) القوة والاجتهاد وتصميم الرأي عليه (للهدى) للرشد، هو (جميل المحيا) الوجه، أو كثير الحسن. قال الشاعر:

لو لم تكن فيه آيات مبينة   لكان منظره ينبيك بالخبر

(باسط الكف) نقيض القبض (بالجدى) العطاء، وفي نسخة: بالندى

* ندى كفه كالغيث أسبل ودقه * فيكون إشارة إلى نبع الماء من بين أصابعه (ذليل) حديد (حسام) سيف (البأس) وحسام السيف أيضاً طرفه الذي يضرب به، ويروى: حسام السيف، أي طرفه (هامي) سائل ومنسكب (يد الندى) الكرم، وصفه صلى الله عليه وسلم بالشجاعة والكرم (فلله أو في الله يعطي) كل مايعطي (ويأخذ) كل ما أخذوا. وبمعنى الواو: معناه أن عطاءه وأخذه على قانون الشرع لا الهوى، بل على طريق الوحي والهدى، وسبيل النجاة في الآخرة والأولى (ص):

أَطِعْهُ فَإِنَّ الشَّمْسَ فِي طَوْعِهِ جَرَتْ   وَقَدْ أَقْبَلَتْ نَحْوَ الْغُرُوبِ فَأَدْبَرَتْ
وَلَوْ طَلَبَ التَّكْوِيرَ مِنْهَا تَكَوَّرَتْ   ذُكَاءُ أَطَاعَتْ أَمْرَهُ فَتَقَهْقَرَتْ
عَنِ الْغَرْبِ نَحْوَ الشَّرْقِ كَالسَّهْمِ يَنْفُذُ

(ش) (أطعه) صلى الله عليه وسلم، فكيف لا تطيعه وأنت مكلف بطاعته؟. قال تعالى: «من يطع الرسول فقد أطاع الله» (ف) المكلف أولى بطاعته؛ ألا ترى (إن الشمس في طوعه جرت* و) الحال أنه (قد أقبلت) الشمس (نحو الغروب)

طريق الغرب (فأدبرت) رجعت وتولت الشمس عن الغروب (ولو طلب) النبى صلى الله عليه وسلم (التكوير) ذهاب ضوئها (منها) أى الشمس (تكوّرت) لذهب نورها وضوءها ، ومنه « إذا الشمس كوّرت » (ذكاء) اسم من أسمائها (أطاعت) هى (أمره) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فتقهقرت) رجعت إلى خلف وتأخرت (عن الغرب نحو) جهة (الشرق) مخرجها (كالسهم ينفذ) يخرج و يمضى عند الرمية . وفى الحديث عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها قالت : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ، ثم أرسل عليا رضى الله عنه فى حاجة ، فرجع وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم العصر ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجر على رضى الله عنه فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس . فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على طاعة نبيك صلى الله عليه وسلم فرد عليه الشمس . قالت أسماء رضى الله عنها : فطلعت الشمس حتى وقفت على الجبال وعلى الأرض ، وقام على رضى الله عنه فتوضأ وصلى العصر ثم غابت ، وذلك بالصهباء بخيبر » (ص) :

لَقَدْ غَرُبَتْ فِى المُعْجِزَاتِ فُنُونُهُ ... فَمِنْ بَصْقَةٍ فِى الصَّاعِ فَاضَ عَجِينُهُ

وَمِنْ مَجَّةٍ فِى الرَّفْضِ جَاشَ مَعِينُهُ ... ذِمَامُ الرَّكَايَا أَتْأَفَتْهَا يَمِينُهُ

بِكَفٍّ حَصًى فِيهَا عَلَى النَّأْيِ تَنْبِذُ

(ش) (لقد غربت) صارت غريبة لانظير لها (فى المعجزات) فى معجزات الأنبياء (فنونه) أصنافه وأنواعه فى معجزاته ، غريباً فى معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (فمن) بعض معجزاته (بصقة) بالصاد و بالسين و بالزاى بمعنى : هى المرة من البصاق (فى الصاع) وهو أربعة أمداد بمده صلى الله عليه وسلم (فاض) سال وكثر (عجينه) عجين الصاع : أى دقيقه المعجن ، إشارة إلى حديث

جابر رضى الله عنه «فى إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق . قال جابر رضى الله عنه : فأقسم بالله لأكلوا حتى شبعوا وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هى ، وإن عجيننا ليخبز ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق فى العجين والبرمة و بارك » (ومن) بعض معجزاته (مجة) تفل (فى الرفض) ماء قليل يتناوله الناس (جاش) نبع ، وفار ، وارتفع (معينه) ماؤه الجارى، إشارة الى حديث البراء بن عازب رضى الله عنه ، وسلمة بن الأكوع ، وحديثه أتم «فى قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة و بئرها لا تروى خمسين شاة، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها . قال البراء رضى الله عنه : وأتى بدلو منها فبصق فيها فدعا . وقال سلمة رضى الله عنه : إما دعا و بصق فيها فجاشت فارتووا أنفسهم وركابهم » (ذمام) جمع ذميم : بئر قليلة الماء (الركايا) جمع ركية : بئر غير مطوية (أتأقتها) ملأتها ، وأكلتها (يمينه) خلاف الشمال(بكف حصى فيها) أى الركايا (على النأى) البعد (تنبذ) تطرح ، منه « فنبذناه بالعراء » إشارة إلى ماروى عن زيد بن الحارث قال «يارسول الله : إن لنا بئراً تسقينا فى الشتاء ، وإذا كانت وقت الصيف قل ماؤه ونتفرق على مياه حولنا وقد أسلمنا وكل من حولنا عدوٌّ لنا ، فادع الله لنا فى بئرنا أن يسقينا فى الشتاء والصيف فلا نتفرّق ، فدعا بسبع حصيات فحركهن فى يده ودعا فيهن ، ثم قال اذهبوا بهذه الحصيات ، فإذا أتيتم البئر فاذكروا اسم الله وألقوا واحدة واحدة ، قال ففعلنا فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعر البئر من كثرة الماء»

(ص) :

رأى النَّاسَ شَتَّى فَابْتَغَى جَمْعَ شَمْلِهِمْ	حَرِيصًا عَلَيْهِمْ رَافِعًا مِنْ مَحَلِّهِمْ
رَءُوفًا بِهِمْ مُسْتَسْهِلاً حَمْلَ كَلِّهِمْ	ذُرَى مَجْدِهِ فَاتَتْ ذُرَى النَّاسِ كُلِّهِمْ

كَأَنَّ خُطَاهُمْ عَنْ مَدَاهُ تُؤَخَّذُ

(ش) (أتى) جاء النبي صلى الله عليه وسلم (الناس) أى المبعوث لهم (شتى) حال كونهم متفرقين فى أديانهم ، أو لما بينهم من التباغض (فابتغى) طلب النبي صلى الله عليه وسلم (جمع شملهم) متفرقهم وما تشتت من أمرهم ، فسوّى بينهم كما سوّى مداريه المشط ، فصاروا إخواناً ببركته صلى الله عليه وسلم حال كونه (حريصاً عليهم) على إنقاذهم من الضلالة ، وهدايتهم على سبيل العدالة كما قال تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم » (رافعاً من) زائدة لتقوية العامل (محلهم) مكانتهم بإسلامهم (رءوفاً بهم) شديد الرحمة «بالمؤمنين رءوف رحيم» (مستسهلا) طالباً لهم الأمر الذى فيه سهولة ؛ ومن شفقته على أمته عليه الصلاة والسلام تخفيفه عنهم، وتسهيله عليهم ، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم ، كقوله : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء» وخبر صلاة الليل ، ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته ، جزاه الله أحسن ماجزى نبياً عن أمته عنه صلى الله عليه وسلم (حمل كلهم) ثقلهم ، ومنه : « وهو كَلٌّ على مولاه » وتقدم

* إمام لأهل الأرض واضع إصرهم * (ذرى مجده) أعالى شرفه ، جمع ذروة مثلث الذال : وهى أعلى كل شىء (فاتت) سابقت (ذرى الناس كلهم) شرف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام * فقدمه إجماعا عليهم بلا ثنيا *

وهذا تمثيل وتشبيه بالشىء إذا ارتفع ولا يدرك (كأن خطاهم) أى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جمع خطوة : وهى مابين القدمين (عن مداه) غايته (تؤخذ) تربط وتمنع وتحبس عن غايته ، وهو من الإخذ بكسر الهمزة ، أو من الأخذ بالضم: وهو رقية كالسحر ، أو خرزة تؤخذ بها النساء الرجال ، من التأخيذ : أى يربطهم حتى لايصلوا إلى النساء : أى كأن خطا الأنبياء مؤخذة مربوطة على بلوغ مداه ، وغاية نداه صلى الله عليه وسلم (ص) :

هُدَاهُ الْهُدَى فَاعْمَلْ بِهِ الدَّهْرَ تَهْتَدِ ... وَلاَ تَغْلُ فِى شَىْءٍ وَقَارِبْ وَسَدِّدِ
وَعَزِّرْهُ يَأْخُذْ مِنْكَ فِى الْحَشْرِ بِالْيَدِ ... ذِمَارُ الْوَرَى يَحْمِيهِ جَاهُ مُحَمَّدِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَنْفَذُ

(ش) (هداه) صلى الله عليه وسلم هو (الهدى) كما قال تعالى : « قل إن هدى الله هو الهدى » ومن تمسك بهدى النبى صلى الله عليه وسلم فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها «وأفضل الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم» (فاعمل به) أى الهدى (الدهر) الزمان (تهتد) ترتشد : أى تكن هادياً أو مهديا « من يهد الله فهو المهتدى » (ولا تغل) تتجاوز شريعته وأمره ونهيه (فى شئ) جميع أمورك ، ومنه : « لاتغلوا فى دينكم » (وقارب) اقصد الأمر الذى لا غلوّ فيه ولاتقصير (وسدد) توسط فى جميع أمورك وأعمالك ، واقصد الصواب الذى هو اتباعه ، واعمل به كما قال : « من رغب عن سنتى فليس منى » (وعزره) عظمه ووقره (يأخذ) بالجزم على جواب شرط مقدر دل عليه الأمر (منك) حال من اليد (فى) يوم (الحشر باليد) بنعمته التى أنعم الله بها علينا وهى الشفاعة، أوحساب الجارحة ، فكان عمر رضى الله عنه يقول : فما يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أحد إلا أفلح وسعد (ذمار الورى) حقيقتهم ، والذمار: مايلزمك حفظه وحمايته (يحميه) يحفظه ويمنعه (جاه محمد) حرمته صلى الله عليه وسلم . يعنى أن الناس فى الآخرة كالعيال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ينجيهم من تلك الأهوال إلا جاهه صلى الله عليه وسلم (إذا) بمعنى إذ (لم يكن للجن والإنس منفذ) مخلص ومخرج لهم من تلك الأهوال ، وهذه إشارة لقوله تعالى : « يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان » (ص) :

وَلِلّهِ عَهْدٌ شَدَّهُ بَعْدَ نَكْثِهِ ... وَجَدَّدَهُ لا يَرْتَضِي عَقْدَ نِكْثِهِ
وَلَمَّا رَأَتْ لِلّهِ خَالِصَ حَرْثِهِ ... ذَوَائِبُ فِهْرٍ أَذْعَنَتْ يَوْمَ بَعْثِهِ
وَكُلُّهُمُ مَاضِي الجَنَانِ مُنَجَّذُ

(ش) (ولله) درّ (عهد) ميثاق الذى أخذ الله به بنى آدم (شده) عقده وقوّاه صلى الله عليه وسلم (بعد نكثه) بالفتح بعد ما نقض بالكفر والضلال (وجدده) أعاده وصيره جديداً مادام الجديدان (لا يرتضى عقد نكثه) بالكسر: أى منقوضه بأن يعاد إلى ما كان عليه، إنه صلى الله عليه وسلم لا يرتضى لأحد أن يعقد معه على أن ينقض بعد الإحكام ثم يعقد ثانياً. وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم « فى قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرّياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » قال: أخذ من ظهر آدم كما يؤخذ من الرأس بالمشط، وجعل الله لهم عقولا كنملة سليمان عليه السلام، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ولا إله غيره فأقروا بذلك والتزموه، وأعلمهم أنه سيبعث الرسل إليهم مذكرة وداعية، فشهد بعضهم على بعض، وشهد الله عليهم وملائكته». قال الضحاك بن مزاحم : من مات صغيراً فهو على العهد الأول، ومن بلغ فقد أخذه العهد الثانى. يعنى الذى فى هذه الحياة المعقولة الآن، وهذه استعارة تمثيلية (ولما رأت لله خالص حرثه) عمله أو كامل عقله، ومنه: «من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه» (ذوائب فهر) سادات قريش جمع ذؤابة وأصلها الناصية : أى بنو فهر هو أبو قبيلة من قريش بن مالك بن النضر وإلى فهر جماع قريش (أذعنت) خضعت وانقادت وآمنت (يوم بعثه) بعد فتح مكة (وكلهم) كل واحد منهم (ماضى) كامل (الجنان) العقل جيد الرأى (منجذ) مجرب للأمور متحقق لهم، أو المنجذ الشجاع : أى وكلهم شجاع (ص) :

نَهَى عَنْ هَوَى الدُّنْيَا وَحَقَّرَ أَمْرَهَا   وَوَخَّمَ مَرْعَاهَا وَعَلْقَمَ تَمْرَهَا
وَنَابَذَ عُشْرَاءَ يُدِيرُونَ خَمْرَهَا   ذَكَتْ نَارُ عِزَّاهُمْ فَأَخْمَدَ جَمْرَهَا
حُسَامٌ بِأَيْمَانِ الْمَلَائِكِ يُشْحَذُ

(ش) (نهى) النبى صلى الله عليه وسلم أمته (عن هوى الدنيا) عن الميل إلى حبها وهواها، وزجر داعيها وهو النفس والشيطان والهوى.

* فقد نجه الدنيا بأزجر نجهة *   (وحقر) النبى صلى الله عليه وسلم (أمرها) أى الدنيا: أى شابه أمرها بالشئ الحقير الذى لا ينبغى للعاقل الاشتغال به لأن ظاهرها غرة و باطنها عبرة   * وغرّك منها السلم باطنها حرب *
(ووخم) أمرض (مرعاها) كلأها: أى جعل مرعاها وخماً لا نفع فيه (وعلقم تمرها) صير تمرها كالعلقم: وهو الحنظل، أو هو كل شئ مر: والمراد زهد النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا للناس، وشنع لهم التكاثر فيها والاشتغال بها، وحض على الآخرة ورغب فيها حتى صارت الدنيا لمن قبل موعظته كأن طعامها فيه تخمة وتمرها حنظلة «ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر» (ونابذ) رمى وألقى وطرح (عشراء) جماعة (يديرون) يتناولون و يشربون (خمرها) خمر الدنيا، وفى نسخة: غثراء بدل عشراء، والغثراء: سفلة من الناس، ويديرون صفة عشراء، والمراد بالخمر زهرتها التى كالخمر (ذكت) اشتعلت (نار) قوة (عزاهم) صنمهم (فأخمد) أطفأ (جمرها) جمر تلك النار، وفاعل أخمد (حسام) سيف قاطع حال كونه كائناً (بأيمان الملائك) جمع ملك: وهو الروح المجرد عن المادة (يشحذ) يحد. المعنى ضعفت قوة أصنامهم بعد ما اشتعلت نارهم، والملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر، وفى غيره كانوا يحضرون ولا يقاتلون (ص):

أَقَامَتْ نَذِيرًا بِالْفِرَاقِ غُرَابَهَا   وَنَحْنُ نَرَى إِنْشِكَ الْأَنَمَّ تُرَابَهَا

لَقَدْ خَابَ مَنْ يَعْتَدُّ شِرْباً سَرَابَهَا ذَوَتْ زَهْرَةٌ كَانَ السَّرَابُ شَرَابَهَا

إِذَا اتَّضَحَ الْبُرْهَانُ طَاحَ التَّشَعْوُذُ

(ش) (أقامت) الدنيا (نذيراً) حال (بالفراق غرابهـا) وظاهر كلام المادح أن الدنيا بمجرد حضورها واجتماعها بزخارفها أقامت غرابها بالفراق ، لاواسطة بين إقامة الغراب ووجودها ، وإنما العرب ينسبون الفراق إلى الغراب لأنهم كانوا إذا ارتحلوا من موضع اجتمعت الغربان فيه يلتقطون بقايا الطعام ، فإذا أخذوا فى هدم البيوت للرحيل صاح الغراب رغبة أن يعجلوا الرحيل فيلتقط بقايا طعامهم ، فيقولون نعق غراب البين (و) مع ذلك (نحن نرى المسك الأنم) الأسطع مفعول أول (ترابها) أى ومع إقامتها غرابها نذيراً بالفراق نحن نرى ترابها المسك الأسطع لفرطنا فى حبها ، والله (لقد خاب) أى لم ينل مطلوبه (من يعتد شربا) نصيباً مفعول ثان (سرابها) مفعول أول ليعتد ، والسراب : مايظهر للإنسان فى الهاجرة أنه ماء ؛ أى لقد خسر من يعتد سرابها نصيباً من الماء يشرب . والمعنى من عمل للدنيا فقد خسر خسرانا مبينا ، ثم نبه على عدم منفعة السراب فقال : (ذوت) يبست (زهرة) نور (كان السراب شرابها) خبر كان ، والزهرة عبارة عن دنياهم التى كانوا فيها . والمعنى أن العمل الذى كان للدنيا لايتم نتاجه بل زهره يابس (إذا اتضح البرهان) تبينت الحجة القاطعة (طاح) سقط (التشعوذ) والشعوذة : لعب يرى للإنسان منه ماليس له حقيقة ، أوهى خفة فى اليدين وأخذة كالسحر ، والمراد إبطال سحرهم وكهانتهم ورجم شياطينهم ، وذهاب مكرهم وسحرهم « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » وتقدم * إذا انتضى البرهان فالإفك مغمد * (ص) :

نَبِيُّ الْهُدَى قَامَ الْإِلٰهُ بِنَصْرِهِ وَشَدَّ بِرُوحِ الْقُدْسِ بِغْيَةَ أَزْرِهِ

فَلاَ مَلكَ إِلاَّ قَدْرُهُ دُونَ قَدْرِهِ ذَوُو المُلْكِ دَانُوا خَاضِعِينَ لِأَمْرِهِ

فَلَمْ يَبْقَ بِطْرِيقٌ وَلَمْ يَبْقَ جِهْبِذُ

(ش) (نبى الهدى) الرشد (قام الإله بنصره) أدام الله نصره وتأييده كما قال تعالى : «وينصرك الله نصراً عزيزا ـ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون» (وشد) قوّى الإله (بروح القدس) بجبريل عليه السلام (بنية أزره) ظهره ، ومنه : «اشدد به أزرى» أى قوّى الله ظهر النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن جبريل عليه السلام كان كثير الملازمة له ، والإتيان والتردد إليه، لأنه كان ينزل بالقرآن منجما على حسب الوقائع والنوازل فى مدة ثلاث وعشرين سنة . وذكر التتائى فى شرح الرسالة من إملاء شيخه الفخر الحافظ الديلمى فى عدة نزول جبريل عليه السلام على كل نبى: أنه نزل على آدم اثنتى عشرة مرة . وعلى إدريس أربع مرات . وعلى نوح خمسين مرة . وعلى يعقوب أربع مرات . وعلى إبراهيم أربعين . وعلى موسى أربعمائة . وعلى أيوب ثلاث مرات . وعلى عيسى عشر مرات . وعلى نبينا صلى الله عليه وعليهم وسلم أربعا وعشرين ألف مرة . وفى كتاب لقط الدر بأنامل الكف للشيخ أبى عبد الله العمرى سبط الشيخ المرصفى : نزل يعنى جبريل عليه السلام إلى آدم إحدى وعشرين مرة . وإلى نوح ثلاثا وعشرين مرة . وإلى إبراهيم ثمانيا وأربعين مرة . وإلى يوسف أربع مرات . وإلى موسى إحدى وثلاثين مرة . وإلى محمد صلى الله عليه وسلم أربعمائة وعشرين مرة اهـ من مطالع المسرات (فلا ملك) بالفتح : أى ملك من الملائكة ، وبالضم ملك من الملوك (إلا قدره دون قدره) إلا شرفه دون شرفه صلى الله عليه وسلم . المعنى فلا ملك من الملائكة إلا شرف ذلك الملك دون شرفه صلى الله عليه وسلم ، هذا إذا قرأت بفتح الميم ، وإذا قرأت بالضم فلا ملك من ملوك الدنيا إلا قدر ذلك الملك دون قدره صلى الله عليه وسلم ، لأنه :

* ذوو الملك دانوا خاضعين لأمره * وأما بكسر الميم فتفسيره فلا يملك نبي ملكا من كرامة ومعجزة إلا عظم ذلك دون عظم مايملكه صلى الله عليه وسلم لأنه : * المسرى به والمكلم * تقدم : * وقد قال قوم عاين الله جهرة * فهو خليل الله وحبيبه ، وخص بخصائص لم يؤتها أحد من العالمين، صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه أجمعين (ذوو الملك) أصحابه (دانوا) انقادوا وأطاعوا (خاضعين لأمره) متذللين إلى قبول ماجاء به ، إما بالإسلام ، و إما بأداء الجزية . ولما فتح الله عليه مكة ، وأظهره يوم حنين ، وانصرف من تبوك ، وأسلمت ثقيف، وأقبلت إليه وفود العرب من كل جهة يدخلون فى دين الله أفواجا ، وأكثرهم كان ينتظر ما يكون من قريش لأنهم كانوا أئمة الناس من أجل البيت الحرام ، وأنهم صريح ولد إسماعيل عليه السلام (ف)بسبب خضوعهم لأمره (لم يبق بطريق) قائد من قواد الروم (ولم يبق جهبذ) النقاد الخبير ، وهو أيضاً من قواد الفرس (ص) :

أَوَوْا بَيْنَ قَسْرٍ وَاخْتِيَارٍ لِظِلِّهِ ... قَدِ اعْتَصَمُوا مِنْ كُلِّ جَوْرٍ بِعَدْلِهِ
فَهٰذَا عَلَى وَقْمِ الْحَسُودِ وَذُلِّهِ ... دُخُولُ الْأَعَادِي تَحْتَ أَخْمَصِ رِجْلِهِ
وَأَصْنَامُهُمْ بِالْمَشْرَفِيِّ تُجَذَّذُ

(ش) (أووا) أى خضعوا وانضموا (بين قسر) قهر وغلبة (واختيار لظله) أى لشريعته وستره . والمعنى أنهم يدخلون فى دين الله ؛ فمنهم من دخل اختياراً ومنهم من دخل اضطراراً قهراً (قد اعتصموا) امتنعوا (من كل جور) ظلم (بعدله) أى قد طرحوا كل جور وظلم بسبب عدله . أوالمعنى من أراد أن يظلهم منعوا بسبب عدله (فهذا) خبر لمحذوف : أى عدله هذا ، أو فهذا مبتدأ وخبره على وقم الحسود ، أوفهذا دخول الأعادى مبتدأ وخبر (على وقم) ذل (الحسود

وذله) وفى نسخة : على رغم الحسود الذل والوقم معناهما واحد وإن اختلفا لفظاً ، أوعلى وقم الحسود على شدة حزنه (ذحول) عداوات والحقد (الأعادى) و (تحت) حال (أخمص رجله) صلى الله عليه وسلم ، والأخمص : باطن القدم التى تتجافى عن الأرض لا يصيبها إذا مشى : أى ما كان عليه الجاهلية من العداوة والحقد والثأر والغارات ، وغير ذلك من الأباطيل معدوم وباطل بسببه ، وقال صلى الله عليه وسلم « ألا كل شىء من أمر الجاهلية فهو تحت قدمى إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر » أى المراد أن أمر الكفر زال به (وأصنامهم) أى الكفار(ب) السيف (المشرفى تجذذ) تقطع ، ومنه : «فجعلهم جذاذا» وفى بعض النسخ : وأصنافهم جمع صنف (ص) :

سَلَبْنَاهُمُ الْأَسْمَاءَ فَضْلاً عَنِ الْكُنَى أَخَذْنَاهُمُ فِى الدِّينِ كُلاًّ بِمَا جَنَى
ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فِى المَعَادِ وَهَاهُنَا ذعَرْنَاهُمُ بِالْحَقِّ فِى عَذَبِ الْقَنَا
وَلَيْسَ مِنَ الْحَقِّ الْمُؤَيَّدِ مُنْقِذُ

(ش) (سلبناهم) أى الكفار (الأسماء) أى أسماءهم ، وهو بدل اشتمال من ضمير الجماعة (فضلا) لاسيما الكنى ، وفضلا منصوب بفعل محذوف : أى يفضل بمعنى يزيد فضلا : أى زيادة (عن الكنى) جمع كنية ، وهذا كناية عن سلب عزهم : أى لم نترك لهم أسماء فضلا عن الكنية التى للتعظيم ، فلم يبق لهم أن يقال لأحدهم يافلان إذليس له اسم ، فأحرى أن لايقال له يا أبا فلان ،أى ألا يكنى بكنية رديئة غير كنيته كأبى جهل لعنه الله ، فإن اسمه عمرو بن هشام وكنيته أبوالحكم ، فسلب اسمه وكنيته ، فسمى أبا جهل (أخذناهم) عاقبناهم (فى الدين كلا) أى كلهم (بما جنى) بجنايته ، إما بقتل فيقتل ، وإما سرقة فيقطع ، وإما غصب فيغرم ويؤدب ويعذب ، وإما حرابة فيقتل، أو يصلب أو يقطع بخلاف ، أو ينفى

ويغرم ، وقيل هذا البيت تفسير لقوله : ذحول الأعادى الخ (ظهرنا عليهم) علونا وغلبناهم وظفرنا بهم (فى المعاد) الآخرة ، المراد به القيامة لأننا فى نعمة أىّ نعمة وهم فى عذاب السعير (وهاهنا) الدنيا لغلبتنا عليهم ، وأخذ الجزية منهم عن صغار كما قال تعالى : «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» (ذعرناهم) خوّفناهم (بالحق فى عذب) طرف (القنا) الرماح (وليس) للكفار (من الحق المؤيد) من حق النبى صلى الله عليه وسلم وحقه مؤيد معين (منفذ) مخلص : أى قاتلناهم بالسنان ، وأذعرنا منهم كل إنسان ، حتى تركوا ما كانوا عليه من الفساد والطغيان ، وانقادوا إلى الحق بالدليل والبرهان ، والحجة والسلطان (ص) :

عَكَفْتُ عَلَى ذِكْرِ النَّبِيِّ مَوَدَّةً   تَزِيدُ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدَيْنِ جِدَّةً
وَمَهْمَا أَذَاقَتْنِي يَدُ الدَّهْرِ شِدَّةً   ذَكَرْتُ رَسُولَ اللهِ بَدْءًا وَعَوْدَةً
كَذَاكَ يُعِيدُ الذِّكْرَ مَنْ يَتَلَذَّذُ

(ش) (عكفت) لزمت (على ذكر النبى) بكسر الذال ضد الإنصات ، وبالقلب ضد النسيان وذاله مضمومة (مودة) لأجل مودّتى إياه ، ومنه : «وجعل بينكم مودّة ورحمة» (تزيد) تلك المودّة (على كرّ) رجوع ومر (الجديدين) الليل والنهار . وقال ابن دريد :

إن الجديدين إذا ما استوليا   على الجديد أدنياه للبلى

(جدة) بالكسر ضد القديم (ومهما) اسم شرط (أذاقتنى) من الذوق : أصابتنى بملماتها (يد الدهر) وإسناد اليد إلى الدهر مجاز ، واليد: الجارحة (شدة) مفعول ثان لأذاقتنى (ذكرت) حمدت (رسول الله) صلى الله عليه وسلم (بدءا وعودة) أوّلا وآخرا ، أومرة بعد أخرى ، وهما منصوبان على الظرفية (كذاك)

إشارة إلى الحاضر (يعيد) يكرر (الذكر من يتلذذ) بذكر محبوبه يعيده مرة بعد أخرى . * أعد ذكر خير الخلق فالعود أحمد * (ص) :

تَخَلَّفْتُ عَنْهُ لاَ بِوُدِّى ضَرُورَةً وَقَدْ سِرْتُ مَعْنًى إنْ تَخَلَّفْتُ صُورَةً

وَقَلْبِي لَدَيْهِ يَقْرَأُ الْحُبَّ سُورَةً ذَهَبْتُ إِلَيْهِ بِالْفُؤَادِ ضَرُورَةً

وَجِسْمِى بِأَسْبَابِ الْمَقَادِرِ يُجْبَذُ

(ش) (تخلفت) تأخرت (عنه) عن عدم زيارته (لابودّى) لابمحبتى بذلك التخلف حال كونى (ضرورة) لم أحجّ قط ، وقعودى على ذلك اضطرار لااختيار ، ومع ذلك * ورمنا إليه السير والحكم قد أبى * تقدم والضرورة : من لم يحج (وقد سرت) ذهبت (معنى) مجازا (إن تخلفت) تأخرت (صورة) حقيقة ، ومعنى وصورة منصوبان على التمييز (وقلبى لديه) عند النبى صلى الله عليه وسلم (يقرأ) حال (الحب سورة) حال كما يقرأ القارى سورة من القرآن . أومعناه فلبى قلبى عند النبى صلى الله عليه وسلم يجمع الحب منزلة (ذهبت) سرت (إليه) إلى زيارته (بالفؤاد) بقلبى (ضرورة) لااختيارا (وجسمى بأسباب المقادر) جمع سبب : هو مايوصل الشئ إلى الشئ (يجبذ) يجذب و يمنع عن بلوغ مأموله . وتقدم * يطير اشتياقا والقضاء يلبث * (ص) :

فَيَاوَيْحَ قَلْبِي كَمْ يُقَاسِى شُجُونَهُ لِبُعْدِ حَبِيبٍ فِي الْهَوَى لَنْ أَخُونَهُ

بَذَلْتُ لَهُ مِنْ دُرِّ جَفْنِي مَصُونَهُ ذَرَفْتُ دُمُوعِى فِى التَّخَلُّفِ دُونَهُ

وَلِمْ لاَ وَأَفْلاَذِى مَعَ الْبَيْنِ تُفْلَذُ

(ش) (فيا) قوم (ويح) كلمة ترحم لمن وقع فى هلكة لايستحقها (قلبى كم) كثير (يقاسى) يكابد (شجونه) أحزانه (ل)أجل (بعد حبيب) محبوب (فى الهوى) فى حبى إياه (لن أخونه) من الخيانة : أى أترحم نفسى كثيرا من

الزمان يكابد نفسى أحزانه ، لأجل بعد محبوب لن أخونه فى حبى إياه .

* أحب النبى الهاشمى محمدا * محبة صدق ؛ ألا ترى أننى (بذلت) أعطيت (له) صلى الله عليه وسلم (من در جفنى) من بيانية ، ويجوز تقديمها على المبين ، والدر : اللؤلؤ ، والجفن : غطاء المقلتين من أعلى وأسفل (مصونه) محفوظ الجفن . والمعنى حفظت دموعى ، ولا أبكى إلا لأجله صلى الله عليه وسلم (ذرفت) أرسلت (دموعى) جمع دمعة : وهو ماء يخرج من العينين ، كأن سائلا سأله لِمَ صببت دموعك ؟ فقال : (فى التخلف) أى لأجل تأخرى (دونه) دون الوصول إلى زيارة من قاد الورى بصلاحه (ولم لا) أى ولِمَ لم أذرف دموعى ، أو ولم لا يكون ذلك ؟ (و) الحال (أفلاذى) جمع فلذة : وهى الـكبد ، والمراد أحشائى (مع البين) البعد أو الفراق (تفلذ) تقطع (ص) :

هُوَ الْمُجْتَبَى لِلهِ مِنْ أَنْبِيائِهِ أَلَمْ تَرَهُ قَدْ ضَمَّهُمْ لِلِوَائِهِ

وَأَسْرَى بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ لِسَمَائِهِ ذَمَائِىَ أَبْقَاهُ رَجَاءُ لِقَائِهِ

وَإِلاَّ فَأَحْشَائِى تُـذُّ وَتُجْـذَذُ

(ش) (هو المجتبى) المصطفى (لله من أنبيائه * ألم تره) أى النبى صلى الله عليه وسلم ، لواء الله تعالى (قد ضمهم) جمع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (للوائه) إلى لوائه صلى الله عليه وسلم ، فصار سيدهم ، وسيأتى :

* وهل تحته إلا النبيون والرسل * وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة و بيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ آدم فمن دونه إلا تحت لوائى» الحديث (و) ألم تعلم أن الله (أسرى به) أى بالنبى صلى الله عليه وسلم (من بينهم) أى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (لسمائه) إليها. قال تعالى : « سبحان الذى أسرى » الآية (ذمائى) بقية روحى بعد ذبح الشوق ، والذماء :

بقية الروح فى جسد المذبوح (أبقاه) ذمائى (رجاء لقائه) صلى الله عليه وسلم كأنه يقول : « لولا رجاء لقائه لما وديت بقية الروح فى جسدى » والمراد هنا الزيارة ، لأن من زاره ميتاً كمن زاره حيا صلى الله عليه وسلم (وإلا) وإن لم يكن الأمر كذلك ، وكنت لاأرجو لقاءه ، فإن قتلنى الشوق فلا كلام وإن لم يقتلنى (فأحشائى) أمعائى (تقدّ) تشق طولا ، ومنه : « وقدت قميصه من دبر » (وتحنذ) تحرق وتشوى بنار الحب ، ومنه : « فما لبث أن جاء بعجل حنيذ » أى مشوى (ص) :

كَسَانِى هَوَى الْمُخْتَارِ بِزَّةَ مُكْمَدِ ... وَأَقْصَدَنِى سَهْمُ الْفِرَاقِ بِمَرْصَدِ

وَحُبِّىَ فِيهِ فِى مَزِيدِ تَأَكُّدِ ... ذَخَرْتُ لِهَوْلِ الْحَشْرِ حُبَّ مُحَمَّدِ

وَذَلِكَ أَعْلَى مَا بِهِ يُتَعَوَّذُ

(ش) (كسانى) ألبسنى (هوى) حب (المختار) من بين المصطفين الأخيار (بزة) ثيابا وهيئة (مكمد) محزون (وأقصدنى سهم الفراق) أصابنى الفراق الذى هو النبل (بمرصد) فى موضع الرصد فيقتلنى فى مكانى وهو الترقب ، ومنه : « واقعدوا لهم كل مرصد » (وحبى) مبتدأ (فيه) المختار (فى مزيد) زيادة خبر (تأكد) شدة (ذخرت) أعددت (لهول الحشر) لأهوال يوم القيامة (حب محمد) صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا فنعم المدخر . تقدم :

* أعد لأهوال القيامة حبه * (وذلك) حب محمد صلى الله عليه وسلم (أعلى) أرفع (مابه يتعوذ) يلجأ به ويستجار . تقدم :

* وحسبى فلى منه ملاذ وملجأ * (ص) :

بِنَفْسِىَ غَادٍ لِلْحَبِيبِ وَرَائِحُ ... أَلَا حَ لَهُ نُورٌ بِيَثْرِبَ لَائِحُ

رَسُولٌ أَتَتْنَا مِنْ لَدَيْهِ نَصَائِحُ ذَرِيعَةُ أَمْثَالِي لَدَيْهِ مَدَائِحُ
كَمَا فَصَّلَ الدُّرَّ النَّفِيسَ الزُّمُرُّذُ

(ش) (بنفسى) أفدى بنفسى أوالباء زائدة كبحسبك درهم ونفسى مبتدأ (غاد) من الغدوّ : أى سائر أول النهار (للحبيب) إلى حبيبه (ورائح) سائر بعد الزوال إليه إن أطلقت وإلا أفتدى غادياً ورائحاً إليه بنفسى (ألاح) ظهر (له) للغادى والرائح (نور) فاعل ألاح ، كائن (بيثرب) بالمدينة (لائح) ظاهر صفة لنور ، ذلك النور (رسول) مبلغ أمر الله (أتتنا) جاءتنا (من لديه) عنده (نصائح) جمع نصيحة (ذريعة) وسيلة ، أوطريقة (أمثالى) كناية عن نفسه (لديه) بمعنى إليه (مدائح) جمع مديحة ، والذريعة : عبارة عن كل مباح يتوصل به إلى الوقوع فى محظور على ماهو مشهور . يعنى أن المادح يصل إلى رضى الله الستار بمدح النبى المختار (كما فصل) حجز بالصاد والضاد (الدر) الحجر المعروف (النفيس) صاحب القدر ، يقال شىء نفيس: مأخوذ من النفس التى هى أشرف مافى الإنسان (الزمرذ) الزبرجد : أى هذه المدائح فى نفاستها كالدر المفصل بالزبرجد (ص) :

مُنَى الْقَلْبِ لَوْ نَالَ الْمُنَى بِاقْتِرَاحِهِ زِيَارَةُ مَنْ قَادَ الْوَرَى بِصَلَاحِهِ
سِوَى مَنْ أَبَى فَاقْتَادَهُ بِسِلَاحِهِ ذُنُوبِىَ أَرْجُو مَحْوَهَا بِامْتِدَاحِهِ
وَكَمْ غَرِقَ فِى لُجَّةٍ وَهْوَ يُنْقَذُ

(ش) (منى القلب) أى قلبى (لو نال) وجد القلب (المنى) أى جميع منيته (باقتراحه) بتمنيه متعلق بالمنى ، منى مبتدأ وخبره (زيارة من قاد) ساق (الورى) الخلق (بصلاحه) بهديه (سوى) غير (من أبى) امتنع أن يقاد بالصلاح (فاقتاده) ساقه (بسلاحه) بآلة الحرب (ذنوبى) خطيئاتى

(أرجو) أتيقن (محوها) إزالتها وغفرانها (بامتداحه) بسبب مدحى إياه صلى الله عليه وسلم (وكم) كثير من (غرق فى لجة) معظم بحر وقعره ، ومنه : « فى بحر لجىّ » (وهو) الغرق (ينقذ) يخلص وينجى من الغرق : أى كثير ممن أشرف على الغرق فى الماء ، فأنقذ وهو فى حال لايرجو ذلك ، فمادحه إن غرق فى بحر ذنوبه وحوبه مع رجائه الإنقاذ من باب أولى أن ينقذه الله بجاه شفيع الخلق كلهم. * ولم لا وعندى من مدائحه الشرط *

هنا انتهى حرف الذال ويتلوه حرف الراء إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الراء

لما فرغ من حرف الذال شرع يتكلم فى حرف الراء ، وليس له مايعلل به به نفسه فى حال عشقه إلا مدحه صلى الله عليه وسلم فإنه أفضل الدواء ، وعلم بقطع زمانه فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم و إصابته فى الرشد أمرك بذلك لتفوز بما فاز به على وجه النصيحة قائلا (ص) :

بِمَدْحِ النَّبِيِّ اقْطَعْ زَمَانَكَ تُرْشَدِ بِنَظْمٍ وَنَثْرٍ إِنْ أَطَقْتَ مُسَرْمَدِ
بِذَلِكَ تحْظَى بِالنَّعِيمِ الْمُؤَبَّدِ رِضَا اللهِ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
فَلَا تُهْمِلِ الْإِطْنَابَ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ

(ش) (بمدح) بثناء (النبى) صلى الله عليه وسلم (اقطع زمانك) خطاب لكل من يتأتى النطق بمدحه إنشاداً و إنشاء فى المسجد أوغيره لابمدح غيره .

دع القول فى ذكر الغزال ووصفه ودس على آثار ذاك وعفه

(ترشد) جواب الأمر : أى أرشدك الله (بنظم) بكلام منظوم إن أطقت (ونثر) بكلام منثور (إن أطقت) قدرت وقويت على ذلك (مسرمد) دائم ،

نعت لنظم أو لنثر (بذلك) بقطع زمانك نظما ونثراً (تحظى) تصير ذا حظوة (بالنعيم) بالجنة (المؤبد) المسرمد .

ثنايا ثنائى للجنان طريقة فاقسم على الجدوى فلست تحنث

(رضا الله) حتم (فى مدح النبى) الأمى الهاشمى المدنى الحجازى صاحب القضيب والناقة والهراوة (محمد) صلى الله عليه وسلم ، ورضا الله : إنعامه على المحسنين ، وعفوه عن المجرمين ، وتجاوزه عن المسلمين ، وإحلاله دار كرامته جميع المؤمنين (فلا تغفل) تترك (الإطناب) الإكثار لأنه شأن المادح . وفى الحديث : «من أحب شيئاً يذكره» والألف واللام فى (فى النظم والنثر) للعهد (ص) :

لَقَدْ شَرَحَ الْمَوْلَى لِأَحْمَدَ صَدْرَهُ كَمَا حَطَّ عَنْهُ لِلتَّخَيُّرِ وِزْرَهُ
وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْبَعْثِ أَنْقَضَ ظَهْرَهُ رَسُولٌ كَرِيمٌ قَدَّمَ اللهُ أَمْرَهُ
عَلَى كُلِّ نَهْىٍ قَدْ تَقَدَّمَ أَوْ أَمْرِ

(ش) (لقد شرح) وسع قلبه وفتحه (المولى لأحمد) المرتضى بشرى عيسى (صدره) قلبه للإيمان والهداية ، ومنه : «ألم نشرح لك صدرك» : أى ملأه علماً وحكمة (كما حط) وضع المولى (عنه) عن أحمد (للتخير) لأجل تخيير الله إياه (وزره) ثقله ، المراد به الحيرة فى أمر قريش وما كانت عليه من الضلالة (و) الحال (قد كان) الوزر على تقدير أن لو كان (قبل البعث) بعث الله إياه (أنقض) أثقل (ظهره) قال تعالى : «ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك» قيل ما سبق من ذنبك قبل النبوة ، وأراد ثقل أيام الجاهلية ؛ وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة حتى يبلغها. هو (رسول) مبلغ أمر الله (كريم) من كرام ، وهو صلى الله عليه وسلم فى غاية الكرم والجود (قدم الله أمره) أى الرسول ، يريد ونهيه مقدم ، لأن كل أمر بشىء ناه عن ضده ، يدل عليه قوله (على كل نهى قد تقدم

أوامر) قد تقدم ، ولا خفاء أن شريعته ناسخة لشرائع تقدمت ، فأمره ونهيه مقدم على جميع الأوامر والنواهي . فقال عليه الصلاة والسلام : « لو كان موسى حيا ماوسعه إلا اتباعي » وحسبك بعيسى عليه السلام حيث ينزل مجدداً شريعته ومبيناً لأمره ، ونبياً خاتم الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

تمام نظام للنبيين والمرسليـــن وفى الختم منع للزيادة فى الطرس

(ص) :

أَنَافَ عَلَى أَهْلِ الفَضَائِلِ فَضْـلُهُ ... وَصَدَّقَ مِنْهُ القَوْلَ فِى البِرِّ فِعْلُهُ

فَلَيْسَ عَلَى الإِطْلاَقِ فِى الخَلْقِ مِثْلُهُ ... رَءُوفٌ رَحِيمٌ لاَ يُـكَدِّفُ بَذْلُهُ

وَلاَ عَفْوُهُ إِبْدَاءُ بُؤْسٍ وَلاَ عُذْرِ

(ش) (أناف) زاد (على أهل الفضائل) الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (فضله) أى شرفه فى كرّ الصباح والمساء (وصدق منه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (القول) مفعول به (فى البر) فى الطاعة (فعله) أى النبى صلى الله عليه وسلم :

نبينا الآمر الناهى فلا أحد ... أبرّ فى قول لا منه ولا نعم

أى هو صلى الله عليه وسلم أكثر الناس طاعة لامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وإنه إن أمر بطاعة كان أول مبادر لها وفاعلا أكثر مما يفعله غيره ، وإن نهى عن معصية كان أول مجتنب لها ، ومن كان بهذه الصفات كان أبر الناس وأصدق الناس سراً وعلانية ، حيث وافق قوله فعله (فليس على الإطلاق) من غير قيد ولا استثناء لأحد . * فقدمه إجماعا عليه بلا ثنيا *

(فى الخلق مثله) أى ليس مثله فى مخلوقات الله مطلقاً ، فانه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين (رءوف) شديد الرحمة (رحيم لا يكدف) بابتداء للفاعل والمفعول (بذله) عطاؤه فاعل أونائب (ولا عفوه) تجاوزه وترك مؤاخذته صلى الله عليه وسلم

(إمذاء) إظهار (بؤس) فقر (ولا عذر) معذرة، وفيه لف ونشر مرتب: أى لايكلف عطاؤه إظهار فقر، ولا يكلف عفوه إظهار معذرة: أى كان يعطى فى بعض الأحوال من غير سؤال ولاشكاية، ويعفو عن الجاهل من غير إظهار عذر؛ وقد يحتمل أن يكون المراد إذا أعطى أغنى، فإنه كان يعطى عطاء من لايخشى فاقة، أو يخاف فقرًا، فكان لايظهر البؤس على المعطى، ولا معذرة عمن عفا (ص):

إِمَامُ هُدًى لَوْلَاهُ مَاعُرِفَ الْهُدَى ... أَتَى وَالْوَرَى فِى الْجَهْلِ قَدْ بَلَغُوا الْمَدَى
فَرَدَّهُمُ بِالْعِلْمِ عَنْ سُبُلِ الرَّدَى ... رَحِيبُ فِنَاءِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنَّدَى
عَلِيُّ مَنَارِ الْقَدْرِ وَالْفَخْرِ وَالذِّكْرِ

(ش) (إمام هدى) الذى يقتدى به وتتبع سنته (لولاه) صلى الله عليه وسلم (ماعرف الهدى) لم يعرف الناس طريق الرشد (أتى) جاء النبى صلى الله عليه وسلم (و) الحال أنّ (الورى) الخلق (فى الجهل) جهلهم (قد بلغوا المدى) الغاية، فما ميزوا طريق الرشد والردى (فردهم) أى الخلق المكلفين منهم (بالعلم) والتقوى، لابالجهل والهوى، فإنه ماينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى (عن سبل) طرق (الردى) الهلاك، هو (رحيب) واسع (فناء) بالكسر: ماامتد من جوانب الدار (الفضل) الفضيلة ضد النقيصة (والعدل والندى) العطاء، والألف واللام فى الأسماء الثلاثة معاقبة للضمير: أى فناء فضله وعدله، ونداه واسع، وإسناد الفناء للفضل ومابعده استعارة وتمثيل. وفى رواية: فناء الصدر، فيكون إشارة إلى صبره وحلمه وجوده وحسن خلقه، ولا خلاف أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أعدل الناس. قال «فمن يعدل إن لم أعدل؟ خبت وخسرت إن لم أعدل» (علىّ منار القدر والفخر) أى علىّ قدره وفخره رفيع،

والمنار : علم فى الطريق وغيره (والذكر) أى رفيع ذكره . قال تعالى : « ورفعنا لك ذكرك » (ص) :

لَهُ الظِّلُّ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَقَلَّصُ وَقَدْ نَالَ مِنْهُ ظَهْرَ بَهْرَامَ أَخْمَصُ
حَبِيبٌ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّةِ مُخْلِصُ رَفِيعُ السَّجَايَا وَالْعَطَايَا مُخَصَّصُ
بِنُورَيْنِ قُدْسِيَّيْنِ فِى السِّرِّ وَالْجَهْرِ

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (الظل) الشرع (لا يفنى) ينفد (ولا يتقلص) يرتفع ويذهب، والتقلص : قصر الظل نصف النهار ، والمراد بالظل دينه وحمايته ، يأوى إليه كل مظلوم ، وهو دائم لا ينسخ منه لا كلية ولا جزئية ، أوالمراد بالظل حرمته ومنزلته عند ربه التى لم يعطها الله لنبىّ قبله وهو الإسراء ، بدليل (وقد نال) أصاب (منه) صلى الله عليه وسلم (ظهر بهرام) بفتح الباء وكسرها أحد الكواكب السبعة وهو عطارد (أخمص) فاعل نال ، وهو باطن القدم ، هو (حبيب) محبوب (إلى رب البرية) الخليقة (مخلص) أعماله وأفعاله إلى رب البرية ، ومخلص : بفتح اللام وكسرها ، وعلى الفتح حبيب معناه محبوب (رفيع السجايا) الطبائع : أى رفع الله سجاياه (و) رفيع (العطايا) جمع عطية (مخصص) خصه الله وفضله على غيره (بنورين قدسيين فى السر والجهر) المراد بالنورين طهارته بشق صدره مرتين فى الصغر والكبر (ص) :

لِأُمَّتِهِ فَضْلٌ عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ يَصُوبُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ صَيِّبُ رَحْمَةٍ
يُزَحْزِحُ عَنْهُمْ كُلَّ كَرْبٍ وَغُمَّةٍ رِيَاضُ عُلُومٍ تَحْتَ وَابِلِ عِصْمَةٍ
فَنَاهِيكَ مِنْ مُزْنٍ وَنَاهِيكَ مِنْ زَهْرِ

(ش) (لأمته) صلى الله عليه وسلم (فضل على كل أمة) والمراد بالفضيلة الخيرية المذكورة فى قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » الآية .

وافضل أمته روى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلها أمتى قال : تلك أمة أحمد . قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلها أمتى قال : تلك أمة أحمد . قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرءون ظاهراً فاجعلها أمتى قال : تلك أمة أحمد . قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة يأكلون الفىء فاجعلها أمتى قال : تلك أمة أحمد . قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة يجعلون الصدقة فى بطونهم ويؤجرون عليها فاجعلها أمتى قال : تلك أمة محمد . قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة ، وإن عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها أمتى قال : تلك أمة محمد . قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه ، وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلها أمتى قال : تلك أمة أحمد . قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر فيقتلون قرون الضلالة والمسيح الدجال فاجعلها أمتى قال : تلك أمة أحمد . قال : فاجعلنى من أمة أحمد ، فأعطى عند ذلك خصلتين : قال ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين. قال : قد رضيت يارب» (يصوب) ينزل (عليهم) أى الأمة (منه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (صيب) سحاب ممطر (رحمة) ومنه : «أو كصيب من السماء» وتقدم : * وأهدى إلينا رحمة من سمائه * (يزحزح) يبعد ، ومنه : «فمن زحزح عن النار» (عنهم) أى الأمة (كل كرب وغمة) أى يبعد عن أمته كل حزن وما يغطى القلب من الشدائد ، هو (رياض علوم) جمع روضة : وهو المكان الذى يستنقع فيه الماء ، ويقال للماء نفسه روضة

(تحت وابل) مطر شديد ، ومنه : « فإن لم يصبها وابل فطل » (عصمة) حفظ (فماهيك) كافيك (من مزن) جمع مزنة ، وهي السحابة البيضاء (وناهيك من زهر) نوره ، كافيك من نور ، لف ونشر معكوس . والمعنى أنه أرض من علوم يصوب عليها مطر شديد من عصمته ينجي أمته عن كل حزن وشدة ، فإذا كان كذلك :

فمزن وابل عصمته كافيك من مزن   ونور روضته كافيــــك من نور

وهذه استعارة تخييلية ورشحها بالنور (ص) :

لَقَدْ أَشْرَقَتْ أَيَّامُهُ الغُرُّ بَهْجَةً   لَقَدْ صَانَ لِلْإِيمَانِ نَفْسًا وَمُهْجَةً

لَقَدْ سَدَّ مِنْ دُونِ الْفَوَاحِشِ فُرْجَةً   رِسَالَتُهُ لَمْ تُبْقِ لِلْخَلْقِ حُجَّةً

إِذَا الشُّهْبُ لَمْ تُدْرِكْ فَلاَ شَكَّ فِي الْفَجْرِ

(ش) والله (لقد أشرقت) أضاءت (أيامه الغر) البيض (بهجة) حسناً تمييز أو مصدر معنوى ، والله (لقد صان) حفظ (ل)أجل (الإيمان) به (نفساً) ذاتاً (ومهجة) دم قلب : أى لقد حفظ نفس من آمن به وتدين بشريعته كما فى الحديث : « فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » والله (لقد سد) أغلق ورتق (من دون) قبل (الفواحش فرجة) باباً وخللا قبل أن يصل إليها : أى لا يطيق بها أحد لمنعه إياها :

* يصد عن الفحشاء يأمر بالحيا *   والمعنى سد فرجة للكفر بلا فحش .

وفى الحديث : « أنه صلى الله عليه وسلم كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا فحاش ولا عياب ولا مداح » ومن دون الفواحش فى موضع نصب على الحال (رسالته) صلى الله عليه وسلم (لم تبق) بضم التاء (للخلق حجة) يعنى الحلال والحرام حتى لا يكون للمرء

معذرة فيما خالف من أمر الله تعالى (إذا الشهب) النجوم (لم تدرك) توجد:
أى إذا اضمحلت النجوم وانقشعت (فلاشك فى الفجر) فلاريب فى طلوع الفجر.

والمعنى إذا انقرض زمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومعجزاتهم، فلا شك فى ظهور نبينا * ومعجزاته باقية مدى الدهر تقرأ * (ص):

سَمَا نَاهِضًا فَوْقَ الْبُرَاقِ لِسِدْرَةٍ   هِيَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى لِأَنْوَارِ حَضْرَةِ
وَمِنْ قَبْلُ إِذْ قَدْ كَانَ خُصَّ بِطُهْرَةٍ   دَنَا فَرَأَى سِرَّ الْغُيُوبِ بِفِكْرَةٍ
مُؤَيَّدَةِ الْإِلْهَامِ نَيِّرَةِ الصَّدْرِ

(ش) (سما) علا النبى صلى الله عليه وسلم (ناهضا) حال، والنهوض القيام بسرعة (فوق البراق) هو من حيوانات الجنة: أى على ظهرها (لسدرة) إلى سدرة المنتهى (هى) السدرة (الغاية القصوى) البعيدة (لأنوار حضرة) والمراد به أنوار حضرة الأعمال التى يتقرب بها إلى الله عز وجل. عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم «أتيت بالبراق وهى دابة أبيض تركبها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه. قال: فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن. قال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة. قال: ثم عرج بى إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل، قيل من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل وقد أرسل إليه. قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟

قال : قد بعث إليـــه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابنى الخالة يحيي وعيسى ، فرحبا بى ودعوا لى بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال : جبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف وهو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيـل : وقد بعث إليه ، قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس ، فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ فقال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون ، فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال : جـبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليـه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى ، فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جـبريل ، فقيل من أنت ؟ فقال : جبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بإبراهيم ، فإذا هومستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون إليه ، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى ، فإذا أوراقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت ، فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها ، قال : فأوحى الله إلىّ ما أوحى ، وفرض علىّ فى كل يوم وليلة خمسين صلاة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ، فقال : مافرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لاتطيق ذلك

فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربى فقلت : أى رب خفف عن أمتى ؟ فحط عنى خمساً ، فرجعت إلى موسى ، قال : مافعلت ؟ فقلت : قد حط عنى خمساً ، قال : إن أمتك لاتطيق ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال : فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمساً حتى قال : يامحمد هى خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، بكل صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشراً ، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لاتطيق ذلك، فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت» رواه الشيخان واللفظ لمسلم ، وروى الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رأيت ربى عز وجل أى بعينى رأسى» (ومن قبل) قبل الإسراء (إذ) حين (قد كان) النبى صلى الله عليه وسلم (خص بطهرة) انفرد بشق قلبه (رنا) دام النظر . قال امرؤ القيس :

* إلى مثلها يرنو الحليم صبابة * (فرأى) النبى صلى الله عليه وسلم (سر الغيوب) جمع غيب ، وهو مالا يعلمه إلا الله ، قال تعالى: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول» (بفكرة) وهى القوة المعدة لقبول الفهم (مؤيدة) مقوية (الإلهام) إلقاء معنى فى القلب على طريق الفيض الإلهى (نيرة الصدر) القلب . والمعنى ومن قبل الإسراء به أدام النظر فرأى سر الغيوب بفكرة مؤيدة بالإلهام ؛ لأنه قد خص بطهرة وقلب منير ، ومؤيدة ونيرة صفتا فكرة (ص) :

أَخِيرٌ وَمَا فِى الأَوَّلِينَ شَبِيهُهُ   عَظِيمُ الحِجَا طَبُّ الفُؤَادِ فَقِيهُهُ
تَلُوحُ لَدَيْهِ لِلصَّوَابِ وُجُوهُهُ   رَوِيَّتُهُ مَعْصُومَةٌ وَبَدِيهُهُ
فَلاَ وَهْمَ فِى حِسٍّ وَلاَ سَهْوَ فِى فِكْرِ

(ش) (أخير) فى الإيجاد والبعث (وما) ليس (فى الأولين) فى الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام (شبيهه) مثله ونظيره (عظيم الحجا) كثير العقل أى كان أعقل الناس ، ولذلك اختاره ربه (طب) الحاذق العالم بالأمور (الفؤاد) القلب (فقيهه) والضمير للفؤاد : أى فقيه بمعنى عالم بما فى القلوب بإعلام الله ذلك . وروى «أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ابتليت بثلاث من المعاصى لا أصبر عنهن : الزنا والكذب وشرب الخمر . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما الكذب فدعه ، فذهب الرجل فاستقبله الزنا . فقال فى نفسه : إن ارتكبته ثم سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل زنيت ؟ فإن قلت نعم ضربنى الحد ، وإن قلت لا نقضت العهد ، فتركت الزنا ، ثم استقبله شرب الخمر فتأمل وقال مثل ذلك وتركه » فعلم أن الكذب أصل المعاصى كلها . انظر وأخلص الخالصة (تلوح) تظهر (لديه للصواب وجوهه) وجوه الصواب عنده ؟ والمراد بوجوه الصواب زيادة العلم له كل يوم . قال تعالى : «وقل رب زدنى علماً» .   * لأرسخ أهل الأرض علماً بربه *

«وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى» .

(رويته) فكرته (معصومة) محفوظة (وبديهه) مايقوله فجأة : أى يصيب عين الصواب فى كل منهما (ف) بسبب ذلك (لاوهم) غلط ولاخطأ (فى حس) فى نظره (ولاسهو) نسيان (فى فكر) . (ص) :

بِهِ اجْتُثَّ أَصْلُ الكَافِرِينَ وَزَيْغُهُمْ   وَكَمْ قَدْ عَمُوا عَنْهُ وَكَمْ صَمَّ سَمْعُهُمْ

وَإِذْ حَانَ بِالْكَفِّ الْكَرِيمَةِ قَمْعُهُمْ   رَمَى أَعْيُنَ الْكُفَّارِ فَانْفَضَّ جَمْعُهُمْ
وَقَدْ فَقَدَ الْإِدْرَاكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِى

(ش) (به) صلى الله عليه وسلم (اجتث) قطع (أصل الكافرين) ومنه : « كشجرة خبيثة اجتثت » (وفرعهم) أى أبطل الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرًا ، ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصده (وكم) كثير (قد عموا) الكفار : أى ذهبت أبصارهم و بصائرهم (عنه) عن إدراك ذاته (وكم صم سمعهم) أى انسدت آذانهم عنه :

عموا وصموا فإعلان البشائر لم   تسمع وبارقة الإنذار لم تشم

(وإذ) حين (حان) قرب (بالكف) الراحة (الكريمة) الشريفة (قمعهم) قهرهم وغلبهم وإذلالهم (رمى أعين الكفار) إشارة إلى حنين وغيره . وقال : « ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى » (فانفض) انهزم ، ومنه : « انفضوا إليها » (جمعهم*وقد فقد) من أصابها الرمى (الإدراك) المعهود (من حيث لايدرى) لايعلم فقد الإدراك (ص) :

أَقَامَ يَقُصُّ الْحَقَّ مُدَّةَ لُبْثِهِ   وَيَجْهَدُ فِى قَلْعِ الْمحَالِ بِجَثِّهِ
فَهٰذِى وَشَانِيهِ يَمُوتُ بِبَثِّهِ   رُءوسُ مُلُوكِ الْأَرْضِ ذَلَّتْ بِبَعْثِهِ
فَلَاحِسَ مِنْ قِسٍّ وَلَا خُبْرَ عَنْ حَبْرِ

(ش) (أقام) من الإقامة : أى قعد (يقص الحق) يقوله و يبينه ، ومنه «يقص الحق» (مدة لبثه) زمن مكثه وهو ثلاث وعشرون سنة، وقبل ذلك كان يتحنث مدة (ويجهد) من الجهد (فى قلع) نزع (المحال) الأباطيل التى كانوا عليها قبل الإسلام (بجثه) مع أصله الذى هو الكفر « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » (فهذى) إشارة إلى حاله صلى الله عليه وسلم : أى وهذه

القصة ثابتة له (وشانيه) مبغضيه ، ومنـه : « إن شانئك هو الأبتر » (يموت بثه) بحزنه ، ومنه : « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله » (رءوس ملوك الأرض ذلت) خضعت وانقادت (لبعثه) لأجل بعث الله له (فلاحس) صوت خفى (من قس) هو رئيس النصارى فى الدين والعلم (ولا خبر) علم ، والخبير: العالم (عن حبر) عالم: هو أحد أحبار اليهود ، أو نهذى مبتدأ ورءوس خبره ، أو بدل وجملة ذلت خبر ، وشانيه مبتدأ و يموت خبره ، والجملة الاسمية معترضة لامحل لها من الإعراب (ص) :

هُوَ الْمُنْتَقَى وَالْكُلُّ مِنْهُمْ حُثَالَةٌ هَدَاهُمْ فَلَجُّوا وَاللَّجَاجُ ضَلاَلَةٌ
حِرَاصًا عَلَى الدُّنْيَا وَتِلْكَ جَهَالَةٌ رِيَاسَتَهُمْ قَدْ أَبْطَلَتْهَا رِسَالَةٌ
تُؤَيَّدُ بِالْبُرْهَانِ وَالْبِيضِ وَالسُّمْرِ

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (المنتقى) المختار من المصطفين الأخيار (والكل منهم) من الكفار ، أومن رؤساء ملوك الأرض ، أو من القسيسين والأحبار ، أو من الخلق غير الأنبياء والملائكة (حثالة) كنخالة وزنا ومعنى ، وهوما يسقط من قشر الشعير والقمح والأرز والتمر والدخن ، وقيل هو التبن (هداهم) أرشد رؤساءهم ، و بين لهم طريق النجاة ، وحذرهم عن الهلاك (فلجوا) فإنهم تمادوا فى ضلالتهم (و) الحال أنّ (اللجاج) التمادى على الباطل (ضلالة) ضد الهداية (حراصاً) فلجوا لأجل الحرص على الدنيا ، أوحال كونهم حارصين (على) حب (الدنيا) الدنية (وتلك) الدنيا : أى الحرص عليها (جهالة) فعل الجاهلين ليس من فعل العالمين ، والحرص : شدة الطلب فى الشئ ، وهو مطية الطلب ؛ فلايحرص العاقل إلا على ثواب الآخرة (رياستهم) الكفار ، أو رؤساء الملوك (قد أبطلتها) أذهبتها (رسالة) نبينا عليه الصلاة والسلام (تؤيد) تقوى الرسالة (بالبرهان)

الدليل القاطع ، أو بالنبى صلى الله عليه وسلم، وقد سماه الله تعالى به فى قوله : « أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم » (والبيض) السيوف (والسمر) الرماح، والبيض واحده أبيض : وهو السيف ، والسمر : واحده أسمر وهو الرمح (ص) :

لَقَدْ جَهِدُوا تَبًّا لَهُمْ كُلَّ مُجْهَدِ لِإِطْفَاءِ نُورٍ لِلْهُدَى مُتَصَعِّدِ
وَقُلْنَا وَقَدْ شِمْنَاهُ بَرْقَ تَوَقُّدِ رَضِينَا بِخَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدِ
رَسُولاً وَعِنْدَ اللهِ نَرْغَبُ فِى الْأَجْرِ

(ش) والله (لقد جهدوا) أى الكفار : بذلوا وسعهم على قدر طاقتهم (تبًّا) هلاكا وخسرانا (لهم) للكفار ، ومنه : « تبت يدا أبى لهب » (كل مجهد) أى جهد (لإطفاء) لإخماد وإمحاء (نور للهدى) متعلق بـ(متصعد) والمعنى والله لقد جهدوا كل جهد لإخباء نور مشرق للرشد ، أوذلك النور متصعد لأجل رشد وأتوا تبا لهم ، ولم يقدروا على إطفاء شىء منه كما قال تعالى : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » (وقلنا و) الحال أنه (قد شمناه) نظرنا إليه (برق توقد) أى برقا متوقدا لأنه من إضافة الصفة الموصوف ومقول الأول (رضينا بخير العالمين) أفضلهم (محمد) صلى الله عليه وسلم (رسولا) مرسلا منصوب على التمييز أو المفعول به (وعند الله) لديه (نرغب فى الأجر) أى نطلب الأجر الجزيل فى رضائنا به عند الله لا لغيره . وفى الحديث : « من قال رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، وجبت له الجنة » . وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، حين يصبح ، وحين يمسى ، كان حقا على الله أن يرضيه » (ص) :

وَلِمْ لَا وَقَدْ سَادَ الْأَنَامَ مَنَاقِبًا وَقَدْ خَرَقَ السَّبْعَ السَّمٰوٰاتِ رَاكِبًا

إِلَى حَضْرَةِ الْقُدْسِ الْعَلِيَّةِ ذَاهِبًا   رَوَيْنَا لَهُ فِي الْمُعْجِزَاتِ عَجَائِبًا
تَدُلُّ عَلَى التَّمْكِينِ فِي الْقُرْبِ وَالنَّصْرِ

(ش) (ولم لا) يكون ذلك الرضا، ونرجو الثواب عند الله (و) هو (قد ساد الأنام) الخلائق (مناقبا) تمييز أو منصوب بنزع الخافض: أي مناقبه (و) هو (قد خرق) قطع (السبع السموات راكباً) حال: أي على البراق (إلى حضرة القدس العلية) الرفيعة، وحضرة القدس حيث يذكر ربنا ولا ينسى، ويطاع فلا يعصى؛ أو هي موضع حول العرش يسمى بذلك (ذاهباً) نعت لراكب أو حال، وهذه إشارة إلى ماقاله حذيفة مارًّا على ظهر البراق حتى رجعا (روينا) نقلنا (له) صلى الله عليه وسلم (فى المعجزات) جمع معجزة، سميت بذلك لأن الناس يعجزون عن الإتيان بمثلها (عجائباً) جمع عجيبة (تدل) ترشد صفة عجائبا (على التمكين) الثبوت فى القرب من الله: أى على مكانته عند ربه (فى القرب) فى قربه إياه حتى كان كقاب قوسين أو أدنى (والنصر) وتأييده بالملائكة إن الله مكنه من قربه ونصره، وأصاب منهما حظا وافراً (ص):

إِذَا قَالَ فَاسْمَعْ مِنْ فُؤَادِكَ قَوْلَهُ   وَيَابُؤْسَ مَنْ قَدْ شَكَّ فِيهِ وَوَيْلَهُ
رَسُولٌ إِلَى مَوْلَاهُ قَدْ رَدَّ حَوْلَهُ   رَأَيْنَاهُ شَمْسًا وَالنَّبِيُّونَ حَوْلَهُ
بُدُورٌ وَنُورُ الشَّمْسِ أَجْلَى مِنَ الْبَدْرِ

(ش) (إذا قال) هذا النبى صلى الله عليه وسلم الممدوح قولا (فاسمع) أيها المخاطب (من) فى (فؤادك) قلبك (قوله) سماع قبول (ويابؤس) شدة (من قد شك فيه) فى قبول قوله صلى الله عليه وسلم (و) يا (ويله) من قد شك فيه والويل: كلمة تجمع الشر كله، هو (رسول) مبلغ أمر الله (إلى مولاه) مالكه (قد رد حوله) قوته إلى ناصره مع مافيه من قوة الرسالة، أى يقول:

لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (رأيناه) علمنا النبى صلى الله عليه وسلم (شمسا و) الحال (النبيون) فى (حوله) جانبه ، وفى البيت تجنيس تام (بدور) جمع بدر : وهو القمر (ونور الشمس) إذا طلعت (أجلى) أظهر (من) نور (البدر) القمر ، وهذه استعارة وتمثيل ، وفيه ردّ العجز على الصدر . والمعنى لما ظهرت وظهرت شريعتك هدمت شريعتهم ومللهم ، صلى الله عليه وعليهم وسلم ؛ ومثل هذا ماقاله النابغة الذبيانى يمدح النعمان :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

(ص) :

أَتَانَا بِدِينِ الْحَقِّ أَسْبَغَ نِعْمَةٍ تَعُودُ عَلَى مَنْ قَدْ أَبَى شَرَّ نِقْمَةٍ
وَلَمَّا خُصِصْنَا مِنْ هُدَاهُ بِرَحْمَةٍ رَوِينَا بِهِ مَعْنًى بِوَابِلِ حِكْمَةٍ
وَحِسًّا بِنَهْرٍ مِنْ أَنَامِلِهِ الْعَشْرِ

(ش) (أتانا) رسول الله صلى الله عليه وسلم (بدين الحق) قال تعالى « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » (أسبغ) أكمل حال (نعمة) قال تعالى : « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » (تعود) ترجع هذه النعمة (على من قد أبا)ها حال كونها (شر نقمة) سوء عذاب فى الدنيا بالقتل والأسر ، وفى الآخرة بدخول النار وتخليده فيها (ولما) حين (خصصنا من) بيان (هداه برحمة) أى بالرحمة التى هى هداه (روينا) بكسر الواو ، من الرى : وهو ضد العطش (به) بسببه صلى الله عليه وسلم (معنى) منصوب بنزع الخافض أو تمييز (بوابل حكمة) بمطر كثير من علم ، والمراد بالحكمة هنا : مامنع من الجهل ، ومن دخل عليه صلى الله عليه وسلم لايخرج إلا عالما . قال فى حديث سفيان بن وكيع : يدخلون روادا ولا يتفرقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلة » يعنى فقها

(و) روينا بسببه (حسا) عياناً ونظر عين ، وهو كمعنى فى الإعراب ، ومراده (بنهر) ماء نابع (من) بعض ، أو بيان (أنامله العشر) . وروى عن جابر رضى الله عنه قال : « لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حضرت صلاة العصر ، وليس معنا ماء غير فضلة فجعل فى إناء ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدخل يده فيه وفرّج أصابعه وقال : حى هلا على الوضوء والبركة من الله فقد رأيت المـاء يتفجر من بين أصابعه فتوضأ الناس وشربوا وكنا ألفاً وأربعمائة »

(ص) :

شَرُفنَا بِهِ دِيناً وَقَدْرًا وَمَنْصِبًا وَفزْنَا بِهِ عَبْدًا كَرِيماً مُقَرَّباً

وَلَمَّا اعْتَقَدْنَا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبًا رَفَعْنَا بِهِ الْأَعْلَامَ شَرْقاً وَمَغْرِباً

وَجُسْنَا دِيَارَ الشِّرْكِ نُبْرِئُ أَوْ نَبْرِى

(ش) (شرفنا) علونا (به) بسبب اتباعنا إياه (ديناً وقدرًا ومنصبًا) هى منصوبات على التمييز ، أو بنزع الخافض (وفزنا) ظفرنا بالنجاة (به) صـلى الله عليه وسلم حال كونه (عبدًا) مطيعاً لربه (كريما مقرّبا) نعتان لعبد (ولما) حين (اعتقدنا) أيقنا فى قلوبنا (مذهب الحق) مفعول أول (مذهبًا) طريقا مفعول ثان لاعتقدنا ، والأصل مبتدأ وخبر : أى مذهبه مذهب (رفعنا) ظهرنا (به) بذلك المذهب ، أو بالنبى صلى الله عليه وسلم (الأعلام) الرايات (شرقا ومغربا) ظرفان (وجسنا) أى تخللنا وترددنا لطلب (ديار) أهل (الشرك) ومنـه : « فجاسوا خلال الديار » والجوس : طلب الشئ بالاستقصاء (نبرئ) من الإبراء : أى نبرئ من أمراض الـكفر من أراد الله هـدايته (أو) بمعنى الواو (نبرى) بفتح النون : أى نقطع رأس من لج وتمادى فى ضلالته ، من بريت القلم إذا نحته.

المعنى نحن نشفى صدورنا ، ونذهب غيظ قلوبنا ، وندّخر عند الله أجرنا

بقطع رقاب أعدائنا ، ممتثلين لأمر ربنا ، ومنه : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم » (ص) :

فَكَمْ وُجْنَةٍ دُسْنَا هُنَاكَ وَجَبْهَةٍ ... بِأَخْفَافِ إِبْلٍ أَوْسَنَابِكِ جَبْهَةِ

بِجَاهِ المُعَلَّى فَوْقَ نَسْرٍ وَجَبْهَةٍ ... رَكَائِبُنَا أَمَّتْهُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ

حَنِينًا إِلَى الْبَيْتِ المُطَهَّرِ وَالْقَبْرِ

(ش) (فكم) كثيرا من (وجنة) مثلثة الواو : ما ارتفع من الخدين ، وهو العظم بين الصدغ والجبهة (دسنا) وطأنا (هناك) إشارة إلى دار الشرك (وجبهة) هي ما بين الصدغين : موضع السجود (بأخفاف إبل) جمع خف (أو) بمعنى الواو (سنابك) جمع سنبك ، وهو طرف مقدم الحوافر (جبهة) خيل ، هذه إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم يغزوهم وينصره الله عليهم ، ونقتلهم ونجعل رءوسهم تحت أقدامنا ، كما وقع في يوم بدر وغيرها من المعارك . والمعنى بالقهر والغلبة عليهم من زمانه صلى الله عليه وسلم إلى هلم جرا . وفي البيت جناس تام ، ومفعول دسنا كم ، أومفعوله دسناها (بجاه) بحرمة النبي (المعلى) المرتفع قدره ، أوالمعنى بذاته (فوق نسر) اسم نجم (وجبهة) اسم منزل من منازل القمر : وهو أربعة أنجم ، وهذه إشارة إلى إسرائه صلى الله عليه وسلم (ركائبنا) إبلنا التي تحملنا (أمته) قصدته (من كل وجهة) جانب ، والوجهة : ما استقبلته أو وجهت إليه ، وإسناد القصد إلى الركائب مجاز (حنينا) مفعول له : أي لأجل اشتياق أو حال : أي مشتاقين (إلى البيت المطهر) من الأدناس والشرك . وفي التنزيل : « أن طهرا بيتي - و - إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا » (و) إلى (القبر) الشريف . روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

وروى الدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج فزار قبرى بعد وفاتى ، فكأنما زارنى فى حياتى » وقال أيضاً : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » حال كون القبر كائنا (ص) :

لِأَرْسَخِ أَهْلِ الْأَرْضِ عِلْماً بِرَبِّهِ لِمَنْ لَيْسَ فِى الْأَعْمَالِ شَىْءٌ كَحُبِّهِ

فَيَا وَيْحَنَا وَالْمَرْءُ يُقْصَى بِذَنْبِهِ رَجَوْنَا مُوَاتَاةَ اللَّيَالِى بِقُرْبِهِ

فَضَنَّتْ بِهِ وَالْخَطْبُ جَلَّ عَنِ الصَّبْرِ

(ش) (لأرسخ) أثبت (أهل الأرض علما) تمييز (بربه) بشهادة مافى الحديث « مابال أقوام يتنزهون عن الشىء أفعله ، فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم خشية » والمجرور حال من القبر فى آخر البيت قبله وحال كون القبر كائناً (لمن ليس فى الأعمال) الصالحات (شىء كحبه) إذ حبه داع إلى محبة الله . وحبه الاقتداء واستعمال سنته ، واتباع أقواله وأفعاله ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والتأدب مع الله فى عسره و يسره ، ومنشطه ومكرهه ، قال تعالى : «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ومن أحبه واتبعه أحبه الله ، ومن أحب شيئاً آثره وآثر موافقته و إلا لم يكن صادقا فى محبته وكان مدعيا ؛ فالصادق فى حب النبى صلى الله عليه وسلم من ظهرت عليه علامات الاقتداء فى كل حال (فياويحنا) ويح كلمة ترحم (و) الحال أن (المرء) الإنسان (يقصى) يبعد عن طاعة (بذنبه) بسبب ذنب فعله ، كيف يمشى المقيد بقيود المعاصى والمخالفات ؟ إذ المسجون لايمشى حيث شاء ، وفى الحكم لابن عطاء الله : كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته ؟ أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته ؟ (رجونا) أملنا (مواتاة) موافقة (الليالى بقربه) داره وزيارته (فضنت به) بخلت الليالى بالقرب و إسناد البخل إلى الليالى مجاز (والخطب) الأمر العظيم (جلّ) عظم ، أو صغر ؛

وهو من الأضداد ، وكل واحد من معنييه صحيح بهذا المقام (عن الصبر) هو حبس النفس عن الجزع (ص) :

عَسَى بَعْدَ حالِ الْعُسْرِ يُسْرٌ يَذُودُهَا ... فَيَقْرَبُ مِنْ دَارِ الحَبِيبِ بَعِيدُهَا

وَمَهْمَا طَلَبْنَاهَا فَعَزَّ وُجُودُهَا ... رَجَعْنَا إلى أَمْدَاحِهِ نَسْتَعِيدُهَا

فَهَا نَحْنُ نَسْتَشْفِي بِهَا أَمَدَ الدَّهْرِ

(ش) (عسى بعد حال العسر) ضد اليسر (يسر) ضد العسر (يذودها) يطردها وينفيها (ف) بإذا زادها (يقرب من) بيانية ، أو بمعنى إلى (دار الحبيب بعيدها) الدار فاعل يقرب ؛ تقديره عسى يسر يأتى بعد حصول العسر ليطرده ، فإذا طرده يقرب بعد دار الحبيب إلى دار الحبيب فيصل إليها ويذودها . والمراد بهذا البيت أن الفرج يأتى بعد الشدة ، قال صلى الله عليه وسلم « اشتدى أزمة تنفرجى ، ولو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه » قال تعالى : « فإن مع العسر يسرا » نسأل الله أن يزيل عسرنا ويبدله يسراً وييسر أمورنا حتى نزور قبر نبينا ومولانا محمد شفيعنا صلى الله عليه وسلم (ومهما طلبناها) أى زيارة الدار ، والمراد به القبر (فعز) صعب وامتنع (وجودها) نيلها (رجعنا) أنا ومن اتصف بصفتى (إلى أمداحه) صلى الله عليه وسلم (نستعيدها) نكررها مرة بعد أخرى (فها نحن نستشفى) نطلب الشفاء والدواء (بها) أى الأمداح (أمد) غاية (الدهر) الزمان هنا .

انتهى حرف الراء ويتلوه حرف الزاى إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الزاى

لما رأى العودة دأب المعتنين ، والتجدد شأن المشتاقين أمرك بهما بكلام مجدّد فقال (ص) :

أَلاَ فَأَعِدْ ذِكْرَ النَّبِيِّ وَجَدِّدِ   وَفِى مَدْحِهِ فَاعْدِلْ وَقَارِبْ وَسَدِّدِ
وَلاَ تَغْلُ فِى شَىْءٍ مِنَ الْقَوْلِ وَاقْصِدِ   زِنِ الْقَوْلَ إِنْ حَاوَلْتَ مَدْحَ مُحَمَّدِ
فَفِى كُلِّ قَوْلٍ مُسْتَحِيلٌ وَجَائِزُ

(ش) (ألا) حرف استفتاح (فأعد ذكر النبى) محمد صلى الله عليه وسلم (وجدد) أى أحضك على ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن ذكرته فأعده أيضاً وجدده مادمت تقدر على ذلك ولا تتركه فإنه أفضل العبادة ، فأعد من الإعادة ، وجدد من التجديد (وفى مدحه فاعدل) من العدالة : وهى أن تتصرف بما شئت مدحا فيه (وقارب) إلى الحق وإن كان الإنسان لايستطيع الوصول إلى حقيقة أمره ، ولا تتجاوزه ؛ لأن ما قارب الشئ فله حكمه ، أو قارب أهل البلاغة والفصاحة إن لم تقدر أن تكون مثلهم فى مدحهم (وسدد) توسل واستقم (ولاتغل) لاتتجاوز الحد (فى شئ من القول) فى مدحه كما جاوزت النصارى فى نبيهم عيسى . قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » (واقصد) أى استقم ، ومنه : « واقصد فى مشيك » . وفى الحديث : « خير الأمور أوساطها » (زن القول) تحفظ فيه قبل النطق به بميزان الشرع أن يكون ميزانا (إن حاولت) طلبت (مدح محمد) صلى الله عليه وسلم (ففى كل) بعض (قول مستحيل) وهو مالا يرضى أن يمدح به (و) بعضه (جائز) وهو مايرضى أن يمدح به ، وحقيقة

المستحيل كل مفعول امتنع تصوره عقلا ، وحقيقة الجائز كل مفعول لايلزم من تقديره على البدل قلب حقيقة ، فإن شئت أن تمدحه (ص) :

فَقُلْ فِيهِ عَبْدُ اللهِ رَبُّ الْمَكَارِمِ ... بِتَقْوَاهُ سَادَ الصِّيدَ مِنْ كُلِّ عَالَمِ
زَكِيٌّ تَقِيٌّ مِنْ أَرُومَةِ هَاشِمٍ ... زَكَا وَهْوَ نُورٌ فِي سُلاَلَةِ آدَمِ
فَقَدْ طَابَ كُلًّا جِسْمُهُ وَالْغَرَائِزُ

(ش) (فقل فيه) فى مدحه، أوفى النبي صلى الله عليه وسلم (عبد الله) طائع خاشع متواضع منيب لله ، وعبد الله أحب الأسماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سماه الله به قال : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » (رب المكارم) صاحب الفضائل والمزايا ، فإن سئلت بماذا صار سيد العالم؟ فقل (بتقواه) بسبب تقواه صلى الله عليه وسلم (ساد الصيد) الملوك الذين يرفعون رءوسهم تكبرا جمع أصيد ، وهو الملك يرفع رأسه تكبرًا . قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . قال عليه الصلاة والسلام : « من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله » (من كل عالم) وهو كل موجود سوى الله وسوى ذاته (زكى) طاهر (تقى من أرومة) أصل (هاشم) بن عبد مناف ، وهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب (زكا) طهر (و) الحال (هو نور فى سلالة) من السل وهو النطفة (آدم) ومن أسمائه النور . قال تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » .
قلت: وروى صاحب التشريعات عن أبى هريرة رضى الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام قال له : يا جبريل كم عمرت من السنين ؟ فقال له لاأدرى ، إلا أنى أعرف كوكبًا يظهر فى الحجاب الرابع كل اثنتين وسبعين ألف سنة مرة ، فرأيته اثنتين وسبعين ألف مرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل وعزة ربى أنا كنت ذلك الكوكب » . وعن ابن عباس رضى الله

عنهما : « أن قريشاً كان نورًا بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفى عام يسبح ذلك النور فى صلبه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأهبطنى الله تعالى فى صلب آدم عليه السلام ، وجعلنى فى صلب نوح ، وقذف بى فى صلب إبراهيم عليه السلام ، ثم لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الكريمة ، والأرحام الطاهرة حتى أخرجنى بين أبوىّ لم يلتقيا على سفاح قط » (فقد طاب) طهر (كلا) حال (جسمه) صلى الله عليه وسلم (و) قد طاب (الغرائز) أى غرائزه وهى طبائعه : أى وطاب جسمه وغرائزه حال كونه كلا ؛ ومن فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى ذكر أعضاءه عضوا عضوا فى القرآن ، وذكره بجملته ، وذكر وجهه فى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » وعينيه فى « ولا تمدن عينيك » وصدره وظهره فى قوله : « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك » وقلبه فى قوله « نزل به الروح الأمين على قلبك » وجملة خلقه فى قوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » (ص) :

أَلاَ إِنَّهُ عَبْدٌ إِلَى اللهِ طَائِعُ مُنِيبٌ إِلَيْهِ خَاشِعٌ مُتَوَاضِعُ
لِأَشْتَاتِ أَجْنَاسِ الْفَضَائِلِ جَامِعُ زُلاَلُ نَدَاهُ لِلْجَوَائِحِ نَافِعُ
وَنُورُ هُدَاهُ لِلْوَاحِظِ بَارِزُ

(ش) (ألا) انتبه (إنه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (عبد إلى الله طائع) صفة لعبد (منيب) راجع ، ومنه : «منيباً إليه » (إليه) إلى الله (خاشع متواضع) الخشوع فى القلب ، والتواضع : التذلل فى الأعضاء (لأشتات) لمتفرقات (أجناس الفضائل) ضروب المآثر والمزايا (جامع) ولأشتات متعلق بجامع . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم حاز خصال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلها ، واجتمعت فيه ؛ إذ هو عنصرها ومنبعها ، فأعطى خلق آدم ، ومعرفة شيث ، وشجاعة نوح ،

وخلة إبراهيم ، ولسان إسماعيل ، ورضا إسحاق ، وفصاحة صالح ، وحكمة لوط ، و بشرى يعقوب ، وجمال يوسف ، وشدة موسى ، وصبر أيوب ، وطاعة يونس ، وجهاد يوشع ، وصوت داود ، وحب دانيال ، ووقار إلياس ، وعصمة يحيى ، وزهد عيسى صلى الله عليه وعليهم أجمعين (زلال) الماء العذب الصافى (نداه) عطاؤه : والمراد شرعه ولينه ، أودينه (للجوانح) الضلوع التى تحت الترائب (نافع) ساكن خبر زلال (ونور هداه) الذى جاء به (للواحظ) أى النواظر (بارز) ظاهر باد ، واللحظ : النظر بمؤخر العين ، وأطلقه على النظر مطلقاً (ص) :

حَلَفْتُ يَمِينَ الْبَرِّ عِنْدَ يَمِينِهِ　　لقدْ طَلَعَتْ شَمْسُ الْهُدَى بِجَبِينِهِ
فَأَضْحَى بِمَا قَدْ حَازَ مِنْ فَضْلِ دِينِهِ　　زِمَامُ الْمَعَالِى كُلهَا بِيَمِينِـهِ
فَأَخْلَاقُهُ عُلْوِيَّةٌ وَالنَّحَائِزُ

(ش) (حلفت) أقسمت (يمين البر) الصادق الذى لم يحنث فى يمينـه لتحققه ماحلف عليه (عند يمينه) البر، وجواب القسم (لقد طلعت شمس الهدى) الرشد (بجبينه) والجبينان ماا كتنفا الجبهة من جانبها فيا بين الحاجبين مصعد إلى قصاص الشعر ، والقصاص : منتهى منبت الشعر فى الرأس ممـا يلى الوجه : أى حلفت بالله يمين الصادق حال يمينه ، لقد طلعت شمس الهدى بجبينه ، والمراد بها النور الذى فى وجهه . وقال ابن رواحة :

لو لم تكن فيه آيات مبينة　　لكان منظره ينبيك بالخبر

(فأضحى) صار (بـ)سبب (ما) الشئ الذى (قد حاز) جمعه (من فضل دينه) ملته (زمام) مقود (المعالى كلها) الأشياء الرفيعة التى لم يبق منها خصلة إلا جمعت له (بيمينه) خلاف الشمال (فأخلاقه) طبائعه (علوية) نسبة إلى العالم العلوى: وهم الملائكة (والنحائز) جمع نحيزة : وهى الطبيعة أيضاً ، من عطف التفسير المغايرة ،

ويمين منصوب على المفعول المطلق مبين للنوع ، وعند ظرف منصوب فى موضع الحال من البر ، أوصفة له لكون أل فيه للجنس ، وبجبينه متعلق بطلعت ، والباء فيه ظرفية . والمعنى أنه أقسم قسم من يصدق فى يمينه بأن لايحلف على الكذب ، ولا بما لايجوز الحلف به : أى أقسمت بالله صادقا إنه صلى الله عليه وسلم ظهر فى وجهه الشريف الكريم الهدى الذى هو الإرشاد والدلالة على دين الله تعالى وعلى صدقه صلى الله عليه وسلم فيما أتى به من عند ربه عز وجل ، أوظهر نور الهدى الذى يكون سبباً فى الإرشاد لمن شاهده وعاينه (ص) :

بِمَا جَاءَهُ رُوحُ الْأَمَانَةِ آخِذُ ۞ وَبِاللهِ مِنْ كُلِّ الْمَكَارِهِ لَائِذُ
وَكَالسَّهْمِ فِى الطَّاعَاتِ إِذْ هُوَ نَافِذُ ۞ زَكِىٌّ لِآفَاتِ الْخَوَاطِرِ نَابِذُ
نَبِىٌّ لِأَشْتَاتِ الْمَآثِرِ حَائِزُ

(ش) (بما) الذى (جاءه) أتاه (روح الأمانة) جبريل عليه السلام (آخذ) من الأخذ : أى هو صلى الله عليه وسلم آخذ بالذى أتاه به جبريل عليه السلام حفظاً وعملا ، وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ فى القراءة قبل فراغ جبريل ويعجل كراهة أن يفلت منه، فقيل له «لاتحرك به لسانك» لتعجل بقراءة الوحى، مادام جبريل يقرئك «لتعجل به» لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت عنك (وبالله) لا بغيره (من كل المكاره) جمع مكروه وهو ما يكره (لائذ) عائذ إليه تعالى يرجع الأمر كله (و) هو صلى الله عليه وسلم (كالسهم) النبل (فى) أعمال (الطاعات) لأنه

* أوامر مولاه لديه مطاعة * (إذ هو نافذ) ماض فى المرمى : أى سرعة النبى صلى الله عليه وسلم فى العبادات كسرعة النبل إذا خرجت من يد الرامى ومضت فى المرمى وخرجت ، وهذه استعارة وتمثيل (زكى) طاهر القلب ليس فيها اعتقاد سوء أصلا (لآفات) جمع آفة ، وهو العاهة (الخواطر) جمع خاطر

(نابذ) طارح ورام ، ومنه : « فنبذناه بالعراء » أى وهو طارح بآفات الخواطر نبذها عن نفسه حتى لاتخطر بباله فيتعلق بها. واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لافى جسمه بأنواع الأدناس ولا على خاطره بالوسواس، هو (نبى) منبأ (لأشتات المآثر) لمتفرقات مكارم الأخلاق ، والمجرور متعلق بـ(حائز) من الحيازة ، وكل من ضم إلى نفسه شيئا فقد حازه وجمعه ، وسميت المآثر مآثر لأنها تؤثر : أى تذكر بأثرها ، قرب على قرب يتحدثون بها (ص) :

سِوَاهُ مَنِ اسْتَهْوَتْهُ بِاللَّهْوِ فِتْنَةٌ ... وَكَمْ جَذَبَتْهُ نَحْوَ مَوْلَاهُ فِطْنَةٌ
وَقَلْبٌ مُحِبٌّ نَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةٌ ... زِيَادَتُهُ فِى الْحُبِّ وَالْقُرْبِ مِكْنَةٌ
حَوَاهَا وَلَمْ يُعْرَفْ لَهَا مُتَجَاوِزُ

(ش) (سواه) غير النبى صلى الله عليه وسلم خبر مقدم (من استهوته) شغلته وأضلته مبتدأ مؤخر، ومنه: «كالذى استهوته الشياطين» (ب)سبب(اللهو) اللعب مقدم على اللهو (فتنة) ضلالة ومنه: «ومن يرد الله فتنته» أى والمعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين أتى والناس كلهم فى الكفر ، وليس على وجه الأرض مسلم ؛ وأما هو فقد ساقته عناية ربه ، وطهارة قلبه إلى مولاه عز وجل ، وغيره ساقته فتنة للهو (وكم) كثير (جذبته) جرته صلى الله عليه وسلم (نحو مولاه) إلى طريق ناصره ، وفاعل جذبته (فطنة) عقل (وقلب) معطوف على فطنة (محب) نعته إلى الله (نفسه) مبتدأ (مطمئنة) راضية خبر المبتدأ وجملة المبتدأ والخبر فى محل رفع صفة لمحب ، وإن شئت فقل وله قلب محب (زيادته) مازاده الله (فى الحب والقرب) فى حبه وقربه (مكنة) مكانة ، وهى المنزلة عند ملك (حواها) المكنة : أى جمع النبى صلى الله عليه وسلم المكنة على جميع أنواعها (ولم يعرف لها) المكنة التى حصلت للنبى صلى الله عليه وسلم (متجاوز) أى لم

يعرف من الخلائق أحد يتجاوز المراتب ويقصد إلى تلك المكنة والرفعة ، بل قد قطع الله رجاء الخلق فيها ؛ فسبحان من خص من شاء بما شاء ورفع بعضهم فوق بعض درجات (ص) :

حَوَاهَا مَدًى مَا بَعْدَ مَرْمَاهُ غَايَةٌ ... أَحَلَّتْهُ فِي أَعْلَى ذُرَاهَا عِنَايَةٌ

كَذَا مَنْ رَعَتْهُ عِصْمَةٌ وَوِقَايَةٌ ... زَهَادَتُهُ فِي مُلْكِ دُنْيَاهُ آيَةٌ

وَقَدْ قِيلَ هٰذَا مُلْكُ دُنْيَاكَ نَاجِزُ

(ش) (حواها) جمع النبي صلى الله عليه وسلم المكنة (مدى) غاية (ما) نافية (بعد مرماه) مطلبه (غاية) نهاية ، وفى الحديث : « ليس وراء الله مرمى » أى فإليه انتهت العقول ووقفت ، فليس وراء معرفته والإيمان به غاية تكون مطرح بصر ، والمرمى فى الأصل: منتهى السهم من الغرض (أحلته) أنزلته (فى أعلى ذراها) الغاية ، أو المكنة (عناية) خصوصية من الله ، وذرى كل شئ أعلاه (كذا من رعته) حفظته (عصمة ووقاية) حفظ عطف تفسير (زهادته) مبتدأ (فى ملك دنياه آية) خبر : أى علامة على رسالته ، أوعلامة على علو درجته عند ربه لاختياره مايبقى على مايفنى، والزهد : عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة فى الآخرة (و) الحال (قد قيل) له (هذا ملك دنياك ناجز) حاضر نقداً ، نخذه إن شئت وتصرف به كيف شئت ، أوقيل له خذ منك دنيا معجلة وحاضراً (ص) :

تَشَمَّرَ لِلْأُخْرَى فَضَمَّرَ طِرْفَهُ ... وَأَخْضَرَ لَا يَثْنِي عَنِ الْغَيْرِ عِطْفَهُ

فَأَحْرَزَ خِصْلَ السَّبْقِ وَالْكُلُّ خَلْفَهُ ... زَخَارِفُ هٰذِي الدَّارِ لَمْ تُلْهِ طَرْفَهُ

وَهَلْ هُوَ إِلَّا أَقْبُرٌ وَجَنَائِزُ

(ش) (تشمر) تهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (للأخرى) للآخرة وعمل

لها ، والتشمير : هو الجد فى الأمر والاجتهاد فيه (نضمر طرفه) جوّع حصانه ، والتضمير فى الخيل تجويعها للسباق، والطرف بالكسر : الفرس الكريم السريع (وأحضر) أجرى صلى الله عليه وسلم فرسه المضمر فى الميدان ، وهو كناية عن الحزم والجد والاجتهاد فى عبادة ربه حتى عاد كالشىء البالى ، وقام فى طاعة المولى بجدّ إلى * أن اشتكت قدماه الضر من ورم * وحديث المغيرة رضى الله عنه «قام صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه» (لايثنى) يعطف (عن الغير عطفه) جانبه ، ومنه : « ثانى عطفه » أى وأجرى فرسه فى ذلك العمل ، والحال أنه لايتكبر ؛ أوالمعنى أنه صلى الله عليه وسلم لايعطف جانبه ولا يلويه ، ولا يلتفت عن غير الآخرة : أى لأجل غيرها التى هى الدنيا : أى أعرض عنها إعراضاً كلياً ولم يلتفت إلى أم ذفر . وقال « إن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لامال له ، يجمعها من لاعقل له» (فأحرز) حاز وجمع (خصل السبق) والخصل: المال الذى يخاطر عليه ، والسبق : التقدم والسرعة فى كل شىء (و) الحال أنّ (الكل خلفه) الفاء فى فأحرز سببية : أى فبسبب اجتهاده فى العبادة ، وعزمه على طلب الآخرة ، وعدم التفاته إلى زينة الدنيا ، وضم خصال السبق : ملكها ؛ والحال أن كل واحد خلفه صلى الله عليه وسلم لم يدركوا شأوه، ولايدانوه ، «وأيكم يطيق ما كان يطيقه» (زخارف) جمع زخرف : أى زينة (هذى الدار) الدنيا (لم تله) تشغل (طرفه) عينه بالنظر إليها ، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله والأولياء بعده ، لم تشغلهم الدنيا عن طاعة مولاهم ، ولا نظروا إليها نظر اغترار ، وإنما نظروا إليها نظر اعتبار ، فشمروا عن سواعد الجد ، وعملوا لأخراهم الباقية ، وأعرضوا عن دنياهم الفانية (وهل) ما (هو إلا أقبر) جمع قبر (وجنائز) جنازة (ص) :

زَخَارِفُ دَارٍ طَعْمُهَا الْحُلْوُ جَامِزٌ ... إِلَى رَبِّهِ عَنْهَا بِتَقْوَاهُ آرِزٌ

فَمَا إِنْ عَدَا مِنْهُ اللِّسَانُ تَجَاوُزٌ زَوَى وَجْهَهُ عَنْ حُسْنِهَا وَهُوَ نَاهِزٌ
وَزَهَّدَ فِيهَا النَّاسَ وَهُوَ مُنَاهِزُ

(ش) (زخارف دار) زينتها الباطلة ، ومنه « زخرف القول غروراً » (طعمها) مؤذية لمن ذاقها (الحلو) ضد المر (حامز) حرّيف حامض يحرق اللسان كطعم الفلفل ، طعمها مبتدأ ثان والحلو صفة له ، وحامز خبر من المبتدأ الثانى ، والجملة خبر من المبتدأ الأول الذى هو زخارف دار وهو نكرة وسوّغ الابتداء به كونه عاملا فى المضاف نحو : عمل بر يزين (إلى ربه عنها) عن الدنيا (بتقواه) بسبب تقواه صلى الله عليه وسلم (آرز) راجع منضم مائل ، وفى الحديث « إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيـة إلى جحرها» (فما) نافية (إن) زائدة (عدا) تجاوز (منه) صلى الله عليه وسلم (اللسان) مفعول عدا (تجاوز) معناه أنه لاتتجاوز الدنيا ذكر لسانه وليس له تعلق بها إلا بذكرها وبيان حقيقتها ، ويقول بلسانه صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له . حبب إلىّ من دنياكم » الحديث « والدنيا جيفة وطلابها كلاب . الدنيا سجن المؤمن وجنـة الـكافر ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها » الحديث (زوى) محا وقبض (وجهه عن حسنها) أى الدنيا ، وفى نسخة : عن حبها ، ولم يمدّ عينيه إليها ولم يلتفت إليها بل أعرض عنها ويقول «مالى وللدنيا» (وهو ناهز) ناهض للسير إلى عمل الآخرة، وقوله وهو ناهز: معنى قوله تشمر للأخرى وهو كذلك ، وقوله: زوى وجهه عن حسنها ؛ وهو معنى قوله لايثنى عن الغير عطفه ، وكثيراً مايفعل ابن مهيب رحمه الله تعالى ذلك يلمح إلى معنى الأصل (وزهد فيها الناس) أمر الناس أن يرفضوا الدنيا ولا يشتغلوا بزخارفها وطعمها الحلو حامز (وهو مناهز) والحال أنه دفع الدنيا ، يقال ناهز الصبى

البلوغ : أى داناه ، أى أخذ نوبته فى الوحى والرسالة والرسل عليهم الصلاة والسلام يتناوبون حتى كان صلى الله عليه وسلم آخرهم فأخذ النوبة وبين الشرع وزهد الناس فى الدنيا ورغبهم فى الآخرة وانقطع التناوب (ص) :

ثَنَى قَلْبَهُ عَنْ حُبِّهَا ثُمَّ مَاانْثَنَى ۞ وَصَرَّحَ بِالتَّحْذِيرِ مِنْهَا وَمَا كَنَى

كَمَا جَدَّ فى التَّنْفِيرِ عَنْهَا وَمَا وَنَى ۞ زَعِيمٌ بِكَشْفِ اللَّبْسِ فى الدِّينِ وَالدُّنَا

إِذَا عَظُمَتْ فى الحَالَتَيْنِ الهَزَائِزُ

(ش) (ثنى) عطف النبى صلى الله عليه وسلم (قلبه عن حبها) الدنيا (ثم) للتراخى (ماانثنى) انعطف إليها ولم يرجع إليها أبدا، فلا تخطر ببالك أنه أحبها وثنى قلبه إليها ، بل ترك الدنيا ابتداء ودواما وأمر من تشبث قلبه بها أن يرفضها ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله (وصرح) بين بكلام صريح خالص (بالتحذير) بالتخويف (منها) أى الدنيا (وما) نافية (كنى) ستر وعدل عن الظاهر إلى الخفى بالكناية: وهى خلاف التصريح (كما جدّ فى التنفير عنها) أى كما اجتهد فى طرد الناس عن حبها الإنفار والتنفير والاستنفار والهروب : بمعنى (وما ونى) عجز ومة ضعف وفتر : أى أنه اجتهد فى إنفار الناس عن حب الدنيا، وما فتر عن ذلك حتى مات صلى الله عليه وسلم (زعيم) ضمين وكفيل ، ومنه « وأنا به زعيم » (بكشف اللبس) بزوال الشدائد والخلط (فى) أمر (الدين والدنا) لغة فى الدنيا (إذا عظمت فى الحالتين) فى حالتى الدين والدنيا (الهزائز) الشدائد والفتن التى يهتز الناس فيها: أى يتحرك ، وفى الروض الأنف فى وصية أبى طالب لقريش عند وفاته: يا معشر العرب إن ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا اسعد ، ولو كان للنفس مدة ولأجلى تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهى ، ثم هلك (ص) :

شُجَاعٌ إِذَا مَاتَ الْجَبَانُ بِجَأْثِهِ ‏ جَوَادٌ إِذَا ضَنَّ الْغَمَامُ بِدَثِّهِ
شِفَاءٌ إِذَا حَارَ الْفُؤَادُ بِدَعْثِهِ ‏ زَمَانَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ صَحَّتْ بِبَعْثِهِ
وَقَدْ أَثَّرَتْ فِيهَا الْأَفَاعِي النَّوَاكِزُ

(ش) هو (شجاع) مثلث الشين ضد جبان: أي شديد القلب عند لقائه العدوّ (إذا) حين (مات الجبان) نقيض الشجاع (بجأثه) بفزعه، قيل: ولو قال الناظم إذا مات الشجاع لكان أحسن، بل ولا اعتراض على الناظم، لأن الشجاع إذا جأث ومات بسبب جأثه صار جبانا، ولم يصدق عليه اسم الشجاع (جواد) كريم (إذا) حين (ضنّ) بخل (الغمام) السحاب (بدثه) بمطره الضعيف؛ والمراد أنه كثير العطاء حين بخل الكرماء، وجودهم بالنسبة إليه كنسبة المطر الضعيف للوابل، وهذه استعارة مكنية، هو (شفاء) دواء (إذا) حين (حار) تحير (الفؤاد) القلب (بدعثه) بمرضه الأول الذى نزل به من شرك ونفاق وضلال وكفر وقذار أحلها النبي صلى الله عليه وسلم بدوائه الذى هو رسالة الله إياه (زمانة أهل الأرض) مرضهم الملازم الدائم (صحت) صارت صحيحة لازمانة لهم (ب) سبب (بعثه) وزالت عنهم (وقد أثرت فيها) والحال أنه قد أبقت الأفاعى فيها أثرها، وقوله فيها: أي فى أهل الأرض، أو فى أصحاب الزمانة (الأفاعى) جمع أفعى، وهى حية لاينفع فيها ترياق (النواكز) جمع ناكزة، يقال نكزته الحية بأنفها لسعته، والمراد بها قادتهم وساداتهم الذين أضلوهم (ص):

عَسَى زَمَنٌ يَدْنُو بِهِ وَلَعَلَّهُ ‏ وَإِلَّا فَقَلْبِي لِلفِرَاقِ مُدَلَّهُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ فِي الْإِلٰهِ أَجَلَّهُ ‏ زَرَا بِي دَارِ الْخُلْدِ مَبْثُوثَةٌ لَهُ
وَأَتْرَابُهَا شَوْقاً إِلَيْهِ بَوَارِزُ

(ش) (عسى زمن يدنو) يقرب (به) النبي صلى الله عليه وسلم (ولعله)

عطف على عسى لكون معناهما واحداً وإن اختلفا : أي واصل زمناً يدنو به (وإلا) وإن لم أجد ما أرجو بأن خاب رجائى فى لعل وفى عسى (فقلبى للفراق) لأجل فراقى إياه (مدله) متحير ذاهب العقل من الهوى (فطوبى) شجرة فى الجنة أوفرح (لعبد فى الإله أجله) عظم النبى صلى الله عليه وسلم لأجل عظمة الله إياه ، أولطلب رضاء الله (زرابىّ) جمع زربية ، وهى البساط (دار الخلد) الجنة (مبثوثة) مبسوطة ومفرّقة (له) لعبد فى الإله أجله ، ومنه : « وزرابى مبثوثة » (وأترابها) نساء دار الخلد المستويات السن ، يعنى حورها . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم « سئل عن قوله تعالى: «عربا أترابا» فقال نساء الجنة يدخلون الجنة أبكاراً، أو كلما افتضها زوجها رجعت بكراً . قالت عائشة رضى الله عنها : واوجعها ، فقال عليه الصلاة والسلام : لاوجع فى الجنة ياعائشة » (شوقا) مفعول له (إليه بوارز) ظواهر إلى ذلك العبد ، أونصب على المصدر فى موضع الحال : أى يخرجن مشتاقين إلى ذلك العبد (ص) :

هُوَ الحِرْزُ مِنْ نَفْثِ اللَّعِينِ وَهَمْزِهِ هُوَ الشَّرْحُ مِنْ لُغْزِ الْمُعَمَّى وَرَمْزِهِ
هُوَ الْبُرْءُ مِنْ طَعْنِ الْمُرِيبِ وَغَمْزِهِ زَمَازِمُ أَهْلِ الشِّرْكِ ذَلَّتْ لِعِزِّهِ
فَكُلُّهُمُ مُغْضِى اللَّوَاحِظِ ضَامِزُ

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (الحرز) الحصن الحصين (من نفث اللعين) إبليس ، ونفثه : سحره ، وصرف الإنسان عن الخير بطرق فيها خفاء (وهمزه) هو فى الأصل الغمز ، وفسر مضافا للشيطان بالجنون ، واستعمال الشخص مالا ينبغى كالمجنون (هو الشرح) التبيان (من لغز) الرجل (المعمى) هو الكلام الذى خفى مراده ، أوالشئ المعمى (ورمزه) إشارته ، ومنه : « ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلارمزاً » وأخرج الحاكم والبيهقى عن على رضى الله عنه قال : «أخذنا رجلين يوم بدر

فأفلت أحدهما وأخذنا الآخر ، فقلنا : كم القوم ؟ قال : كثير عددهم ، شديد بأسهم ، فجعلنا نضرب به حتى أتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يخبره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم تنحرون من الجزور ؟ فقال : فى كل يوم عشراً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ألف لكل جزور مائة رجل » (هو البرء من طعن المريب) الموقع فى الشك (وغمزه) نخس المريب ، والغمز : الإشارة بالجفن والحاجب ، ومنه : « وإذا مروا بهم يتغامزون » والمراد أن النبي صلى الله عليه وسلم حفظ من طعن الشيطان الذى يفعله لكل مولود . وفى الحديث : « لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم أشرقت الأرض ، وقال إبليس : لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا ، فقال له جنوده : فلو ذهبت إليه فخبلته ، فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل عليه السلام فركضه ركضة فوقع بعدن » (زمازم أهل الشرك) جماعتهم جمع زمزمة بالكسر: وهى الجماعة من الناس، والمراد به رؤساء أهل الكفر (ذلت لعزه) انقادت لعزه (فكلهم) كل واحد من زمازم أهل الشرك (مغضى اللواحظ) فاتر النظر (ضامز) ساكت (ص) :

رَأَى الحَقَّ مُجْلُوًّا بِنُورِ فُؤَادِهِ ۞ إِلَى أَنْ أَتَاهُ الْوَحْيُ وَفْقَ اعْتِقَادِهِ

فَنَبَّهَ كُلاًّ مِنْهُمُ مِنْ رُقَادِهِ ۞ زُيُوفُهُمُ قَدْ بُهْرِجَتْ بِانْتِقَادِهِ

فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ خَالِصُ الطَّيِّبِ جَائِزُ

(ش) (رأى) أبصر أو علم (الحق مجلوا) موضحاً ومبيناً (بنور فؤاده) ولكون رأى بصرية صار مجلوًّا حالا لا مفعولا ثانياً ، وقيل بمعنى علم لها مفعولان الحق مفعول أول ومجلوًّا مفعول ثان ، بدليل إلى أن أتاه الوحى الخ ، لأن الاعتقاد من عمل القلب ، فتعلم أن رأى بمعنى علم لا بمعنى أبصر (إلى أن أتاه الوحى وفق اعتقاده) أى ما اعتقد فى قلبه من حق به جاء الوحى ، ونصب وفق بفعل محذوف

أي يوافق وفق، وفي نسخة : وثق بدل وفق (فنبه) أيقظ (كلا منهم من رقاده) نوم جهله وغفلته (زيوفهم) أي الدراهم الرديئة (قد بهرجت) أبطلت (بانتقاده) باختبار النبي صلى الله عليه وسلم الخالص من الزيوف، فإنه يعلم المفسد من المصلح بإعلام من الله له (فلم يبق) بعد الانتقاد (إلا) مفرغة (خالص الطيب) والإضافة بيانية ، أو إضافة الشيء إلى مرادفه ، وأصله الطيب بالتشديد خفف للوزن (جائز) مقبول ، فاعل يبق حال كونه خالص الطيب : أي قتل من أبى من الدخول في الإسلام وأبقى من أذعن وانقاد إلى الإيمان ، والمراد بجائز موحد (ص) :

أَمِنَّـــا بِهِ مِنْ دَهْرِنَا وَصُرُوفِهِ وَصُلْنَا عَلَى أَعْـــدَائِنَا بِشُفُوفِهِ
فَسَلْ بِهِمْ كَيْفَ انْثَنَوْا عَنْ زُحُوفِهِ زَعَامَتُهُمْ لَمْ تَحْمِهَا مِنْ سُيُوفِهِ
سَوَابِـغُ قَدْ شُدَّتْ عَلَيْهَا الْجَلَاوِزُ

(ش) (أمنا) دخلنا في أمن (به) بالنبي صلى الله عليه وسلم (من) حدثان (دهرنا) زماننا (وصروفه) نوائبه وتقلبه ، والمراد بالأمر عدم مايطرأ علينا ، ويفسد لنا اعتقادنا . قال عليه الصلاة والسلام : « لايزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » . وفي رواية : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله » (وصلنا) سطونا وثبنا : أي قمنا بسرعة، من صال يصول : بمعنى سطا (على) بمعنى إلى أو على بابها (أعدائنا بشفوفه) جمع شف: وهو الفضل ؛ أي بسبب زيادة رفعته (فسل بهم) عن أعدائنا (كيف انثنوا) انعطفوا ورجعوا (عن زحوفه) جيوشه :

وسل حنيناً وسل بدراً وسل أحدا فصول حتف لهم أدهى من الوخم

(زعامتهم) سيادتهم ورياستهم (لم تحمها) لم تقها (من سيوفه) صلى الله عليه وسلم دروع (سوابغ) أي كاملات الصنعة ، ومنه : « أن اعمل سابغات » وسوابغ

فاعل لم تحمها أقيم النعت مقامه (قد شدت) ربطت (عليها) على الزعامة ، أنث باعتبار اللفظ ، ولو اعتبر المعنى لقال عليهم (الجلاوز) الأعوان ، وجملة عليها الجلاوز استئنافية : أي قد شدتها الجلاوز على أجسادها (ص) :

أَبَتْ شِيعَةُ الْإِشْرَاكِ نَيْلَ فَلَاحِهَا ... فَصَبَّحَهَا فَاسْوَدَّ وَجْهُ صَبَاحِهَا
عَلَى سُؤْلِ نَفْسِ الْمُتَّقِي وَاقْتِرَاحِهَا ... زُحُوفُهُمْ قَدْ ذَلَّلَتْ مِنْ جِمَاحِهَا
قَنِيٌّ لَهَا خَلْفَ الضُّلُوعِ مَرَاكِزُ

(ش) (أبت) امتنعت وكرهت (شيعة) جماعة أهل (الإشراك) الكفر ، ومنه : « وإن من شيعته لإبراهيم » فالإضافة فى شيعة الإشراك لأدنى سبب (نيل) إصابة (فلاحها) فوزها ونجاتها حين كرهوا اتباعه (فصبحها) نزل بساحتهم وقت الصباح (فاسود) ساء (وجه صباحها) أى الشيعة ؛ ولما كثر الهجوم والغارة فى الصباح سموا غارة الجيش صباحا وإن وقعت فى وقت آخر . قال صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا فساء صباح المنذرين » (على سؤل) مسئول (نفس المتقى واقتراحها) طلبها ، والاقتراح : سؤال الشىء من غير رؤية ، والمراد بالمتقى النبى صلى الله عليه وسلم ، إذ من أسمائه صلى الله عليه وسلم المتقى ؛ يعنى مايتمناه نفس المتقى وتطلبه هواقّ زحوفهم وجيوشهم (زحوفهم) جيوشهم (قد ذللت) أى ذللتها (من) أجل (جماحها) صعوبتها (قنى) رماح جمع قناة : وهى الرمح (لها خلف الضلوع) جمع ضلع (مراكز) مواضع الطعن (ص) :

أَلَهْفِي وَمَا بِاللَّهْفِ يُدْرِكُ عَاجِزُ ... وَلِي مِنْ ذُنُوبِي دُونَ طَيْبَةَ حَاجِزُ
فَقُلْتُ وَلِي رِقْنُ اشْتِيَاقٍ مُنَاجِزُ ... زَمَانُ رَسُولِ اللهِ لِلسَّعْدِ حَائِزُ
مَكَانُ رَسُولِ اللهِ بِالْمَجْدِ فَائِزُ

(ش) (ألهفى) ياحزنى وتحسرى هذا وقتك احضر (وما) أى شىء (باللهف يدرك عاجز) عن إتيانه، ليس يدرك مراده لأجل حزنه ، وقوله : واحزناه (ولى) خبر (من) زائدة أو بيانية (ذنوبى دون) قبل (طيبة) مدينة الرسول (حاجز) مانع مبتدأ مؤخر ، أوهو مبتدأ من ذنوبى صفته ؛ تقديره ذنوبى حاجز لى دون الوصول إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن شئت فقل حاجز لى دون الوصول إلى طيبة الذى هو ذنوبى ، لأن الذنب سجن ، والمسجون لايتصرف كيف شاء (فقلت ولى قرن) كفء (اشتياق) القرن بالكسر : الكفء فى الشجاعة (مناجز) مبارز ومقاتل، ومقول القول (زمان رسول الله للسعد حائز) جامع ، ولاشك أن الزمان الذى ضم رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الأزمنة بدءا وعودة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » الحديث ؛ وتقدير البيت فقال زمان رسول الله حائز للسعد ، ولى قرن مناجز ، وهو صاحب الشوق مثلى : يعنى الفازازى ، وجملة لى قرن اعتراضية ، فقلت : (مكان رسول الله) صلى الله عليه وسلم (بالمجد) الشرف (فائز) وموطنه أزكى البقاع وأشرف ؛ ومن أراد الفوز العظيم فليمش إلى مدينة الرسول الكريم (ص) :

فَوَيْلٌ لِأَجْلَافٍ عَصَوْهُ بِجَهْلِهِمْ ... وَقَدْ كَانَ أَرْعَى النَّاسِ فِيهِمْ لِإِلِّهِمْ
فَخُرْنَا بِهِ عِزًّا فَبَاءُوا بِذُلِّهِـمْ ... زَهَيْنَا بِهِ فَخْرًا عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ
فَلَيْسَ لَنَا فِى الْأَرْضِ قِرْنٌ مُبَارِزُ

(ش) (فويل) عذاب، أو هلاك ، أو واد فى جهنم كائن (لأجلاف) جمع جلف : وهو الجاهل الأحمق ، وفى نسخة : لأخلاف بالخاء المعجمة جمع خلف : هو من لاخير فيه (عصوه) من العصيان (بجهلهم) وهم الذين خالفوا قريشاً ،

ومن تبعهم على ذلك فى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفع ويل بالابتداء ، وسوّغ الابتداء به لأن فيه معنى الدعاء : كـ« سلام على آل ياسين » (وقد كان) النبى صلى الله عليه وسلم (أرعى الناس) أى أحفظهم (فيهم لإلهم) لعهدهم ومنه : « لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة » (لحزنا) جمعنا (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (عزا) نقيض الذل (فباءوا) رجعوا ، ومنه : « فباءوا بغضب » (بذلهم) لعصيانهم وكراهتهم قبول ماجاء به من عند ربهم (زهينا) افتخرنا (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (فخراً على الناس كلهم) على الأمم السالفة ، والقرون الماضية (فليس لنا فى الأرض) حال (قرن مبارز) مغالب : أى ليس لنا قرن مبارز يقاتلنا ، إشارة إلى مافى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب : « لن يغزوكم المشركون بعد اليوم » فلن تغزوهم قريش بعد ذلك . وفى حديث آخر حين أجلى عنه الأحزاب : « إلا أن نغزوهم ولا يغزونا ونسير إليهم » (ص) :

عَلَوْنَا بِهِ عَنْ نَقْصِ كُلِّ مَذَمَّةٍ   وَفَيْنَا لَهُ حِرْصًا عَلَيْهِ بِذِمَّةِ

قَطَعْنَا إِلَيْهِ الْبِيدَ نَسْمُو بِهِمَّةٍ   زَحَمْنَا عَلَى إِدْرَاكِهِ كُلَّ أُمَّةٍ

فَفُزْنَا وَلَمْ تَبْعُدْ عَلَيْنَا الْمَفَاوِزُ

(ش) (علونا به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (عن نقص كل مذمة) خلاف المحمدة (وفينا له) صلى الله عليه وسلم (حرصاً) مفعول له أو حال (عليه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (بذمة) بعهد ؛ المراد كل ماجاء من أمر ديننا قبلناه واتبعناه ، ولم ننقص شيئاً مما عقد عليه من أمر الشريعة لأجل طلب محبته ورضاه صلى الله عليه وسلم (قطعنا) جاوزنا وعبرنا (إليه) إلى زيارته صلى الله عليه وسلم (البيد) الصحارى قطعناها بخفاف المطايا نحوه (نسمو) نرتفع ونعلو (بهمة) بإرادة (زحمنا) ازدحمنا وضيقنا (على إدراكه) إدراك زيارته (كل أمة) جماعة

فضلنا به السباق من كل أمة ؛ ويحتمل أن يكون المعنى ضايقنا كل قانت لله مطيع له إدراك النبي صلى الله عليه وسلم (فقزنا) ظفرنا بعطاو بنا بزيارة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (ولم تبعد علينا) معاشر أمته (المفاوز) الفلوات (ص) :

مَدَحْتُ رَسُولَ اللهِ وَالحَقُّ أَبْلَجُ   وَطِيبُ كَلَامِي فِيهِ لِلّٰهِ يَعْرُجُ

وَمَالِي مِنَ التَّقْصِيرِ مِنْ بَعْدُ مَخْرَجُ   زَفَفْتُ إِلَيْهِ مِدْحَتِي وَهْيَ بَهْرَجُ

عَلَى النَّقْدِ لَوْلَا أَنَّهُ مُتَجَاوِزُ

(ش) (مدحت رسول الله) وفى نسخة : نبي الله (و) الحال أنّ (الحق أبلج) ظاهر واضح (وطيب كلامى فيه) يعني المدح (لله يعرج) يصعد إلى الله ، والمراد يقبله الله ويرضى به لأن كلامي طيب. قال الله تعالى: « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (وما) ليس (لى من التقصير) حال (من بعد مخرج) أى ليس لى مخرج من التقصير فى مدحه من بعد ظهور صفاته العلية ظهور شمس الضحى والصحو ، أو ليس لى مخرج من التقصير فى الإخلاص لقصور الوصف عن استيعاب كمال نصابه ، وتعداد جميل أخلاقه وثنائه ، وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك وينتهي إليه ، إذ كل ما مدح به فهو صلى الله عليه وسلم فوقه :

* وأنى يروم الحصر لكل منطق * (زففت) سقت ورفعت ، ومنه : « فأقبلوا إليه يزفون » (إليه) صلى الله عليه وسلم (مدحتى و) الحال (هى بهرج) غير جيدة (على النقد) التفتيش والبحث ، وعلى بمعنى مع (لولا أنه) صلى الله عليه وسلم (متجاوز) يقبل الزيوف ويسامح فيه ، ومدحتى كيفما بلغ بالنسبة إلى نصابه ، ومكانته عند ربه كالزائف من الدراهم ، ومع ذلك يتجاوز عنه ويقبله كما قال الشاعر :

ولو كان يستغنى عن الشكر ماجد   لكثرة مال أو علوّ مكان

لما أمر الرحمن بالشكر خلقه وقال اشكرونى أيها الثقلان

(ص) :

رَجَوْتُ وَقَدْ قَصَّرْتُ فَضْلَ سَمَاحِهِ فَكَمْ خَائِفٍ رَجَّى بِخَفْضِ جَنَاحِهِ

وَكَمْ آثِمٍ نَجَّى بِرَفْعِ جُنَاحِهِ زَعَمْتُ بِأَنِّى مُوسِرٌ بِامْتِدَاحِهِ

وَبِاللهِ لاَ بِالنَّاسِ تُرْجَى الْجَوَائِزُ

(ش) (رجوت) أملت (و) الحال أنى (قد قصرت) كففت عنه لأنى عاجز عنه ومفعول رجوت (فضل سماحه) أى زيادة جوده وسخائه، والحال أنى قد عجزت عن الوصول إليه بسبب تقصيرى فى العمل ومفعوله محذوف : أى قصرت الوصول إليه (فكم) كثير من (خائف) من العقوبة (رجى بخفض جناحه) بفتح الجيم : عبارة عن اللين والسهولة، ومنه قوله تعالى : « واخفض جناحك للمؤمنين » (وكم) كثير من (آثم) مذنب (نجا) ه صلى الله عليه وسلم (برفع جناحه) بضم الجيم إثمه، وفى كلامه جناس مماثل لاتفاق الحروف والأداء والترتيب فى جناحه وجناحه (زعمت) حققت ؛ والزعم يطلق ويراد به صحة القول وصدقه كهذا، ويطلق ويراد به الكذب والظن (بأنى موسر) غنى (بامتداحه) أى حققت بأنى غنى ذو يسار بمرضاة الرب العلى بسبب مدحى النبى المختار، وأكثر النسخ مؤثر بالثاء المثلثة : أى غنى، مأخوذ من الثروة (وبالله لا بالناس ترجى الجوائز) العطايا بسبب من الله لا بسبب من الناس؛ أشار الناظم إلى أن من اجترأ على الله وعصاه ثم تاب وتوسل إليه فى غفران ذنوبه بمدح محمد حبيبه وإثنائه عليه صلى الله عليه وسلم تاب الله عليه واجتباه وهداه إلى صراط مستقيم « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » ولا تظن أن ذلك خاص به عليه الصلاة والسلام حال حياته، بل هو باق بعد

موته مستمر ، وحديث الأعرابى الذى جاءه دليل على هذا ، وحديث الأعرابى انظره فى حلية النووى .

هنا انتهى حرف الزاى ويتلوه حرف السين إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف السين

لما فرغ من حرف الزاى من مدح النبى العظيم الرأى جعل يتكلم فى حرف السين متمنياً زيارة سيد المرسلين قائلا (ص) :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَسِيرَنَّ مُنْجِدَا ٠ لِطَيْبَةَ حَيْثُ النُّورُ يَسْطَعُ مُصْعِدَا
فَأَرْفَعَ صَوْتِى بِالسَّلاَمِ مُرَدِّدَا ٠ سَلاَمٌ كَعَرْفِ الرَّوْضِ أَخْضَلَهُ النَّدَى
عَلَى خَيْرِ مَخْلُوقٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

(ش) (ألا) نعم (ليت شعرى) أى ليتنى أشعر (هل أسيرن منجداً) يقال أنجد : إذا دخل أرض نجد ؛ أى هل السير إلى أرض نجد : وهو ما ارتفع ؛ وهى أرض معروفة من بلاد العرب؛ وحدّها ما بين العذيب إلى ذات عرق ، و إلى اليمامة من جبل طى إلى اليمن ؛ و إذا تبين لك حد تهامة وحد نجد ، فالمدينة الشريفة ليست بتهامية ولا بنجدية (لطيبة) إلى المدينة (حيث النور يسطع) يصعد و يرتفع (مصعداً) راقياً ومنتشرا (فأرفع صوتى بالسلام مرددا) مكررا السلام ، فأرفع منصوب على أنه جواب التمنى ، وأقول (سلام) تحية وأمان (كعرف) طيب (الروض أخضله) بلله (الندى) المطر (على خير) أفضل (مخلوق من الجن والإنس) وغيرهما من الملائكة الكرام ؛ قدّم الجنّ لقوله تعالى: «وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (ص) :

سَلاَمٌ عَلَى مَنْ لَيْسَ خَلْقٌ كَمِثْلِهِ ٠ فَأَوْجُهُهُمْ تَهْوِى لِأَخْمَصِ نَعْلِهِ

وَأَعْيُنُهُمْ تَعْشُو لِبَاهِرِ فَضْلِهِ سَلِيلُ خَلِيلِ اللهِ خَاتِمُ رُسْلِهِ
وَفِى الْخَتْمِ مَنْعٌ لِلزِّيَادَةِ فِى الطِّرْسِ

(ش) (سلام على من ليس خلق كمثله) والكاف زائدة (فأوجههم) أبصارهم (تهوى) تسقط وترجع إليهم (لأخمص نعله) الأخمص : باطن القدم الذى لم يصب الأرض ، المراد أن شرف الخلائق تتواضع له صلى الله عليه وسلم

* ذوو الملك دانوا خاضعين لأمره * (وأعينهم) أى الخلق (تعشو) من عشا النار : استدل عليها ببصر ضعيف ؛ أى تضعف أبصارهم (لباهر) راجح (فضله) صلى الله عليه وسلم (سليل) ولد (خليل الله) إبراهيم عليه السلام ، وهذا كقوله : * لآدم تم الفخر إذ كان نجله * (خاتم رسله) يعنى الله (وفى الختم) أى ختم النبوة (منع للزيادة فى الطرس) الصحيفة : أى القرطاس ، والمراد أنه لا نبى بعده ، ويلازمه أن لا رسول بعده (ص) :

فَكَمْ رُتْبَةٍ فِى الْمَجْدِ حَازَ سَنِيَّةٍ بِإِصْلَاحِ أَعْمَالٍ وَإِخْلَاصِ نِيَّةٍ
سَجِيَّتُهُ فِى الْفَضْلِ خَيْرُ سَجِيَّةٍ سِيَادَتُهُ لِلرُّسْلِ غَيْرُ خَفِيَّةٍ
وَلَا عَجَبٌ أَنْ يَفْضُلَ الشَّخْصُ فِى الْجِنْسِ

(ش) (فكم رتبة) درجة (فى المجد حاز) جمعها (سنية) صفة لرتبة (ب)سبب (إصلاح أعمال وإخلاص نية) والتنوين معاقب للضمير : أى وإخلاص نيته له . قال تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » وتقدم الإخلاص ، وفى البيت ترديد ، وفى نسخة : وإخلاص أعمال (سجيته) طبيعته (فى الفضل خير سجية) طبيعة (سيادته) تقدمه صلى الله عليه وسلم (الرسل) عليهم الصلاة والسلام (غير خفية) قال صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » (ولا عجب أن يفضل الشخص) الواحد ، وهو سواد الإنسان

وغيره تراه من بعيد ، والمراد هنا بالشخص الفرد ليطابق ما تقدم :

* ولا عجب أن يعدل الفرد بالجمع * (فى الجنس) جنسه ، ولا عجب أن يفضل الله شخصاً واحداً من بين أجناسه . قال الشاعر :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وقال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » الآية ، والجنس أعم من النوع وفى البيت احتراس (ص) :

وَإِلاَّ فَمَنْ تُرْجَى شَفَاعَتُهُ غَدًا وَقَدْ خَافَ كُلٌّ مَاعَدَاهُ مِنَ الرَّدَى

وَقَامَ بِهَا مِنْــــهُ الْمَقَامَ الْمُحَمَّدَا سَبُوقٌ بِلاَ أَيْنٍ قَرِيبٌ بِلاَ مَدَى

عَلِيمٌ بِلاَ خَطٍّ حَفِيظٌ بِلاَ دَرْسٍ .

(ش) (وإلا) أى وإن لم يكن الأمر كما قلنا (فمن) استفهامية (ترجى شفاعته غداً) يوم القيامة (و) الحال أنه (قد خاف كل) واحد من الخلائق (ماعداه) سواه صلى الله عليه وسلم (من الردى) الهلاك (وقام) النبى صلى الله عليه وسلم (بها) بالشفاعة (منه) من غد، أومن النبى صلى الله عليه وسلم، وهو من باب التجريد (المقام المحمدا) والمقام: بالفتح موضع القيام، وبالضم موضع الإقامة ، والمقام المحمدا: هو المقام الذى وعده الله تعالى بقوله : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً » (سبوق) شديد السبق لغيره خبر لمحذوف : أى هو سبوق (بلا أين) تعب (قريب بلا مدى) غاية (عليم بلا خط) كتب (حفيظ بلا درس) وهو رجل أمى لم يكتب ولم يقرأ ، ولا عرف بصحبة من هذه صفته ، ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة شئ من هذه الأمور ، ولا عرف هو قبل بشئ منها . قال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » .

سِرَاجُ الْبَرَايَا لاَيَزِيغُ عَنِ الهُدَى جَمِيلُ الْقَضَايَا لاَيَحِيفُ عَلَى الْعِدَا
جَلِيلُ الْعَطَايَا بَاسِطُ الْكَفِّ بِالْجَدَا سَرِيُّ الْمَزَايَا ظَاهِرُ الْبَأْسِ وَالنَّدَى
كَرِيمُ السَّجَايَا طَاهِرُ الْجِسْمِ وَالنَّفْسِ

(ش) (سراج البرايا) مصباح الخلائق (لايزيغ) يميل (عن الهدى) الرشد، والسراج اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى «ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً» (جميل القضايا) الأحكام: أى أحكامه عدل (لايحيف) يظلم (على العدا) فأحرى أن لايحيف على الأحباب، ومنه «أم يخافون أن يحيف الله عليهم» (جليل العطايا) أى عطاياه كثيرة (باسط الكف) الراحة (بالجدا) العطاء (سرى المزايا) رفيع الدرجات وشريفها، والسرى: ذوالمروءة والشرف (ظاهر البأس) للعـدا (و) ظاهر (الندى) الجود والكرم للأولياء (كريم السجايا) شريف الخصال والمزايا (طاهر الجسم) الجسد (والنفس) الروح، قال فى الشفاء: وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله فى ذلك بخصائص لم توجد فى غيره، ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشرة (ص):

فَطُوبَى لِخَدٍّ فى ثَرَاهُ يُمَرَّغُ فَذَلِكَ فى الدُّنْيَا نَعِيمٌ مُسَوَّغُ
وَفى الْحَشْرِ وَالْبَاقِ أَجَلُّ وَأَسْبَغُ سَبِيلُ نَجَاةٍ لِلْجِنَانِ مُبَلِّغُ
وَدُونَكَ فَاسْتَشْهِدْ بِعَقْلِكَ وَالْحِسِّ

(ش) (فطوبى لخد) صاحب خد (فى ثراه) تراب قبره (يمرغ) يمعك (فذلك) التمريغ (فى الدنيا نعيم مسوغ) أى مسهل لاغصة فيه (و) ذلك نعيم (فى الحشر) القيامة (والباق) من النعيم بعد الحشر (أجلّ) أعظم (وأسبغ)

أ كل فهو نعيم الآخرة ، وهى جملة مستأنفة؛ هو صلى الله عليه وسلم (سبيل) طريق (نجاة) لمن تمسك بشرعه وكان على منهاجه (للجنان) ونعيمها (مبلغ) موصل (ودونك) سبيلا فاسلكه (فاستشهد بعقلك والحس) أى اطلب دليلا فى عقلك وحسك : أى سمعك على أنه سبيل نجاة تجده كما قلت لك (ص) :

حُسَامٌ بِيُمْنَى الحَقِّ أَضْحَى مُجَرَّدَا ... يَسُوقُ الْوَرَى لِلْخَيْرِ مَثْنَى وَمَوْحَدَا

وَكَمْ صَابَ مِنْهُ فى الشَّدَائِدِ مُنْجِدَا ... سَحَابٌ يُفِيدُ الخَلْقَ رَيًّا بِلاَ صَدَى

وَعِلْماً بِلاَ شَكٍّ وَبُرْءًا بِلاَ نُكْسِ

(ش) هو (حسام) سيف قاطع كائن (بيمنى الحق) أى فى يد يمنى الحق ، والحق من أسمائه صلى الله عليه وسلم (أضحى) صار الحسام (مجردا) مسلولا على من خالف الحق (يسوق) الحق ، أو الحسام (الورى) الخلق (للخير) إلى الهدى (مثنى) اثنين اثنين (وموحداً) واحداً واحداً ، وهما اسمان معدولان عن واحد واثنين فى باب العدد : أى يجمعهم بين يديه ويمشى ويسوقهم إلى الرشد سوق الراعى رعيته إلى المرعى حال كونهم مثنى وموحداً (وكم صاب) نزل (منه) من الرسول صلى الله عليه وسلم (فى الشدائد) حال كونه (منجداً) معيناً (سحاب) فاعل صاب (يفيد) السحاب (الخلق ريا) شبع الماء (بلا صدى) عطش ، وجملة يفيد نعت سحاب (و) يفيدهم (علماً بلا شك و) يفيدهم (برءاً بلا نكس) هو عود المرض للمريض بعد البرء وهو بضم النون (ص) :

أَلاَ إِنَّهُ الْقُسْطَاسُ وَالجَهْلُ ظُلْمَةٌ ... سَمَاحَتُهُ وَالْمَنْحُ بَسْطٌ وَرَحْمَةٌ

إِبَايَتُهُ وَالْمَنْعُ حِفْظٌ وَعِصْمَةٌ ... سَرِيرَتُهُ وَالْجَهْرُ نُورٌ وَحِكْمَةٌ

وَقَدْ سَبَقَ التَّطْهِيرُ لِلْقَلْبِ فى الطَّسِّ

(ش) (ألا) انتبه : أى نعم (إنه) صلى الله عليه وسلم (القسطاس) الميزان العدل ، ومنه : « وزنوا بالقسطاس المستقيم » . والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم ذوالعدل وهو العدل ، أوميزان يوزن به أعمال العباد ، فمن تبعه فقد اهتدى ، ومن خالفه فقد ضل سواء السبيل ؛ وسمى قسطاساً لاستقامته فى كل ما أمر به كميزان العدل (و) الحال أن (الجهل) ضد العلم (ظلمة) خلاف النور : أى والحال أن صاحب الجهل، أوالجهل نفسه فى ظلمة، وقد سمى الله تعالى الجهل ظلمة. قال تعالى : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » والمعنى أنه نور الحق ينجلى به سدفة الجهل (سماحته) جوده وكرمه (والمنح) العطاء (بسط) نشر وهو ضد القبض (ورحمة) من الله، أومن النبى صلى الله عليه وسلم للمعطى له، فيه لف ونشر مرتب : أى سماحته بسط ومنحه رحمة (إبايته) منعه و بعده عن الشئ (والمنع حفظ وعصمة) فيه لف ونشر مرتب : أى إبايته حفظ ومنعه عصمة . روى البخارى عن عامر بن سعيد عن أبيه قال : « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً وأنا جالس فيهم ، قال فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم لم يعطه وهو أعجبهم إلىّ ، فقمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله إنى لأراه مؤمناً قال أومسلماً قال : فسكت عنه قليلا ، ثم غلبنى ما أعلم فيه ، فقلت يارسول الله مالك عن فلان ، والله إنى لأراه مؤمناً قال أومسلما فقال : إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلىّ منه خشية أن يكبه فى النار على وجهه » (سريرته) صلى الله عليه وسلم (والجهر نور وحكمة) وفيه لف ونشر معكوس : أى سريرته حكمة وعلم ينشره فى الناس ، ويرشدهم به إلى صراط مستقيم ، وجهره نور وأل فيه معاقبة للضمير ، ويجوز أن يكون مرتباً سريرته نور ، وجهره حكمة ، لقوله تعالى : « ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة » (و) الحال (قد سبق التطهير للقلب فى الطس) مم به طست (ص) :

شِهَابٌ مِنَ التَّحْقِيقِ لِلْعَقْلِ ثَاقِبُ   طَرِيقٌ مِنَ التَّوْفِيقِ لِلْفَهْمِ لَاحِبُ
أَلَيْسَ الَّذِي وَالْمَكْرُمَاتُ مَوَاهِبُ   سَرَى نَحْوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ صَاحِبُ
فَنَاهِيكَ مِنْ قُدْسَيْنِ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ

(ش) هو (شهاب) أو له شهاب : أى كوكب (من) تعليلية (التحقيق) بيان الحق (للعقل ثاقب) مضىء نعت لشهاب ، هو (طريق من التوفيق للفهم لاحب) واضح للعلم لأجل توفيق الله العبد ، وغير الموفق لم يكن من أحبائه «من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا» (أليس الذى والمكرمات مواهب) أى كل شأن عظيم يشرف به فقد وهبه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وجملة المكرمات اعتراضية (سرى نحو) جهة (مولاه و) الحال أن (جبريل صاحب) وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفى أفادت التحقيق : أى هو الذى أسرى إلى جهة عرش مولاه وجبريل صاحبه (فناهيك) كافيك (من قدسين) طهرين يعنى محمدا وجبريل عليهما الصلاة والسلام (فى حضرة القدس) يريد السموات ؛ وسميت حضرة القدس لأنها منزهة عن النقائص ، وحضرة الرجل قربه وكلمته ، والمراد بها هنا قرب منزلة عند الله (ص) :

أَلَيْسَ الَّذِي قَادَ النُّفُوسَ بِحَبْلِهَا   إِلَى مُرْشِدَاتِ الْعِلْمِ مِنْ غَيِّ جَهْلِهَا
أَلَيْسَ الَّذِي وَالْمَعْلُوَاتُ لِأَهْلِهَا   سَمَا صُعُدًا فَوْقَ السَّمٰوَاتِ كُلِّهَا
إِلَى مُسْتَوًى مَا حَلَّهُ قَبْلَهُ إِنْسِي

(ش) (أليس الذى قاد) أى ساق (النفوس بحبلها) بعهد النفوس (إلى مرشدات العلم من غى جهلها) أى ضلالها (أليس الذى والمعلوات) الأمور العالية (لأهلها * سما) صعد (صعدا) حال ، أو مصدر معنوى (فوق السموات كلها . إلى مستوى) يسمع فيه صريف الأقلام (ما حله) نزله (قبله إنسى) ولا يحله بعده إنسى ، وجملة والمعلوات لأهلها اعتراضية (ص) :

هُنَاكَ رَأَى الآيَاتِ تُوضِحُ مَذْهَبًا ... وَفَازَ بِمَا قَدْ كَانَ يهواه مطلبًا
وَآبَ وَلاَ خَلْقٌ يُدَانِيـــهِ مَنْصِبًا ... سَنَاهُ أَنَارَ الأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلاَ أَمْرٌ بَاقٍ لِشَكٍّ وَلاَ لَبْسِ

(ش) (هناك) إشارة إلى المستوى (رأى) أبصر (الآيات) قال تعالى : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » قيل رأى جبريل عليه السلام فى صورته له ستمائة جناح ، وقيل غير ذلك ، وجملة (توضح) تبين تلك الآيات حال (مذهباً) مفعول به (وفاز) ظفر (بما) أى الذى (قد كان) صلى الله عليه وسلم (يهواه) يحبه (مطلباً) أى ظفر فى إسرائه بمطلوب قد كان يحبه . قال فى الشفاء فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « ثم سار إلى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرة ، فصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا : ياجبريل من هذا الذى معك ؟ قال : هذا محمد رسول الله خاتم النبيين . قالوا : وقد أرسل الله إليه ؟ قال : نعم . قالوا حياه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم ، وذكر كلام كل واحد منهم ، وهم : إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ، ثم ذكر كلام النبى صلى الله عليه وسلم فقال : وأن محمداً رسول الله أثنى على ربه فقال : كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربى : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل علىّ الفرقان فيه تبيان كل شئ ، وجعل أمتى خير أمة وسطاً ، وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع ذكرى ، وجعلنى فاتحاً وخاتماً ؛ فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمد ، ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ، ومن سماء الدنيا نحو ماتقدم » . وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه : « وانتهى بى إلى سدرة المنتهى ، وهى

فى السماء السابعة ، إليها ينتهى كل ما يعرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى مايهبط من فوقنا فيقبض منها. قال تعالى: «إذيغشى السدرة مايغشى» قال فراش من ذهب» . وفى رواية أبى هريرة من طريق الربيع بن أنس: « فقيل لى هذه سدرة المنتهى ينتهى إليها كل أحد من أمتك ، خل عن سبيلك ، وهى سدرة المنتهى ، يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما، وإن ورقة منها مظلة للخلق ، فغشيها نور ، وغشيتها الملائكة. قال : فهو قوله تعالى : « إذ يغشى السدرة مايغشى » . فقال تبارك وتعالى له : سل يامحمد . فقال : يارب إنك اتخذت إبراهيم خليلا ، وأعطيته ملكا عظيما ، وكلمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما ، وألنت له الحديد ، وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكا عظيما ، وسخرت له الإنس والجن والشياطين والرياح ، وأعطيته ملكا لاينبغى لأحد من بعده ، وأعلمت عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن له عليهما سبيل . فقال له الرب تبارك وتعالى : قد اتخذتك حبيباً ، فهو مكتوب فى التوراة : محمد حبيب الرحمن ، وأرسلتك إلى الناس كافة ، وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون ، وجعلت أمتك لاتجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلتك أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً ، وأعطيتك سبعاً من المثانى ولم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك خواتم سورة البقرة من كنز تحت عرشى ولم أعطها نبيا قبلك ، وجعلتك فاتحاً وخاتماً » . وفى رواية أخرى « قال : فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ، أعطى الصلوات الخمس ، وخواتم سورة البقرة ، وغفر لمن لايشرك بالله شيئاً من أمته المقحمات » (وآب) رجع صلى الله عليه وسلم من السماء إلى الأرض (و) الحال (لاخلق) من مخلوقات الله

(يدانيه) يقاربه (منصباً) قدرا ومنزلة تميز، أو انتصب بنزع الخافض (سناه) ضياؤه: أى شرعه وماجاء به من الدين (أنار الأرض) أضاءها (شرقا ومغربا) منصوبان على الظرفية: أى إشارة إلى عموم هدايتـه ورسالته. قال تعالى: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا» (ف) بسبب ذلك (لا أثر) خبر وحديث (باق لشك) خلاف اليقين (ولا لبس) خلط: أى لما ظهر الحق اضمحل الباطل «جاء الحق وزهق الباطل» الآية، لما أراد مدح الصحابة رضى الله عنهم قال (ص):

هَنِيئاً لِقَوْمٍ صَاحَبُوهُ فَمَجْدُهُمْ مَدَى الدَّهْرِ بَاقٍ لَيْسَ يُفْنِيهِ فَقْدُهُمْ

بِهِ سَادَ مَوْلَاهُمْ وَمُوِّلَ عَبْدُهُمْ سَوَاءٌ لَدَيْهِ الْمُكْثِرُونَ وَضِدُّهُمْ

وَلِلْفُقَرَاءِ الْفَضْلُ فِي الْقُرْبِ وَالْأُنْسِ

(ش) (هنيئاً لقوم صاحبوه) وهنيئاً منصوب على الحال حـذف عامله سماعا: أى ثبت لهم الخير هنيئاً، أوهنأك هنيئا على التأكيد، والصحابىّ من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وآمن به، وبما جاء به صلى الله عليه وسلم ومات على الإيمان (فمجدهم) شرفهم رضى الله عنهم (مدى الدهر) غاية الزمان (باق ليس يفنيه) يعدمه (فقدهم) موتهم (به) صلى الله عليه وسلم (ساد) صار سيدا (مولاهم) لأن مولى القوم من أنفسهم. وفى الصحيح عن جابر رضى الله عنه: «قال عمر رضى الله عنه: يقول أبو بكر رضى الله عنه: سيدنا أعتق سيدنا» يعنى بلالا رضى الله عنه (و) به (موّل) صار ذامال (عبدهم) أوجعل عبيدهم موالى، ويحتمل أن يريد الناظم العبد حقيقة لعموم اليسر به صلى الله عليه وسلم، أولغنائه بالسيد بشرعه، ويحتمل أن يريد عامة المأمورين تحت الولاء فانه أغناهم بالغنائم وأغنى خاصتهم بالقناعة المشرعة (سواء لديه) عنده (المكثرون) الأغنياء

(وضدهم) الفقراء والمساكين . وفى وصفه صلى الله عليه وسلم أنه « قد وسع الناس بسطه ، فصار لهم أبًا وصاروا عنده فى الحق متقاربين متفاضلين بالتقوى » (و) بل (للفقراء الفضل فى القرب والأنس) الائتناس والتحدث ، وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفقراء ويجالسهم .وكذلك المساكين ؛ وخاصة لما عاتبه الله بقوله : « ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى » الآية فى حق الفقراء ، وهم صهيب وبلال وسلمان وعمار وغيرهم رضى الله عنهم (ص) :

لَهُمْ عِنْدَهُ عَهْدٌ كَرِيمٌ وَذِمَّةٌ ... يُزَاحُ بِهَا كَرْبٌ وَتُكْشَفُ غُمَّةٌ
كَذَا مَنْ لَهُ فِى طَاعَةِ الرَّبِّ هِمَّةٌ ... سَجَايَاهُ رِفْقٌ بِالْعِبَادِ وَرَحْمَةٌ
فَيَهْدِى إِذَا يُضْحِى وَيَهْدِى إِذَا يُمْسِى

(ش) (لهم) للفقراء (عنده) صلى الله عليه وسلم (عهد) حرمة (كريم) لهم عنده (وذمة) كريمة : أى عهد (يزاح) أى يكشف ويبعد (بها) بتلك الذمة (كرب) حزن (وتكشف) تزال بها عليهم (غمة) حزن يوم القيامة ؛ المراد أن الله يثيبهم أحسن المثابة بتلك العهد لوفائهم بها (كذا) أى مثل ماذكرنا من الأوصاف (من له فى طاعة الرب همة) أى أوصاف من له همة عالية فى طاعة المالك . عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتخذوا عند الفقراء أيادى فان لهم دولة ، قال : قيل يارسول الله وما دولتهم ؟ قال : ينادى مناد يوم القيامة يامعشر الفقراء قوموا ، فلا يبقى فقير إلا قام ، حتى إذا اجتمعوا قيل ادخلوا إلى صفوف أهل القيامة ، فمن صنع إليكم معروفا فأوردوه الجنة . قال : فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس . فيقول لهم الرجل : ألم أكسك ؟ فيصدّقه . فيقول الآخر يافلان : ألم أكلم لك فلانا ؟ فلا يزالون يخبرونه بما صنعوا إليه ، وهو يصدقهم بما صنعوا إليه حتى يذهب بهم جميعا

حتى يدخلهم الجنة ؟ فيقول قوم لم يكونوا يصنعون المعروف: ياليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة» (سجاياه) طبائعه صلى الله عليه وسلم (رفق) لين (بالعباد) بعباد الله المؤمنين (و) هو (رحمة) للمؤمنين والكافرين ، كما قال الله تعالى : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (فيهدى) بفتح الياء : أى يرشد (إذا يضحى) أى دخل فى وقت الضحى (ويهدى) بضم الياء يعطى مالا (إذا يمسى) دخل وقت المساء ، والمراد أنه يرشد ويعطى سرمداً لا خصوصية للوقتين (ص) :

فَكَفٌّ كَوَكْفِ الْغَيْمِ أَسْبَلَ مُمْطِرًا   وَوَجْهٌ كَمَا جَاءَ الْبَشِيرُ مُبَشِّرَا

فَذَاكَ وَهٰذَا إِنْ وَجَدْتَ تَصَوُّرَا   سَخَاءٌ كَمَا فَاضَ الْأَتِيُّ عَلَى الثَّرَى

وَحُسْنٌ كَمَا شُقَّ الْغَمَامُ عَنِ الشَّمْسِ

(ش) (فـ)له صلى الله عليه وسلم (كف) راحة وهى فى نزولها حسا ومعنى: أى كف سائله (كوكف) مثل قطر (الغيم) السحاب (أسبل) أهطل وسال فى حال كونه (ممطراً* و) له (وجه) تلألأ (كما جاء البشير) أى كمجىء البشير؛ يعنى أن وجهه يبرق وهو من بشر إذا ذكر ما يسرّ به (مبشراً) حال، وهذا إشارة إلى جوده أو نبع الماء من بين أصابعه وإنارة وجهه (فذاك) راجع إلى قوله فكف (وهذا) راجع إلى قوله ووجه ، وإن شئت قلت فذاك راجع إلى صدر البيت وهذا راجع إلى عجزه (إن وجدت) وفى نسخة : إن أجدت، أى أحسنت: من الجودة : وهو الحسن (تصوراً) والتصور من حيث هو إدراك مفرد ، والمراد بالتصور هنا بيان الحقيقة ، ومعنى إن أجدت تصوراً : أى أحسنت بيان حقيقته (سخاء) جود ، راجع إلى الجود (كما فاض الأتىّ) الجدول تأتى به إلى أرضك (على الثرى) التراب الندى (وحسن) راجع إلى وجهه (كما شق الغمام) كشق السحاب (عن الشمس) . (ص) :

حُلَى آدَمِيٍّ خِلْقَةٌ مَلَكِيَّةٌ   مَتَى أَدْرَكَتْنَا لِلزَّمَانِ بَلِيَّةٌ
وَجِئْنَاهُ نَشْكُو وَالنُّفُوسُ شَجِيَّةٌ   سَقَتْنَا مِرَاراً رَاحَةٌ هَاشِمِيَّةٌ
بِخَمْسَةِ أَنْهَارٍ تَفَجَّرْنَ مِنْ خَمْسِ

(ش) (حلى آدمى) صفاته صفات آدمى (خلقة) أى طبائعه الباطنية (ملكية) أى منسوبة إلى الملك ، وهم عباد الله المكرمون « لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ـ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون» وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ماعصى قط ربه ، وأما قوله تعالى « ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر » فعلى تقدير أن لو كان له ذنب (متى أدركتنا) ألحقتنا (للزمان بلية) اختبار ومصيبة (وجئناه) أتيناه (نشكو) رفعنا شكاية تلك البلية إليه (و) الحال (النفوس) نفوسنا (شجية) حزينة (سقتنا مراراً) جمع مرة : أى مرة بعد أخرى (راحة) كف (هاشمية)منسوبة لهاشم (بخمسة أنهار تفجرن من خمس) هذه إشارة إلى نبع الماء من بين أصابعه غير ما مرة .

(ص) :

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْبَى وَيَجْحَدُ فَضْلَنَا   وَكُثْرُ سِوَانَا لَيْسَ يَعْشُرُ قُلَّنَا
وَلَنْ يُلْفِيَ النُّظَّارُ فِي الْكُتْبِ مِثْلَنَا   سَبَقْنَا بِهِ فِي الْحَشْرِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا
وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَسْبِقَ الْغَدُ لِلْأَمْسِ

(ش) (فمن ذا الذى يأبى) يمتنع (ويجحد) ينكر (فضلنا) على جميع الأمم ، فضلنا مفعول به يتنازعه الفعلان قبله (وكثر سوانا) كثرة غيرنا (ليس يعشر قلنا) أى قليلنا ، ويعشر يأخذ واحداً من عشرة ؛ يعنى أن كثير غيرنا لا يعشر قليلنا ، ألا ترى أن الله تعالى أعطانا ليلة القدر ، قال تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » وألف شهر ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر (ولن يلفى) يجد

(النظار فى الـكتب) المتقدمة (مثلنا) أى شبهنا (سبقنا به) صلى الله عليه وسلم (فى الحشر) القيامة (من كان قبلنا) روى البخارى عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الـكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» الحديث (ومن) تبعيضية (عجب أن يسبق الغد) اليوم الذى بعد يومك (الامس) الذى قبل يومك ؛ هذا مثل للأمة المحمدية بالغد، والأمم الماضية بالأمس، فتعجب فقال : ومن عجب الخ : أى سبق الغد الآتى للأمس المـاضى من بعض العجب (ص) :

لَقَدْ بَهَرَ الْأَنْوَارَ نُورُ شُعَاعِهِ ... وَقَامَ بِأَمْرِ اللهِ جُهْدَ اضْطِلاَعِهِ
فَلاَ خَيْرَ إِلاَّ فِي المسِيرِ تِباَعِهِ ... سَعَادَتُنَا مَشْرُوطَةٌ بِاتِّبَاعِهِ
وَهَلْ يَثْبُتُ الْبُنْيَانُ إِلاَّ عَلَى الأَسّ

(ش) (لقد بهر) غلب (الأنوار نور شعاعه) ضوئه صلى الله عليه وسلم (وقام بأمر الله) الذى هو الوحى (جهـد اضطلاعه) طاقة قوته ، والمراد أنه صلى الله عليه وسلم حمل عند ذلك الذى حمله من القيام بأمر الله وحقوق النبوّة وثقلها ، فحمل ذلك واجتهد وقوى عليه حتى بلغ :

فبلغ الرسالة الميمونة ... وقاتل الطائفة الملعونة

(فلاخير إلا فى المسير تباعه) أى متابعة سنته وطريقه ، وفى نسخة : بباعـه ، والباع : قدر مد اليدين ، ويطلق على الشرف والـكرم ، والمراد به أيضا اتباع سنته بدليل قوله (سعادتنا) فى دنيانا وأخرانا (مشروطة باتباعه) وهو مايلزم من وجوده الوجود ، ومن عدمه العدم . وعن أحمد بن حنبل قال : كنت يوما فى جماعة تجرّدوا ودخلوا المـاء ، فاستعملت الحديث: « من كان يؤمن بالله واليوم

الآخر فلايدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد ، ورأيت تلك الليلة قائلا يقول لى : يا أحمد إن الله قد غفر لك باستعمالك السنة ، وجعلك إماما . قلت من أنت ؟ قال جبريل » (وهـل) ما (يثبت البنيان إلا على الأس) أى ماثبتت سعادتنا التى هى البناء إلا على الأس الذى هو اتباعه صلى الله عليه وسلم (ص) :

شِفَاءُ فُؤَادِى فِيهِ مِنْ بُرَحَائِهِ وَقَدْ حَالَتِ الْأَقْدَارُ دُونَ شِفَائِهِ

لَدَى رَوْضَةٍ قَدْ أَشْرَقَتْ بِبَهَائِهِ سَلُونِيَ كَيْفَ الْحَالُ دُونَ لِقَائِهِ

فَحُزْنِيَ فِى طَرْدٍ وَصَبْرِيَ فِى عَكْسِ

(ش) (شفاء) دواء (فؤادى) قلبى (فيه) فى حبه وزيارته صلى الله عليه وسلم (من برحائه) من شدة كربه أو مرضه أو مشقته (و) الحال أنه (قد حالت) عرضت ومنعت ، ومنه : « أن الله يحول بين المرء وقلبه » (الأقدار) جمع قدر : وهو ماقدر الله من القضاء (دون شفائه) دوائه كائن (لدى) عند (روضة) . وفى الحديث : « مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » . ولابن عساكر : « قبرى » بدل بيتى: أى كروضة فى نزول الرحمة ، وحصول السعادة ، وضبط ذلك بثلاثة وخمسين ذراعا (قد أشرقت) أضاءت (ببهائه) بحسنه صلى الله عليه وسلم ، والجملة الإنشائية نعت روضة (سلونى) من السؤال (كيف) بالاستفهام (الحال) أى حالى (دون لقائه) إما مجازا بالزيارة لقبره الشريف أوحقيقة بالموت لأن الحبيب يحب لقاء حبيبه (فحزنى) أى فأقول لكم فى الجواب لسؤالكم حزنى (فى طرد) زيادة وكثرة (وصبرى فى عكس) عدم: وهو رد آخر الشئ إلى أوله ، والمراد به هنا العدم (ص) :

غَرَامٌ بِغَيْرِ الْقُرْبِ مَاهُوَ يَنْجَلِى وَرَبِّى يُعَافِى مَنْ يَشَاءُ وَيَبْتَلِى

وَفِى زَوْرَةِ الْمُخْتَارِ أَقْصَى مُؤَمَّلِى ⁂ سَأَبْكِى لِبُعْدِ الدَّارِ عَنْهُ فَإِنَّ لِى

حَيَاةً بِلاَ رُوحٍ وَمَوْتاً بِلاَ رَمْسِ

(ش) لى (غرام) شدة حب (بغير القرب) أى قربه (ما) نافيـة (هو ينجلى) ينكشف بغير القرب إلا بالقرب ، أوذلك الحزن عذاب لاينكشف إلا بقربه (وربى يعافى من يشاء) بالوصول إلى محبوبه (ويبتلى) يختبر من يشاء ، ويمنعه الوصول إلى محبوبه ، ومنه : « وبلوناهم بالحسنات والسيئات » وفيه لف ونشر مرتب (وفى زورة المختار) زيارته مرة واحـدة (أقصى) غاية (مؤملى) رجائى ومقصودى ، لأن فيها غفران حوبى وهو غاية نيتى (سأبكى ل)أجل (بعد الدار عنه) أى لبعد داره عنى وعدم زيارته صلى الله عليه وسلم (فإن لى . حياة) عيشاً (بلا روح) نفس (و) إن لى (موتاً بلا رمس) قبر (ص) :

مُعَانَاةُ صَبٍّ هَائِمِ الْقَلْبِ وَالِهِ ⁂ تُكَلِّفُهُ الْأَشْوَاقُ فَوْقَ احْتِمَالِهِ

فَيَشْدُو إِذَا ضَاقَتْ وُجُوهُ احْتِيَالِهِ ⁂ سَلاَ كُلُّ مَهْمُومٍ وَهَمِّى كَحَالِهِ

فَصَبْرًا فَكَمْ حُزْنٍ يَئُولُ إِلَى عُرْسِ

(ش) معاناتى (معاناة صبّ) مقاساة المحب ومعالجته ، أولى مقاساة (هائم القلب) حيرانه ، من هام يهيم هياماً إذا ذهب عقله من شـدة العشق (واله) ذاهب العقل (تكلفه) تأمره بما يشق عليه (الأشواق فوق احتماله) أى طاقته ، والاحتمال حبس النفس عنـد الآلام والمؤذيات (فيشدو) يرفع الحبيب صوته بالشعر (إذا) حين (ضاقت وجوه احتياله) أى حيلته (سلا) زال حب (كل مهموم وهمى كحاله) أى نسى كل ذى همّ ما أهمه وهمى باق على حاله فلم أنسه (ف)صبرت (صبرا) أوتخذ صبراً ، أوفاصبر صبراً (فكم حزن يئول) يرجع (إلى عرس) فرح .

هنا انتهى حرف السين ، ويتلوه حرف الشين إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الشين

لما نجز حرف السين شرع يتكلم فى حرف الشين ، منبذاً كل مايشغله عن مراده ، وكارها قول من قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى بروحه لابجسده ، ولذلك قال (ص) :

أَنِفْتُ لِقَوْلٍ جَادَ عَنْ سَمْتِ قَصْدِهِ أُحِيلَ بِهِ الْإِسْرَاء عَنْ كُنْهِ حَدِّهِ
فَلَا أَنْثَنِي مَاعِشْتُ أَشْدُو لِصَدِّهِ شَهِدْتُ أَنَّ اللهَ أَسْرَى بِعَبْدِهِ
مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى رُقِيًّا إِلَى الْعَرْشِ

(ش) (أنفت) كرهت واستنكفت أوغضبت (لقول) نكرة ليعمّ كل قائل ذلك (حاد) أى جار ومال ، وفى نسخة : جار بمعنى حاد (عن سمت) طريق أوعلامة (قصده) استوائه ، وهذا القول (أحيل) غيّر (به) بهذا القول (الإسراء عن كنه) حقيقة (حده) والحد : هو المانع أن يدخل غيره فى حيزه ؛ يعنى أنا أغيّر القول الذى قيل إنه أسرى بروحه لابجسده ، بل إسراؤه بروحه وجسده (فلا أنثنى) أرجع وأعطف أو لا أزال أبدا (ماعشت) مدة عيشى (أشدو) أرفع صوتى بالشعر (ل)أجل (صده) لمنعه وصرفه عنه وأقول (شهدت) حققت وعلمت وأيقنت (بأن الله) تعالى (أسرى بعبده) ليلا (من المسجد) الحرام إلى المسجد (الأقصى) بيت المقدس: وهومسجد إيليا (رقيا) حال أو مصدر محذوف : أى رقى رقيا (إلى العرش) العظيم (ص) :

بِجِسْمِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَبِذَاتِهِ وَفِى نَبَهٍ لَمْ يَخْتَلِطْ بِسِنَاتِهِ
شَهِدْتُ بِهَذَا مُرْغِمًا لِشُنَاتِهِ شَهَادَةَ مَنْ أَدَّى لَهُ مُعْجِزَاتِهِ
لِسَانُ الصَّفَا وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْوَحْشِ

(ش) (بجسم النبي) بدل من عبده (المصطفى) صلى الله عليه وسلم (وبذاته) أى أسرى بروحه وجسده، يقظة لامناما من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، إلى فوق سبع سموات، ورأى ربه بعينى رأسه، وأوحى إليه ماأوحى، وفرض عليه الصلوات الخمس، ثم انصرف فى ليلة إلى مكة، الحديث (و) أسرى به (فى نبه) حال يقظة (لم يختلط) الإسراء (بسناته) جمع سنة: وهى النوم الخفيف، ومنه: «لا تأخذه سنة ولا نوم» (شهدت بهذا) القول أنه صلى الله عليه وسلم أسرى بجسده فى حال يقظته لامنام ولابروحه بغير جسمه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مصعدا إلى العرش حال كونه (مرغمًا) ملصقًا أنف عدوّه بالرغام (لشناته) لمبغضيه (شهادة من أدى له) صلى الله عليه وسلم، شهادة مصدر لفظى: أى شهدت شهادة كشهادة من أدى له (معجزاته) مفعول أدى (لسان الصفا) وإسناد اللسان على الصفا مجاز، والصفا مقصور: الصخرة الملساء أوالحجر الأملس

* جماد الحصى والنبت من معجزاته *

وقال على رضى الله عنه: «كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى نواحيها فما استقبله شجر ولاجبل إلاقال: السلام عليك يارسول الله» (و) شهدت شهادة من أدى له معجزاته لسان (الجن) قال تعالى: «وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن» الآيات «قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن» السورة (و) شهدت شهادة من أدى له معجزاته لسان (الإنس) عن عائشة رضى الله عنها قالت: «جاء المشركون إلى أبى بكر قالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به ليلة إلى بيت المقدس؟ قال أوقال ذلك؟ قالوا نعم. قال صدق إنى لأصدقه بأبعد من ذلك: أصدقه بخبر السماء غدوة وروحة» (و) شهدت شهادة من أدى له معجزاته لسان (الوحش) عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحش، فاذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب وذهب

وجاء ، فاذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربض ولم يترمرم مادام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيت » . وأخرج ابن عساكر عن محمد بن جعفر بن خالد الدمشق : « قال رافع بن عمير الطائى فيما يزعمون من كلام الذئب ، وهو فى ضأن له يرعاها ، فدعاه الذئب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره باللحوق به » وله شعر قاله فى ذلك :

رعيت الضأن أحميها جميعا ... من الضبع الخفى وكل ذيب
فلما أن سمعت الذيب نادى ... يبشرنى بأحمد من قريب
سعيت إليه قد شمرت ثوبى ... عن الساقين قاصدة الركيب
فألفيت النبى يقول قولا ... صدوقا ليس بالقول الكذوب
فبشرنى بدين الحق حتى ... تبينت الشريعة للمنيب
وأبصرت الضياء يضىء حولى ... أمامى إن سعيت وعن جنوبى
ألا بلغ عمــــر بن عوف ... وأخوتهم جزيلة أن أجيبى
دعاء المصطفى لاشك فيه ... فإنك إن أجبت فلن تخيبى

(ص) :

لَقَدْ سَادَ مَنْ يَأْتِي كَمَا سَادَ مَنْ مَضَى ... فَكَانَ عَلَى الْأَضْدَادِ كَالسَّيْفِ مُنْتَضَى
وَصَلَّى بِخَيْرِ الْخَلْقِ فِي الْمَلَإِ الرِّضَى ... شَفِيعُ الْوَرَى قَبْلَ الدُّعَاءِ إِلَى الْقَضَا
وَمُنْقِذُهُمْ قَبْلَ التَّعَرُّضِ لِلْبَطْشِ

(ش) والله (لقد ساد) أى صار سيدا (من يأتى كما ساد من مضى) يعنى هو سيد الأولين والآخرين ، وجميع النبيين والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام (فكان) صلى الله عليه وسلم (على الأضداد) الكفار والمنافقين ، وفى نسخة : على الأعداء (كالسيف) الصارم حال كونه (منتضى) مجرداً مسلولا ، وهذا

إشارة إلى شجاعته (وصلى بخير الخلق) هم الأنبياء (فى الملإ الرضى) هم الملائكة تقدم : * فلما رأته قدمته وصلت * أوالباء فى بخير زائدة ، وصلى خير الخلق الخ . ويحتمل أن يكون فاعل صلى شفيع الورى على شأن التخميس وهو المقصود فالباء سببية : أى صلى شفيع الورى فى الملإ الرضى ، إما بسبب كونه خير خلق الله كلهم (شفيع الورى قبل الدعاء إلى القضا) الفصل ، وهو الشفاعة الكبرى (و) هو (منقذهم) مخلص الورى (قبل التعرض للبطش) للأخذ الشديد ومنه : « إن بطش ربك لشديد » ، وفى نسخة : بعد التعرض للبطش ، وهو الموافق لحديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ولا أزال أشفع حتى أعطى صكا كا برجال قد أمر بهم إلى النار » الحديث

(ص) :

بِإِنْقَاذِهِ يَنْجُو مِنَ الْهُلْكِ مَنْ نَجَا بدا مِنْهُ لِلْأَبْصَارِ وَالتَّاحَ لِلْحِجَا

وَلَيْـلُ ضَلَالَاتِ الْجَهَالَةِ قَدْ سَجَى شُعَاعٌ أَنَارَ الْأَرْضَ فِى غبَشِ الدُّجَى

وَغَيْثٌ تَلَافَى النَّاسَ فِى عَوَزِ الطَّشِّ

(ش) (بإنقاذه) بسبب إخلاصه ، ومنه : « ولا ينقذون » (ينجو) يخلص (من الهلك من نجا) خلص (بدا) وفاعله شعاع الآتى وما بينهما اعتراض : أى ظهر (منه) صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بشعاع من باب التجريد (للأبصار) متعلق ببدا (والتاح) تبين وظهر (للحجا) لصاحب العقل (و) الحال أن (ليل ضلالات الجهالة) السفاهة (قد سجى) سكن ودام ، ومنه : «والضحى والليل إذا سجى » (شعاع) نور وضياء (أنار الأرض فى غبش) بقية (الدجى) ظلمة آخر الليل ؛ ولا شك أن بعثه صلى الله عليه وسلم كان آخراً (وغيث) مطر (تلافى) تدارك (الناس فى عوز) حاجة وعدم (الطش) المطر الضعيف (ص)

مُنِيرُ الْهُدَى زَاكِى الْفُؤَادِ مُنِيبُهُ ... بَعِيدُ المَدَى دَانِى الْغِيَاثِ قَرِيبُهُ
عَظِيمُ النَّدَى رَحْبُ الْفِنَاءِ خَصِيبُهُ ... شَبِيهُ خَلِيلِ اللهِ وَهْوَ حَبِيبُهُ
فَلاَ نَارُهُ تَخْبُو وَلاَ نُورُهُ يُعْشِى

(ش) (منير) مضىء (الهدى) الرشد (زاكى الفؤاد) طاهر القلب (منيبه) راجع للفؤاد إلى الله (بعيد المدى) الغاية فى الشرف والكرم (دانى) قريب (الغياث) النصر والعون (قريبه) تأكيد معنوى (عظيم الندى) الجود (رحب) واسع (الفناء) أى فناؤه واسع ، والفناء : ما امتد من جوانب الدار (خصيبه) كثير خصبه ، والخصب ضد الجدب ، وهاتان استعارتان لكثرة جوده ، وبلوغه الغاية فى الكرم صلى الله عليه وسلم ، وهو (شبيه خليل الله) إبراهيم عليه الصلاة والسلام (وهو) صلى الله عليه وسلم (حبيبه) أى الله . قال عليه الصلاة والسلام : « رأيت خليل الرحمن وأنا أشبه أولاده به ، أو كما قال » ثم لاتتوهم بذكر الشبه أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خلقاً وأجملهم . ثم جرت العادة أن يشبه الأفضل بالمفضول ، والمفضول بالفاضل ؛ ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم يشبهه كثير من أصحابه (فلا ناره تخبو) تطفأ ، كناية عن كثرة كرمه (ولا نوره) صلى الله عليه وسلم (يعشى) يضعف البصر : أى لايضر ببصر من ينظر إليه فيضعف ، كنور الشمس وغيره من الأنوار التى تعشى الأبصار ؛ فان قلت : ما الفرق بين هذا القول وما تقدم فى حرف الخاء من قوله : خفافيش أهل الأرض تعشى بصبحه ؛ فالجواب أن ذلك نظر إليه بعين السخط ، وهذا بعين الرضا والمحبة ، وهذا حسا ، وذلك معنى (ص) :

هُوَ الْغَوْثُ يَكْفِى إِنْ أَوَيْتَ مِنَ النَّوَى ... هُوَ الْغَيْثُ يَنْفِى عَنْ مَوَاقِعِهِ الطَّوَى
هُوَ الطِّبُّ يَشْفِى إِنْ شَكَوْتَ مِنَ الْجَوَى ... شَمَائِلُهُ مُذْ كَانَ حُكْمٌ بِلاَ هَوَى
وَفَهْمٌ بِلاَ وَهْمٍ وَنُطْقٌ بِلاَ نُحْشِ

(ش) (هو الغوث) ذو الغوث وجعله نفس الغوث مبالغة (يكفيـ)ـك (إن أويت) رجعت وضممت إلى الله نفسك (من التوى) أى الهلاك (هو الغيث) المطر، فإذا جاء المطر عند الحاجة إليه فهو الغيث، فإذا أحيا الأرض بعد موتها فهو الحيا (ينفى) يطرد (عن مواقعه) مواضع وقوعه (الطوى) الجوع (هو الطب) الطبيب (يشفى) يداوى ويبرئ صلى الله عليه وسلم (إن شكوت) إن رفعت شكوى مرضك (من الجوى) الحزن، أو داء فى البطن، أو الحرقة، وشدة الوجد من عشق أو غيره (شمائله) طبائعه (مذ كان) صلى الله عليه وسلم (حكم بلا هوى) النفس (وفهم بلا وهم) غلط وهو أن يذهب وهمك إلى الشىء وأنت تريد غيره (ونطق بلا فحش) وهو فى النطق خشونته وما قبح منه، وهو صلى الله عليه وسلم «لم يكن فحاشاً ولا عيابا ولا مداحا ولا ينطق عن الهوى «إن هو إلا وحى يوحى»

(ص) :

خَــــلاَ بِحِرَاءٍ بُرْهَةً وَتَعَبَّدَا ... وَلاَوَحْىَ لٰكِنْ نُورُ قَلْبٍ تَوَقَّدَا
فَأَكْرِمْ بِهِ إِذْ شَبَّ حالاً وَإِذْشَدَا ... شَبِيبَتُهُ لَمْ تُطْوَ إِلاَّ عَلَى الهُدَى
فَمَا زَانَهُ خَلْقٌ بِجَرْحٍ وَلاَ خَدْشٍ

(ش) (خلا) النبى صلى الله عليه وسلم (بحراء) بجبل حراء (برهة) مدة طويلة من الزمان (وتعبدا) لله فى ذلك الجبل (و) الحال (لاوحى) أى لم ينزل عليه جبريل عليه السلام بالرسالة (لـكن نور قلب توقدا) أضاء وأشرق. روى البخارى بسنده إلى عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة، وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فى غار حراء فكان يتحنث فيه، وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى

خديجة رضى الله عنها فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك وهو فى غار حراء » الحديث (فأكرم به) أى ما أكرمه (إذ شب) كبر (حالا) تمييز (و إذ شدا) ساق الناس إلى الهدى أو رفع أو حين أحسن شيئاً من العلم (شبيبته) شبابه (لم تطو إلا على الهدى) والمراد لم ينشأ إلا على الرشد والأمانة ولذا قال (فما زنه) اتهمه (خلق) من مخلوقات الله ، والمراد به أعداؤه تقدم :

* درى الناس طرّا صدقه يوم بعثه *

(بجرح) بكذب فى القول . قال أبو جهل لعنه الله : ما كذب محمد قط (ولا خدش) عيب ، أى لم يرمه أحد بكذب وما صدر عنه عيب الخدش(ص):

مَنَاقِبُ مَخْصُوصٍ بِحِفْظٍ وَعِصْمَةٍ يُزَحْزِحُهُ التَّقْدِيسُ عَنْ كُلِّ وَصْمَةٍ
بِنَفْسِىَ مِنْـهُ لِانْشِرَاحٍ وَرَحْمَةٍ شَغَافٌ حَوَى قَلْباً حَوَى كُلَّ حِكْمَةٍ
هُوَ اللَّوْحُ مَعْنًى وَالْحَقَائِقُ كَالنَّقْشِ

(ش) هذه الأوصاف المذكورة (مناقب مخصوص) فضائل من خصه الله (بحفظ وعصمة) أى بحفظه إياه وعصمته « والله يعصمك من الناس » (يزحزحه) يباعده (التقديس) تطهير الله إياه بشق صدره و إخراج حظ الشيطان منه (عن كل وصمة) عيب (بنفسى منه) صلى الله عليـه وسلم (لانشراح ورحمة) أى أفديته بنفسى لأجل حبى فيه صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذاك إلا لانشراح الله صدره ورحمته لى « وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » هذا على التفرقة ، وأما شأن التخميس فهو المقصود (شغاف) جلدة تحتوى على القلب وتغشاه مبتدأ مؤخر خبره لنفسى ، ومنه « قد شغفها حبا » (حوى) جمع صفة لشغاف (قلباً حوى) القلب (كل حكمة) والجـملة صفة لقلب (هو) القلب (اللوح) ما تكتب فيه ، ومنه « فى لوح محفوظ » (معنى)

فى المعنى (و) الحال أنّ (الحقائق كالنقش) كالـكتب ، وفى الحديث : «إن تعليم الشئ فى الصغر كالنقش فى الحجر ، والنقش فى الحائط ، والرقش فى القرطاس ، والوشى فى الثوب ، والوشم فى البدن ، والوسم فى الجلد» وهذه استعارة مكنية ، وإثبات ذلك تخييلية (ص) :

أَلاَ إِنَّهُ أَرْعَى الْأَنَامِ لِذِمَّةٍ وَأَبْعَدُهُمْ عَنْ نَقْصِ كُلِّ مَذَمَّةِ

هِدَايَتُهُ قَدْ نَوَّرَتْ كُلَّ ظُلْمَةٍ شَرِيعَتُهُ قَدْ بَصَّرَتْ كُلَّ أُمَّةِ

فَأَسْلَمَ مَا بَيْنَ الْأَعَارِيبِ وَالْحُبْشِ

(ش) (ألا) انتبه، أونبه (إنه) صلى الله عليه وسلم (أرعى) أحفظ (الأنام) الخلائق (لذمة) عهد ، المراد أنه ينجز الوعد إذا وعد (و) إلا أنه (أبعدهم) أى الأنام (عن نقص كل مذمة) خلاف محمدة ؛ والمعنى كل مايذم به من نقص ، فالنبى صلى الله عليه وسلم أبعد الناس منه (هدايته) إرشاده الناس (قد نوّرت) أضاءت (كل ظلمة) كفر وجهل ، فصار الـكافر مسلماً ، والجاهل عالماً ، بسبب نور هدايته صلى الله عليه وسلم (شريعته) التى أرسل بها (قد بصرت) علمت (كل أمة) اتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام (فأسلم) دخل فى الإسلام (مابين الأعاريب) جمع أعراب سكان البادية من العرب ، ومنه : «ومن الأعراب من يؤمن بالله» (والحبش) بضم الحاء: نوع من العجم ، والحبش والحبشة جنس من السودان ، وإنما خصهم دون غيرهم من الـكفار لموافقة ألفاظهم ، وإلا فالمراد عموم الإسلام . قال الله تعالى : «إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً» أى جماعات كثيرة ، بعد أن كانوا يدخلون واحداً واثنين ، كأهل مكة والطائف واليمن وهمذان وسائر قبائل العرب ؛ فلما مات عليه الصلاة والسلام، واستخلف الله المؤمنين فى الأرض ، ومكّن فيها دينهم ، ملّـكهم الأرض

من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها » وقاء فأسلم سببية (ص) :

فَكَمْ وَاقِعٍ نَجَّاهُ مِنْ شَرَكِ الرَّدَى فَصَارَ وَلِيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ فِى الْعِدَا
فَوَائِدُهُ رِىُّ النُّفُوسِ مِنَ الصَّدَى شَوَاهِدُهُ جَمْعُ الْقُلُوبِ عَلَى الْهُدَى
وَإِبْرَاءِ مَا فِيهَا مِنَ الْغِلِّ وَالْغِشِّ

(ش) (فكم) كثير من (واقع نجاه) أى نجى النبى صلى الله عليه وسلم الواقع (من شرك) حبائل (الردى) الهلاك (فصار) الواقع (وليا) محبا لله ورسوله كأبى سفيان مثلا رضى الله عنه (بعد أن كان فى العدا) فى أعداء الله (فوائده) جمع فائدة من الفيد لامن الفود : وهى ما استفدته من علم أومال (رى النفوس) وهو الشرب الكامل (من الصدى) العطش (شواهده) دلائله التى شهدت بأنه نبى صلى الله عليه وسلم ورسول من الله إلى كافة الناس (جمع القلوب على الهدى) الطاعة (وإبراء مافيها) أى القلوب (من الغل) العداوة والحقد (والغش) الخيانة وعدم النصح . وفى الحديث عن أنس بن مالك قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن قدرت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل ، ثم قال : يا بنىّ وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحيانى ، ومن أحيانى كان معى فى الجنة » (ص) :

أَتَانَا وَحِزْبُ الْكُفْرِ فَوْقَ تِلَاعِهِ فَشَتَّتَ مِنْهُ الشَّمْلَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ
فَكُلٌّ بِهِ قَدْ بَانَ وَجْهُ انْتِفَاعِهِ شَكَايَا الْوَرَى مَكْشُوفَةٌ بِاتِّبَاعِهِ
فَلَا أَثَرٌ بَاقٍ لِلَدْغٍ وَلَا نَهْشٍ

(ش) (أتانا) جاءنا برسالة مولانا (و) الحال أنّ (حزب) جماعة (الكفر

فوق تلاعه) جمع تلعة : وهى ما ارتفع من الأرض ، وهو كناية عن علوّ الكفر وغلبته ؛ فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مزقهم كل ممزق ، و إلى ذلك أشار بقوله (فشتت) فرّق صلى الله عليه وسلم (منه) الكفر (الشمل) الاجتماع (بعد اجتماعه. فكل) واحد من أحزاب الكفر (به) بسببه صلى الله عليه وسلم (قد بان) ظهر ووضح (وجه انتفاعه) إلا من أبى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا : ومن أبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » (شكايا الورى) الخلق جمع شكية (مكشوفة) مزيلة (باتباعه) بسبب اتباعه (ف)بسبب ذلك (لاأثر) علامة (باق) بعد مجيئه واتباعه (للدغ) للعقرب (ولا نهش) للحية ، وذلك كناية عن دفعه جميع المظالم والمضارّ ، بسبب اتباعه صلى الله عليه وسلم :

(ص) :

بَرَأْنَا مِنَ الشَّكْوَى حَصَلْنَا عَلَى الْمُنَى ... دَعَانَا إِلَى التَّقْوَى نَهَانَا عَنِ الْخَنَا

فَلَا حَيْفَ مِنْ بَلْوَى وَلَا خَوْفَ مِنْ ضَنًى ... شَبَا أَمْرِهِ صَانَ الدِّيَانَةَ وَالدُّنَا

فَسِرْ آمِنًا بَيْنَ الدَّرَاغِمِ وَالرُّقْشِ

(ش) (برأنا من الشكوى حصلنا) ثبتنا (على المنى) جمع منية ، وهى ماتمناه الإنس ؛ قيل يؤخذ من هنا أنه حج ، بل ولايستلزم هذا أنه حج ، لأن مناه حب محمد، وتقدم : * مناى من الدارين حقا محمد * فإذا حصل له الحب فقد برأ من الشكوى، والله أعلم (دعانا) صلى الله عليه وسلم (إلى التقوى) هو امتثال الأوامر واجتناب النواهى . ومن أسمائه عليه الصلاة والسلام الداعى (نهانا) النبى صلى الله عليه وسلم (عن الخنا) الفحش والفساد (ف)بسبب ذلك (لاحيف) ظلم (من بلوى) بلية (ولاخوف من ضنى) مرض القلوب ؛ أو المعنى

فلاخوف من جور فى ابتلاء ، واختباره بما كلفنا ، وكيف وهو إنما بلغ ما أنزل إليه من ربه كما أمره به ، وقد أنزل الله إليه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وأنزل إليه « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ماتركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ولا شيئاً يبعدكم من النار إلا بينته لكم » أوالمعنى فلا ظلم فى الخصومة بعد إيضاحه سبيل الحق، ولاخوف من مرض الكفر بعد أمره بجهاد الكفار بدليل قوله : (شبا أمره) جمع شباة : وهى حدّ كل شئ، والأمر: الشان، والمراد هنا حد رمحه صلى الله عليه وسلم (صان) حفظ (الديانة والدنا) :

أحـــل أمته فى حرز ملته ... كالليث حل مع الأشبال فى أجم

(فسر) امش (آمناً) حال ، أوفى أمن (بين الضراغم) جمع ضرغم : وهو الأسد (والرقش) جمع رقشاء : وهى حيـة فيها نقط سود و بيض . والمعنى سر آمناً فى تجارتك ، وصلة الرحم ، وطلب العلم ، وحضور الموسم ، مابقى على وجه الأرض أحد من رؤساء الكفار ينازعك فى دينك (ص) :

بِيُمْنِ رَسُولٍ خُصَّ بِالْفَضْلِ فِى الْأَزَلْ ... فَقَامَ بِهِ وَزْنُ الدِّيَانَةِ وَاعْتَدَلْ
فَلِلَّهِ مَا أَبْلَى وَلِلَّهِ مَا فَعَـلْ ... شَفَا عِلَلاً لِلشِّرْكِ لَوْلَاهُ لَمْ تَزَلْ
ذُحُولاً بِلاَ عَقْلٍ جُرُوحًا بِلاَ أَرْشِ

(ش) (بيمن) ببركة متعلق بسر قبله (رسول خص بالفضل فى الأزل) أى خصه الله تعالى بالفضل فى أزله وقدمه . * لدن قيل فينا كنتم خير أمة * (فقام به) صلى الله عليه وسلم (وزن الديانة واعتدل) استقام أديان الخلائق باتباعه صلى الله عليه وسلم (فلله) در (ما أبلى) من الإبلاء : وهو الاختبار (ولله) در (مافعل) أى لله ما أبلاه بلاء حسناً ، وما أحسن فعله فعلا حسناً (شفا) أزال

(عللا) جمع علة : وهو المرض الذى يشغل صاحبه عن قصده (ل)أهل (الشرك) من القتل والسبى والخسف (لولاه) لولا وجوده صلى الله عليه وسلم (لم تزل) تلك العلل (ذحولا) جمع ذحل بالذال المعجمة : وهو الثأر (بلا عقل) دية، ولولاه لم تزل (جروحا بلا أرش) دية الجرح . والمعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم أبطل ما كانوا عليه من أمر الجاهلية ، فردهم إلى القصاص فى النفس ، أوالعفو من أولياء المقتول ، وأخذ الدية فى الخطأ ، أوالقود أوالعفو (ص) :

أَمِنَّا بِهِ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ وَنِقْمَةٍ شَأَوْنَا بِهِ مَنْ كَانَ يُدْلِى بِقِدْمَةٍ
فَخَرْنَا بِهِ مَنْ كَانَ يَبْأَى بِقُدْمَةٍ شَرُفْنَا بِهِ نَصًّا عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ
وَلاَ عَجَبٌ فَالْوَبْلُ فِى عَقِبِ الرَّشِّ

(ش) (أمنّا به) بحرمته (من كل بأس) شدة (ونقمة) عذاب ، وفى الحديث « أنه صلى الله عليه وسلم رُؤى ليلة المعراج قابضاً على يديه ، فنودى يامحمد افتح يديك فقد قبلنا حسناتهم وغفرنا سيئاتهم ، ولما أراد الانصراف قال : يارب إن لكل قادم من سفر تحفة وما تحفة أمتى ؟ قال : أنا لهم ماعاشوا وأنا لهم إذا ماتوا ، وأنا لهم فى القبور ، وأنا لهم فى النشر » (شأونا) سبقنا (به) بسبب اتباعه (من كان) من الأمم السالفة (يدلى) يقرب (بقدمة) سابقة فى الأعمال الصالحات فإذا كانوا سباق الظاهر ونحن سباق الباطن «نحن السابقون الآخرون» (فخرنا) غلبنا (به) بحرمته (من كان يبأى) يفتخر (بقدمة) بضم القاف، أى قدم: أى غلبنا بحرمة نبينا صلى الله عليه وسلم من كان يفتخرعلينا بتقدمه من الأمم السالفة (شرفنا به) صلى الله عليه وسلم (نصا) من قرآن وحديث وإجماع الأمة (على كل أمة) قال تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس ـ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » (ولا عجب)

لاغرو (فالو بل) المطر الكثير (فى عقب) آخر (الرش) المطر الضعيف . أى لا تتعجب من تشرفنا بنبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الأمم ، فإن المطر الشديد الذى يعم انتفاعه أكثر مايشاهد يكون وجوده بعد المطر الضعيف ، فقس زيادة منفعته على ذلك (ص) :

هُوَ الْفَجْرُ لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ اتِّضَاحُهُ هُوَ الْفَخْرُ لِلْمَرْءِ المتَاحِ فَلاَحُهُ
عَزِيزٌ عَلَيْنَا نَأْيُهُ وَانْتِزَاحُهُ شَهِيٌّ إِلَيْنَا ذِكْرُهُ وَامْتِدَاحُهُ
فَأَسْمَاعُنَا تُصْغِى وَأَلْسُنُنَا تَفْشِي

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (الفجر) الصادق الذى ينتشر عليك ظهوره (لايخفى) لايستتر (عليك اتضاحه) بيانه، والفجر من أسمائه؛ لأن منه تفجر الإيمان (هو) صلى الله عليه وسلم (الفخر للمرء المتاح) المقدر (فلاحه) ظفره فى الأزل (عزيز) شديد (علينا نأيه) بعده (وانتزاحه) معناهما واحد، وعطف لاختلاف اللفظين (شهىّ) مشتهى (إلينا ذكره وامتداحه) ثناؤه ، وتمدحه بما يليق به ولانتساه ، ولانتعدى حقه ، فإن مدحناه بذلك (فأسماعنا) آذاننا (تصغى) تميل إلى سماع المدح، وتقدم : * يفوز به المصغى له والمحدّث * (و) إذا ذكرناه ف(ألسننا) جمع لسان (تفشى) مدحه وتنشئه : أى تذكره مرة بعد أخرى (ص):

مَدَائِحُ رَامَتْ وَصْفَ جِلَّةِ قَدْرِهِ فَمَا بَلَغَتْ مِنْ ذَاكَ مِعْشَارَ عُشْرِهِ
وَمِمَّا شَجَانِي عِنْدَ تَجْدِيدِ ذِكْرِهِ شَجَانِي قُعُودِي دُونَ زُوَّارِ قَبْرِهِ
وَكَمْ قَاعِدٍ يَدْنُو إِلَيْهِ وَلَمْ يَمْشِ

(ش) هذه الأوصاف المتقدم ذكرها (مدائح) جمع مديحة ، أو مدائحنا (رامت) طلبت أصحابها (وصف جلة) جمع جليل : أى عظيم (قدره) بأن تصفه بالأفعال المنيفة ، والأسماء الشريفة (فما بلغت) المدائح مع ما فيها من الإطناب

(من ذاك) من وصف جلة قدره (معشار عشره) أى واحدا من مائة : أى لو قسمت قدره الجليل عشرة أقسام ، وأخذت العشر فقسمته أيضاً قدر عشرة أقسام فما بلغ مدح المداحين بأجمعهم وصف حقيقته عشر العشر ، إذ ما مدح بشىء إلا وهو صلى الله عليه وسلم فوقه ؛ ويكفيك أن الله تعالى مدحه ، وعظم خلقه . قال تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » (ومما) أى الذى (شجانى) أحزنى ، خبر مقدم قعودى مبتدأ مؤخر (عند تجديد ذكره * شجانى) تأكيد لفظى (قعودى دون زوّار قبره) صلى الله عليه وسلم (وكم) كثير من (قاعد) جالس (يدنو) يقرب (إليه) بالنية والتفكر (و) الحال أنه (لم يمش) يذهب إليه برجليه (ص) :

فَلِلّٰهِ مَا أَشْكُوهُ مِنْ لَوْعَةِ الجَوَى   لَقَدْ أَنْحَلَتْ جِسْمِى لَقَدْ هَدَّتِ الْقُوَى
فَقُلْتُ وَصَدْرِى ضَيِّقٌ بِالَّذِى حَوَى   شَكَوْتُ النَّوَى وَالْحَالُ عَوْنٌ عَلَى النَّوَى
وَهَلْ طَارَ مَقْصُوصُ الجَنَاحَيْنِ مِنْ عُشٍّ

(ش) (فلله) در (ما أشكوه) أبكيه (من) بيانية (لوعة) حرقة (الجوى) شدة الوجد ، والله (لقد أنحلت) أهزلت هذه اللوعة (جسمى) جسدى ، مفعول أنحلت ، والله (لقد هدّت) كسرت هذه اللوعة (القوى) جمع قوة ، وهذه إشارة العاشقين (فقلت و) الحال أن (صدرى ضيق) ضد السعة (بالذى حوى) جمعه من حب إتيانه وزيارة قبره ، ومقول القول (شكوت) بكيت (النوى) البعد (والحال عون) معين (على النوى) البعد ، وجملة صدرى ضيق الخ . معترضة بين القول والمقول (وهل) استفهام إنكارى (طار) بمعنى يطير (مقصوص) مكسور ومقطوع (الجناحين) الريش (من عش) أصله بيت للطير : أى إذا كان مكان الطائر على الشجر فهو وكر ، فاذا كان من جبل أوجدار فهو وكن ، وإذا كان فى وكن فهو عش ، فاذا كان على وجه الأرض فهو أفحوص ؛

والمراد مال الدنيا ريش ، ومن كان له ريش يطير ، ومن ليس له ريش لايطير .
والمعنى أن حالى من عدم وجود الزاد ومايلزم المسافر عون على القعود عن زيارته صلى الله عليه وسلم (ص) :

فَيَالَمُحِبٍّ يَسْتَطِيبُ شُجُونَهُ   وَيَحْذَرُ مِنْهَا سَاعَةً أَنْ تَخُونَهُ
لِبُعْدِ حَبِيبٍ رَفَّعَ اللهُ دِينَهُ   شَدَدْتُ عَلَى قَلْبِي يَدَ الصَّبْرِ دُونَهُ
فَأَقْلَقَهَا حَرُّ التَّحَرُّقِ وَالنَّشِّ

(ش) (فيالمحب يستطيب شجونه) أحزانه ، فيالله أو يالمسلمين ، أو ياقوم اعجبوا لعاشق يعدّ حزنه طيباً (ويحذر) يخاف (منها) أى الشجون (ساعة) و (أن تخونه) بدل اشتمال : أى خيانة تلك الساعة التى خلق الحزن فيها ، ولذلك قال فيما تقدم : * شجونى لفقد الهاشمى عتيدة * (ل)أجل (بعد حبيب رفع الله دينه) شريعته على سائر الشرائع بنسخها إياها (شددت) ربطت (على قلبى) فؤادى (يد الصبر دونه) دون الوصول إلى زيارته ، وإسناد اليد إلى الصبر مجاز ، وهى استعارة مكنية وإثبات ذلك تخييلية (فأقلقها) أزعجها (حر التحرق) تحرق الشوق (والنشّ) الغليان ، والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلى (ص) :

حَيَاةُ نُفُوسِ الْحُبِّ فِي الْبُعْدِ مَوْتُهَا   وَدَرْكُ الْمُنَى دُونَ الْأَحِبَّةِ فَوْتُهَا
أَقُولُ وَحَالِي فِي الْهَوَى قَدْ جَلَوْتُهَا   شَنِئْتُ حَيَاتِي دُونَهُ وَشَكَوْتُهَا
وَرَاحَةُ مَكْرُوبِ السَّرِيرَةِ أَنْ يُفْشِي

(ش) (حياة نفوس) أهل (الحب) الشوق (فى البعد) أى فى حال بعدهم للمحبوب كـ(موتها) لعدم منفعتها بحصول مرادها (ودرك) لحاق (المنى) جمع منية : هى مايتمناه الإنسان (دون) غير (الأحبة) كـ(فوتها) المنى .
والمعنى لامأمول يطيب مع فراق الأحبة، بل ماحصل منها كالفائت الذى لم يحصل

وفوتها خبر المبتدأ وهو درك المنى (أقول و) الحال أن (حالى فى الهوى) فى محبتى إياه (قد جلوتها) كشفتها حتى لاتخفى على أحد، والضمير للحال، ومقول القول (شنئت) أبغضت، ومنه: «إن شانئك هو الأبتر» (حياتى دونه) دون زيارته صلى الله عليه وسلم (وشكوتها) من الشكوى: أى رفعت شكوى نفسى إلى خالقها ومسخر لها مرادها، وهو الله القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير، (وراحة) استراحة (مكروب) مغموم (السريرة) القلب، لأن فيها يكتم الرجل سره (أن يفشى) يظهر مافى قلبه، ويستره خوف أن يمسكه. ويروى أن مروان ابن عبد الملك وقع بينه وبين سليمان فى خلافته. فقال لسليمان: يا ابن الخنا، وفتح سليمان فاه ليجيبه، فأمسك عمر بن العزيز بفيه وقال: أنشدك الله مالك وأخوك وله السن؟ فسكت وقال: قتلتنى، والله لقد رددت فى جوفى أحر من النار، فما أمسى حتى مات. (ص):

تَضِيقُ بِىَ الدُّنْيَا الْفَسِيحُ مَجَالُهَا ... وَنَفْسِى لِطُولِ الْبُعْدِ قَدْ سَاءَ حَالُهَا

وَلَيْسَ بِغَيْرِ الْقُرْبِ يَنْعُمُ بَالُهَا ... شِفَاءُ سِقَامِى زَوْرَةٌ لَوْ أَنَالُهَا

وَإِنِّى لَأَرْجُوهَا وَلَوْ كُنْتُ فِى النَّعْشِ

(ش) (تضيق) ولم تتسع (بى الدنيا) فاعل تضيق (الفسيح) الواسع نعت الدنيا، ومنه: «فافسحوا يفسح الله لكم» (مجالها) مدارها، وهو موضع الجولان: وهو الدوران (ونفسى لـ) أجل (طول البعد قد ساء حالها) أى النفس (وليس بغير القرب) أى قربه صلى الله عليه وسلم وزيارته (ينعم بالها) حالها، نعم بالضم: أى صار ناعماً ليناً (شفاء) برء (سقامى) مرضى (زورة) زيارة واحدة (لو أنالها) أعطيت الزيارة (وإنى لأرجوها) أى الزيارة (ولو كنت فى النعش) سرير الميت، وقوله: ولو كنت فى النعش، أخرجه مخرج الغالب

وهو أبلغ فى المعنى من قوله الذى تقدم : * وقد يدرك المأمول والروح فى النزع
وقد يحتمل أن تكون حقيقة ، فاذا كان فى هذه حقيقة وهو مطروح فى النعش
فنى النزع أولى .

انتهى حرف الشين ويتلوه حرف الصاد إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الصاد

لما أتم الكلام على مدح النبى الهادى من حرف الشين ، أراد أن يبدأ بحرف الصاد من اعتنى بالثناء على النبى صلى الله عليه وسلم فقد اهتدى لذلك قال (ص) :

لِذِكْرِ رَسُولِ اللهِ يُرْتَاحُ مَنْ هُدِى ... وَإِنْ لَهِجَ اللَّاهِي بِإِنْشَادِ مُنْشِدِ

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبَرْقَةِ ثَهْمَدِ ... صَرَفْتُ إِلَى مَدْحِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

عِنَانَ لِسَانٍ لِلْحَقَائِقِ مُقْتَصٍّ

(ش) (لذكر رسول الله يرتاح) ينشط ويفرح لأجل ذكره لاذكر غيره (من هدى) مبنى للمفعول (وإن لهج) أولع (اللاهى) الساهى ، وفى نسخة : الغانى (ب)قراءة (إنشاد) نظم (منشد) ناظم (لخولة أطلال ببرقة ثهمد) هـذا يسمى تضميناً ، وهو أن يضمن الشاعر شعره بيتاً من شعر غيره أو أكثر أو أقل كنصف بيت له ، أو بعض نصف فما دونه ، فلابد من التنبيه على أنه ليس من نظمه ؛ وقد نبه المادح على ذلك بقوله بإنشاد منشد :

* لخولة أطلال ببرقة ثهمد * تمامه * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد *
قاله طرفة ، وخولة اسم امرأة ، والأطلال : آثار الديار ، وبرقة : أرض ذات رمل وطين ، وهى مواضع كثيرة فى ديار العرب منها برقة ثهمد الخ ، فأنا (صرفت إلى

مدح النبى محمد) صلى الله عليه وسلم (عنان) رأس (لسان للحقائق مقتص) متبع صفة لسان ، وأصل العنان للفرس ، واستعاره هنا للسان الذى هو جارحة الكلام

(ص) :

أَأُعْرِضُ عَنْهُ لِأَدِّكَارِ المَعَالِمِ ‏ وَقَدْ بَانَ بِالتَّفْضِيلِ فِى صُلْبِ آدَمِ
وَمَنْ لِلْمَعَالِى غَيْرُهُ وَالْمَكَارِمِ ‏ صَرِيحُ صَرِيحِ المَجْدِ مِنْ نَسْلِ هَاشِمِ
وَسَيِّدُ سَادَاتِ النَّبِيِّينَ بِالنَّصِّ

(ش) (أأعرض عنه) الاستفهام للانكار : أى لاأعرض عن ترك مدحه صلى الله عليه وسلم (لادكار) لتذكر (المعالم) الآثار التى يستدل بها على الطرق (و) كيف أعرض عنه ، والحال أنه (قد بان) انضح (بالتفضيل) بتفضيل الله إياه على كافة الناس (فى صلب آدم) عليه السلام وهو أبوالبشر (ومن) استفهام إنكارى (للمعالى) جمع معلاة (غيره و) من (المكارم) جمع مكرمة .

والمعنى من غيره يستحق معالى الأمور كلها ومكارم الأخلاق ! ليس أحد يستحق ذلك إلا هو صلى الله عليه وسلم (صريح صريح المجد) خالص خالص الشرف (من نسل) ولد (هاشم) وفى نسخة : من سر هاشم ، وسر كل شئ : خياره (و) هو (سيد سادات) رئيس رؤساء (النبيين) عليهم الصلاة والسلام ، وهم أولو العزم من الرسل (بالنص) أى بنص كتاب وسنة وإجماع « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب» الآية ، وعرف بهذه الآية أنه نبى الأنبياء ، وفى الحديث : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » الحديث ، وأجمعت الأمة على أنه نبى الأنبياء (ص) :

تَقَدَّمَ فِيهِمْ وَهْوَ عَنْهُمْ مُؤَخَّرُ ‏ مُطَهَّرُ أَسْرَارِ الفُؤَادِ مُنَوَّرُ
مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الأَنَامِ مُصَوَّرُ ‏ صَفِىٌّ نَجِىٌّ مُصْطَفًى مُتَخَيَّرُ
فَيُدْنَى الَّذِى يُدْنِى وَيُقْصَى الَّذِى يُقْصِى

(ش) (تقدم فيهم) أى عليهم عليهم الصلاة والسلام فى الخلق والفضل (وهو عنهم مؤخر) فى البعث. قال صلى الله عليه وسلم: «كنت أول الأنبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث» (مطهر أسرار الفؤاد) القلب (منوّر * من النور ما) زائدة (بين الأنام) المخلوقات (مصوّر) أى مخلوق من النور. قال صلى الله عليه وسلم: «أول ماخلق الله تعالى ياجابر نور نبيك» وقد تقدم حديث أبى هريرة الذى رواه صاحب التشريفات رضى الله عنه (صفىّ) طاهر خالص من كل رذيلة (نجىّ) أى ناجاه ربه * ومن ذا المناجى والبرية نوّم *

(مصطفى) مختار بين المصطفين الأخيار (متخير) مختار بين المختارين، أو خيره ربه بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، أو خيره بين أن يكون نبيا عبداً أو نبيا ملكا، فاختار أن يكون نبيا عبداً (فيدنى الذى يدنى) فيقرّب الذى يقربه النبى صلى الله عليه وسلم وهو قريب من رحمة الله (ويقصى الذى يقصى) أى من أبعده صلى الله عليه وسلم هو بعيد من رحمة الله (ص):

صَلاَحٌ بِهِ كَانَ اسْمُنَا خَيْرَ أُمَّةٍ ... نَجَاحٌ أَتَانَا فِى مِنَصَّةِ عِصْمَةِ
سَمَاحٌ حَبَانَا كُلَّ رِفْدٍ وَنِعْمَةٍ ... صَبَاحٌ وَقَانَا كُلَّ ظُلْمٍ وَظُلْمَةِ
فَلاَ شَكَّ مِنْ خُرْصٍ وَلاَ شَكَّ مِنْ خَرْصٍ

(ش) له (صلاح) أوهو ذوصلاح (به) بسبب اتباعه صلى الله عليه وسلم (كان اسمنا خير أمة) كما قال تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس» وذكر الخيرية لنا لكون نبينا صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، له (نجاح) ظفر بالمراد (أتانا) النجاح، أوالنبى صلى الله عليه وسلم (فى منصة عصمة) رفعة حفظ، والمنصة بكسر الميم: سرير العروس الذى تقف عليه فى جلائها. والمعنى جاءنا بشريعة وأقعدنا فى عصمته التى هى رفعتها كالمنصة له (سماح) جود،

أوهو جود وعطاء (حبانا) أعطانا (كل رفد) عطاء (ونعمة) ما يتنعم به ، هو (صباح) أى وجه كالصباح (وقانا) حفظنا وأزال عنا (كل ظلم) فلا يظلم علينا أحد (و) أزال عنا كل (ظلمة) من ضلالة وغواية ، والظلم : وضع الشئ فى غير محله ، والظلمة : خلاف النور (فلا شك) لاطعن (من خرص) رمح قصير (ولا شك) ريب (من خرص) كذب ، والخرّاص : الكذاب ، ومنه : « قتل الخراصون » (ص) :

أَجَلَّ بِهِ المَوْلَى عَلَى الخَلْقِ مَنَّهُ ... فَلِلّٰهِ مَا أَبْدَى لَهُ وَأَكَنَّهُ
مُزِيحٌ عَنِ الإِنْفَاقِ فى اللهِ مَنَّهُ ... صَفُوحٌ عَنِ الزَّلَّاتِ حَتَّى كَأَنَّهُ
سَوَاءٌ لَدَيْهِ مَنْ يُطِيعُ وَمَنْ يَعْصِى

(ش) (أجلّ) أعظم (به) صلى الله عليه وسلم (المولى) الناصر (على الخلق منه) نعمه (فلله) در (ماأبدى) أظهره الله (له) من الخيرات من حل الغنائم ونبع الماء من بين الأصابع ، وتكثير القليل من الطعام وغير ذلك (و) لله در ما (أكنه) ستره له من قرة أعين والشفاعة . قال تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (مزيح) مبعد (عن) عند (الإنفاق فى) سبيل (الله) تعالى (منه) تعداد النعم (صفوح) كثير العفو (عن) أهل (الزلات) جمع زلة فى طين أو منطق (حتى كأنه * سواء لديه) عنده (من يطيع) الله (ومن يعصيه) يسمى هـذا توجيهاً : أى من يخالف ، وليس كذلك إنما كانوا سواء عنده فى الحق ، «وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده فى الحق سواء» (ص):

يَقُومُ بِأَمْرِ اللهِ فى كُلِّ مَسْلَكٍ ... فَيُغْضِى لِعَبْدٍ فى الهُدَى مُتَمَسِّكِ
وَيَسْطُو إِذَا الخِذْلَانُ لَجَّ بِمُشْرِكٍ ... صِفَاتُ رَسُولِ اللهِ أَوْصَافُ مَلْأَكِ
وَإِنْ كَانَ مَعْدُودًا مِنَ الإِنْسِ بِالشَّخْصِ

(ش) (يقوم بأمر الله) بما أمره الله به فعلا أو تركا

* أوامر مولاه لديه مطاعة * (فى كل مسلك) مدخل وطريق

(فيغضى) يتسامح ويغضّ بصره ويتغافل (اميد بالهدى متمسك) نعت لعبد. والمعنى يغض بصره عن هفوات من تمسك بالرشد : أى لايلتفت إليه ما لم يكن حرمة من محارم الله فينتقم لله ، وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر ، لايستقبل أحداً بما يكره حياء وكرم نفس ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل مابال فلان يقول كذا وكذا ، ولكن يقول مابال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ، وينهى عنه ولا يسمى فاعله » (ويسطو) يصول ويبطش ، ومنه « يكادون يسطون » (إذا) حين (الخذلان) ترك النصر، خذله خذلانا: إذا ترك عونه ونصره (لج بشرك) أى تمادى كافر فى ضلاله وطغيانه فى خذلانه والباء زائدة (صفات) حلى (رسول الله) صلى الله عليه وسلم (أوصاف ملأك) أى ملك ، لأن الله تعالى قال فى الملائكة « لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون » وهو صلى الله عليه وسلم ماعصى قط ربه (وإن) حرف إغياء (كان ممدوداً من الإنس بالشخص) بالجسد والجسم ، أو الظلال (ص) :

صِفَاتُ رَسُولٍ كلُّ مكْرُمَةٍ حَوَى وَفاءٌ بِلاَ غدْرٍ وَغَوْثٌ بِلاَ تَوَى

عَطَاءٌ بِلاَ مَنْعٍ وَقُرْبٌ بِلاَ نَوَى صَفَاءٌ بِلاَ شَوْبٍ وَنُطْقٌ بِلاَ هَوَى

وَحُكْمٌ بِلاَ جَوْرٍ وَفَضْلٌ بِلاَ نَقْصٍ

(ش) (صفات رسول) الله صلى الله عليه وسلم (كل مكرمة) بضم الراء ، أى خصلة جميلة يتمدح الموصوف بها (حوى) جمع صفة لرسول (وفاء) بالعهود ، وهو خبر مبتدؤه صفات رسول (بلا غدر) خديعة (وغوث بلا توى) هلاك

(عطاء بلا منع) تقدم : ومنَّ ولا منٌّ (وقرب بلا نوى) بعد (صفاء) ضد كدر : أى محض (بلا شوب) خلط (ونطق بلا هوى) « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » (وحكم بلا جور) قضاء على الناس بلا ظلم (وفضـل) زيادة (بلا نقص) ضد الزيادة ، وكل مكرمة مفعول مقدم لحوى ، ويحتمل أن يكون حوى خبر صفات ووفاء مبتدأ محذوف الخبر : أى له وفاء بلا غدر وله غوث بلا توى ، أو خبر له محذوف : أى هو ذو وفاء بلا غدر وهو ذو غوث بلا توى ، كل صحيح (ص) :

أَضَافَ الْوَرَى لِلدِّينِ خَيْرَ إِضَافَةٍ يُرَجِّي رَجَاءٌ فِي خِـلاَلِ إِخَافَةٍ
كَبَانٍ عَلَى مَاعِنْدَهُ مِنْ نَظَافَةٍ صَفَا قَلْبُهُ بِالشَّقِّ مِنْ كُلِّ آفَةٍ
فَلاَ أَثَرٌ فِيهِ لِغَمْزٍ وَلاَ غَمْصِ

(ش) (أضاف) ضم النبى صلى الله عليه وسلم (الورى) الخلق (للدين) لى دين الإسلام (خير إضافة) خير ضم ؛ بمعنى ساقهم الله بفيض نداه وإعمال قناه ، فساس بذلك الخلق ليناً وشدة (يرجى) هم (رجاء) اسم مصدر (فى خلال) وسط (إضافة) خوف ، ومنه : « فجاسوا خلال الديار » جمع خلال ، وهو الفرجة بين شيئين . قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق الرحمـة يوم خلقها مائة ، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة ، وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار » . وفى الحديث : « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لتعادلا » هو (كبان) يعنى الدين أو كعروس لأن العروس طيبة الرائحة فهو شبهها (على) مع (ماعنده) صلى الله عليه وسلم (من نظافة) طهارة : من نظف الشىء نظافة ؛ والمراد أن دينه مبنى على النظافة كما قال عليه الصلاة والسلام

« بنى الدين على النظافة » أو النبي بان وهو نظيف ، ودينه على النظافة وهذا أولى من حمل بان على العروس بدليل :

* فأكرم به إذ يبتنى من مشيد * البيت ، والله أعلم بمراد المادح (صفا) طهر (قلبه) بمعنى زاده الله طهرا (ب) سبب (الشق) الشرح (من كل آفة) عاهة وعيب ، ويجوز جر قلبه على أنه مضاف إلى صفا ، وهو مبتدأ وخبره المجرور بعده (ف) بسبب ذلك (لا أثر) من التأثير (فيه) فى القلب ، أو النبى صلى الله عليه وسلم (لغمز) مغمز ، يقال مافيه مغمز : أى مطعن ، ومنه : « وإذا مروا بهم يتغامزون » (ولا غمص) احتقار : أى لا يقدر أحد على تحقيره (ص) :

فَأَكْرِمْ بِهِ إِذْ يَبْتَنِي مِنْ مُشَيَّدِ ... عَلَى صَرْحِ إِحْسَانٍ وَعَدْلٍ مُمَرَّدِ
فَكُلُّ مُرَادٍ مِنْهُ فِي قَبْضَةِ الْيَدِ ... صُنُوفُ الْمَعَالِي أُكْمِلَتْ لِمُحَمَّدِ
فَعَدِّدْ وَلَوْ ضَاعَفْتَ عَدَّكَ لَمْ تُحْصِ

(ش) (فأكرم به) أى ما أكرمه (إذ يبتنى) يبنى (من مشيد) مطوّل البناء ، ومنه : « وقصر مشيد » (على صرح) قصر (إحسان وعدل ممرد) مطول ، ومنه : « صرح ممرد من قوارير » أى حين يبنى بناء طويلا مملساً ، وأساس ذلك البناء الإحسان والعدل ، وعلى زائدة ، أو هو على ظاهره أنه يبنى بناء فوق صرح إحسان وعدل ، وتكون الإضافة بيانية : أى صرح هو إحسان وهذا كله استعارة وتمثيل لبنائه الدين والإسلام ، وتقدم :

* بنى بنية لله من أعظم البنا * (فكل مراد) أى ما أراده العافون والطالبون لمعروفه (منه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فى قبضة اليد) فى مرة يده أوفى أخذه ، وهذه إشارة لكثرة جوده ، وأنه لا يرد سائلا ، ويحتمل كل من أراد النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو فى مرته كما قالت عائشة رضى الله عنها :

« ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك » (صنوف) أنواع (المعالى) الأمور الرفيعة (أكملت لحمد) اجتمعت له صلى الله عليه وسلم لا أنها صارت ناقصة فكملت (فعدد) من العدد (ولو ضاعفت) مثله ، والمضاعفة زيادة مثله أومثليه عليه : أى زائدة (عدك لم تحص) العدد فى ذلك : أى لم تحط به .

* ولو أن من فى الأرض يملى و ينسخ * لأنها نعمة الله « و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (ص) :

ثَنَاءٌ كَعَرْفِ المِسْكِ إِذْ يَتَأَرَّجُ ... مِنَ اللهِ أَوْفَى وَهْوَ لِلهِ يَعْرُجُ
سَنَاهُ بِآفَاقِ الْعُلَا مُتَبَلِّجٌ ... صِبَاهُ عَلَى مَرْقَى الْهُدَى مُتَدَرِّجُ
إِلَى الْغَايَةِ الْعُلْيَا عَلَى كُلِّ مُخْتَصٍّ

(ش) ولى (ثناء) ذكر جميل للنبى صلى الله عليه وسلم يميل النفوس إليه (كعرف المسك) كميلها لعرفه : أى رائحته (إذ) حين (يتأرج) يفوح و ينشر المسك (من الله أوفى) جاء هذا الثناء بتوفيق الله « وماتوفيقى إلا بالله » (وهو) مدحى إياه (لله يعرج) يصعد لأنه كلم طيب « إليه يصعد الكلم الطيب » (سناه) ضوؤه مبتدأ (بآفاق) نواحى (العلى) الرفعة (متبلج) مضىء خبر (صباه) حداثة سنه وحال شبابه (على مرقى) مصعد (الهدى متدرج) يرقى قليلا قليلا ، و يصعد درجة درجة (إلى الغاية) النهاية (العليا) وفى نسخة : القصوى : أى الأبعد (على كل مختص) أى على كل من خصه الله تعالى بالجلال ونعوت الكمال .

وحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم مذ صباه لم يزل فى الارتقاء إلى معارج الكمال حتى بلغ فيه النهاية التى لا مطمع لأحد فيه ، ولم يزاحمه أحد عليها صلى الله عليه وسلم (ص) :

بِعِرْفَانِهِ انْجَابَتْ دَيَاجِي الْمَنَاكِرِ   وَبُدِّلَ نَاسٍ لِلْعُهُودِ بِذَاكِرِ
صَنِيعُ مُغَادٍ لِلصَّلَاحِ مُبَاكِرِ   صَنَائِعُهُ فَاتَتْ مَدَى كُلِّ شَاكِرِ
مَنَاقِبُهُ فَاتَتْ مَدَى كُلِّ مُسْتَقْصِ

(ش) (بعرفانه) بمعروفه وعلمه صلى الله عليه وسلم (انجابت) انكشفت، وفي نسخة: انجات بمعنى واحد (دياجى) ظلمات (المناكر) جمع منكر، وهو كل مخالف للشرع (و) بعرفانه (بدل) عوض (ناس) اسم فاعل من نسى (للعهود) المواثيق، والمراد به هنا الشرع (بذاكر) لها، ويحتمل أن يكون المراد عوض الكفر بالإسلام، صنيعه: أى أعماله (صنيع مغاد) عمل مباكر من غدا يغدو (للصلاح مباكر) وهو تأكيد مغاد (صنائعه) جمع صنيعة، وهى ماصنعته من خير، والمراد إحسانه صلى الله عليه وسلم (فاتت) فاقت (مدى) غاية (كل شاكر) لإحسانه وأنعمه (مناقبه) فضائله (فاتت) فاقت (مدى) غاية (كل مستقص) بالغ الغاية فى التتبع، وباعد.

يعنى أن كل مبالغ فى الوصف يعجز عن وصف فضائله صلى الله عليه وسلم (ص):

دَعِ الْقَوْلَ فِي ذِكْرِ الْغَزَالِ وَوَصْفِهِ   وَدَمِّرْ عَلَى آثَارِ ذَاكَ وَعَفِّهِ
لِمَدْحِ نَبِيٍّ طَاهِرِ الثَّوْبِ عَفِّهِ   صَدَرْنَا مِرَارًا مُرْتَوِينَ بِكَفِّهِ
وَكَمْ مَرَّةٍ نِلْنَا بِهِ الشِّبْعَ مِنْ قُرْصِ

(ش) (دع القول) اترك الكلام (فى ذكر الغزال ووصفه) كما كان يفعله الشعراء فى الجاهلية، كامرئ القيس والنابغة وغيرهما، مثل:

* ياظبية أشبه شئ بالمها * (ودمر) اطمس، ومنه: «دمر الله عليهم» (على آثار ذاك) القول فى ذكر الغزال لأنه عبث بالعقل، وبإكثاره يرفث المرء (وعفه) امح أثره واطمسه، والإشارة للتحقير، لأن كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا ذكر الله، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر. وقال صلى الله عليه وسلم:

« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وشمر (لمدح نبى) أو اللام تعليلية : أى لأجل مدح نبى (طاهر الثوب) ثوبه : أى قلبه ، ومنه قول امرئ القيس :

* فسلى ثيابى من ثيابك تنسل * ومنه : « وثيابك فطهر » : أى قلبك على أحد التأويلات (عفه) أى عفيف الثوب ، من عف يعف : إذا كف عن مالا يليق به (صدرنا) رجعنا ، ومنه : « حتى يصدر الرعاء » (مراراً) كثيراً ، أو مرة بعد أخرى ، أو حيناً بعد حين (مرتوين) بالماء الذى يخرج (بكفه) من بين أصابعه روى من الماء واللبن ، ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم « أنه كان إذا أراد الطهور ولم يجد ماء مد أصابعه ، فينفجر الماء من بين أصابعه حتى ينقضى طهوره » (وكم مرة نلنا) أصبنا (به) بسببه صلى الله عليه وسلم (الشبع من قرص) خبز قليل كإطعامه يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير (ص) :

لَقَدْ غَابَ نُورُ الشَّمْسِ فِى نُورِ صَدْرِهِ ... كَمَا دَقَّ قَدْرُ الْكَوْنِ عَنْ عُظْمِ قَدْرِهِ
فَكُلٌّ قَلِيلٌ فِى فَخَامَةِ كُثْرِهِ ... صَنَادِيدُ أَهْلِ الْأَرْضِ دَانَتْ لِأَمْرِهِ
وَشَمْسُ الضُّحَى أَقْوَى مِنَ الْأَعْيُنِ الرُّمْصِ

(ش) والله (لقد غاب نور الشمس فى نور صدره) ونور صدره أقوى من نور الشمس ولذلك لم يكن له ظل : أى لقد ستر ضوء الشمس فى ضوء صدره (كما دق) صغر (قدر الكون) المخلوقات (عن عظم قدره) صلى الله عليه وسلم (فكل) بالتنوين : أى كل واحد من نور الشمس وقدر الكون (قليل) صغير أو حقير (فى فخامة) عظمة (كثره) كثيره صلى الله عليه وسلم : أى فى عظمته وجلالته نور العرش من نوره عليه الصلاة والسلام ، ونور الشمس من نور العرش فنور العرش والقلم واللوح ونور الأبصار ونور الشمس والقمر من نور محمد صلى الله عليه وسلم (صناديد) سادات جمع صنديد : وهو الشجاع (أهل الأرض

دانت) انقادت وأطاعت (لأمره) لشأنه : أى الرسالة (وشمس الضحى) أى وجهه صلى الله عليه وسلم (أقوى من الأعين الرمص) الصغار ، أو التى فيها القذى أو التى لا يستقر فيها الكحل .

والمعنى أن مناقبه فى غاية البعد والإضاءة كشمس الضحى التى لا تنظر إليها عين رمصاء ، كذلك المداحون لا يصلون إلى غاية مناقبه وفضائله صلى الله عليه وسلم (ص):

أَتَانَا بِقُرْآنٍ كَرِيمٍ مُفَصَّلِ يَكَادُ يَحُطُّ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ
حَقَائِقُهُ أَوْدَتْ بِكُلِّ مُعَطِّلِ صَحَائِفُهُ لَمْ تُبْقِ قَوْلاً لِمُبْطِلِ
فَلاَ نَفْثَ إِلاَّ خُفْيَةً عِنْدَ مُغْتَصٍّ

(ش) (أتانا) جاءنا (بقرآن) اسم كتاب الله خاصة ، وإنما سمى قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها (كريم مفصل) الذى فصلت آياته كما قال تعالى : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت » (يكاد) يقرب (يحط) ينزل (العصم) جمع أعصم : وهو تيس الجبل والظبى اللذان فى ذراعيهما بياض ، وباقى الجسد أسود أو أحمر ؛ وإنما خص العصم بالذكر ، لأنه أشد الوحوش نفاراً عن الإنس .

والمعنى من كان ذا نفار نفار العصم إذا سمع تلاوة القرآن كاد قلبه أن يطير (من كل منزل. حقائقه) القرآن (أودت) أهلكت (بكل معطل) وهو الذى ينفى صفات البارى كالمعتزلة ، ومن اطمأنّ فكره إلى نفى محض فهو معطل (صحائفه) جمع صحيفة ، والمراد بها الكتاب العزيز ، وقد كان يكتب فى الصحف : أى القراطيس (لم تبق) تترك (قولا لمبطل) إذ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (فلا نفث) كلام أصله شبه النفخ (إلا خفية) سرا وكتما (عند مغتص) مختنق : يعنى لم يبق للمبطل كلام محقق إلا ما يخفيه ، ويغص : ويختنق بإظهاره حين يبديه خوف من يفضحه ويخزيه ، ومنه : « وطعاما ذا غصة » (ص) :

يَغَصُّ بِهَا إِذْ لَمْ يُوَفَّقْ لِفِكْرَةٍ ترِيهِ الْهُدَى حَقًا بِتَأْيِيدِ فِطْرَةٍ
فَيَعْنُو لِهَادٍ جَاءَ مِنْ خَيْرِ عِتْرَةٍ صِحَاحُنَا تَرْوِي لَهُ كُلَّ أُثْرَةٍ
عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ مَعَ الْبَحْثِ وَالْفَحْصِ

(ش) (يغص بها) بفتح الغين: أى يختنق بالآيات (إذ) حين (لم يوفق) بالبناء للمفعول: أى لم يخلق الله له التوفيق (لفكرة) بالتذكر فى الأمور والتأمل فيها (تريه) الفكرة (الهدى) الرشد (حقا) مصدر (بتأييد فطرة) بتقوية طبيعة وتوحيد، وفى الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه» أى على توحيد، ومنه قوله تعالى: «فطرة الله التى فطر الناس عليها» (فيعنو) يخضع (لهاد) إلى راشد (جاء من خير عترة) قبيلة (صحائحنا) أى كتبنا الصحاح من كتب الحديث كالموطأ وصحيح البخارى ومسلم والترمذى وسنن أبى داود وابن ماجه وغيرهم من المصنفات (تروى) بفتح التاء من الرواية (له) صلى الله عليه وسلم وسيأتى:

☆ فما صح عنه من حديث فدن به ☆

(كل أثرة) خصلة جميلة تؤثر بها، والمراد بها هنا اختياره (على كل مخلوق) متعلق بتروى (مع البحث والفحص) والتفتيش بمعنى (ص):

رَعَى الدِّينَ وَالدُّنْيَا بِعَيْنِ بَصِيرَةٍ بِإِحْكَامِ خِرْصَانٍ وَأَحْكَامِ سُورَةٍ
وَإِجْمَالِ أَخْلَاقٍ وَأَجْمَلِ صُورَةٍ صَبَرْتُ لَعَمْرِي عَنْهُ صَبْرَ ضَرُورَةٍ
وَإِلَّا فَقَلْبِي دَائِمُ الشَّوْقِ وَالْحِرْصِ

(ش) (رعى) النبى صلى الله عليه وسلم (الدين والدنيا) أى حفظهما (بعين بصيرة) وهى فى القلب كالبصر فى العين (بإحكام) بكسر الهمزة: أى إتقان (خرصان) بكسر الخاء: رماح (و) حفظهما أيضاً (أحكام سورة) جمع حكم: أى قاد

الناس للدين ، إما بالحرب أو الموعظة الحسنة (و إجمال) بالفتح والكسر ضد التفصيل (أخلاق) طبائع ، والمراد به إجماع الأخلاق ، ويحتمل أن يكون إجمال وأخلاق من إضافة الصفة إلى موصوفها : أى رعاهما بالأخلاق الحسان (وأجمل) أحسن (صورة) والمراد أن صورته من دلائل نبوّته (صبرت) حبست نفسى عن الجزع (لعمرى) أى حلفت برب عمرى أوابقائى مادمت حيا (عنه) عن عدم الوصول إلى زيارته (صبر ضرورة) لا اختيار ، والضرورة: هى مالا يمكن للإنسان الانفكاك عنه (وإلا) وإن لم أجد الوصول إليه ، أو ولم يكن صبرى لأجل الضرورة لمشيت ، وإلا (فقلبى دائم الشوق) الحب (والحرص) شدة الطلب

(ص) :

لِأَهْلِ الهَوَى فِيهِ مَجَازُ طَرِيقَةٍ نَسَخْنَاهُ مِنْ تَصْمِيمِنَا بِحَقِيقَةٍ
فَنَحْنُ مُلُوكُ الحُبِّ لَسْنَا بِسُوقَةٍ صَدَعْنَا ضُلُوعًا عَنْ قُلُوبٍ مَشُوقَةٍ
إِذَا غَيْرُنَا شَقَّ الجُيُوبَ عَنِ القُمُصِ

(ش) (لأهل الهوى فيه) فى الهوى أو فى النبى صلى الله عليه وسلم (مجاز طريقة) أى طريقة مجازية ، والمجاز عبارة عن اللفظة المستعملة فى غير ماوضعت له لعلاقة كالأسد مثلا يطلق على الحيوان المفترس حقيقة ، وعلى الرجل الشجاع مجازا ، والعلاقة بينهما الجراءة (نسخناه) أزلناه ، والنسخ: إبطال الشىء و إقامة آخر مقامه ومنه « ماننسخ من آية » (من تصميمنا) لأجل نفوذنا: أى مضينا فى الأمر وعزمنا عليه ، ويحتمل أن تكون من ظرفية ؛ أى فى خلاص قلوبنا : أى أبطلنا منه المجاز (بحقيقة) ضد المجاز : وهى مابقى على أصله (فنحن ملوك الحب) فى النبى صلى الله عليه وسلم (لسنا بسوقة) برعية (صدعنا) شققنا (ضلوعاً) جمع ضلع (عن قلوب مشوقة) اسم مفعول من الشوق (إذا غيرنا شق) صدع (الجيوب) جمع جيب :

وهى طاقة القميص ، ومنه « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » وكان جيوب السلف الصالح فى صدورهم مثل جيوب الناس (عن القمص) جمع قميص .

والمعنى إذا غيرنا شق جيوبهم عن أعناق قمصهم لأجل محبوبهم كما وصى طرفة بنت معبد بقوله :

إذا مت فانعينى بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد

ونحن صدعنا ضلوعا عن قلوب مشوقة لأجل محبوبنا صلى الله عليه وسلم لكونه مستحق المحبة طبعاً وشرعا (ص) :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى بَعْدَ نَأْيٍ وَغَيْبَةٍ وَلِى حِيبَةٌ فِى يَثْرِبٍ أَىُّ حِيبَةٍ

أَأُمْنَحُهَا مِنْ بَعْدِ مَنْعٍ وَخَيْبَةٍ صِفُوا أَيُّهَا الْوُرَّادُ مَشْرَعَ طَيْبَةٍ

فَبَذْلُ حَيَاتِى عِنْدَهَا غَايَةُ الرُّخْصِ

(ش) (ألا) أداة استفتاح وتنبيه كأنه قال انتبه أو نعم (ليت شعرى) علمى (بعد نأى و) بعد (غيبة) معناهما واحد (ولى حيبة) أى حاجة شديدة (فى يثرب) المدينة (أى حيبة) حاجة شديدة : أى لى حيبة عظيمة كاملة فى صفات الحواجب (أأمنحها) أعطاها لى (من بعد منع وخيبة) عدم نيلى بمرادى . يعنى أأمنح الحاجة التى هى متمناى (صفوا) انعتوا من الوصف (أيها الوراد) الذين يردون الماء (مشرع) طريق (طيبة) مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم (ف)إن وصفتم لى مشرعها فإن (بذل) عطاء (حياتى) عمرى وعيشى (عندها غاية) نهاية (الرخص) ضد الغلاء (ص) :

لَقَدْ طَمِعَتْ نَفْسِى بِعِلْمِ إِلَهِهَا وَلَوْ كَرَعَتْ فِى ضَيْبَةٍ مِلْءَ فَاهِهَا

إِذَا ظَفِرَتْ بِالرُّشْدِ بَعْدَ سَفَاهِهَا صَلاَحُ فُؤَادِى جَرْعَةٌ مِنْ مِيَاهِهَا

وَإِلاَّ فَيَكْفِينِى التَّعَلُّلُ بِالْمَصِّ

(ش) والله (لقد ظمئت) عطشت (نفسى) روحى (بعلم إلهها) ربّ نفسى ومعبودها (ولو كرعت) تناولت نفسى (فى طيبة ملء فاهها) من مياه المدينة (إذاً ظفرت) فازت (بالرشد) برشدها (بعد سفاهها) جهلها ، وجواب لو إذاً (صلاح فؤادى) قلبى (جرعة) حسوة : أى شربة (من مياهها) أى المدينة وهو جمع ماء (و إلا) أى إن لم يكن لى نصيب من مائها (فيكفينى) من الكفاية (التعلل) التجزى (بالمص) بالقليل كما يعلل الصبى بشىء من الطعام يتجزى به عن اللبن ، والمراد بالمص مدحه صلى الله عليه وسلم (ص) :

فَكَمْ سَيِّدٍ فِيهَا مَنُوطٌ بِسَيِّدٍ   وَحَسْبُكَ بِالصِّدِّيقِ تِلْوَ مُحَمَّدِ
وَبِالسَّيِّدِ الْفَارُوقِ حَسْبِي بِهِمْ قَدِ   صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى قَبْرِ أَحْمَدِ
وَقَبْرِ أَبِي بَكْرٍ وَقَبْرِ أَبِي حَفْصِ

(ش) (فكم) كثير من (سيد فيها) أى المدينة (منوط) معلق (بسيد) سادات النبيين (وحسبك بالصديق) أى كافيك الصديق ، والباء زائدة (تلو) إثر (محمد) صلى الله عليه وسلم ، والصديق سماه به النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة الإسراء ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف له بيت المقدس ، وأبو بكر يقول له : صدقت أشهد أنك رسول الله حتى انتهى، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وأنت يا أبا بكر الصديق (وبالسيد الفاروق) وهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأنه لما أسلم قال : «قلت يارسول الله ألسنا على الحق ؟ قال بلى ، قلت ففيم الاختفاء ؟ فخرجنا صفين أنا فى أحدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد ، فنظرت قريش إلى وإلى حمزة ، فأصابتهم كآبة شديدة ، فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ» لأنه فرق بين الحق والباطل (حسبى بهم) أى المحبة للصحابة رضى الله عنهم (قد) تأكيد لحسبى بمعناه ، وكسر الدال للضرورة ، كقول النابغة :

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا　　إلى حمامتنا أو نصفه فقـد

(صلاة وتسليم على قبر أحمد) المرتضى بشرى عيسى عليهما الصلاة والسلام (وقبر أبي بكر وقبر أبي حفص) دفن أبو بكر رضى الله عنه عند رجلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبر عمر رضى الله عنه خلفه .

وهنا انتهى حرف الصاد ، ويتلوه حرف الضاد إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الضاد

شرع فى حرف الضاد بعد فراغه من حرف الصاد ، آمراً بترك الاشتغال بمدح غير النبى صلى الله عليه وسلم فقال (ص) :

دَعِ الْقَوْلَ فِى يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ　　وَمَدْحَ نَبِىِّ اللهِ فَصِّلْ وَأَجْمِلِ
وَقُلْ لِلَّذِى يُعْنَى بِحُبِّ التَّنَفُّلِ　　ضَمَانٌ عَلَيْنَا مَدْحُ أَفْضَلِ مُرْسَلِ
فَمَدْحُ رَسُولِ اللهِ مِنْ أَوْكَدِ الْفَرْضِ

(ش) (دع) اترك (القول فى يوم بدارة جلجـل) الدارة : كل أرض واسعة بين جبال ، ودارة جلجل : موضع مخصوص بتلك الصفة ، وهو حوض معروف باليمن ، وهذا تلميح وهو فى قصيدة امرئ القيس :

ألا رب يوم لك منهن صالح　　ولا سيما يوم بدارة جلجل

أى لاتهتم بذلك ، ولاتشتغل بمدح غير النبى صلى الله عليه وسلم من ذكر حيوان وأماكن (ومدح نبى الله) مفعول (فصل) من التفصيل (وأجمل) أى امدحه جملة وتفصيلا (وقل للذى يعنى) يشتغل ويتعب نفسه (بحب التنفل) التقرب بالعبادة غير المفروضة على ما أوجبه الله عليه (ضمان) واجب (علينا مدح أفضل

مرسل) من الرسل عليهم الصلاة والسلام (فمدح رسول الله) صلى الله عليه وسلم (من) بعض (أوكد الفرض) أى الفروض المؤكدة (ص) :

تَوَجَّهْ بِهِ لِلّٰهِ أَفْضَلَ وِجْهَةٍ وَظَاهِرْ بِأَنْفٍ فِى التُّرَابِ وَجَبْهَةٍ
وَفِى طَيْبَةٍ إِنْ كُنْتَ طَالِبَ نُزْهَةٍ ضُحًى لَمْ يَدَعْ إِشْرَاقُهُ لَيْلَ شُبْهَةٍ
وَلاَ عَجَبٌ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِى الْأَرْضِ

(ش) (توجه) توسل (به) صلى الله عليه وسلم ، أو بمدحه (لله أفضل) أحسن (وجهة) وسيلة : أى استقبل خير استقبال بمدحه إلى الله إذ مدحه أفضل مايتوجه به إليه (وظاهر) طابق من المظاهرة ، وهى زيادة القوة (بأنف) بأنفك (فى التراب وجبهة) موضع السجود : أى طابق أنفك وجبهتك فى الأرض ساجداً لربك ، ثم توسل به لاتكن ممن مدحه تاركا للصلاة (وفى طيبة) خبر مقدم (إن كنت طالب نزهة) مزيد فرح (ضحى) مبتدأ مؤخر (لم يدع) يترك (إشراقه) ضوؤه ، المراد وجهه (ليل شبهة) التباس : أى الشبهة التى هى كالليل المظلم (ولا عجب أن تطلع الشمس فى الأرض) كما تطلع فى السماء ، إذ ذاك اختصاص القادر وهو على كل شئ قدير ؛ وسماه شمساً لأن الشمس تزيل دجى السدف ، وهو صلى الله عليه وسلم كذلك يمحو ظلمة الكفر (ص) :

فَلِلّٰهِ مَحْيَا الْمُصْطَفَى وَمَمَاتُهُ لَقَدْ ظَهَرَتْ فِى ذَا وَذَا بَرَكَاتُهُ
عَلَيْهِ سَلاَمُ اللهِ ثُمَّ صَلاَتُهُ ضَرَائِبُهُ عُلْوِيَّةٌ وَصِفَاتُهُ
فَقَدْ حَازَ أَقْصَى الْمَجْدِ فِى الطُّولِ وَالْعَرْضِ

(ش) (فلله) در (محيا) حياة (المصطفى و) لله در زمان (مماته) والله (لقد ظهرت فى ذا) المحيا (وذا) الممات ، أو فى الدنيا والآخرة (بركاته) فاعل ظهرت ، يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « حياتى خير لكم ومماتى خير لكم »

(عليه سلام الله) أمانه (ثم) بمعنى الواو لا للتراخي (صلاته) وزيادة شرف له (ضرائبه) طبائعه وسجاياه (علوية) منسوبة إلى الرفعة (و) كذلك (صفاته) منسوبة إلى الرفعة (فقد حاز) جمع صلى الله عليه وسلم (أقصى) غاية (المجد) الشرف، ومنه: «وجاء من أقصى المدينة» (في الطول والعرض) المراد حاز غاية الشرف من كل مكان: الطول من فوق إلى أسفل، والعرض من يمين إلى شمال، والعرض أيضاً: السعة، ومنه: «وجنة عرضها السموات والأرض» (ص):

وَمَاذَا عَسَى أُبْدِيهِ مِنْ وَصْفِ سَيِّدٍ ... حَمَى الدِّينَ وَالدُّنْيَا بِعَضْبٍ مُهَنَّدِ
وَقَوْلٍ وَفِعْلٍ مُرْشِدٍ وَمُسَدَّدٍ ... ضُرُوبُ الْمَعَالِي أُكْمِلَتْ لِمُحَمَّدِ
فَجَاءَ كَرِيمَ الْخَلْقِ وَالْخُلْقِ وَالْعِرْضِ

(ش) (وماذا عسى أبديه) أظهره (من وصف) نعت (سيد) أي لا أذكر لقصوري على ذلك (حمى الدين والدنيا) منعهما (بعضب) سيف قاطع (مهند) مطبوع من حديد الهند، وجملة حمى الدين صفة لسيد (و) حمى الدين بـ(قول وفعل مرشد ومسدد) منسوب للسداد وهو ضد الخطأ.

والمعنى حمى الدين والدنيا بقول مرشد مسدد، وفعل مرشد مسدد، وحذف الأول لدلالة الثاني عليه (ضروب) صنوف (المعالي) جمع معلاة (أكملت) اجتمعت (لمحمد) صلى الله عليه وسلم لا أنها كانت ناقصة فأكملت (ف)بسبب ذلك (جاء) حال كونه (كريم الخلق) بالفتح (والخلق) بالضم (والعرض) النفس (ص):

وَنَاهِيكَ مِمَّنْ شَقَّ جِبْرِيلُ صَدْرَهُ ... وَمِنْ حِصَّةِ الشَّيْطَانِ طَهَّرَ سِرَّهُ
وَأَسْرَى بِهِ لَيْلاً فَأَكْمَلَ أَمْرَهُ ... ضَمِيرٌ تَوَلَّتْ كَفُّ جِبْرِيلَ طُهْرَهُ
فَمَا خَامَرَتْ أَجْفَانَهُ سِنَةُ الْغَمْضِ

(ش) (و) أى شىء أذكر لك من كمالاته ورفعة درجته ومكانته؟ (ناهيك) كافيك فضلا (ممن شق) فتح وشرح (جبريل صدره) قلبه ، كافيك فضلا منه صلى الله عليه وسلم (ومن حصة) حظ ونصيب (الشيطان) إبليس اللعين (طهر) جبريل عليه السلام (سره) قلبه بإخراج علقة سوداء وقال هـذا حظ الشيطان منك (و) ناهيك فضلا ممن (أسرى به) الله (ليلا) قال تعالى: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام» الآية (فأكمل) الله (أمره) شأنه بالإسراء إلى سدرة المنتهى ضميره (ضمير) قلب (تولت كف جبريل طهره) زيادة تقدسه ضمير خبر لمحذوف ، وجملة تولت صفته ، ويحتمل ضمير مبتدأ وتولت خبره وهو الأقرب وسوغ الابتداء به وهو نكرة وصفه : أى ضمير منه (ف)بسبب ذلك (ما) نافية (خامرت) خالطت (أجفانه) عين قلبه (سنة) نعاس (الغمض) طبق الأجفان ؛ وذلك كناية عن أنه صلى الله عليه وسلم كان لاينام قلبه ، لأنه يوحى إليه وهو نائم (ص) :

مَلأْتُ بِهِ قَلْبِى وَعَيْنِى وَمَسْمَعِى ... وَأَدْنَيْتُهُ بِالذِّكْرِ فَهْوَ بِهِ مَعِى

وَلِمْ لاَ وَفِيهِ أَرْبَعٌ أَىُّ أَرْبَعٍ ... ضِيَاءٌ لِمَنْ يَرْنُو وَحُكْمٌ لِمَنْ يَعِى

وَرَوْحٌ لِمَنْ يَشْكُو وَرُوحٌ لِمَنْ يَقْضِى

(ش) (ملأت به) بحب النبى صلى الله عليه وسلم (قلبى وعينى ومسمعى) أى لاأذكر فى قلبى إلا إياه ، وملأت به عينى فلا أبصر إلا إياه ، وملأت به أذنى فلا أسمع إلا إياه (وأدنيته) قربته (بالذكر) بذكرى إياه (فهو) صلى الله عليه وسلم (به) بالذكر (معى) ووجدت طرّة معلقة فى نسخة تَنْبُكْتِيَّةٍ وعزيت لأحمد ، وفى حديث صحيح : «إذا ذكر اسم النبى صلى الله عليه وسلم يحضر هنالك» . ولما رأى فقهاء بين هـذا الحديث جعلوه غريباً . وقال واحد

منهم : ليس بغريب ، وهو فى شعر ابن مهيب رحمه الله فى قوله :

* وأدنيته بالذكر فهو به معى *

(ولم لا) يكون ذلك (وفيه أربع) خصال ، والجملة حال (أىّ أربع) كاملات (ضياء) نور (لمن يرنو) يديم النظر إليه (وحكم) هو القول الحق (لمن يعى) يحفظ الحكمة (وروح) بالفتح راحة ورحمة (لمن يشكو) اشتكى مرضاً . قال فى [الشفا] فى فصل إبراء المرضى : « وأصيبت يومئذ : يعنى يوم أحد عين قتادة ، يعنى ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه » (وروح) بالضم : أى حياة (لمن يقضى) يموت . وفى [الشفا] عن الحسن رضى الله عنه : « أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنتاً له فى وادى كذا ، فانطلق معه إلى الوادى وناداها باسمها يافلانة أجيبى بإذن الله ، فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك . فقال لها : إن أبويك قد أسلما ، فإن أحببت أن أردك عليهما . قالت : لاحاجة لى فيهما وجدت الله خيراً لى منهما » الأفعال المستقبلة فى هذا البيت كلها بمعنى الماضى : أى ضياء لمن رنا ، وحكم لمن وعى ، وروح لمن شكى ، وروح لمن قضى ؛ وفى البيت الجمع والتقسيم له صلى الله عليه وسلم

(ص) :

خِصَالٌ كَمَا نَظَّمْتَ سِلْكَ زَبَرْجَدِ   تَقَلَّدَ مِنْهَا خَيْرَ سِمْطٍ مُقَلَّدِ
مَتَى مَا تُعَدِّدْهَا بِبَحْثِكَ تَزْدَدِ   ضَلاَلُ الْوَرَى يَهْدِيهِ نُورُ مُحَمَّدِ
وَلَنْ تُحْجَبَ الْأَنْوَارُ إِلاَّ عَنِ الْمُغْضِى

(ش) له (خصال) جمع خصلة (كما نظمت سلك) خيط (زبرجد) حجر أخضر : وهو نوع من اللؤلؤ يقال له الزمرذ : أى له خصال فى حسن نظمها كحسن نظم خيط زبرجد (تقلد منها) أى جعلها فى عنقه ، ومن زائدة (خير سمط)

قلادة أطول من المخنقة حال (مقلد) نعت سمط وهو من القلادة . والمعنى تزين صلى الله عليه وسلم بخصاله ، كتزيين من تقلد سمطى لؤلؤ وزبرجد فى عنقه (متى ماتعددها) تشرع فى تعدادها (ببحثك) ببحث عقلك وتفتيشه ، ومنه « فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض » (تزدد) جواب متى (ضلال الورى يهديه) يرشده (نور) وفى نسخة : بعث (محمد) صلى الله عليه وسلم (ولن تحجب الأنوار) تستر وتمنع (إلا عن المغضى) المعرض .

والمعنى أن من ختم الله عليه بالضلال والشقاء حجب عنه نور السعادة والضياء ، وأخرجه من حزب محمد خاتم الأنبياء ، كأبى جهل وغيره ممن لم يرشد بنوره ، ولم يكن ذاك إلا لخذلانه؛ فنعوذ بالله مما يحيدنا عن سنته ، ورؤية أنواره وآياته (ص):

وَقَارٌ كَمَا أَرْسَى مَقَرٌّ يَلَمْلَمِ   وَبِشْرٌ كَلَمْعِ الْبَارِقِ الْمُتَبَسِّمِ
وَحِلْمُ حَلِيمٍ لَيْسَ بِالْمُتَحَلِّمِ   ضَفَا ظِلُّهُ سِتْرًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ
فَنَحْنُ بِهِ فِي غَايَةِ الْأَمْنِ وَالْخَفْضِ

(ش) له صلى الله عليه وسلم (وقار) أى رزانة وسكينة وثبات ، أو حلم وعظمة ، ومنه : « مالكم لاترجون لله وقاراً » (كما أرسى) استقر ، ومنه : « والجبال أرساها » (مقر) مثبت ، جبل (يلملم) من جبال تهامة على مرحلتين من مكة ، شبهه فى الحلم والتثبت والصبر عليه الصلاة والسلام بثبوت الجبل ؛ وكما لا يحرك الجبل العظيم فى موضع ثبوته ورسوخه كذلك صلى الله عليه وسلم لايحركه جهل الجهول وكثرة الجفاء عليه (و) له (بشر) طلاقة الوجه تلمع (كلمع) السحاب (البارق) البرق (المتبسم) الظاهر ؛ وفى الحديث : « إن الله تعالى ينشئ أمام السحاب ملكا ينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك فنطقه الرعد ، وضحكه البرق » (و) له (حلم) بالكسر الأناة والعقل (حليم ليس

بالمتحلم) متكلف الحلم ، بل هو مجبول على الحلم ، وطبعه الحلم (ضفا) تم وسبغ وعم (ظله) أى دينه وشريعته (ستراً) حال (على كل مسلم) هو من سلم الناس من يده ولسانه كما فى الحديث (فنحن به) بالظل (فى غاية) نهاية (الأمن) الأمانة (والخفض) سعة العيش وراحته (ص) :

سَمَا صُعُدًا بِالذَّاتِ فَوْقَ الْمَنَازِلِ وَجاءَ بِقَوْلٍ فَاصِلٍ غَيْرِ هَازِلِ
وَلَمَّا نَفَى بِالْعِلْمِ جَهْلَ الْأَوَائِلِ ضَمِمْنَا يَدَ التَّحْقِيقِ عَنْ كُلِّ بَاطِلِ
فَلَا فِكْرَ فِى لَبْسٍ وَلَا رِجْلَ فِى دَحْضِ

(ش) (سما) ارتفع النبى صلى الله عليه وسلم (صعدا) أى صاعدا (بالذات) بالجسد يقظة لا بروحه مناما (فوق المنازل) جمع منزلة : وهى المنازل المعروفة عند العرب ، وهى ثمان وعشرون منزلة : النطح والبطين والثريا والدبران الخ (وجاء) صلى الله عليه وسلم (بقول فاصل) بين الحق والباطل (غير هازل) باطل، من الهزل: الذى هو ضد الجد ، ومنه « إنه لقول فصل وما هو بالهزل » والمعنى أن القرآن لا يخلق على كثرة الترداد، ولا تنقضى عبرته، ولا تفنى عجائبه ؛ هو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء ، ولا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، هو الذى لم تصبر الجن حين سمعته أن قالوا : « إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به » (ولما نفى) طرد (بالعلم) المعرفة (جهل الأوائل * ضممنا) جمعنا (يد التحقيق) المراد اتباعنا شريعته (عن كل باطل) عن اتباع كل باطل : أى لا نتبع باطلا :

* وما لنا إلا اتباع أحمدا * صلى الله عليه وسلم

(ف) بسبب ذلك (لا فكر فى لبس) اختلاط ، ومنه « وللبسنا عليهم ما يلبسون » (ولا رجل) قدم (فى دحض) موضع تزلق فيه القدم (ص):

بِهِ أَوْضَحَ اللهُ السَّبِيلَ وَقَصْدَهُ وَأَنْجَزَ فى الدُّنْيَا وَفى الدِّينِ وَعْدَهُ

فَكلٌّ عَلَى الإِطْلاَقِ قَدْ نَالَ رِفْدَهُ ضِعَافُ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ عِنْدَهُ
لَدَى دِيمَةٍ هَطْلاَءَ فِى زَهَرٍ غَضٍّ

(ش) (به) صلى الله عليه وسلم (أوضح الله) أبان (السبيل) الحق (وقصده) السبيل الذى لا انحراف فيه ، ومنه : « وعلى الله قصد السبيل » المراد أن الله تعالى هدى الخلق به إلى صراط مستقيم (وأنجز) أسرع (فى الدنيا وفى الدين وعده) أى ماوعده به فى الدنيا من هزيمة عدوّه وغيرها ، وإتمام دينه ، وإتمام نعمته (فكل) واحد من الناس (على الإطلاق) من غير قيد ولاحدّ (قد نال) أصاب (رفده) عطاءه وعونه (ضعاف اليتامى و) ضعاف (الأرامل) جمع أرملة : هى التى لازوج لها ، والمراد بالأرامل المساكين المحتاجون من الرجال والنساء والأحرار والعبيد (عنده) صلى الله عليه وسلم (لدى) عند (ديمة) مطر دائم (هطلاء) كثيرة السيلان (فى زهر) نور (غض) طرىّ ناعم .

والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كالأب لليتامى والأرامل .

* من الأب أحنى بل من الأم أرحم * والاستعارة تخييلية (ص) :

فَأَسْمِحْ بِهِ مِنْ مُسْتَضِيفٍ وَمُطْعِمٍ وَمِنْ مُرْشِدٍ هَادٍ طَبِيبٍ مُعَلِّمِ
أَزَاحَتْ يَدَاهُ الضُّرَّ عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ ضَنَاهُمْ تَوَلَّتْ كَشْفَهُ كَفُّ مُنْعِمِ
لَهَا أَنَفٌ أَنْ تُعْقِبَ الْبَسْطَ بِالْقَبْضِ

(ش) (فأسمح به) أى ماأسمحه : أى سماحته وجوده يتعجب منه صلى الله عليه وسلم (من مستضيف) طالب الضيافة (ومطعم) للناس الطعام ، أومطعم بمعنى مستطعم : أى طالب الطعام : أى ما أكرم منه لمن يطلب الضيافة والطعام . وفى بعض الحكايات أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما خرج فى بعض أسفاره فاستضاف شيخا فأنزله ورحب به ، وكان فقيرًا ، فعمد إلى شاة له فذبحها .

فقالت له امرأته نموت من الجوع إذًا . فقال الأعرابى : الموت خير من اللؤم ؛ فلما أصبح عبد الله قال لغلامه : أىّ شىءٍ معك؟ فقال : خمسمائة دينار . فقال ضعها عنده . فقال الغلام : يكفيه ضعف قيمة شاته ، وهو مع هذا لايعرفك . قال : إليك عنى ، فإنه إن لم يكن يعرفنى فأنا أعرف نفسى ، إن الرجل جاد علينا بجميع ماله ونحن جدنا عليه ببعض دنيانا ، فانظر جود من لايبلغ من جوده صلى الله عليه وسلم رشفاً من الديم (و) اسمح به (من مرشد هاد طبيب) عالم بطب الفؤاد (معلم) بالطب (أزاحت) أبعدت (يداه الضر) سوء الحال وغير ذلك من الضرر (عن كل مسلم) قالت عائشة رضى الله عنها : « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم تكن حرمة من محارم الله ، وماضرب بيده قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، وما ضرب خادما ولا امرأة » (ضنامم) مرض المسلمين ، أوضعاف اليتامى (تولت كشفه كف منعم) أى متفضل (لها) لتلك الكف (أنف) استنكاف وامتناع (أن تعقب) من الإعقاب : أى تتبع وتخلف (البسط) العطاء (بالقبض) بالإمساك والمنع : أى يعطى الناس عطاء من لايخشى فاقة ، ولايمنعهم شيئاً ، ولله در القائل :

ولو لم يكن فى كفه غير روحه ... لجاد بهـا فليتق الله سائله
هو البحر من أى النواحى قصدته ... فلجته المعروف والجود ساحله

(ص) :

أَمَانٌ إِذَا مَا الْخَوْفُ ذَادَ عَنِ الْكَرَى ... عَزِيزٌ وَأَنْفُ الْكُفْرِ يُرْغَمُ فِي الْبُرَى
جَوَادٌ وَجَهْدُ الْمَحْلِ يُلْصِقُ بِالثَّرَى ... ضَحُوكٌ وَأَيْدِي الْخَيْلِ تَعْثُرُ فِي الْبُرَى
بَذُولٌ وَثَغْرُ الْمُزْنِ يَبْخَلُ بِالْوَمْضِ

(ش) هو (أمان) أوله أمان (إذا) حين (ما) زائدة (الخوف) ضد

الأمن (ذاد) طرد ، ومنه : « ووجد من دونهم امرأتين تذودان » (عن السكرى) النوم (عزيز) غالب منيع (و) الحال (أنف) أهل (الكفر رغم) يلصق ويذل ؛ ويقال أرغم الله أنفه بالرغام ، وهو كناية عن مذلته ؛ كما أن شموخ الأنف كناية عن العز (فى البرى) بالضم جمع برة ، وهو الحلقة من صفر أوذهب أوفضة يدخل فى أنف البعير، هو (جواد) كريم (و) الحال (جهد) شدة (المحل) القحط (يلصق) يلزق الناس (بالثرى) بالتراب الندى ، بمعنى يلصقون فى الأرض جوعا (ضحوك) كثير التبسم ، وكان ضحكه صلى الله عليه وسلم تبسما (و) الحال (أيدى الخيل) جماعة الأفراس لاواحد له من لفظه (تمثر) تكبو بأصحابها (فى البرى) بالفتح التراب يوم الالتحام ، هذا إشارة إلى شجاعته صلى الله عليه وسلم (بذول) كثير العطاء (و) الحال إن (ثغر) ما تقدم من الأسنان (المزن) السحاب (يبخل) يضن (بالومض) باللمع الخفيف ، ولم يعترض فى نواحى الغيم ، فإذا لمع واعترض فى نواحيه فهو الخفق: أى أشار إلى أنه صلى الله عليه وسلم يبذل بمـا يبخل به الأسخياء (ص) :

كَفِيلٌ بِإِرْغَامِ الأُنُوفِ مِنَ الْعِدَا ... زَعِيمٌ بِسَوْقِ النَّاسِ هَدْياً إِلَى الْهُدَى
رَءُوفٌ بِهِمْ حَالاً شَفِيعُهُمُ غَدَا ... ضَمِينٌ بِإِنْقَاذِ الْعِبَادِ مِنَ الرَّدَى
وَلَاسِيَّماَ فِي مَوْقِفِ الْوَزْنِ وَالْعَرْضِ

(ش) (كفيل) ضامن (بإرغام الأنوف) إلصاقها بالرغام ذلا وهوانا ، والأنوف : جمع أنف (من العدا) أى الأعداء : وهو جمع لانظير له (زعيم) ضامن ، ومنه : « وأنا به زعيم » (بسوق الناس) من ساق الماشية سوقا (هديا) هاديا حال (إلى الهدى) سوق الراعى الماشية إلى المرعى (رءوف) شديد الرحمة (بهم) أى الناس (حالا) يعنى الدنيا (شفيعهم) أى الناس (غدا) يعنى فى الآخرة

عند شدة ذعرهم (ضمين) زعيم (بإنقاذ) إخلاص (العباد من الردى) الهلاك (ولاسيما) أحرى (فى موقف الوزن والعرض) الحساب ، يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس أحد يحاسب إلا هلك . قالت عائشة رضى الله عنها : قلت يا رسول الله جعلنى الله فداك أليس يقول الله عز وجل : فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا؟ قال ذلكِ العرض يعرضون ، ومن نوقش الحساب عذب » أخرجه البخارى .

والمعنى لامثل له فى إخلاص العباد من الهلاك يوم القيامة (ص) :

لِنَفْسِى مُنًى أَرْجُو إِلَيْهَا وُصُولَهَا ضَرَعْتُ لِرَبِّى أَنْ يُقَدِّرَ سُؤْلَهَا

وَإِلاَّ يَشَأْ فِى دَارِ دُنْيَا حُصُولَهَا ضَرَاعَتُنَا فى الحَشْرِ نَرْجُو قَبُولَهَا

بِمُكْنَةِ مَنْ يُرْضَى هُنَاكَ وَمَنْ يُرْضِى

(ش) (لنفسى) العاشقة (منى أرجو) آمل (إليها) إلى تلك المنى (وصولها) أى النفس (ضرعت) تذللت (لربى) خالق (أن يقدر) يعرض (سؤلها) مسئولها ومطلبها ، ومنه : « قال قد أوتيت سؤلك » (وإلا) إن لم (يشأ) الرب (فى دار دنيا حصولها) إثبات تلك المنى فى دار الدنيا فلا أقنط من رحمته الواسعة أن تنيلنى (ضراعتنا) ابتهالنا وخضوعنا (فى الحشر) الجمع (نرجو قبولها) أى يتقبلها ربها بقبول حسن (ب)سبب (مكنة) رفعة درجة (من يرضى) بالبناء للمجهول (هناك) يوم القيامة وهو النبى صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (ومن يرضى) أى وبجلالة من يرضى النبى صلى الله عليه وسلم وهو الله تبارك وتعالى (ص) :

فُؤَادِى مَعَ الرُّكْبَانِ صَارَ مُصَوِّبَا لِقَبْرِ نَبِىٍّ آثَرَ الحَقَّ مَذْهَبَا

وَلَمَّا اعْتَلَى فِى الدِّينِ ذَاتاً وَمَنْصِبَا ضَرَبْنَا إِلَيْهِ الْعِيسَ شَرْقاً وَمَغْرِبَا

وَفِى النَّاسِ مَقْبُوضُ الْعِنَانِ عَنِ النَّهْضِ

(ش) (فؤادى) قلبى (مع الركبان) الرفقة ، وهم جماعة من أصحاب الإبل فى الأسفار (صار) أخت كان ، وفى نسخة سار : أى مشى (مصوّبا) نازلا وقاصداً (لقبر نبى آثر) اختار (الحق مذهباً) طريقاً تذهب به ، وقوله مع الركبان : متعلق بصار (ولما) حين (اعتلى) ارتفع (بالدين ذاتا) حقيقة (ومنصباً) أصلا تمييزان محولان عن الفاعل (ضربنا) سافرنا ، ومنه : « وإذا ضربتم فى الأرض » (إليه) صلى الله عليه وسلم (العيس) الإبل البيض يخالط بياضها شئ من شعر (شرقا ومغربا. و) الحال (فى الناس) المريدين إليه (مقبوض العنان) طرف اللجام ، وهى هنا مستعارة (عن النهض) القيام بسرعة ، والحال محبوس عنانه عن القيام إليه كأن فى الناس فلا يقدر على النهوض إليه ، ثم وصف مقبوض العنان بقوله (ص) :

جَرَى دَمْعُهُ مِلْءَ الْجُفُونِ تَدَفُّقاً لِبَابِ غَدَا فِى وَجْهِ مَغْزَاهُ مُغْلَقَا

فَيَا لِمَشُوقٍ لاَ يَنَامُ تَحَرُّقاً ضِرَامُ حَشَاهُ يَسْتَطِيرُ تَشَوُّقَا

فَيُبْرِمُ وَالْأَقْدَارُ تَدْأَبُ فِى النَّقْضِ

(ش) (جرى) سال (دمعه) مقبوض العنان (ملء) تمييز (الجفون) مملوءها (تدفقاً) تدفق بعضه بعضاً وهو مصدر (لـ)أجل (باب غدا) صار هذا الباب (فى وجه) جهة (مغزاه) قصده (مغلقاً) خبر غدا (فيا) قيوم اعجبوا (لمشوق) اللام فى لمشوق لام المستغاث له، والمستغاث محذوف: أى يالله أو يالمسلمين لمحب كثير الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاينام) المشوق (تحرّقا) لأجل تحرّق نار الشوق فى قلبه (ضرام) اشتعال (حشاه) ما انضمّ عليه الضلوع

(يستطير) يرمى بالشرر ، ومنه : « يوما كان شره مستطيراً » (تشوقا) مفعول له أوحال : أى عاشقاً (فيبرم) يحكم ويتقن ، ومنه : « أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون » (و) الحال (الأقدار) أى قضاء الله (تدأب) تجدّ وتدوم (فى النقض) الحلّ . يعنى كلما عزم على شئ أتى القضاء بفسخه ، ومنه : « ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها » . قال فى اللؤلؤة المرادية : وقد عظم الخطب فى هذا الزمان على أى شئ يبكى الإنسان ؟ أعلى فوات الدنيا ؟ أم على ذهاب دينه ؟ أم على إخوانه فى الغرفات ؟ أم على أعوانه من الصالحات ؟ أم على دروس العلم وطموسه ؟ أم على اتفاق الخلق على إنكار المعروف وتعريف المنكر ؟ أم على نفسه التى لا تطاوعه على طاعة الله ؟ أم على عرسه التى تطالبه بما ليس له به طاقة ؟ أم على ولده الذى لايرى للعين فيه قرة ؟ أم على جاره الذى لايغضى له على ستر عورة ؟ أم على أميره الذى لايرعى له إلا ولا ذمة ؟ أم على فقد خيره الذى يغلبه على الانفراد عن الخلق والاستبداد بالرب حين لم يجد سواه ، ولارأى حسناً فى غيره ؟ أم على عدم محل الهجرة حتى يخرج عن هذه الأمة إلى موضع يأمن فيه مايتوقع من نممة . أما والله لينبغى أن يترك هذا كله ويرجع إلى نفسه الخائنة باللوم ، وليجادلها بقمعها إن كانت لم تدع ممن تطمع اليوم ؛ وأصل البكاء إنما هو على فقد المحبوب ونزول المكروه ، وأى محبوب أعظم من الله ورسوله وطاعتهما ، وأى مكروه أضعف من سخط الله وعذابه ؟ (ص) :

كَذٰلِكَ مَنْ صَدَّتْهُ كَثْرَةُ حُوبِهِ حَبِيسُ خَطَايَاهُ طَرِيدُ ذُنُوبِهِ
أَمَعْشَرَ مَنْ يَبْكِى لِفَقْدِ حَبِيبِهِ ضَعُواعَنْكُمُ الْأَوْزَارَ إِنْ لُذْتُمْ بِهِ
وَأُوبُوا بِإِجْزَالِ الْمَثُوبَةِ وَالْقَرْضِ

(ش) (كذلك) والإشارة راجعة إلى نقض الإبرام ، أوإلى وصف

مقبوض العنان (من صدّته) منعته ورجعته ، ومنه : « وصدّها ما كانت تعبد (كثرة حوبه) ذنوبه ، ومنه : « إنه كان حوبا كبيراً » (حبيس) محبوس (خطاياه طريد) مطرود (ذنوبه. أمعشر) ياجماعة (من يبكى لفقد) زيارة (حبيبه) محبوبه (ضعوا) أمر بمعنى الخبر (عنكم الأوزار) الذنوب كناية عن غفرانها لهم ، وأصل الوزر الثقل ، ومنه : « يحملون أوزارهم على ظهورهم » (إن لذتم به) لجأتم إليه ووصلتم به (وأوبوا) ارجعوا (بإجزال) إكثار (المثوبة) الثواب (والقرض) مع ما أسلفتم من إحسان (ص) :

مُجاوِرُهُ فِى جَنَّةٍ أَىِّ جَنَّةٍ　　فَطُوبَى لِعَبْدٍ زَارَهُ دُونَ مِحْنَةٍ
تُعَطِّلُ فَرْضًا أَوْ تُخِلُّ بِسُنَّةٍ　　ضَجِيعَاهُ نَالاَ كُلَّ أَمْنٍ وَمِنَّةٍ
بِقُرْبِ العُلاَ وَالمَجْدِ وَالسُّؤْدَدِ المَحْضِ

(ش) (مجاوره) ساكن جواره (فى جنة أىّ جنة) كاملة (فطوبى) فرح وقرة عين ، أو جنة كاملة (لعبد زاره دون محنة) زلة من بدعة، أو فعل قبيح ، ووصف المحنة بقوله (تعطل) تترك (فرضاً) أىّ فرض كان (أو تخلّ) تنقص (بسنة) من سنته : أى طوبى لمن زاره بلا تضييع من فرائضه من صلاة وغيرها وبلا تضييع سنن من سنتها ، كترك الاقتداء به فى سفره (ضجيعاه) هما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما اللذان دُفنا عنده صلى الله عليه وسلم (نالا) أصابا (كل أمن) من الأمانة (ومنة) عطاء (بـ)سبب (قرب العلا والمجد) الشرف (والسؤدد) السيادة (المحض) الخالص (ص) :

أَسِفْتُ لِخَوْفٍ قَدَّ قَلْبِي وَهَيْبَةٍ　　أَثَارَهُمَا عَنْ طَيْبَةٍ طُولُ غَيْبَةٍ
وَمَاذَا يُرَجِّى بَعْدُ صَاحِبُ شَيْبَةٍ　　ضَنِيتُ بِفَوْتِ الحَظِّ مِنْ طِيبِ طَيْبَةٍ
فَأَصْبَحْتُ وَقْفًا لاَ أَجِىءُ وَلاَ أَمْضِى

(ش) (أسفت) حزنت ، والأسف فى كلام العرب متى كان من ذى قدرة فهو غضب ، ومنه : « فلما آسفونا انتقمنا منهم » ومتى كان من الأقل إلى الأعلى فهو حزن ، ومنه : « وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف » (ل)أجل (خوف قدّ) قطع أوشق (قلبى و) أسفت (هيبة) قدّت قلبى ، والهيبة : الخوف مع الحب (أثارهما) حرك الخوف والهيبة وهيجهما ، ومنه : « فأثرن به نقعاً » (عن طيبة) مدينة الرسول (طول غيبة) فاعل آثارهما (وماذا يرجيه) ه (بعد) حصول شيب (صاحب شيبة) أى ما ينتظر إلا الموت ، فإن حصل له مناه قبل الموت فالحمد لله ، وإلا فلا ينفك مغرما فى دهره إلى أن يأتيه الموت (ضنيت) مرضت (ب)سبب (فوت الحظ) أولأجل فوت النصيب (من طيب طيبة) مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام (فأصبحت) صرت (وقفاً) مصدر لمحذوف وجملة (لا أجىء) خبر أصبحت ، أووقفاً خبر أصبحت ، والجملة الفعلية حال (ولاأمضى) (ص) :

وَلاَ يَأْسَ إِنَّ الدَّهْرَ آتٍ وَذَاهِبُ وَقَدْ تَصْدُقُ الآمَالُ وَالْيَأْسُ كَاذِبُ
وَإِلاَّ فَكَمْ مِنْ حَاضِرٍ وَهْوَ غَائِبُ ضَعُفْتُ عَنِ الْكُلِّ الَّذِي هُوَ وَاجِبُ
فَلَوَّحْتُ تَلْوِيحَ الضَّرُورَةِ بِالْبَعْضِ

(ش) (ولا يأس) قنوط من الوصول إلى طيبة (إن الدهر) الزمان (آت وذاهب) يأتى ويذهب (وقد) للتقليل (تصدق الآمال) جمع أمل : وهو الرجاء (واليأس) القنوط (كاذب) مخطئ (وإلا) وإن لم تصدق الآمال فلا عجب من ذلك ، وكثير ممن طلب مناه وحال بينه وبين مناه قدرة مولاه ، وقعوده فى غيبته مع ذكره إياه حضور له صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال : (فكم من حاضر) جسما (وهو غائب) قلباً ، وحاضر قلباً وهو غائب جسما ، ويحتمل وكم من حاضر عند النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن كان غائباً عنه ، أو مراده بالحاضر

المقصىّ الذى لم يعـلم به (ضعفت عن الـكل الذى هو واجب) الضعف بالضم فى الجسد ، وبالفتح فى الرأى (فلوّحت) أشرت (تلويح الضرورة بالبعض) والضرورة مالا يمكن الإنسان الانفكاك عنه . المراد بقول المـادح ضعفت عجزت عن مدحه الواجب علىّ ، ولم أقدر على كله ، فأشرت إلى البعض الذى هو فى قدرتى وطاقتى .

هنا انتهى حرف الضاد ، ويتلوه حرف الطاء إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الطاء

لمـا فرغ من الـكلام على حرف الضاد من مدح النبى العظيم الرأى جعل يتـكلم فى حرف الطاء ، ويخبرك إن كنت طالباً بالإحسان الجيد فقال (ص) :

بِطَيْبَةَ لِلْعَافِينَ أَكْرَمُ سَيِّدٍ   بِمَدْحِى لَهُ أَطْرَبْتُ نَفْسَ مُوَحِّدِ
فَغَنَّى فَأَزْرَى دُونَ إِثْمٍ بِمَعْبَدِ   طَرِبْتُ إِلَى مَدْحِ النَّبِىِّ مُحَمَّدِ
فَمِنْ مِقْوَلِى نُطْقٌ وَمِنْ أَنْمُلِى خَطٌّ

(ش) (بطيبة) بالمدينة (للعافين) الذين يطلبون الإحسان والمغفرة لذنوبهم (أكرم سيد)   * ومن زاره فالله يغفر ذنبه *

(بمدحى له أطربت) أفرحت (نفس موحد) لله ، والطرب خفة تصيب الإنسان لشدة فرح وسرور ، أو حزن : أى فرحت نفس موحد لله بسبب مدحى ، فصار يهتز كالغصن الذى ماس رطيبه (فغنى) أنشد (فأزرى) حقر (دون إثم) ذنب (بمعبد) أى فأنشد فأحقر بغناء معبد حالة كون شعره دون إثم : أى ترك كذب فقلّ ماتجد شاعرا اتقى الـكذب واجتنبه فى شعره .

والمعنى أن هذا الشعر الذى مدحت به النبى صلى الله عليه وسلم قد أربى

فى إطراب النفوس ، واهتزاز قلب السامع إليه على غناء معبد الذى هو رأس المغنين بالدولة الأموية حتى كان يضرب به المثل فى الغناء ، وفيه يقول أبو تمام :

محاسن أصناف المغنين جمة ... وما قصبات الشعر إلا لمعبد

ومع ذلك إن غنائى وشعرى أحقر لغنائه ، إذ لذة غنائه دون لذة غنائى لحلاوة غنائى فى قلب كل موحد ، إذ كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له مع ماتقدم تبلج إصباح الحقائق فوقه ، أى فوق ثنائى ومدحى له صلى الله عليه وسلم :

فإن أشعر بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته صدقا

(طربت) فرحت واهتززت (إلى مدح النبى محمد) صلى الله عليه وسلم (فمن مقولى) أى لسانى خبر مقدم ، و (نطق) مبتدأ مؤخر (ومن أناملى) أصبعى (خط) كتابة ، ومنه « ولا تخطه بيمينك » (ص) :

تَغَنَّى غِنَاءٌ دُونَهُ لَذَّةُ الْغِنَا ... بِمَدْحِ الَّذِى حازَ السَّنَاءَ إِلى السَّنَا
مُنَى كلِّ ذِى قَلْبٍ وَأَحْلَى مِنَ الْمُنَى ... طَبِيبُ الْوَرَى إِنْ أَشْكَلَ الدِّينُ وَالدُّنَا
غِيَاثُهُمُ إِنْ أَعْضَلَ الخَوْفُ وَالْقَحْطُ

(ش) (تغنى غناء) أنشد الموحد إنشادا (دونه) تحت إنشاده (لذة الغنا) حلاوة الغناء ، قصره للضرورة ، تغنى المادح غناء ، حلاوة غناء المغنين دون الوصول إلى حلاوته ، لأنها لا يفوز بها المصغى

... وغنائى ... * يفوز به المصغى له والمحدث *

(بمدح) متعلق بتغنى (الذى حاز السناء) الرفعة (إلى) مع (السنا) الضوء والنور ، هو (منى كل ذى) صاحب (قلب) عقل سليم (وأحلى) أكثر حلوا (من المنى) جمع منية ، وهى مايتمناه الإنسان ويأمله (طبيب الورى) عالم بطبهم (إن أشكل) التبس واشتد أمر (الدين والدنا) أى أن النبى صلى الله عليه وسلم

كان طبيباً لجميع الخلق دينا ودنيا ، أما فى الدين فيرشد كل إنسان إلى ماهو الأصلح له ، ويدله على ماهو الأنفع به؛ ألا ترى أجوبته للناس بحسب اختلاف أحوالهم، فإذا سأله رجل يارسول الله : أىّ الأعمال أنفع ؟ فيجيب بما هو يقدر عليه ، فيقول لرجل الصلاة ، ولآخر الصدقة ، ولآخر الصوم ، ولآخر الجهاد ، ولآخر برّ الوالدين ؛ وأما فى الدنيا فعلمه بطبّ الأبدان ، كقوله صلى الله عليه وسلم «أصل كل داء البردة ، والمعدة حوض البدن والعروق إليها واردة . وخير ماتداويتم به السعوط واللدود والحجامة . وخير الحجامة يوم سابع عشر وتسع عشر وإحدى وعشرين . وفى العود الهندى سبع أشفية» (غياثهم) أى الورى (إن أعضل) اشتد (الخوف و) غياثهم إن أعضل (القحط) الجدب : وهو خلاف الخصب ، قحط المطر قحوطا : إذا احتبس (ص) :

أَلاَ إِنَّ مَنْ شَاءَ الهُدَى فَهْوَ الهُدَى ... قَدِ اعْتَمَّ بِالتَّقْوَى وَظَاهَرَ وَارْتَدَى

وَبِالرُّوحِ رُوحِ الْقُدْسِ فى هَدْيِهِ اهْتَدَى ... طَلِيقُ لِسَانِ الَمجْدِ عالِى يَدَ النَّدَى

فَلاَ مِقْوَلٌ يَجْفُو وَلاَ رَاحَةٌ تَسْطُو

(ش) (ألا) انتبه (إن من شاء الهدى) ليهتدى بها ويتبعها (ف) النبى صلى الله عليه وسلم (هو) عين (الهدى) جعله نفس الهدى مبالغة وأدخل الفاء فى خبر من الموصولة لوقوعها محلّ من الشرطية فى اقتضائها العموم وإتيانه بالجملة الاسمية لزيادة المبالغة (قد اعتم) تعمم (بالتقوى) باجتناب النواهى وامتثال الأوامر (وظاهر) طابق ثوبين أحدهما جعل فوق الآخر (وارتدى) أى جعل التقوى رداء ، وهذا استعارة تخييلية كما لايفارق الرجل عمامته وثوبه ورداءه ، كذلك صلى الله عليه وسلم لايفارق تقواه وعبادة ربه الذى أكرم مثواه ولو طرفة عين (وبالروح روح القدس) جبريل عليه السلام (فى هديه) بجبريل (اهتدى)

أى النبى صلى الله عليه وسلم (طليق) فصيح (لسان المجد) أى فى التمجيد لله (عالى يد الندى) أى كريم جواد ، أى وصفه بالبلاغة والكرم (فلا مقول) لسان منه (يجفو) يفحش على أحد ، ويتكلم بغير حق أو بجهل ، فإنه لاينطق عن الهوى ، أولا يغلظ على الناس «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» قال أنس بن مالك رضى الله عنه : «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط ، وماقال لى لشىء صنعته لم صنعته، ولا لشىء تركته لم تركته» وزاد اليعمرى : «وما خدمته فى سفر ولاحضر إلا كانت خدمته لى أكثر» (ولاراحة) كف (تسطو) تبطش بأخذ بغير حق ، ولا يصول عليهم بظلم . قالت عائشة رضى الله عنها : «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط مالم تكن حرمة من محارم الله ، وماضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، وما ضرب خادمًا ولا امرأة» (ص) :

إِلى الْحَقِّ مِنْ دَارِ الْمُحَالِ مُفَرَّغُ ‏ ‏ ‏ بِهِ دُمِغَ الْأَبْطَالُ قِدْمًا وَيُدْمَغُ

ظَهِيرٌ لِأَوْطَارِ الْأَنَامِ مُسَوَّغُ ‏ ‏ ‏ طَرِيقٌ إِلَى دَارِ السَّلَامِ مُبَلِّغُ

رَسُولٌ كَرِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ قَطُّ

(ش) (إلى الحق) أى الدار الآخرة (من دار المحال) أى الدنيا (مفرّغ) أى مفرغ القلب : أى قلبه خال عن كل مايشغله من أمور الدنيا إلى أمور الآخرة لأن دار الآخرة دار حق ، ودار الدنيا دار كذب وباطل ، أوالمراد بالحق الله تعالى فيكون المعنى هو مفرغ من دار المحال إلى عبادة الحق سبحانه ، لاتظن أن حب الدنيا كان فيه فيفرغ ، وإنما المراد بالتفريغ الخلوّ ابتداء ودواما ، ولم يسبق إليه شىء من حب دار الدنيا (به) صلى الله عليه وسلم ، أوباتباعه (دمغ الأبطال) أصيب دماغ الأبطال وهم الشجعان ، ومنه : «بل نقذف بالحق على الباطل

فيدمغه » (قدمًا) أى قديما . قال تعالى : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » أى يستنصرون على الذين كفروا بحرمتـه ، والإبطال : ضبط بكسر الهمزة : أى المجىء بالباطل (و) لم يزل (يدمغ) يصاب دماغهم بحرمته إلى الآن هو (ظهير) معين ، ومنه : « والملائكة بعد ذلك ظهير » (لأوطار الأنام) حاجات الخلائق ، ومنه : « قضى زيد منها وطراً » والمجرور متعلق بـ(مسوغ) مسهل نعت ظهير ، هو (طريق) صراط (إلى دار السلام مبلغ) نعت لطريق ، والمراد بدار السلام الجنة ، وسميت دار السلام لسلامتها من الآفات والنكبات ، ويسلم من دخلها من الأمراض والفقر والموت، هو (رسول) مبلغ (كريم) على الله (لم يكن مثله قط) فيما مضى من الزمان ، يريد ولا يكون عوض .

* مدى الدهر لم يخلق ولاهو يخلق *

(ص) :

جَدِيدٌ هُدَاهُ لَايُغَـيِّرُهُ الْبِـــلَى يُقَصِّرُ فِى أَمْدَاحِهِ كُلُّ مَنْ غَـلَا
رَسُولٌ جَـلَا لَيْلَ الْجَهَالَةِ فَانْجَـلَى طَوِيلُ مَنَارِ الصِّيتِ وَالذِّكْرِ وَالْعُلَى
وَكُلُّ الْوَرَى عَنْ قَدْرِ أَحْمَدَ يَنْحَطُّ

(ش) (جديد) خبر مقدم (هداه) مبتدأ مؤخر (لايغيره) الهدى (البلى) نقيض جديد . قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » والنبى (يقصر) يعجز عن الوصول إلى حقيقة قدره (فى أمداحه) أثنائه (كل من غلا) جاوز الحد بكثرة امتداحه صلى الله عليه وسلم ، لاالغلوّ الذى هو تجاوز الحد .

زن القول إن حاولت مدح محمد فنى كل قول مستحيل وجائز
دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

هو (رسول) مبلغ أمر الله إلى الناس كافة (جلا) كشف الرسول (ليل الجهالة

فانجلى) فانكشف ، وأتى بلفظ الليل دون الظلمة للدلالة على كال الانكشاف ، وبلوغ الغاية فيه ، كالنهار الذى يذهب الليل بالكلية ، ويعم ضوءه الأقطار ، والنبى صلى الله عليه وسلم أذهب ليل الكفر برسالته العامة ، وهذه استعارة وتمثيل (طويل منار) علَم (الصيت) الذكر الجميل الذى ينتشر فى الناس دون القبيح . والمعنى أن مرتبته تفوق كل المنازل (والذكر والعلى) من عطف المطلق على المقيد (وكل الورى) المخلوقات (عن قدر أحمد) المرتضى بشرى عيسى (ينحطّ) ينزل .

* كأنّ خطاهم عن مداه تؤخذ *

والانحطاط : النزول من فوق إلى أسفل (ص) :

مُجَدِّدُ رَسْمِ الدِّينِ يَنْصُرُ حِزْبَهُ   عَفُوٌّ عَنِ الْجَانِى يُؤَمِّنُ سِرْبَهُ

صَبُورٌ لِمَنْ آذَى يُهَوِّنُ خَطْبَهُ   طِبَاعُ نَبِيٍّ طَهَّرَ اللهُ قَلْبَهُ

يُجَابُ وَمَا يَدْعُو وَيَرْقَى وَمَا يَخْطُو

(ش) (مجدد رسم) علامة (الدين) ملة الإسلام : أى جددالدين (ينصر) يُعين النبى صلى الله عليه وسلم (حزبه)أى الدين يعنى جماعته وأصحابه ، ومنه: «كل حزب بما لديهم فرحون» (عفوّ) كثير العفو (عن الجانى يؤمن) النبى صلى الله عليه وسلم (سربه) جماعة الدين ، أو الجانى نفسه (صبور) كثير الصبر (لمن آذا)ه : أى فعل له ما يكره (يهوّن) يسهل النبى صلى الله عليه وسلم (خطبه) أمر الجانى العظيم : أى إذا أتى الجانى بأعظم الجناية قابله النبى صلى الله عليه وسلم بأحسن السماحة . وقال أنس رضى الله عنه : «هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : «وهو الذى كفّ أيديَهم عنكم وأيديَكم عنهم» الآية.

(طباع نبى) ماطبعه الله عليه : أى سجيته (طهر الله قلبه) بشق صدره مرتين ، والجملة الفعلية نعت نبى (يجاب ومايدعو) يعطى من غير سؤال ، لاسيما إذا سأل (ويرق) يعلو (ومايخطو) أى من غير مشى على الأقدام ، بل على ظهر البراق أو رديفاً بجبريل عليهما الصلاة والسلام .

قَضَى اللهُ فِى إِرْسَالِهِ خَيْرَ مَا قَضَى ... حُسَامًا عَلَى مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ مُنْتَضَى
وَمِنْهُ لِمَنْ أَضْحَى عَنِ الْإِفْكِ مُعْرِضًا ... طَلَاوَةُ حُسْنٍ مِنْ شَمَائِلِهِ الرِّضَا
وَجُودُ يَمِينٍ مِنْ عَوَائِدِهَا الْبَسْطُ

(ش) (قضى الله) حكم (فى إرساله) إرسال الله إياه صلى الله عليه وسلم (خير ماقضى) مامصدرية: أى خير قضاء، أو «ما» على بابها : أى حكم أن جعله خير الأنبياء ، وأمته خير أمة أخرجت للناس ، وشرعته خير الشرائع كلها (حساما) سيفاً قاطعاً حال من إرساله أو تمييز (على من خالف الحق) وتمسك بالباطل وهو الكافر (منتضى) مسلولاً نعت لحساماً . قال تعالى : « يا أيها النبى جاهد الكفار » الآية (ومنه) صلى الله عليه وسلم (لمن أضحى) من أخوات كان (عن الإفك) الكذب (معرضا) خبر أضحى (طلاوة) جمال (حسن) ومنه خبر مقدم لقوله طلاوة ، و (من شمائله) طبائعه بدل من منه (الرضا) أى المرضية (وجود يمين) عطف على طلاوة (من عوائدها) أى من عادة يمينه صلى الله عليه وسلم (البسط) نقيض القبض . يصف النبى صلى الله عليه وسلم بالأخلاق المرضية ، والصفات العلية ، والعطايا السنية ، كأنه يقول رحمه الله : يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفتر بالجود كان عنده شىء أولا ، وإذا لم يكن شىء يأمر برفع الدين عليه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم (ص) :

عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ضَمَّ رِدَاءَهُ ... أَفَاضَهُمَا بَسْطًا وَكَفَّ عَدَاءَهُ

فَكَمْ مِنْ مَرِيضِ الْقَلْبِ زَحْزَحَ دَاءَهُ   طَلِيعَةُ بُشْرَى مَنْ أَجَابَ نِدَاءَهُ
فَقَدْ زَاحَ عَنْهُ الْخَوْفُ وَانْقَشَعَ السُّخْطُ

(ش) (على العدل والإحسان ضم رداءه) : أى اشتمل عليهما والتحق بهما (أفاضهما) : أى كثر العدل والإحسان (بسطا) مصدر فى موضع الحال : أى باسطا : أى نثرا (وكفّ عداءه) تجاوز الحد فى الظلم عن الخلق سوى له وإحسانه وهما الجور وعدم الإحسان . العداء بالفتح والمد : تجاوز الحد وظلم العباد ، وأضاف العداء إليه لتلبسه به من حيث الكف (فكم من مريض القلب) صاحب الكفر والنفاق (زحزح) النبى صلى الله عليه وسلم : أى أبعد (داءه) مرضه بإسلامه هو (طليعة بشرى) والطليعة واحد الطلائع : هم القوم الذين يتقدمون الجيش ، والبشرى : طلاقة الوجه (من) شرطية (أجاب نداءه) إلى مايدعوه إليه (فقد زاح) بعد (عنه) عمن أجاب نداءه (الخوف وانقشع) انكشف وذهب (السخط) خلاف الرضا ومنه « إذا هم يسخطون » (ص) :

أَحَاطَتْ بِهِ دُونَ الرَّذَائِلِ عِصْمَةٌ   وَسَارَتْ بِهِ نَحْوَ الْفَضَائِلِ هِمَّةٌ
وَقَدْ عَظُمَتْ مِنْهُ عَلَى الْكُلِّ نِعْمَةٌ   طُلُوعُ رَسُولِ اللهِ لِلْخَلْقِ رَحْمَةٌ
تَشِبُّ عَلَى أَفْيَائِهَا اللِّمَمُ الشُّمْطُ

(ش) (أحاطت به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (دون الرذائل) الخسائس : جمع رذيلة : وهو ردىء كل شىء وخسيسه (عصمة) حفظ الله إياه منع الرذائل أن تصل إليه بما كلأه ، و (عصمة) الله (سارت) ذهبت (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (نحو الفضائل همة) إرادة (وقد عظمت) كبرت (منه) من النبى صلى الله عليه وسلم (على الكل) على جميع الخلق ، وأل للعموم (نعمة) فاعل عظمت (طلوع) ظهور (رسول الله للخلق رحمة) قال تعالى : « وما أرسلناك

إلا رحمة للعالمين » (تشب) تصير شابة (على أفيائها) : أى ظلال الرحمة ، وفى نسخة : أفنانها : أى أغصانها ، ومنه «ذواتا أفنان » (اللمم) جمع لمة : وهى الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن (الشمط) جمع أشمط : وهو الذى يخالط بياض شعره السواد (ص) :

أَنَامِلُهُ كَالسُّحْبِ جَادَتْ بِوَبْلِهَا   وَأَخْلَاقُهُ لَمْ يُؤْتَ خَلْقٌ كَمِثْلِهَا
وَشِيعَتُهُ لَا فَضْلَ بَعْدُ كَفَضْلِهَا   طَوَائِفُهُ خَيْرُ الطَّوَائِفِ كُلِّهَا
عَلَى قَدْرِ وَسْطِ السِّمْطِ يُنْتَقَدُ السِّمْطُ

(ش) (أنامله) صلى الله عليه وسلم (كالسحب) جمع سحاب ، أشار إلى حديث نبع الماء (جادت) أرسلت (بوبلها) بمطرها الكثير حسا ومعنى ، حسبما عرفت فيما تقدم (وأخلاقه) سجاياه (لم يؤت خلق كمثلها) والكاف زائدة للتأكيد ، كقوله تعالى : « ليس كمثله شىء » أى لم يعط خلق مثلها ، ولم يعظم الله تعالى خلق أحد كما عظم خلقه ، قال تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » قالت عائشة رضى الله عنها : « كان خلقه القرآن يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه » ووصفه بالجود والكرم وحسن الخلق (وشيعته) أتباعه وجماعته ، ومنه : «وإنّ من شيعته لإبراهيم» (لافضل بعد كفضلها) والمراد أمته ، لا فضل كفضلها بعد أن كانت أمته ، قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » :

* أضفنا إليه فاحترمنا بحرمة *

(طوائفه) بالواو : أى جماعته (خير الطوائف كلها) وإنما اكتسبوا الخيرية من خيريته ، كما أشار لذلك بقوله : (على) بمعنى من ، أو بمعنى الباء (قدر وسط السمط) السلك فيه الجواهر ، وأوسطه عادة أحسنها ، وبها (ينتقد) يختبر ويختار (السمط) فإن كانت جيدة كانت كلها جيدة ، والمراد يختار طوارق النبى

صلى الله عليه وسلم من بين طوارق المختارين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وفى نسخة : طرائفه بالزاء جمع طريفة : أى شمائله خير الطرائف : أى الشمائل كلها الضمير للطرائف (ص) :

لَهُ عَمَلٌ فى المَكْرُمَاتِ وَنِيَّةٌ وَأَقْوَالُ صِدْقٍ فى الْإِلٰهِ رَضِيَّةٌ
وَنَفْسٌ بِهِ عَمَّا سِوَاهُ غَنِيَّةٌ طَهَارَتُهُ حِسًّا وَمَعْنًى جَلِيَّةٌ
فَأَقْوَالُهُ حُكْمٌ وَأَحْكَامُهُ قِسْطُ

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (عمل فى المكرمات) فى الأمور العظام (و) له (نية) خالصة فى المكرمات (و) له (أقوال صدق) حق (فى الإله) عند الله أو لأجل الله (رضية) نعت لأقوال : أى مرضية فى أمر الله . وصفه صلى الله عليه وسلم بتزكية الأعمال ، و إخلاص النية والأحوال ، وصدق الأقوال والأفعال فيما فيه رضا الله ذى الجلال (و) له (نفس به) بالله (عما سواه) سوى الله (غنية ، طهارته) صلى الله عليه وسلم (حسا ومعنى) منصوبان بنزع الخافض (جلية) ظاهرة (فأقواله) صلى الله عليه وسلم (حكم) أى قضاء بالعلم والتقوى لا بالجهل والهوى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » كأن سائلا سأله كيف كان جميع أحكامه فقال : (وأحكامه قسط) عدل (ص) :

عَلَا الْكَوْكَبَ الدُّرِّىَّ أَسْفَلُ غَرْزِهِ لَهُ صَارَ كِسْرَى مَا اسْتَعَدَّ بِكَنْزِهِ
وَإِذَا هَزَّ سَيْفَ الْحَقِّ مَاتَ لِهَزِّهِ طُلَى عُظَمَاءِ الشِّرْكِ ذَلَّتْ لِعِزِّهِ
وَقَدْ نَالَ مِنْهَا الْقَدُّ مَا شَاءَ وَالْقَطُّ

(ش) (علا) جملة فعلية كالتى فى قوله تعالى : «إن فرعون علا فى الأرض» ومفعوله الكوكب ، أو حرفية هى خبر مقدم وأسفل مبتدأ مؤخر (الكوكب) النجم (الدّرّىّ) المضىء نعت له (أسفل غرزه) والغرز الركاب من جلد : أى علا

فوق النجم رتبة ، فهو إشارة إلى إسرائه بالليل والناس هجع (له) صلى الله عليه وسلم (صار) حفظ (كسرى) لقب لكل ملك الفرس (ما استعدّ) أعد وهيأ (بكنزه) مخزنه . والكنز : هو ما ادخر كسرى ، وما أعده من الأموال حيز له صلى الله عليه وسلم ، وفى الحديث : «إذا هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده ، وقيصر ليهلكنّ ثم لا يكون قيصر بعده ، فلتقسمنّ كنوزهما فى سبيل الله» ثم فتح عمر رضى الله عنه بلاد كسرى وغنم كنوزه وقسمها للمسلمين (وإذ) حين (هز) حرك النبى صلى الله عليه وسلم (سيف الحق) أى الرسالة ، وكتب إليه بأن أسلم (مات) كسرى (لهزه) بتحريكه ، وروى البخارى رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزقه ، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق » وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن رضى الله عنه قال : « لما قدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، كتب إلى باذان عامله باليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين جلدين من عندك فليأتيا به فبعث باذان قهرمانه ورجلا آخر ، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن يتوجه معهما إلى كسرى ، وقال لقهرمانه : انظر الرجل وما هو ، وكلمه وأتنى بخبره ، وقدما على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، فقال : ارجعا حتى تأتيانى غدا ، فلما غدوا عليه أخبرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأن الله قتل كسرى ، وسلط عليه ابنه شيرويه فى ليلة كذا فى شهر كذا ، لقلة ما مضى من الليل ، فالأهل تدرى ماتقول نخبر الملك بذلك ، قال نعم أخبراه بذلك عنى ، وقولا له : إن دينى وسلطنتى سيبلغ مابلغ ملك كسرى ، وينتهى إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له : إنك إن أسلمت أعطيناك ماتحت يدك ، وقدما على باذان وأخبراه ، فقال : والله ماهذا بكلام ملك ولننظرن ماقال . قال فلم ينشب أن قدم

عليه كتاب شيرويه، أما بعد : فإنى قتلت كسرى غضبا لفارس، ولما كان يستحل من قتل أشرافها ، فخذ لى الطاعة ممن قبلك ، ولا تهيجنّ الرجل الذى كتب لك كسرى بسببه بشىء ، فلما قرأه قال : إن هذا الرجل لنبىٌّ مرسل ، فأسلم وأسلمت الأبناء من آل فارس . وقال باذان لقهرمانه : كيف هو ؟ قال : ما كلمت رجلا قط أهيب عندى منه ، قال هل معه شرطى ؟ قال لا . (طلى عظماء الشرك) أعناقهم ورقابهم : جمع طلية (ذلت) خضعت وانقادت (لعزه) لرسالته (و) من أبى الانقياد ولم يصاحبنا باتباع ديننا (قد نال) أصاب، ومنه «ولا ينالون من عدوّ نيلا» (منها) من أعناق عظماء الشرك (القدّ) القطع طولا (ما شاء) الذى أراده وإسناد المشيئة إليه مجاز (و) قد نال منها (القط) القطع عرضا من قططت الشىء أقطه ، ومنه قط القلم (ص) :

لَقَدْ جَبَرُوا لِلْكُفْرِ عَظْماً فَهَاضَهُ ... وَأَجْرَوْا لَهُ بَحْرًا فَجَاءَ فَخَاضَهُ

وَلما رَأَوْا فى المَعْلُوَاتِ انتِهَاضَهُ ... طَغَا بِهِمْ طِرْفُ الضَّلَالِ فَرَاضَهُ

حُسَامُ هُدًى نُمْضِيهِ أَنْمُلَهُ السَّبْطُ

(ش) والله (لقد جبروا) أصلح عظماء الشرك (للكفر) أى لدينهم (عظما فهاضه) كسره النبى صلى الله عليه وسلم كسرا لاجبر بعده ، والهيض : الكسر بعد الجبر ، والكفر حدث بعد آدم عليه السلام . قال الله تعالى : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا » (وأجروا له بحرا) المراد بإجراء البحر إعداد الجيوش (فجاء) النبى صلى الله عليه وسلم برسالة مولاه (فخاضه) صيّره طينا خضخاضا بمعنى : نضب ماؤه ولا يبقى إلا غائرا ، والمراد من خوضه له صلى الله عليه وسلم كسره ، وبهذا يخرج الكلام عن الإشكال ، وهذه كناية لكثرة الكفر فى زمانه وسعة أقطاره ، وعمومه فى البلدان . فأذهبه النبى صلى الله

عليه وسلم بالرسالة العامة ، وإن الضمير فى «له» عائد للنبى صلى الله عليه وسلم . والمعنى وأجرى الكفار للنبى صلى الله عليه وسلم خميسا واسعا، إذ البحر لغة السعة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخله وشتتهم ، إذ الخوض الدخول من خاض يخوض خوضا ، ومنه: «قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون» (ولما رأوا) الكفار (فى المعلوات) فى الأمور العالية الشريفة (انتهاضه) قيامه بسرعة ، واجتهاده فى طاعة ربه (طغا) ارتفع وعلا حتى جاوز الحد ، ومنه «إنا لما طغا الماء» (بهم) بالكفار (طرف) بالكسر: فرس كريم من الخيل (الضلال) ضد الحق (فراضه) ذلله من طغيانه ، من رضت الدابة : علمتها السير (حسام هدى) سيف فاعل راضه الضمير للفرس : أى سيف من هدى (تمضيه) تعمل فيه وتنفذه فى لحمه (أنمله) أصابعه (السبط) الطوال : نعت لأنمل ؛ كأنه مدحه بالشجاعة والسخاوة ، قال أنس : «مالمست حريرا ولاديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم» ويروى حديث فى أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المشيرة فيها كانت أطول من الوسطى ، ثم الوسطى أقصر منها ، ثم البنصر أقصر من الوسطى» .

(ص) :

لَقَدْ ذَهَبَتْ بِاللَّاتِ شِدَّةُ ضَبْثِهِ ... وَقَدْ لَكَّ الْعُزَّى فَمَاتَتْ لِلَكْثِهِ

فَهُمْ وَهُمَا صَرْعَى لِأَفْكَلِ مَغْثِهِ ... طَوَائِلُهُمْ مَقْصُورَةٌ مُنْذُ بَعْثِهِ

وَآمَادُهُمْ وُرْدٌ وَحَيَّاتُهُمْ رُقْطُ

(ش) والله (لقد ذهبت باللات شدة ضبثه) أخذه وقبضه (وقد لكث) ضرب ، أو طعن ولكم (العزى فماتت) العزى (للكثه) ضربه ، وفى البيت ردّ العجز على الصدر (فهم) من يعبدون اللات والعزى (وهما) أى اللات والعزى (صرعى) جمع صريع : أى مطر وحون على الأرض ، ومنه « فترى القوم فيها

صرعى » وصرع : من يعبدهما بعدم عبادتهم إياهما (لأفكل) لرعدة (مفثه) ضربه الخفيف ، واللات : صنم كان لأهل الطائف، والعزى : صنم كان لقريش ، وكنانة ، ومناة : صخرة كانت لهذيل وخزاعة ، وقيل لثقيف . و بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى اللات أبا سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة فهدماها ، والعزى : سمرة لغطفان وهي تأنيث الأعز ، و بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد ليكسرها ، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية و يلها واضعة يديها على رأسها ، فجعل يضربها خالد حتى قتلها ، وهو يقول :

يا عزى كفرانك لا سبحانك   إنى رأيت الله قد أهانك

ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك العزى لن تعبد أبدا » (طوائلهم) شرفاؤهم : جمع طويلة وهي الفضل والقدرة والغنى (مقصورة) ذليلة محبوسة (منذ بعثه) إرساله إليهم ، المراد بطوائلهم : منافعهم وفضائلهم وقوتهم من شجاعة وغيرها مقصورة محبوسة ، ومنه : « حور مقصورات فى الخيام » (و) الحال (آسادهم ورد) جمع ورد : وهو الأسد بلون الورد (وحياتهم رقط) جمع أرقط : وهو الأسود المنقط ببياض، وهي أكثر الحيات ضررا وأسوؤها أذى .

والمعنى : أن بعثه صلى الله عليه وسلم حاصل فى حال تكبرهم وتجبرهم وكثرة شرهم فقمعهم وذلهم حتى صاروا تحت رجليه ، وقهرهم على ما أراد بإذن الله ونصره وعدله ؛ فصارت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى . (ص) :

تَخَـيَّرَهُ المَوْلَى مِنَ الخَلْقِ قُدْوَةً   وَأَبْقَى لَنَا فِيهِ مَدَى الدَّهْرِ أُسْوَةً

وَذَادَ بِهِ عَنَّا مِنَ الجَهْلِ نَخْوَةً   طَفِقْنَا بِهِ بَعْدَ التَّفَاخُرِ أُخْوَةً

سَوَاءً كَمَا سَوَّى مَدَارِيَهُ المُشْطُ

(ش) (تخيره) اختاره (المولى) الناصر (من) فى (الخلق) المخلوق (قدوة) حال ، أو لأجل أن يقتدى به (وأبقى) المولى (لنا) معاشر الأمة (فيه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (مدى الدهر) غاية الزمان (أسوة) قدوة « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» (وذاد) طرد المولى (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (عنا) عن الأمة (من الجهل نخوة) كبرا وافتخارا : أى صرنا بالاقتداء به متواضعين لله ولا يتكبر أحد منا على أحد (طفقنا) صرنا ، ومنه : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (بعد التفاخر) الواقع بيننا (إخوة) إخوانا كما قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » وقال : « إنما المؤمنون إخوة » أى صرنا بالنبى صلى الله عليه وسلم إخواناً بعد أن كان بعضنا يتفاخر على بعض كما وقع بين الأوس والخزرج (سواء) مستوين حال ، أو سواء نعت إخوة (كما سوّى مداريه) أسنانه : مفعول سوى (المشط) مثلث الميم فاعل سوّى : أى كتسوية المشط مداريه ، والمراد بها هنا الشعر ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : «الناس كأسنان المشط » وهى الآلة التى يمشط بها : أى متساوون ، لا يفضل بعضهم على بعض إلا بالتقوى . (ص) :

نَبِيُّ الْهُدَى الْمُوفِى عَلَى كُلِّ مُنْيَةٍ ... يَقِينٌ صَفَا عَنْ كُلِّ رَيْبٍ وَمِرْيَةٍ

وَحَقٌّ نَشَا مَا إِنْ يُقَالُ بِخُفْيَةٍ ... طَلَبْنَا فَأَدْرَكْنَا بِهِ كُلَّ بُغْيَةٍ

فَنُشْكِى إِذَا نَشْكُو وَنُعْطِى إِذَا نَعْطُو

(ش) هو (نبى الهدى) الذى يهدى الله به الخلق . قال تعالى : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » (الموفى على كل منية) هى كل مايتمناه الإنسان الذى

يوفى بكل إنسان مناه . له صلى الله عليه وسلم (يقين صفا) خلص صفة يقين (عن كل ريب) شك (ومرية) شك أيضا (و) له (حق فشا) انتشر مذ كان طفلا (ما) نافية (إن) زائدة (يقال بخفية) بستره (طلبنا فأدركنا) وجدنا (به كل بغية) حاجة بحرمته صلى الله عليه وسلم نصل إلى حوائجنا دنيوية كانت أو أخروية (فنشكى) تزال شكايتنا، أو يسمع شكوانا فيجاب لنا (إذا نشكو) رفعنا شكوانا إلى الله (ونعطى) مبنى للمفعول من العطاء (إذا نعطو) نتناول العطاء ونسأله نعطى (ص) :

حَذَوْنَا بِفَضْـلِ اللهِ فى الدِّينِ حَذْوَهُ ... وَذِكْرًا عَدَدْنَا فى الشَّرِيعَةِ سَهْوَهُ

وَلَمَّا رَأَيْنَا لِلْأَبَاطِــلِ مَحْوَهُ ... طَمَحْنَا بِأَبْصَارِ الْبَصَائِرِ نَحْوَهُ

وَقَدْ طَمَّتِ الْأَمْوَاجُ وَانْتَزَحَ الشَّطُّ

(ش) (حذونا) فعلنا (بفضل الله فى الدين حذوه) فعله : أى اقتدينا به واتبعنا سبيله فيما جاء به ، وكان ذلك بالفضل الإلهى لا بالطوق الإنسانى (وذكرا عددنا فى الشريعة سهوه) أى وعددنا سهوه صلى الله عليه وسلم فى الشريعة التى شرعها لنا ، فإذا سلمنا من ركعتين سجدنا بعد السلام « لما صح أنه عليه الصلاة والسلام صلى العصر فسلم من ركعتين، فقال ذو اليدين أقصرت الصلاة يارسول الله أم نسيت ؟ قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتم مابقى من الصلاة ، ثم سجد سجدتين بعد السلام وهو جالس ، وقال عليه الصلاة والسلام : إنى لا أنسى ، ولكن أُنَسَّى لأسن » فإذا كان نسيانه ليسن صار ذكرا لنا ، لأنا مأمورون بالاقتداء به (ولما رأينا للأباطل) جمع باطل: خلاف الحق (محوه) إزالته، ومنه : «يمحو الله مايشاء ويثبت» وفى نسخة : للأباطيل بالياء، وجواب لما (طمحنا) رفعنا (بأبصار البصائر) القلوب (نحوه) طريقه ووجهته : أى ارتفعنا

ونظرنا بنور قلوبنا طريقه (و) الحال أنه (قد طمّت) ارتفعت وعلت (الأمواج) جمع موج (وانتزح) بَعُدَ (الشط) جانب النهر وهو الساحل ، هذا استعارة على شدة الكفر جعلها كالبحر فدخلنا فيه ، وارتفعنا بأبصارنا طريقه صلى الله عليه وسلم والحال قد ارتفعت الأمواج على جانب البحر و بَعُد ساحله (ص) :

بِحَارُ عُلُومٍ قَدْ رَوِينَا بِعَلِّهَا ... وَجَنَّاتُ عَدْنٍ قَدْ أَوَيْنَا لِظِلِّهَا
وَعِزَّةُ دِينٍ نَعْتَلِي بِمَحَلِّهَا ... طَفَوْنَا بِهِ فَوْقَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
فَمَا غَضَّ مِنَّا لاَ رُسُوبٌ وَلاَ غَطٌّ

ش) هو، أوله (بحار) جمع بحر (علوم قد روينا) من الريّ (بعلّها) بشربها بعد نهل : وهو الشرب الأول ، والعل : الشرب الثانى . وفى نسخة : بفضلها (وجنات عدن) إقامة مبتدأ والخبر جملة (قد أوينا) انضممنا (لظلها) (الذى لايفنى ولا يتقلص ، والمراد ما يوصلنا إليها ، وهو الإسلام والاقتداء بهعليه الصلاة والسلام (و) له صلى الله عليه وسلم (عزة دين) ضد الذلة (نعتلى) نرتفع (بمحلها) لأجل تمسكنا به ، أو الباء ظرفية : أى فى محل جزائها وإثابتها ، وهى الجنة (طفونا) علونا وارتفعنا (به) بكوننا أمته صلى الله عليه وسلم (فوق البرية كلها) المراد بالبرية أمم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (فـ) بسبب ذلك (ماغض) نقص ووضع (منا) من قدرنا (لارسوب) لا ثبوت تحت الماء (ولا غط) غمس وسط الماء ، ولازائدة : أى لارسب تحت الماء ولاغمس وسطه : أى لاذلّ لنا بعد ثبوت كلمة الله، ومنه «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمةالله هى العليا»(ص):

لِأَحْمَدَ أَضْحَى الْقَلْبُ مِنِّيَ جَانِحًا ... أَرَاهُ عَلَى قُرْبٍ وَإِنْ كَانَ نَازِحًا
قَطَعْتُ لَهُ بِالذِّكْرِ دَهْرِي مَادِحًا ... طَوَيْتُ عَلَى شَوْقٍ إِلَيْهِ جَوَانِحًا
بِهَا كُلَّ حِينٍ مِنْ تَذَكُّرِهِ سِقْطُ

(ش) (لأحمد) المرتضى : بشرى عيسى (أضحى) صار (القلب منى جانحا) مائلا إلى زيارته صلى الله عليه وسلم (أراه) أبصره صلى الله عليه وسلم (على قرب) من الزمان (وإن كان) المزور (نازحا) بعيدا منى ، فإن صعب الوصول إليه فقد (قطعت له) صلى الله عليه وسلم (بالذكر) بمدحى إياه (دهرى) زمانى حال كونى (مادحا) له صلى الله عليه وسلم :

* وفى نشره أفنى الحياة وبثه *

(طويت) من الطىّ ، ومنه : « يوم نطوى السماء » (على) لأجل (شوقى) حبى (إليه) صلى الله عليه وسلم (جوانحا) ضلوعا (بها) بالجوانح (كل حين من) لأجل (تذكره) أو بسبب تذكره (سقط) شرر فى كل وقت من تذكره مثلث السين والكسر أفصح : مايسقط من النار عند القدح (ص) :

فَلِلّهِ مَا أَعْدَدْتُ مِنْ صِدْقِ حُبِّهِ لِيَوْمِ التَّلَاقِى ذَخْرَةً عِنْدَ رَبِّهِ
وَمَا أَحَدٌ أَوْلَى بِهِ مِنْ مُحِبِّهِ طَمِعْتُ بِأَثْنَاءِ الجَزَاءِ بِقُرْبِهِ
وَلِمْ لَا وَعِنْدِى مِنْ مَدَائِحِهِ الشَّرْطُ

(ش) (فلله) فلملائكة الله عجب ، أوفلله درّ (ما) أى الذى (أعددت) هيأت (من صدق حبه) أى الذى هو حبى الصادق له صلى الله عليه وسلم هيأته (ليوم التلاقى) أى لأجله : أى ليوم القيامة :

* هناك يلاقى المرء سالف كدحه *

ومنه : « لينذر يوم التلاق » (ذخرة) مدخرة حال أو مصدر بفعل محذوف (عند ربه) المحبوب صلى الله عليه وسلم فى الآخرة (وما) نافية (أحد أولى) أقرب (به) صلى الله عليه وسلم فى الآخرة (من محبه) « المرء مع من أحب ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » (طمعت) رجوت (بأثناء الجزاء) إعظامه ، وفى نسخة :

بإسناء بالسين : أى إجزال ، والباء للتعدية أو زائدة (بقربه) بسبب قربه (ولم لا) أطمع فى إجزال الجزاء ، أو لم لا يكون ذلك (و) من فى قوله : (عندى من مدائحه) بيانية (الشرط) مبتدأ عندى خبره والواو للحال ، أو عندى علامة وجود إجزال الثواب الذى هو مدحه ، والشرط هنا الإيمان والحب والاقتداء به، فإذا لم يكن فلا خير ولا جزاء .

هنا انتهى حرف الطاء ويتلوه حرف الظاء ، إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الظاء

لما فرغ من حرف الطاء أراد أن يأخذ فى حرف الظاء ، ممتثلا الأمر بالزاد ليوم المعاد ، واختار زادا كافيا مبلغا لمناه وافيا ، وهو على قسمين : المطلق والمقيد ، ونحا إليه بقوله (ص) :

تَزَوَّدْتُ مِنْ مَدْحِ النَّبِيِّ المُؤَيَّدِ   إِلَى عَرَصَاتِ الحَشْرِ خَيْرَ التَّزَوُّدِ
وَحَسْبِي بِهَا زُلْفَى إِلَى اللهِ فى غَدِ   ظَفِرْتُ بِحَظِّى فى امْتِدَاحِ مُحَمَّدِ
فَنَاهِيكَ مِنْ مَدْحٍ وَنَاهِيكَ مِنْ حَظِّ

(ش) (تزودت) أخذت الزاد للآخرة (من) بيانية (مدح النبى المؤيد) المقوّى من الله بالمعجزات الباهرة ، والآيات الظاهرة (إلى عرصات الحشر) جمع عرصة : وهى مكان واسع لا بناء فيه ، وهو من باب تسمية الشىء بما يلازمه ، والحشر : القيامة (خير التزود) منصوب على المصدر أو على الحال : أى خير الزاد هو مدحى، وفى البيت رد العجز على الصدر (وحسبى) كافٍ (بها) أى أمداحى كافيى (زلفى) تقربا تمييز، ومنه : « بالتى تقربكم عندنا زلفى » (إلى الله) تعالى

(فى غد) يوم القيامة (ظفرت) نلت مطلوبى ومؤملى (بحظى) بسبب حظى (فى امتداح محمد) صلى الله عليه وسلم (فناهيك) كافيك (من مدح) أى مدحه الذى هو الزاد كافيك ، لأن مدحه صلى الله عليه وسلم من الأعمال الصالحات (و) حظه (ناهيك) كافيك (من حظ) قال الخزرجى فى نشر طى البردة : قال صلى الله عليه وسلم : « من مدحنى ولو ببيت واحد ، كنت له شفيعا يوم القيامة » (ص) :

وَمَا قَدْرُ مَدْحِى لِلرَّسُولِ وَمَنْ أَنَا أَلَيْسَ الَّذِى أَسْرَى بِهِ اللهُ فَادَّنَا
إِلَيْــهِ فَأَعْطَاهُ وَزَادَ عَلَى الْمُنَى ظَهِيرُ الْوَرَى فِى مُعْضِلِ الدِّينِ وَالدُّنَا
رَءُوفٌ رَحِيمٌ غَيْرُ قَاسٍ وَلاَ فَظِّ

(ش) (وما) استفهام إنكارى (قدر) مقدار (مدحى) ثنائى (للرسول) صلى الله عليه وسلم (ومن أنا) الاستفهام إنكارى : أى لست بشىء ، ومقولى يكلّ عن ذلك ولو ساعد اللفظ .

والمعنى : أنه قد خرست عن ذلك ألسن الفصحاء ولم أقدر على العوم فى قاموس هذا البحر ، ومن ذا الذى يأتى على البحر بالدلو ، ومن ذا يكيل البحر والبحر مزبد . ورُؤى أبو حفص عمر بن الفارض فى المنام ، فقيل له لم لا مدحت النبى فأنشد رضى الله عنه قائلا :

أرى كل مدح فى النبى مقصّرا وإن بلغ المثنِى إليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذى هو أهله عليه فما مقدار ما تمدح الورى

ثم أخبر بأعظم معجزاته سوى القرآن بقوله : (أليس الذى أسرى به الله فادّنا) تقرب ، والاستفهام للتقرير : أى هو الذى أسرى به الله فأدناه إليه :

* دنوّ اصطفاء لا دنوّ مسافة *

أى قرّبه الله إليه فقرب «فكان قاب قوسين أو أدنى» (إليه) متعلق بأدنى فسار

(فأعطاه) الله مناه (وزاد) حتى زاد (على المنى) جمع منية : أى أعطى الله الرحيم لنبيه الكريم فوق ما طلب (ظهير) معين (الورى فى معضل) الذى لايهتدى لحله (الدّين والدّنا) أى معين الخلق فى الأمر الشديد الذى لا يهتدى لوجهه (رءوف) شديد الرحمة (رحيم) كثير الرحمة (غير قاس) القلب (ولا فظ) غليظ خشن الخلُق ، ومنه : « ولو كنت فظًّا غليظ القلب» (ص) :

رَسُولٌ هَدَاهُ اللهُ بِالْعِلْمِ فَاهْتَدَى ... وَرَاحَ لَهُ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ وَاغْتَدَى

يَجِلُّ عَنِ الْأَمْدَاحِ قَدْ جَازَتِ الْمَدَى ... ظَوَاهِرُهُ نُورٌ بَوَاطِنُهُ هُـــدَى

فَلاَ سَهْوَ فِي فِكْرٍ وَلاَ وَهْمَ مِنْ لَفْظِ

(ش) (رسول هداه) أرشده (الله) تعالى (بالعلم فاهتدى) فاسترشد (وراح له) أى إليه صلى الله عليه وسلم (جبريل بالوحى واغتدى) له جبريل عليه بالوحى ، ومراد الناظم دوام الإيحاء إليه لا لخصوص الوقتين ، قال التتائى رحمه الله : نزل جبريل عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة ، وعلى إبراهيم عليه السلام أربعين مرة ، وعلى موسى عليه السلام أربعمائة مرة ، وعلى أيوب عليه السلام ثلاث مرات ، وعيسى ، ويعقوب ، وإدريس ، عليهم الصلاة والسلام أربعا أربعا (يجل) يعظم عظما (عن الأمداح) والحال أن عظمته (قد جازت المدى) الغاية ، لأن عظمته غير متناهية والأمداح متناهية . والمعنى يجل : أى يعظم قدره عن الأمداح ، والحال أنه قد جازت الأمداح الغاية على فرض ذلك ، ولا سيما التى لم تجاوزها فحينئذ أفضلية أحدهما غير ممكن ، لأن ما لا يتناهى لا يفضله ما لا يتناهى ، والتفسير الأول أولى (ظواهره) صلى الله عليه وسلم (نور بواطنه) صلى الله عليه وسلم (هدى) « كانت عائشة رضى الله عنها تطلب الإبرة حين ضلت فى الظلام ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاء

الموضع الذى فيه الظلام ، فوجدت الإبرة فتبسمت عائشة رضى الله عنها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك يا عائشة تبسمت ؟ قالت يا رسول الله وجدت الإبرة ببياضك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة : الشقى لايرانى يوم القيامة » اللهم ارزقنا رؤيته فى الدنيا والآخرة ، وأما نور باطنه فهو ما أودع الله فى قلبه من علم وتقوى (ف) بسبب ذلك (لا سهو فى فكر) أى لايعترى سهو فى فكره لأنه عصم فى ظاهره وباطنه ، والفكر قوة فى الإنسان يحصل به التأمل (ولا وهم) غلط (من) وفى نسخة : فى (لفظ) وكل ما لفظ به فليس بالوهم « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » وفيه لف ونشر معكوس (ص) :

سَنَاهُ عَلَى نُورِ الْكَوَاكِبِ مُعْتَلِ ... يُشَيِّدُ أَرْكَانَ التُّقَى غَيْرَ مُؤْتَلِ

فَأَضْحَى عَلَى التَّعْذِيرِ مِنْ كُلِّ مُبْطِلِ ... ظَلَامُ اعْتِقَادِ الجَاهِلِيَّةِ مُنْجَلِ

بِنُورِ نَبِيٍّ لَيْسَ يَخْفَى عَلَى لَحْظِ

(ش) (سناه) نوره وضوؤه صلى الله عليه وسلم (على نور الكواكب) النجوم (معتل) مرتفع (يشيد) يطول ويقوى ، ومنه قوله «وقصر مشيد» وفى نسخة يمهد : أى يبسط (أركان التقى) جمع ركن وهو الجهة والجانب الأقوى ، ومنه : « أو آوى إلى ركن شديد » (غير) حال (مؤتل) مقصر الإتيان ، ومنه : « لايألونكم » وفى نسخة : غير متل بالإدغام ومعناهما واحد (فأضحى) النبى صلى الله عليه وسلم (على التعذير) إسقاط العذر والصفح : أى يأخذ العذر ويصفح بلا عتب (من كل مبطل) مفسد حال ، هذا إشارة إلى صبره وحلمه صلى الله عليه وسلم (ظلام اعتقاد الجاهلية منجل) منكشف (بنور نبى ليس) النور (يخفى على لحظ) بصر، وجملة النفى صفة لنور: أى أن ظلمة الكفر قد انكشفت

بنور نبي : أي بهدايته إياهم : أي اهتدوا به (ص) :

أَلَهْفِي عَلَى الْجِسْمِ الَّذِي أُودِعَ الثَّرَى وَنُورُ سَنَاهُ فِي السَّمٰوَاتِ قَدْ سَرَى
هُوَ الْمُصْطَفَى حَقًّا وَخَابَ مَنِ افْتَرَى ظِلاَلُ هُدَاهُ وَالنَّدَى عَمَّتِ الْوَرَى
وَمَنْ كَرَسُولِ اللهِ فِي الْبَذْلِ وَالْوَعْظِ

(ش) (ألهفى) يا حزنى وتحسّرى احضر هذا وقتك (على الجسم) الجسد (الذى أودع) أدخل ودفن فى (الثرى) التراب الندىّ ؛ من ظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غيّره طول المقام فى لحده فملعون ، ولم يفارقه تصرفه إلا ثلاثة أيام ، ثم بعد ذلك يتصرف كيف شاء . وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من نبي يموت ويقيم فى قبره إلا أربعين صباحا » (ونور سناه) ضوءه من إضافة الشيء إلى نفسه (فى السموات قد سرى) مشى ومضى ، ومنه : « والليل إذا يسرى » (هو المصطفى) المختار ، أحق ذلك (حقا) صدقا مصدر (وخاب) خسر (من افترى) اختلق الكذب فى ذلك وزعم أن الأمر ليس كذلك ، ومنه قوله تعالى : « وقد خاب من افترى » (ظلال هداه) إرشاده (و) ظلال (الندى) أى عطائه (عمت الورى) الخلق أجمعين : ملكا وإنسا وجنًّا وبهائم (ومن كرسول الله) صلى الله عليه وسلم (فى البذل) العطاء (والوعظ) التذكير بالعواقب : أى ليس له مثل فى عطائه ، ولا وعظه ، وفيه لفّ ونشر معكوس (ص) :

أُحِيلَ عَلَى خَفْضِ الْمَعَاشِ وَلِينِهِ فَلَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا احْتِيَاطًا لِدِينِهِ
وَكَانَ لِنَفْعِ الْغَيْرِ جُلُّ حَنِينِهِ ظِمَاءُ الْبَرَايَا أُرْوِيَتْ بِيَمِينِهِ
مِرَارًا فَأَنْجَى الْفَيْضُ فِيهَا مِنَ الْقَيْظِ

(ش) (أحيل) طلب أو أريد من الإحالة (على خفض) سعة ورفاهية (المعاش) ما يعاش به (ولينه) سهولته : أى طلب منه أن يكون عيشه فى هذه الدنيا واسعا و يلين له كل أمر (ف) أبى و (لم يرض) صلى الله عليه وسلم (بالدنيا) الدنية (احتياطاً) مفعول له : أى حفظاً (لدينه) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شِبَعاً قط ، ولم يبثّ شكوى إلى أحد قط ، وكانت الفاقة أحبَّ إليه من الغنى ، و إن كان لَيظل جائعاً يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ، ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ، ولقد كنت أبكى رحمة مما أرى به ، وأمسح بيدى على بطنه مما به من الجوع ، وأقول نفسى لك الفداء لو تبلّغت من الدنيا بما يقوتك ، فيقول يا عائشة : مالى وللدنيا؟ إخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشدّ من ذلك ، فمضوا على حالهم فقدِموا على ربهم فأكرم مآبهم ، وأجزل ثوابهم ، فأجدنى أستحيي إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غداً دونهم ، وما من شىء هو أحب إلىّ من اللحوق بإخوانى وأخلائى ، قالت : فما أقام بعدُ إلا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم » (وكان لنفع الغير) أى لنفع غيره (جلّ) عظيم (حنينه) شفقته لا لنفع نفسه ، وشوهد فى الدنيا من ذلك ما لا يحصى ، وفى عرصات الحشر يقول : أمتى أمتى ، تقدم :

ثمال اليتامى والمساكين لم يزل   لهم عنده ظل وريف وغيث

(ظماء) عطاش (البرايا) الخلائق (أرويت) من الرّىّ : أى شربت ما يكفيها من الماء (بيمينه) الميمونة (مرارا) مرة بعد مرة (فأنجى) أخلص (الفيض) السيل (فيها) فى اليمين (من الفيظ) بالفاء : الموت ، إشارة إلى نبع الماء من بين أصابعه حتى شربوا ورووا : كل عاطش وجد الماء وشربه فقد أنجى من

لَقَــدْ جَمَعَ اللهُ السِّيَادَةَ كُلَّهَا ... لِأَحْمَــدَ يَحْوِيهَا وَيَحْمِلُ كَلَّهَا
حِسَانُ الْأَيَادِي إِنْ عَدَاهَا فَمَنْ لَهَا ... ظُبَاتُ الْأَعَادِي فَلَّهَا وَأَذَلَّهَا
بِذِكْرٍ حَكِيمِ اللَّفْظِ مُتَّصِلِ الْحِفْظِ

(ش) والله (لقد جمع الله السيادة) الجلالة (كلها) على جميع أنواعها (لأحمد) المرتضى بشرى عيسى (يحويها) يجمع السيادة (ويحمل كلها) ثقل السيادة ، ومنه : « وهو كلٌّ على مولاه » (حسان) جمع حسنة (الأيادى) النعم (إن عداها) جاوز النبي تلك الحسان : أى لم يفعلها (فمن لها) فمن يفعلها؟ ليس لها أحد يقوم بها إلا هو ، وقد قال للذى قال له : هذه القسمة ما أريد بها وجه الله « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل » ونهى من أراد من أصحابه قتله (ظبات الأعادى) أى سيوف أعدائه (فلّها) كسرها (وأذلها) قهر أصحابها (بذكر) قرآن (حكيم) متقن (اللفظ) أى لفظه متقن (متصل الحفظ) حفظه متصل ، كما قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وفى بعض النسخ : حكيم النظم (ص) :

لَقَــدْ حَسِبُوهُ حِينَ لَجُّوا خُرَافَةً ... فَلَمَّا سَقَاهُمْ لِلْحُتُوفِ سُــلَافَةً
مَضَوْا يَحْسِبُونَ السَّيْفَ وَالنَّصْلَ آفَةً ... ظُنُونُهُمُ قَدْ أَخْلَفَتْهُمْ مَخَافَةً
فَلَا سَيْفَ فِي كَفٍّ وَلَا نَصْلَ فِي رُعْظِ

(ش) والله (لقد حسبوه) ظنوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم (حين لجوا) تمادوا فى كفرهم وضلالتهم ، ومنه : « للجوا فى طغيانهم » (خرافة) هو رجل أسرته الجن فطفق يخبر بما رأى عندهم من الأعاجيب (فلما سقاهم) أشربهم (للحتوف) جمع حتف : وهو الموت (سلافة) هى أول عصير العنب ، واستعارها لقصة الموت (مضوا) ذهبوا منهزمين (يحسبون) يظنون حال (السيف والنصل

آفة) أى يظنون من دهشتهم أن آلة القتال آفة عظيمة فيلقونها، والنصل: حديد السهم ، قال تعالى : « سيهزم الجمع و يولون الدبر ، بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمرّ » (ظنونهم) أى ظنون الكفار فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم من عدم تمام أمره (قد أخلفتهم) أبدلتهم (مخافة) خوف النبى صلى الله عليه وسلم (ف) بسبب ذلك (لاسيف فى كف) راجع لقوله : ظبات الأعادى الخ . (ولا نصل) حديد السهم (فى رعظ) هو مدخل النصل فى السهم (ص) :

هُنَالِكَ فُكَّتْ لِلْغَبِيِّ حُرُوفُهُ   وَبِالظِّلْفِ مِنْهُ مَا أُتِيحَتْ حُتُوفُهُ
وَحَاقَ بِهِمْ مَكْرُوهُهُ وَمَخُوفُهُ   ظَعَائِنُهُمْ قَدْ أَجْزَرَتْهَا سُيُوفُهُ
بِقَشْرِ بَنِي قَشْرٍ وَغَيْظِ بَنِي غَيْظِ

(ش) (هنالك) فى ذلك الزمان (فكت) أى فصلت ، ومنه : « فكّ رقبة » (للغبى) الأحمق القليل العقل (حروفه) أعضاؤه وأطرافه (و بالظلف) هو من الشاء والبقر كالظفر من الإنسان: والمراد به هنا: الحيل على وجه الاستعارة (منه) أى النبى صلى الله عليه وسلم حال أى و بساعده بالحيل، أو من الغبىّ (ما)موصولة: أى الذى (أتيحت) قدّرت (حتوفه) موت الغبى هنالك فكت ، وما عطف على الغبى ، وهذا كالمثل السائر : فلان باحث عن حتفه بظلفه . وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها ، فلم يجدوا الشفرة فنبشت بظلفها فى الأرض ، فاستخرجت منها شفرة فذبحوها بها : أى فهؤلاء سبب هلاك أنفسهم بآلات الإسلام (وحاق) نزل (بهم) بالكفار (مكروهه) أى الموت ، ومنه : « وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون » (ومخوفه) أى مايخافونه من صولته ، وما يكرهون من شدة حربه (ظعائنهم) جمع ظعينة : وهى المرأة فى الهودج ، والمراد هنا الشجعان (قد أجزرتها سيوفه) ذبحتها وكشطتها وجعلتها جزرا للسباع

وهو اللحم الذى تأكله ، والمراد بسيوفه سيوف أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين (بقسر) قهر (بنى قسر) وهم بطن من بجيلة، وهم رهط خالد بن عبد الله القسرى (و) مصاحب (غيظ) غضب (بنى غيظ) بطن من ذبيان ، سموا باسم أبيهم هو: غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن يعيص بن زيد بن غطفان (ص) :

فَكَمْ دَارِمٍ لِلْمَوْتِ مِنْ آلِ دَارِمٍ وَمِنْ صَارِمٍ أَبْلَى بِهَامَةِ صَارِمٍ
وَكَمْ مِنْ أَبِيٍّ فِى الْعَرَمْرَمِ عَارِمٍ ظَنَابِيبُهُمْ مَقْرُوعَةٌ بِصَوَارِمِ
مِنَ الحَقِّ تَغْدُو فِى الْكَلاَءَةِ وَالحِفْظِ

(ش) (فكم دارم للموت) متقارب الخطا فى عجلة ، من درم يدرم فهو دارم ، إذا مشى وقارب الخطوة : فهو مِشية من يساق إلى الموت، و (من) بيان (آل دارم) قبيلة من تميم ، والفرزدق منهم ، أهلكهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (و) كم (من) سيف (صارم) قاطع (أبلى) أهلك أو اختبر وجرب (بهامة) رأس (صارم) رجل شجاع (وكم من أبىّ) عزيز ممتنع (فى العرمرم) الجيش الكثير (عارم) سيئ الخلق ، أهلكه صلى الله عليه وسلم (ظنابيبهم) جمع ظنبوب : هو العظم الذى فى مقدم الساق (مقروعة) مضروبة (بصوارم) بسيوف قواطع (من الحق) متعلق بصوارم ، ومن للبيان (تغدو) أى السيوف (فى الكلاءة) فى حفظ الله إياهم (والحفظ) الصيانة أو من الحق متعلق بتغدو وهى تعليلية : أى تغدو فى الحفظ والصيانة لأجل الحق (ص) :

أَبَدْنَاهُمُ بِالسَّيْفِ إِلاَّ مَنِ اتَّقَى حُسَاماً سَقَاهُمْ لِلْمَنِيَّةِ مَا سَقَى
بِهِ حِينَ لَمْ تُجْدِ التَّمَائِمُ وَالرُّقَى فَأَرْنَاهُمُ كُرْهًا عَلَى الْبِرِّ وَالتُّقَى
وَقَدْ بَلَغُوا المَجْهُودَ فى الدَّفْعِ وَالدَّلْظِ

(ش) (أبدناهم) أهلكنا الكفار (بالسيف) بسيوفنا (إلا من اتقى)

من خاف الله واتقى الشرك (حساما) سيفا ، والظاهر أنه مفعول اتقى فآمن لأجل ذلك ، و يحتمل أن يكون حالا من السيف : أى حال كونه قاطعا (سقام) أى النبى صلى الله عليه وسلم أو السيف القاطع ، و يقال للنبى صلى الله عليه وسلم سيف الله كما قال كعب بن زهير رضى الله عنه :

إن الرسول لنور يستضاء به ❊ مهند من سيوف الهند مسلول

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : قل من سيوف الله (للمنية) للموت (ماسقا) ثم أشربهم النبى صلى الله عليه وسلم ما أشربهم للموت : أى شىء عظيم (به) صلى الله عليه وسلم ، أو بالسيف متعلق بسقا أو بظأرناهم ، كما فى شأن التخميس

حين لم تجد) لم تنفع (التمائم) جمع تميمة : وهى خرزة كانت العرب تعلقها للتعوذ (والرقى) جمع رقية : وهى التعوذات (ظأرناهم) أكرهناهم وقهرناهم ، أو عطفناهم (كرها) جبرا (على البر) خلاف العنف ، والمراد به هنا الإسلام بدليل (والتقى) جمع تقاة (و) الحال أنهم (قد بلغوا المجهود) غايتهم وطاقتهم (فى الدفع) فى دفع ذلك عن أنفسهم بقهرهم وتمائمهم ورقاهم (والدلظ) مثل الدفع فى الصدر إلا أنه مع الضرب (ص) :

بِمَنْ لَمْ يَزَلْ لِلْعَيْنِ وَالْقَلْبِ نُزْهَةً ❊ أَنَبْنَا وَوَلينَا إِلَى اللهِ وِجْهَةً
وَمَنْ لَمْ يُصَاحِبْنَا شَدَهْنَاهُ شَدْهَةً ❊ ظُهُورُ رَسُولِ اللهِ أَفْحَمُ شُبْهَةً
لِشِرْذِمَةٍ كَادَتْ تَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ

(ش) (بمن لم يزل) يتعلق بقوله : أبدناهم ، أو هو متعلق بأنبنا ، و (للعين والقلب نزهة) فرحة خبر لم يزل (أنبنا) رجعنا (وولينا) وجهنا (إلى الله وجهة) أى جعلنا وجهتنا إلى الله ، بمعنى نردّ أمرنا إلى الله لا إلى غيره « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (ومن لم يصاحبنا) باتباع ديننا وأبى أن يدخل فيه

(شدهناه) شدخنا رأسه ، أو خوفناه ، أو صدمناه ، أو حيرناه (شدهةً * ظهور رسول الله) أى حجته الواضحة (أفحم) أذهب وأسكت (شبهة) تلبيسا و إسناد الإفحام إلى الشبهة مجاز ، والمراد به هنا من كان على غير الحق أفحمه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يقدر على معارضته ، وتلك الشبهة كانت (لشرذمة) لطائفة وقطعة من الناس ، ومنه : « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » (كادت) قاربت (تميز) تقطع (من) أجل (الغيظ) الغضب الكائن للعاجز ، ومنه : « تكاد تميّز من الغيظ » (ص) :

أُضِفْنَا إِلَيْهِ فَاحْتُرِمْنَا بِحُرْمَةٍ ... عَلَوْنَا بِهَا الجَوْزَاء رِفْعَةَ هِمَّةِ

لَدُنْ قِيلَ فِينَا كُنتُمُ خَيْرَ أُمَّةٍ ... ظَلِلْنَا لَدَيْهِ تَحْتَ وَابِلِ رَحْمَةِ

فَلاَ خَوْفَ مِنْ حَيْفٍ وَلاَ عَضَّ مِنْ عَظٍّ

(ش) (أضفنا) انضممنا (إليه) صلى الله عليه وسلم حيث قيل لنا أمة محمد (فاحترمنا) أى صرنا ذا حرمة عظيمة (بحرمة) بسبب حرمته . قال ابن سبع فى شفائه ، قال بعض العلماء : إن الله تعالى سوّى أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع خليله إبراهيم عليه السلام باثنتى عشرة خصلة ، أولها قوله تعالى : « و إبراهيم الذى وفى » وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم « يوفون بالنذر » الثانى : قال لخليله عليه السلام : « ولقد اصطفيناه فى الدنيا » وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » الثالث قال لخليله : « شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم » وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم « هو اجتباكم » الرابع قال لخليله : « وآتيناه أجره فى الدنيا و إنه فى الآخرة لمن الصالحين » وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » الخامس قال لخليله : « وهداه إلى

صراط مستقيم » وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم « وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم» والسادس : قال لخليله « إنه من عبادنا المؤمنين » وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم « وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً » ، وقال «قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة» وقال: «قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم » والسابع : قال لخليله عليه السلام « فبشرناه بغلام حليم » وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » وقال : « وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً» والثامن : قال لخليله عليه السلام « قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم » وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » التاسع : قال لخليله عليه السلام « وتب علينا إنك أنت التوّاب الرحيم » وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم «ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات» والعاشر: قال لخليله عليه السلام «الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق» وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » والحادى عشر : قال لخليله عليه السلام « ربنا تقبل منا » وقال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بغير سؤال « أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا » الآية ، وقال : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده » والثانى عشر : قال الخليل لجبريل عليهما السلام لما قال له «ألك حاجة ؟ قال :أما إليك فلا ، ثم قال حسبى الله » وقال بعد ما أخبر عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم : « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » وقال بعض العارفين: إن الله تعالى سوّى أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع حبيبه ورسوله فى اثنتى عشرة خصلة . الأولى : قال الله تعالى لحبيبه : « إن الله وملائكته يصلون على النبىّ » وقال لأمته « هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور » الثانية : قال لحبيبه « ما كان على النبىّ من حرج» وقال لأمته « وما جعل عليكم

فى الدين من حرج » والثالثة : قال لحبيبه « و يتمّ نعمته عليك » وقال لأمته « وأتممت عليكم نعمتى » والرابعة : قال لحبيبه « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » وقال لأمته « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » والخامسة : قال لحبيبه « و ينصرك الله نصراً عزيزاً » وقال لأمته « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » والسادسة : قال لحبيبه « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا » وقال لأمته « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » والسابعة : قال لحبيبه « ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر » وقال لأمته «لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا » والثامنة : قال لحبيبه « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وقال لأمته « رضى الله عنهم ورضوا عنه » والتاسعة : قال لحبيبه « و إن لك لأجراً غير ممنون » وقال لأمته « فلهم أجر غير ممنون » والعاشرة : قال لحبيبه «فإنما يسرناه بلسانك» وقال لأمته« ولقد يسرنا القرآن للذكر» والحادية عشرة: قال لحبيبه « ألم نشرح لك صدرك » وقال لأمته«أفمن شرح الله صدره للإسلام» والثانية عشرة : قال لحبيبه « أليس الله بكافٍ عبده » وقال لأمته « وكفى الله المؤمنين القتال » انتهى . (علونا) رفعنا (بها) بالحرمة (الجوزاء) برج من بروج السماء (رفعة همة) رفعة مثل رفعة همة ، أى علونا الجوزاء بسبب حرمته أى علوّ همة (لدن) ظرف غير متمكن بمنزلة عند لأول غاية زمان أو مكان وتضاف إلى مفرد و إلى جملة يتعلق بعلونا (قيل) أى قال الله تبارك وتعالى (فينا : كنتم خير أمة) أخرجت، وهذه الخيرية تحصل بالإيمان والاقتداء بسنته و يتفاوتون فى الشر وعلى حسب تفاوتهم فى الأسوة له (ظللنا) صرنا أو أقمنا (لديه) عنده ، ومنه قوله تعالى : « ظلت عليه عاكفا » وهو فى الأصل ظللت حذفت إحدى اللامين وليس بقياس ، ولكن جاء عن العرب مثله فى أحرف

معدودة (تحت وابل) كثير (رحمة) وهـذا تمثيل وتشبيه (ف) بسبب ذلك (لاخوف من حيف) جور وظلم، ومنه: «أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله» (ولا عضّ) بأسنان ، ومنه : « يوم يَعَضّ الظالم على يديه » (من عظ) شدة الزمان أو شدة الحرب : أى لايصيبنا واحدة منهما بسبب كوننا تحت وابل رحمة (ص) :

قَمَعْنَا الْعِدَا لَمَّا أَوَيْنَا لِظِلِّهَا وَنِلْنَا الْهُدَى مِنْ وَبْلِهَا بَعْدَ طَلِّهَا
بِيُمْنِ نَبِيٍّ فَضْلُهُ أَصْلُ فَضْلِهَا ظَهَرْنَا بِهِ فَوْقَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
فَنَحْنُ أَحَظُّ النَّاسِ فِي شَرَفِ الْأَحْظ

(ش) (قمعنا) غلبنا وقهرنا (العدا) أعداءنا (لما) حين (أوينا) رجعنا (لظلها) إلى ظل تلك الرحمة (ونلنا) أصبنا (الهدى) الرشد (من وبلها) من مطر الرحمة الكثير (بعد طلها) أى الرحمة : أى مطرها الضعيف ، ومنه : « فإن لم يصبها وابل فطلّ » والمراد عموم دعوته ، لأن الإسلام فى ابتدائه كان ضعيفاً ، ولم يزل يتزايد حتى كثر :

* فقد دان مابين الأحابيش والترك *

أو الطل إرشاد النبيين قبله لعدم عمومها ، والوبل إرشاده لعمومها ، وهو الأظهر فى مراد الناظم (بيمن) بركة متعلق بقمعنا (نبى) صلى الله عليه وسلم (فضله) أى النبى (أصل فضلها) الأمة : أى فضل النبى صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصل لفضل أمته على سائر الأمم، والجملة صفة لنبى قال البوصيرى رحمه الله :

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا من العناية ركناً غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

(ظهرنا) علونا ، ومنه : « فما اسطاعوا أن يظهروه » (به) بسبب اتباعه (فوق البرية) الخلائق (كلها . فنحن) معاشر الأمة (أحظ الناس) أكثرهم نصيبا (فى شرف) رفعة (الأحظ) أصله الأحظظ ، وهو النصيب والمعنى : درجتنا أفضل درجة من درجة سائر الناس . وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن جبريل عليه السلام عن ربه تبارك وتعالى قال : « مننت عليك بسبعة أشياء ، أولها: أنى لم أخلق فى السماء والأرض أكرم علىّ منك ، والثانى : أن مائة ألف نبىّ وأربعة وعشرين ألفَ نبى كلهم مشتاقون إليك وإلى أمتك . والثالث : لم أعط أمتك مالاً كثيرا حتى لايطول عليهم حسابهم ، والرابع : أنى لم أطل أعمارهم حتى لاتجتمع عليهم الذنوب كثيرا. والخامس : لم أعطهم من القوة ما أعطيت مَن قبلهم حتى لايدّعوا الربوبية كما فعلت الأمم السابقة . والسادس : أخرتهم فى آخر الزمان حتى لايطول مقامهم تحت التراب . والسابع : لم أعاقب فى أمتك كما عاقبت بنى إسرائيل ، كانوا إذا أصابهم دم حيض فى ثيابهم أمرت بقطعه ولايجوز لهم الغسل ، وإذا أذنبوا أمرت بقطع عضو وفقءْ عين، وكانوا إذا أذنبوا ذنبا وجدوه مكتوبا على أبوابهم » (ص):

نَبِىٌّ جَرَى الْمَاءُ النَّمِيرُ بِرَاحِهِ ۝ وَمَدَّ لَهُ جِبْرِيلُ فَضْلَ جَنَاحِهِ
وَكَمْ آيَةٍ جَاءَتْ بِوَفْقِ اقْتِرَاحِهِ ۝ ظَهِيرَةُ خَوْفٍ سَحْرَةٌ بِامْتِدَاحِهِ
وَذُو الظِّلِّ لايَغْشَاهُ لَفْحٌ مِنَ الْقَيْظِ

(ش) (نبى جرى) نبع (الماء النمير) العذب (براحه) فى كفه ، هذا إشارة إلى نبع الماء من بين أصابعه ، والمراد براحه يمينه بدليل :

* ظماء البرايا أرويت بيمينه *

وإنما جمع الراحة للتعظيم ، أو باعتبار التكرار كما سيأتى :

* سقتنا مرارا راحة هاشميـــة *

(ومد) أى بسط (له) صلى الله عليه وسلم (جبريل فضل جناحه) أى جناحه الفضل من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، أو معنى : فضل جناحه كل جناحه لابعضه ليلة الإسراء فرحا لصعوده صلى الله عليه وسلم. وعن عبد الله رضى الله عنه فى قوله تعالى : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » رأى جبريل فى صورته له ستمائة جَناح . قال فى «غاية الابتهاج فى أعجوبة المعراج» : فسأله النبى صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه فى الصورة التى خلقه الله عليها، فأراه نفسه مرتين: مرة فى الأرض ، ومرة فى السماء ، فأما فى الأرض : ففى الأفق الأعلى من المشرق وكان النبى صلى الله عليه وسلم بحراء ، فطلع جبريل عليه السلام من المشرق فسدت الأرض من المشرق إلى المغرب ، فخرّ النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه، فنزل إليه جبريل فى صورة الآدمى وضمه إلى نفسه ، وجعل يمسح الغبار عن وجهه ، فلما أفاق النبى صلى الله عليه وسلم قال : يا جبريل ماظننت أن الله تعالى خلق أحداً على مثل هذه الصورة، فقال يا محمد: إنما نشرت جناحين من أجنحتى وإن لى ستمائة جناح ، سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب ، فقال إن هذا لعظيم ، فقال وما أنا فى جنب ماخلق الله تعالى إلا يسيرا ؛ ولقد خلق الله تعالى إسرافيل له ستمائة جناح ، كل جناح قدر جميع أجنحتى ، وإنه يتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون قدر الوصع ، يعنى : العصفور الصغير (وكم) كثير من (آية) معجزة (جاءة) ه صلى الله عليه وسلم (بوفق اقتراحه) بموافقة منيته ، أو سؤاله عن غير تفكر أو استنباطه من غير سماع ، أو مع موافقة اختراعه . هذه إشارة إلى ما اطلع عليه من الغيب، كقوله: «سيكون فى هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه» انظر الشفا (ظهيرة) هاجرة (خوفى) أى شدة حزنها وخوفى لكثرة ذنوبى (سحرة) صار سحراً علىّ : أى ظلالا

شمس فيه تخوفنى (ب) سبب (امتداحه) إمداحى إياه ، أو لأجل مدحه كأن قائلا قال له : لم عادت عليك سحرة قال (وذو الظل) صاحب الظل الداخل فيه (لايغشاه) يأتيه ولا يغطيه (لفح) حرّ ، ومنه : « تلفح وجوههم النار » (من القيظ) شـدة الحر فى الصيف . المعنى : من دخل الجنة لايرى فيها إلا ما يبغى ، بل وفوق ذلك مما يبغى ، لأن فيها « ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » كما فى الحديث (ص) :

أَلاَ هَلْ لِمَنْ يَشْتَاقُهُ يَوْمَ مَوْرِدِى ⠀⠀ يُعَفِّرُ خَـدًّا عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدِ

إِلَى اللهِ أَشْـكُو لَوْعَةَ الْهَائِمِ الصَّدِى ⠀⠀ ظَمِئْتُ إِلَى تَقْبِيلِ آثَارِ أَحْمَدِ

فَهَا أَنَا لِلْأَظْمَاءِ مُتَّصِلُ اللَّمْظِ

(ش) (ألا) انتبه (هل) حرف استفهام معناه التمنى (لمن يشتاقه) يحبه ويهواه (يوم موردى) بالرفع والنصب : أى يوم ورودى ، أى مجيئه المدينة (يعفر) يمرغ المشتاق (خدًّا) منه (عند قبر محمد) صلى الله عليه وسلم .

والمعنى : هل للمولع الهائم الصدى الذى يشتاق للماء يوم ورود الماء أن يكرع فى ذلك الماء حتى يمرغ خده لأجل شدة عطشه ، نعم له ذلك يعضده البيت الذى بعده (إلى الله) لا إلى غيره (أشكو) من الشكوى (لوعة) حرقة (الهائم) الحيران (الصدى) العطشان (ظمئت) عطشت (إلى تقبيل آثار أحمد) المرتضى بشرى عيسى ، وأراد بالآثار عرصات المدينة وربوعها وجدرانها ، ونحو ذلك مما قعد عليه أو مشى أو نظر أو مسّ ، وكذلك فى مكة (فها) حرف تنبيه (أنا للأظماء) جمع ظامئ (متصل اللمظ) وهو لعق الشفتين باللسان ، أو ذواق الماء بطرف اللسان (ص) :

تَبَارَكَ مَنْ سَوَّاهُ لِلْفَضْلِ صُورَةً ⠀⠀ وَعَلَّمَهُ الْآدَابَ أَجْمَعَ سُـورَةً

وَلَمَّا لَوَانِ الْبُعْدُ عَنْهُ ضَرُورَةً ظَعَنْتُ إِلَيْهِ بِالْفُؤَادِ صَرُورَة
وَجِسْمِي رَهِينٌ لِلتَّحَرُّقِ وَالنَّشْطِ

(ش) (تبارك) تنزه عن كل مالا يليق به ، وتقدس عن النقائص وتعالى أن يدركه الوهم (من) فاعل (سوّاه) جعله مستوى الخلق سالم الأعضاء (للفضل) لفضله إياه ، ومنه : « الذى خلقك فسوّاك » (صورة) تمييز أو بدل من الضمير الذى فى سواه: أى سوى صورته لأجل فضله إياه (و) تبارك من (علمه) أى النبي صلى الله عليه وسلم (الآداب) جمع أدب: وهو مايحسن به حالة الإنسان بينه و بين ربه ، و بين الملائكة و بينه و بين الناس ، أى يريهم الرشد فى أمر دينهم (أجمع) على جميع أنواعه ، وهو تأكيد للمفعول الثانى أو توكيد لـ (سورة) أى منزلة (ولما لوانى البعد) عطفنى أو أخرنى (عنه) عن الوصول إليه (ضرورة) لأجل الضرورة : وهى مالا يمكن الانفكاك عنه (ظعنت) رحلت ومرت ، ومنه : « يوم ظعنكم » (إليه) إلى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم (بالفؤاد) بقلبي حال كونى (صرورة) لم أحج قط ، وفى نسخة : ولما أوانى البعد : أى ضمنى (و) إذا أقمت ولم أقدر إلى المشى إليه (جسمى) جسدى (رهين) مرهون ، ومنه : « كل امرئ بما كسب رهين » (للتحرق والنشط) لفظان مترادفان بمعنى واحد (ص) :

أَقَمْتُ عَلَى شَوْقٍ صُلِيتُ بِجَمْرِهِ وَكَمْ رُمْتُ تَرْحَالاً أَفُوزُ بِبِرِّهِ
وَذَنْبِيَ أَقْصَانِي فَبُؤْتُ بِخُسْرِهِ ظَنَنْتُ بِأَمْثَالِي زِيَارَةَ قَبْرِهِ
وَهَيْهَاتَ هٰذَا الظَّنُّ أَجْدَرُ بِاللَّغْطِ

(ش) (أقمت) من الإقامة (على شوق) حبّ (صليت) احترقت (بجمره * وكم رمت) طلبت (ترحالا) ارتحالا وانتقالا (أفوز) فوزاً كبيراً :

أى أظفر (ببرّه) بطاعة الترحال ، والأظهر : أن الضمير المجرور عائد على الممدوح صلى الله عليه وسلم : أى أفوز بخيره الواسع الذى فى زيارته وجواره ، لأن البر يتناول كل خير وجملة أفوز ببره صفة لترحالا ، وفى الحـديث : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » إلى غير ذلك من الأحاديث (و) ما حال بينى و بينه إلا (ذنبى) فإنه (أقصانى) أبعدنى ، ومنه قوله: « مكاناً قصياً » (فبؤت) رجعت (بخسره) بخسران الذنب ، وفى الحديث : « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » وفى الحديث أيضاً: «من قارف ذنباً فارقه عقله لا يعود إليه أبدا» (ظننت بأمثالى) بمثلى ، والمراد نفسه (زيارة قبره) صلى الله عليه وسلم (وهيهات) بعد ، ومنه : « هيهات هيهات لما توعدون » (هـذا الظن) مبتدأ (أجدر) أحق خبره ، ومنه : « وأجدر ألا يعلموا » (باللفظ) .

والمعنى : هذا الظن أجدر بالمدح الذى هو مدحى وقصائدى ، فهى التى تصل إلى الروضة وتنشد عنها لا نفسى ، أو هذا الظن أحق باللفظ ، يعنى لفظ هيهات ، وهيهات حال ، والحال هيهات الزيارة المظنونة (ص) :

مَتَى مَاتَذَكَّرْتُ النَّبِيَّ وَعَهْدَهُ ... وَقَاسَى فُؤَادِي لِلصَّبَابَةِ وَجْدَهُ

وَلَمْ أَرَ فِيهِ غَيْرَ مَثْوَاهُ وَحْدَهُ ... طَأَرْتُ عَلَى صَبْرِ الضَّرُورَةِ بَعْدَهُ

فُؤَادِي وَصَدْرِي لِلتَّشَوُّقِ فِي كَظٍّ

(ش) (متى ما) زائدة لعموم الأزمنة ، أى كلما (تذكرت) فى فؤادى (النبىّ) صلى الله عليه وسلم (و) تذكرت (عهده) زمانه أو مكانه ، أو منزله (وقاسى) كابد (فؤادى للصبابة) لأجل شوقى إياه (وجده) حزنه (ولم أر فيه) فى فؤادى (غير مثواه) مقامه ومنزله ، ومنه : « أكرمى مثواه » (وحده) أى منفردا حال . يعنى أن حب النبى صلى الله عليه وسلم نزل فى قلبى وقبله قبول

السخى للأضياف (ظأرت) أكرهت أو رجعت جواب متى (على) ذى (صبر الضرورة بعده) بعد فقد زيارته (فؤادى) مفعول ظأرت (و) الحال أن (صدرى للتشوق) لأجل شوقى إياه (فى كظ) فى امتلاء الكرب والجهد ، أو الشوق (ص) :

مُنَى النَّفْسِ لَوْ نَفْسِي أُتِيحَ اقْتِرَاحُهَا ... لَدَى رَوْضَةٍ يَنْفِي الْكُرُوبَ الْتِمَاحُهَا

فَقُلْتُ وَنَفْسِي قَدْ تَنَاهَى ارْتِيَاحُهَا ... ظِرَابُ نَوَاحِي يَثْرِبٍ وَبِطَاحُهَا

مُنَايَ وَهَلْ يَحْظَى بِهَا غَيْرُ مَنْ أُحْظِي

(ش) (منى النفس) ما يتمناه نفسى مبتدأ (لو نفسى أتيح) قدّر (اقتراحها) سؤالها أو حبها (لدى) خبر المبتدأ (روضة) قبر ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » وجملة لو نفسى اعتراضية (ينفى) يطرد (الكروب) جمع كرب : وهو الحزن والشدة (التماحها) نظرها (فقلت و) الحال أن (نفسى قد تناهى) بلغ الغاية (ارتياحها) فرحها ونشاطها ، ومفعول القول (ظراب) جبال (نواحى) جهات (يثرب) مدينة الرسول : جمع ظرب ، وهو الجبل الصغير (و بطاحها) جمع بطحاء : وهو المسيل الواسع ، فيه حصى ظراب مبتدأ وخبره (مناى) مرادى (وهل يحظى) ينال الحظ (بها) بالظراب (غير من أحظى) أى أسعد فى الأزل ، وقدّر له الحظ .

وهنا انتهى حرف الظاء ، ويتلوه حرف العين إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف العين

لما فرغ من مدح سيد المرسلين فى حرف الظاء ، أراد أن يشرع فى حرف العين ، منذرا بذكر بغتة الممات ، وأنها هاذم اللذات ، والاشتغال بذكرها خير الاستعداد ، به ينجو المرء من عذاب يوم المعاد وهى مقصد ، ولذلك قال (ص) :

أَلَا فَاخْشَ سَهْمَ الْمَوْتِ عَنْ كُلِّ مَرْصَدِ ... وَخَفْ رَامِياً مِنْهُ مَتَى يَرْمِ يَقْصِدِ
وَإِنْ شِئْتَ فَوْزًا بِالنَّعِيمِ الْمُخَلَّدِ ... عَلَيْكَ بِمَدْحِ الْهَاشِمِىِّ مُحَمَّدِ

فَلَا مَدْحَ أَزْكَى مِنْهُ فِى الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ

(ش) (ألا) للتنبيه (فاخش) خف (سهم الموت من كل مرصد) موضع الرصد : أى خف سهم الذى كتب عليك وهو الموت ، وترصدك فى كل مرصد ، والسهم : الحظ والنصيب ، أو جعل الموت سهما يرمى به بدليل (وخف رامياً منه) أى احترس من الموت دائماً ، بأن تكون فى كل لحظة على أهبة نزوله بك (متى) اسم شرط (يرم يقصد) يصب و يقتل : فعل شرط وجوابه ، و إذا علم العبد أن الموت ليس له زمان معلوم ولا مرض معلوم ، فليس له أن يغفل عنه بما يحصله من زهرة الدنيا ، بل يتأهب له قبل هجومه ، وذلك بحسن الاستعداد بأخذ الزاد للمعاد (و إن شئت فوزا) ظفرا (بالنعيم المخلد) وهو الجنة (عليك بمدح الهاشمىّ محمد) الباء زائدة : أى الزم مدح النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنه قوله تعالى: « عليكم أنفسكم » (فلا مدح) لاثناء لأحد (أزكى) أطهر (منه) من مدحه (فى) حكم (العقل و) فى حكم (الشرع) وفى حكم العادة ، إذ جبلت القلوب إلى حب من أحسن إليها ، ومدح المحسن واجب : وأىّ محسن أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنقذنا به من الغواية وسلكنا به طريق الهداية

فجزاه الله عنا خيراً ، وأحسن ما جزى نبيًّا عن أمته (ص) :

فَدُونَكَ فَاجْهَدْ نَفْسَكَ الدَّهْرَ مُثْنِيَا ... بِمَا شِئْتَ مِنْ مَدْحٍ وَلَسْتَ مُوَفِّيَا
حَقِيقَةَ مَا قَدْ شَادَ مُذْ كَانَ مُعْلِيَا ... عِمَادُ الْوَرَى وَالْمُزْنُ قَدْ شَحَّ بِالْحَيَا
غِيَاثُهُمُ وَالْبَرْقُ قَدْ ضَنَّ بِاللَّمْعِ

(ش) (فدونك) اسم فعل بمعنى خذ (فاجهد) أتعب (نفسك) روحك في (الدهر) حال كونك (مثنيا) مادحاً لأفضل النبيين عليهم الصلاة والسلام (بما شئت) أردت (من مدح) نظماً ونثراً .

* واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم *

ومع اجتهادك (لست موفيا) مكملا (حقيقة) مفعول موفيا (ما قد شاد) أعلى (مذ كان) صلى الله عليه وسلم (معليا) رافعا ، مذ ظرف لشاد ، هو (عماد الورى) من يقوم به أمور الخلائق قيام الخباء بالعمود (والمزن) السحاب (قد شح) بخل (بالحيا) بالمطر ، ومنه : « ومن يوق شحّ نفسه » هو (غياثهم) ناصرهم ومعينهم (والبرق) السحاب البارق (قد ضن) بخل (باللمع) الضوء والواو للحال (ص) :

فَلِلَّهِ ذِكْرٌ مِنْهُ فِى الْقَلْبِ قَدْ حَلاَ ... وَدِينٌ قَوِيمٌ لَمْ يُقَصِّرْ وَلاَ غَلاَ
وَفَرْعٌ عَلَى خَيْرِ الْأُصُولِ تَأَصَّلاَ ... عَرِيقُ السَّجَايَا فِى الْمَكَارِمِ وَالْعُلاَ
فَنَاهِيكَ مِنْ أَصْلٍ وَنَاهِيكَ مِنْ فَرْعِ

(ش) (فلله) درّ (ذكر) ثناء جميل (منه) صلى الله عليه وسلم (في القلب) في قلب المؤمن (قد حلا) لذّ (و) لله درّ (دين قويم) مستقيم ، ومنه : « ديناً قيماً » (لم يقصر) لم ينقص منه شيئاً (ولا غلا) جاوز الحد : أي لم يكتم شيئاً ما أمر بتبليغه ولم يزد فيه ، ووقف عند ما حدّ له (و) لله در

(فرع) أعلى (على خير الأصول) جمع أصل (تأصلا) جعل أصلا و به يتعلق المجرور (عريق) أصيل (السجايا) أعرق الرجل : صار عريقا ، وهو الذى له أصل وشرف ، والسجايا : جمع سجية ، وهى الطبيعة (فى المكارم والعلا) فى مكارمه وعلاه (فناهيك) كافيك أصله (من أصل وناهيك) كافيك فرعه (من فرع) وتقدم :

كلا طرفيه فى السيادة معروف فما شئت من أس كريم ومن سمك

(ص) :

مِنَ الْقَوْمِ لاَحَقٌّ يُضَاعُ لَدَيْهِمُ لَهُمْ شَرَفٌ أَسْنَاهُ أَنْ كَانَ مِنْهُمُ
فَكَمْ أَثْرَةٍ فِى الدَّهْرِ أَبْقَى إِلَيْهِمُ عَطُوفٌ عَلَى السُّؤَّالِ حَانٍ عَلَيْهِمُ
صَفُوحٌ بِلاَ عَتْبٍ جَوَادٌ بِلاَ مَنْعِ

(ش) وهذا الفرع أخرج (من القوم لاحق) ضد الباطل (يضاع) من الضياعة (لديهم) عندهم : أى لايضيعون شيئا من الحق (لهم شرف) مجد (أسناه) أرفعه (أن كان منهم) أى كونه صلى الله عليه وسلم زاد شرفهم شرفا ، أو المعنى لهم شرف أرفع شرفهم من أجل أنه صلى الله عليه وسلم منهم هذا غاية شرف ونهاية مجد ، والمراد بالقوم هنا بنو هاشم :

فأصل خير عباد الله من مضر ومن نزار إلى عدنان ذى كرم
خير الجدود جدود الخير إنهم هم الجدود لخير الخلق كلهم
عز النخيـل بعز التمر إنهم بعز سـيدنا اعتزوا على الأمم
من ذا يفاخرهم فالمجـد ميزهم عن الأكابر والأبناء فى القدم

(فكم أثرة) خصلة جميلة تؤثر (فى الدهر) الزمان (أبقى) أخلد (إليهم) وفضلوا به على غيرهم ، هو (عطوف) كثير الرحمة (على السؤّال) العافين (حان) من الحنو

وهو الشفقة والعطف (عليهم) السؤال (صفوح) كثير العفو (بلا عتب) لوم (جواد) كثير الجود (بلا منع) حرمان (ص) :

فَبِالحَقِّ قَدْ وَصَّى وَبِاللهِ قَدْ وَصَا ... وَمِنْ كُلِّ جَبَّارٍ بِنَاصِيَةٍ نَصَى

مَنَاقِبُهُ لاَ وَصْمَ فِيهَا لِمَنْ لَصَا ... عَجَائِبُهُ كَالتُّرْبِ وَالشُّهْبِ وَالحَصَى

وَذَلِكَ عَنْ أَمْثَالِهِ لَيْسَ بِالْبِدْعِ

(ش) (فبالحق) ضد الباطل (قد وصى) من الوصية : أى وصى جميع الأمة على الحق وحضهم عليه . وقال صلى الله عليه وسلم : « إنى تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتى فانظروا كيف تخلفونى فيها » (وبالله قد وصا) قد وصل الناس بدين الله (ومن كل جبار بناصية نصى) أخذ على ناصية كل متكبر ، والناصية : شعر مقدم الرأس ، ومنه: « لنسفعا بالناصية » وقوله: « من كل حال من ناصية » (مناقبه) فضائله صلى الله عليه وسلم (لا وصم) عيب (فيها) أى المناقب (لمن لصا) ارتاح ، أو لمن أراد أن يعيبها (عجائبه) صلى الله عليه وسلم (كالترب) كثرة (والشهب) كثرة وضياء (والحصى) كثرة جمع حصاة (وذلك) ما ذكر من كثرة عجائبه يرى (عن أمثاله ليس بالبدع) بالعجب من أمثال الأنبياء المتقدمين عليهم الصلاة والسلام قبله ليس بدعا منه ، قال تعالى : « قل ما كنت بدعًا من الرسل » والمراد بالأمثال نفسه لا شخص آخر يماثله (ص) :

رَسُولٌ جَمِيعُ الرُّسْلِ دُونَ مَقَامِهِ ... بَصِيرٌ يَرَى مَا خَلْفَهُ مِنْ أَمَامِهِ

عَلِيمٌ بِمَا فِى الْقَلْبِ حَالَ اكْتِتَامِهِ ... عُلُومُ الْوَرَى فِى لَفْظَةٍ مِنْ كَلاَمِهِ

وَلاَ عَجَبٌ أَنْ يُعْدَلَ الْفَرْدُ بِالجَمْعِ

(ش) هو (رسول جميع الرسل) عليه وعليهم الصلاة والسلام (دون مقامه) تحت درجته ، هو (بصير يرى ماخلفه من أمامه) وقال مجاهد رضى الله عنه : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام للصلاة يرى من خلفه كما يرى بين يديه » (عليم) بتعليم الله إياه (بما فى القلب) فى (حال اكتتامه) استتار ما فى القلب عن غيره (علوم الورى) الخلق (فى لفظة) واحدة (من كلامه) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بعثت بجوامع الكلم » قال البخارى رحمه الله : بلغنى أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التى كانت تكتب فى الكتب قبله فى الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك (ولا عجب) غرو (أن يعدل) يساوى (الفرد) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (بالجمع) أى بجميع أمته كما تقدم فى حديث شق الصدر ، من قوله ، ثم قال : دعه « فلو وزنته بأمته لوزنها » والمراد بالجمع جميع العالم كما قال أبو نواس :

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

(ص) :

أَتَى آخِرًا قَدْ بَذ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ... فَأَخْزَى بِهِ اللهُ الصَّلِيبَ وَأَهْلَهُ

وَغَلَّ يَدَىْ ذِى غَدْرَةٍ رَامَ قَتْلَهُ ... عَوَائِدُ هٰذِى الدَّارِ قَدْخُرِقَتْ لَهُ

فَغُرَّتُهُ لِلَّمْعِ وَالْكَفُّ لِلنَّبْعِ

(ش) (أتى) جاء النبى صلى الله عليه وسلم حال كونه (آخراً) فى البعث (قد بذّ) سلب وغلب ، أو سبق (من كان قبله) فى الخلق والفضل « أول ما خلق الله يا جابر نور نبيك » (فأخزى) أفضح وأذل (به) صلى الله عليه وسلم (الله الصليب) صنم يعبده النصارى (وأهله) أهل الصليب ، وخزى الصليب

كونه لا يستحق : أن يعبد ، وخزى أهله أداء الجزية عن يد وهم صاغرون (وغل) ربط ومنع ، من غل يغل (يدى ذى غدرة رام) طلب (قتله) وفى الحديث : «أن أبا جهل جاء بصخرة وهو ساجد ، وقريش ينظرون إليه ليطرحها ، فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه ، وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ، ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه ، وكان قد تواعد مع قريش بذلك ، وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه ، فذكر أنه عرض له دونى فحل ما رأيت مثله قط ، هم بى أن يأكلنى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه» (عوائد) جمع عادة : وهى المنفعة والعطف (هذى الدار) أى منافع هذه الدنيا ، وهى المعجزات التى نفعت الناس وصدّقوه لأجلها ، ويحتمل أن يكون عوائد : جمع عادة وهى ظاهرة (قد خرقت له) صارت له خرق عادة (فغرّته) وجهه وهى ما بين الجبينين (المع) للضياء ، إشارة إلى حسن وجهه، وتقدم:

* ومرأى كما لاحت ذكاء إذا بدا *

(والكف) الراحة (للنبع) بخروج الماء من بين أصابعه :

جرى الماء من كفيه يقضى بنبعه   سقتنا مراراً راحة هاشميـــة

(ص)

رَفَعْنَا بِهِ لِلْفَخْـــرِ أَرْفَعَ رَايَةٍ   لَهَا صَوَّبَ الأَكْيَاسُ مِنْ كُلِّ غَايَةٍ
وَإِنْ عُدِّدَتْ لِلرُّسْلِ آيُ عِنَايَةٍ   عَدَدْنَا لَهُ دُونَ الْوَرَى أَلْفَ آيَةٍ
وَأَكْثَرُهَا فِى النَّقْلِ يُعْضَدُ بِالْقَطْعِ

(ش) (رفعنا به) بسبب اتباعه (للفخر أرفع راية) أى راية افتخار، وهى العلم (لها) للراية (صوّب) قصد (الأكياس) العقلاء ، وفى بعض النسخ: لها صوب الإيئاس ، مصدر آيس: وهو التيقظ (من كل غاية) من الشرف : أى إن رايتنا أرفع من كل راية بقدرة الله تعالى ، وآيس الله كلا من الرايات من بلوغ

غاية رايتنا ، بل خفض كل راية بالنسبة إليها ، وإن كانت فى ذاتها مرتفعة (وإن عددت للرسل) عليهم الصلاة والسلام (آى عناية) آيات اختصاص دلت على نبوتهم (عددنا له) صلى الله عليه وسلم (دون الورى) الخلق (ألف آية) دلت على نبوته ، وهذا نص صريح على أن ما خصه الله به دون غيره ألف ، وقيل ألف ومائتان ، وقد ألف للخصائص جلال الدين السيوطى رحمة الله عليه مجلدا كبيرا فراجعه تر فيه العجب العجاب (وأكثرها) أى الآيات كائنة (فى النقل)

* تناقلها شيب ثقاة وشرح *

و (يعضد) يقوى (بالقطع) بالجزم والتواتر لأن خبر التواتر يفيد القطع ، يعنى : أن كثيرا من معجزاته نقل بطريق التواتر فى السماع والحديث ، وما نص عليه مالك وأصحابه والشافعى وأصحابه وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين (ص) :

نَبِيٌّ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ مُقَــــدَّمُ وَفِيهِمْ كِرَامٌ وَهْوَ أَسْمَى وَأَكْرَمُ
هُوَ الشَّمْسُ نُورًا وَالنَّبِيُّونَ أَنْجُمُ عَلاَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالنَّاسُ نُوَّمُ
سَمَاءً سَمَاءً ثُمَّ زَادَ عَلَى السَّبْعِ

(ش) هو (نبى على كل الأنام) المخلوقات (مقدم) :

* فقدمه إجماعاً عليهم بلا ثنا *

(وفيهم) أى الأنام (كرام) جمع كريم ، لا لئيم : يعنى الأنبياء (وهو) صلى الله عليه وسلم (أسمى) أرفع منهم درجة (وأكرم) أجود منهم ، وكان صلى الله عليه وسلم أجود منهم ، وكان صلى الله عليه وسلم أجود الناس من الريح المرسلة ، وأجود ما كان فى شهر رمضان (هو الشمس نورا) تمييز ، وسمى بها عليه الصلاة والسلام لكثرة نفعه وعلو رفعته ، وظهور شريعته ، وجلالة قدره وعظيم منزلته ، لأنه لا يحاط بكماله حتى لايسع الرائى له أن ينظر إليه ملء عينيه إجلالاً له ، ولأن

أنوار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مستمدة من نوره (والنبيون أنجم) :

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

والمراد بالبرية هنا : الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وقيل هذا الكلام مأخوذ من قول النابغة يعتذر إلى النعمان ويمدحه :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملْك دونها يتذبذب

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

(علا) ارتفع النبي صلى الله عليه وسلم (ليلة الإسراء و) الحال أن (الناس نوّم) مجد : جمع نائم (سماء) بعد (سماء ثم زاد) العلوّ (على السبع) الطباق :

* إلى مستوى ماحـله بشر قبل *

(ص) :

عَلاَ لِيَرَى مَا حَصَّلَتْهُ دِرَايَةٌ أَتَتْهُ بِهَا عَنْ جِبْرَئِيلَ رِوَايَةٌ

وَمَا بَعْدَ رَأْيِ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ غَايَةٌ عُلُوَّ حَبِيبٍ حَرَّكَتْهُ عِنَايَةٌ

لِيُبْصِرَ مَا قَدْ كَانَ يَعْلَمُ بِالسَّمْعِ

(ش) (علا) ارتفع بمعنى أسرى به الله (ليرى) ليبصر (ماحصلته) ثبتته (دراية) علم ومعرفة ، يعنى أسرى به ليرى ببصره ماعلمه غيباً (أتته) أى النبي صلى الله عليه وسلم (بها) أى الدراية (من جبرئيل رواية) خبر (وما) أى ليس (بعد رأى العين للعلم غاية) نهاية ، وفى الحديث : « ليس الخبر كالعيان » وللعالم حال ، علا علوا مثل (علوّ حبيب حركته عناية) اختصاص الله بها إياه ، وكأن سائلا سأله : لأىّ شىء حركته قال : (ليبصر ما قد كان يعلم بالسمع) بالأذن ، وكان صلى الله عليه وسلم يسمع الكلام بواسطة الملك ، فلما أسرى به رأى المتكلم بعينى رأسه ، وسمع كلامه بغير واسطة :

* وقد قال قوم عاين الله جهرة *

والله أعلم بمراد المادح (ص) :

أَضَاءتْ بِهِ الْأَيَّامُ إِذْ هِيَ أَظْلَمَتْ وَعَزَّتْ نُفُوسٌ طَاوَعَتْهُ فَأَسْلَمَتْ
فَكُلٌّ بِهِ حَالٌ بِعِصْمَتِهِ سَمَتْ عُرَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِكَفَّيْهِ أُبْرِمَتْ
فَلَا خَوْفَ مِنْ فَصْمٍ لِخَصْمٍ وَلَا صَدْعِ

(ش) (أضاءت) أشرقت (به) صلى الله عليه وسلم (الأيام) فاعل أضاءت (إذ) حين (هى) الأيام (أظلمت) بالكفر والجهل والعصيان والنفاق ، والمراد بالأيام أهلها أو نفسها بوقوع شعائر الإسلام فيها من أعياد وجمع (وعزت) منعت (نفوس طاوعته) انقادت له صلى الله عليه وسلم (فأسلمت) انقادت لما يدعو إليه (فكل) من تلك النفوس (به) بالنبى (حال بعصمته) بمنعه وحفظه صلى الله عليه وسلم (سمت) ارتفعت فكل مبتدأ أول ، وحال مبتدأ ثان وجملة سمت خبر للثانى والجملة خبر الأول ، وذكر الضمير باعتبار لفظ الكل (عرى) حبال (الدين والدنيا بكفيه أبرمت) أى أحكمت بيديه سياسة الدين والدنيا التى هى كالعرى (فلا خوف من فصم) وهو كسر الشىء من غير إبانة (لخصم ولاصدع) شقّ : أى لاخوف على الدين من فصم ولا صدع لمعاند وملحد (ص) :

فَيَا حُسْنَ دَهْرٍ قَبْلَ مَبْعَثِهِ قَبُحْ فَبَاحَ بِذِكْرِ اللهِ مَنْ كَانَ لَمْ يَبُحْ
وَذَلَّتْ وُجُوهٌ كُلُّهَا كَانَ قَدْ وَقُحْ عَرَفْنَا بِهِ الْمَوْلَى وَلَوْلَاهُ لَمْ يَلُحْ
لَنَا الْفَرْقُ بَيْنَ الضُّرِّ فِى الدِّينِ وَالنَّفْعِ

(ش) (فيا حسن دهر قبل مبعثه قبح) التعجب من حسن الزمان بالإسلام وكان قبل بعثه قبيحا بالكفر (فباح) بيّن وظهر (بذكر الله) بكلمتى الشهادة

(من كان لم يبح) لم ينطق بهما (وذلت) خضعت (وجوه كلها كان قد وقح) صار قليل الحياء : من الوقاحة ، وهى صلابة الوجه وقلة حيائه (عرفنا به) صلى الله عليه وسلم (المولى) بأنه لا نظير له ، ولا شريك له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، هو أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، غفور رحيم للمذنبين مثيب للمطيعين ، غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب (ولولاه) صلى الله عليه وسلم (لم يلح) يظهر (لنا الفرق بين الضر) فى الدين (والنفع) فى الدين (ص) :

بِفَضْـلِ سَجَايَاهُ وَيُمْنِ طِبَاعِهِ تَيَسَّرَ حِفْظُ الحَقِّ بَعْدَ ضَيَاعِهِ
فَـكُلُّ ضَلاَلٍ قَدْ هَوَى عَنْ يَفَاعِهِ عَقَائِدُنَا مَحْرُوسَـةٌ بِاتِّبَاعِهِ
فَلاَ أَثَرٌ بَاقٍ لِنَهْشٍ وَلاَ لَسْعِ

(ش) (بفضـل) بزيادة (سجاياه) طبائعه (ويمن) بركة (طباعه) سجاياه (تيسر) سهل وهوّن بفضل متعلق بتيسر (حفظ الحق بعد ضياعه) أى الحق (فـكل ضلال) أو كل ذى ضلال (قد هوى) سقط كما فعل بالأصنام يوم فتح مكة قائلا : « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً » (عن يفاعه) ارتفاعه ، واليفاع : ما ارتفع من الأرض ، والمراد ذهب الضلال وأهله ، ولم يبق له أثر بعد إتيانه برسالة مولاه (عقائدنا) جمع عقيدة : وهو ما نعتقده من الدين (محروسة) محفوظة بحفظ الله إياها (باتباعه) بسبب اتباع شريعته والاقتداء به (فلا أثر باق لنهش) وهو من الحية ، ومراده به الـكفر (ولا لسع) وهو من العقرب مراده به البدع ، وفى نسخة : فلا ملحد يخشى عليها ولا بدع (ص) :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ نَازِلاً بِيَثْرِبَ حَيْثُ الْبَدْرُ يَطْلُعُ كَامِلاً
وَنُورُ الْهُدَى فِى الْأُفْقِ يَسْطَعُ مَائِلاً عَفَا اللهُ عَنِّى كَمْ أُشَيِّعُ رَاحِـلاً
إِلَيْهِ وَنَارُ الشَّوْقِ دَائِمَةُ اللَّذْعِ

(ش) (ألا ليت شعرى) علمى ومعرفتى والمتمنى منه (هل أبيتن) من البيات بالليل (نازلا) حال (بيثرب) بالمدينة متعلق بأبيتن، والباء ظرفية (حيث البدر) القمر المكى، وهو النبى صلى الله عليه وسلم (يطلع كاملا) حال (و) حيث (نور الهدى) الرشد (فى الأفق يسطع ماثلا) منتصباً أو ممتداً (عفا الله عنى) على الذنب الذى حال بينى و بينه، وإن لم أستطع النهوض إلى زيارته فلا أقنط من ذلك (كم أشيع) أقدم (راحلا) أى أخرج مع الماشين إلى زيارته ثم أرجع من التشييع، وهو اتباع المسافر (إليه) صلى الله عليه وسلم (و) الحال (نار الشوق) الحب (دائمة اللذع) الاحتراق: أى دائمة حرقه ولذعه (ص):

أُشَيِّعُهُ حِرْصاً عَلَى أَنْ أَكُونَهُ ... وَأُتْبِعُهُ دَمْعاً مَرَيْتُ شُئُونَهُ

لِأَبْذُلَ فِى حَقِّ الرَّسُولِ مَصُونَهُ ... عَدِمْتُ فُؤَادًا يَأْلَفُ الصَّبْرَ دُونَهُ

عَلَى عِلْمِهِ مَا كَانَ مِنْ حَنَّةِ الْجِذْعِ

(ش) (أشيعه) أودعه (حرصاً) مفعول له أو حال: أى حريصاً (على أن أكونه) أى أصير مثله فى خروجه إلى زيارة نبيه صلى الله عليه وسلم (وأتبعه دمعاً مريت شئونه) مسحت مجاريه، يقال مرى الدمع: استخرجه، والشئون جمع شأن: وهو مجرى الدمع على العين فجرى، و بكاء المادح لعدم الزيارة والرؤية للقبر الشريف بدليل قوله (لأبذل) أعطى (فى حق الرسول مصونه) محفوظ الدمع (عدمت) فقدت (فؤاداً) قلبا (يألف) يصاحب (الصبر) حبس النفس عن الجزع (دونه) دون الوصول إلى زيارته، أودون لقائه (على) مع (علمه) أى الفؤاد كقوله تعالى: «وآتى المال على حبه» (ما كان من حنة الجذع) ساق النخلة شوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقدم حديث حنين الجذع

(ص) :

إِلَى اللهِ أَشْكُو حَرَّ قَلْبِي وَوَجْدَهُ   عَساهُ مِنَ الْهَادِي يُقَرِّبُ بُعْدَهُ
فَمَا زِلْتُ أَبْكِيهِ وَأَنْدُبُ فَقْدَهُ   عَجِبْتُ لِعَيْشِي بَيْنَ ضِدَّيْنِ بَعْدَهُ
حَرِيقاً غَرِيقاً لِلتَّشَوُّقِ وَالدَّمْعِ

(ش) (إلى الله) تعالى لا إلى غيره (أشكو) من الشكوى وهو الإخبار عن الشيء بسوء فعله بك : أى أخبر (حر قلبي ووجده) حزنه (عساه) أى الله (من الهادى) صلى الله عليه وسلم (يقرّب بعده) بعد القلب ، وخبر عسى يقرب : أى عسى الله يقرب منى بعد النبي الهادى (فما زلت أبكيه) قرب الهادى (وأندب فقده) أبكى على فقده وأعدد محاسنه (عجبت لعيشى) حياتى (بين ضدين) ضد الشيء خلافه كالسواد مع البياض (بعده . حريقاً غريقاً للتشوق والدمع) يعنى أنهما المعنيان اللذان بينهما غاية الخلاف ، وهما الحرق والغرق ، وفيه أيضا لف ونشر مرتب حريقاً للتشوق ، وغريقاً للدمع ، وحريقاً غريقاً حالان من الضمير المستتر فى الظرف ، فيكون من باب التداخل ، ويجوز نصبهما بإضمار أعنى (ص) :

فَهٰذَا بِقَلْبِي لَا يُقَصِّرُ لَذْعُهُ   وَذَاكَ بِخَدِّي لَا يُفَتِّرُ وَقْعُهُ
كَذٰلِكَ فِعْلُ الشَّوْقِ دَأْباً وَصُنْعُهُ   عَنَاءٌ لَعَمْرِى لَيْسَ يَرْقَأُ دَمْعُهُ
وَلِمْ لَا يَذُوبُ الشَّمْعُ وَالنَّارُ فى الشَّمْعِ ؟

(ش) (فهذا) التشوق ثابت (بقلبي) بفؤادى (لا يقصر) يضعف (لذعه) حرقه (وذاك) الدمع (بخدى لا يفتر) يقطع (وقعه) سيلانه ، ومنه : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (كذلك فعل الشوق) وأل فيه لاستغراق الجنس

(دأبا) حال: أى دائباً، أو مفعول مطلق: أى دأب دأبا (و) كذلك (صنعه) أى الشوق، ومنه: «صنع الله الذى أتقن كل شىء» (عناء) خبر لمحذوف: أى شأن الشوق تعب عظيم (لعمرى) لبقائى (ليس يرقأ) يسكن (دمعه) دمع صاحب الشوق (ولم لايذوب) ضدّ جمد (الشمع) علك العسل (والنار فى الشمع) الشمع بالتحريك، والناظم سكنه للضرورة، يعنى: أن قلب ذى الشوق كالشمع، والشوق فيه كالنار، ولم لايذوب الشمع، والنار كائنة فيه؟ (ص):

فَيَا لِفُؤَادٍ عَزَّ وَجْهُ اصْطِبَارِهِ تَذَكَّرَ مَنْ يَهْوَى فَذَابَ بِنَارِهِ
وَمَهْمَا احْتَمَى شَوْقاً لِقُرْبِ مَزَارِهِ عَشَوْتُ لِبَرْقٍ لَائِحٍ مِنْ دِيَارِهِ
وَمَنْ فَقَدَ الْمَحْبُوبَ حَنَّ إِلَى الرَّبْعِ

(ش) (فيا) قوم تعجبوا (لفؤاد) قلب (عز) امتنع وصعب أو صغر (وجه اصطباره) والمراد وجه اصطباره نفسه، والاصطبار: افتعال من الصبر، والصبر أن يجده بلا تكلف، والتصبر: حمل النفس على الصبر، والاصطبار: أن يتلذذ بالمصيبة النازلة عليه (تذكر) الفؤاد (من يهوى) يحبه (فذاب) الفؤاد (بناره) أى الشوق (ومهما احتمى) احترق واشتعل واضطرم (شوقا) مفعول له (لقرب مزاره) زيارته (عشوت) نظرت واستدللت عليه ببصر ضعيف (لبرق لائح) ظاهر (من دياره) صلى الله عليه وسلم (ومن فقد المحبوب) أى غاب عنه محبوبه (حنّ) اشتاق (إلى الربع) المنزل والدار، وهذا عادة العرب، والشعراء من الحنين إلى الوطن والبكاء لأجل فقد المحبوب (ص):

وَلَمَّا غَدَا رَكْبُ الْهَوَى مُتَحَمِّلاً يَؤُمُّونَ مَنْ قَلْبِى إِلَيْهِ تَبَتَّلاَ
وَخُلِّفْتُ فِى الْأَخْلَافِ صَبًّا مُقَتَّلاَ عَكَفْتُ عَلَى أَمْدَاحِهِ مُتَعَلِّلاَ
بِتَرْدَادِهَا وَالْوُرْقُ تَرْتَاحُ لِلسَّجْعِ

(ش) (ولما) حين (غدا) صار (ركب) أصحاب الإبل (الهوى) من أهل العشق (متحملا) مرتحلين حال (يؤمون) يقصدون ، ومنه : « ولا آمّين البيت الحرام » (مَن قلبي) بفتح الميم الذي (إليه تبتلا) تقطع ، ومنه: « وتبتل إليه تبتيلا » وأفرد متحملا باعتبار لفظ الركب ، ثم جمع يؤمون باعتبار المعنى : أي يؤمّون من قلبي انقطع إليه وترك كل ما عداه :

سلا قلب من يسلو وقلبي ماسلا   وعن كل شيء ماخلا حبه خلا

وجملة يؤمون حالية أو استئنافية ، ومَن مفعول يؤمون وقلبي مبتدأ ، وجملة تبتلا خبره ، أو المعنى يؤمّون عند قلبي الذي تبتل : أي سقم من أجله وعدم زيارته عليه الصلاة والسلام ، والتبتل من أنواع الحب (و) لما (خلفت) أخرت (في الأخلاف) القاعدين والباقين عن زيارته عليه الصلاة والسلام ، ومنه : « فرح المخلَّفون » أو وقفت في القوم الباقين (صبّا) محبا عاشقا ، لأنه إذا اشتد له العشق ، بكى فيصب الدمع من عينيه (مقتلا) أي قتله الشوق والتضعيف للمبالغة (عكفت) لزمت وأقمت ، ومنه : « وأنتم عاكفون في المساجد » (على أمداحه) صلى الله عليه وسلم (متعللا) حال : أي يعلل نفسه بالمدح قليلا قليلا كما يعلل الصبي بالشيء القليل (بتردادها) بتكرار الأمداح مرة بعد أخرى (والورق) الحمامات الورق : جمع أورق الذي فيه سواد ليس بحالك ، بل يميل إلى الغبرة (ترتاح) تفرح (للسجع) للكلام المقفى والمزين (ص) :

عَسَى نَبَهٌ مِنْ بَعْدِ نَوْمٍ وَغَفْلَةٍ   عَسَى قَدَرٌ يَقْضِي بِسَاعَةِ وُصْلَةٍ
عَسَى رَحْمَةٌ تَأْتِي وَلَوْ بَعْدَ مُهْلَةٍ   عَسَى دَارُهُ تَدْنُو وَلَوْ لَمْحَ مُقْلَةٍ
وَقَدْ يُدْرَكُ الْمَأْمُولُ وَالرُّوحُ فِي النَّزْعِ

(ش) (عسى نبه) يقظة وانتباه (من بعد نوم وغفلة) عطف تفسير

(عسى قدر) الله (يقضى) يحكم (بساعة) هى جزء من أجزاء الليل والنهار (وصلة . عسى رحمة) المولى (تأتى ولو بعد مهلة) تأخير وتؤدة وتأنّ (عسى داره) صلى الله عليه وسلم (تدنو) تقرب ، وإسناد الدنو للدار مجاز (ولو لمح) نظر ولو للتقليل (مقلة) شحمة العين ولو قدر اختلاس نظر المقلة (وقد يدرك المأمول) أى قد يلحق المرء ما يأمله ويرجوه (والروح فى النزع) وروحه قارب سياق الموت ، وهذا معنى كلامه . وقد تقطب النووى رحمه الله قبل موته بثلاث ساعات.

اللهم ارزقنا بقضاء حوائجنا الدنيوية والأخروية بجاه سيد النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم .

هنا انتهى حرف العين ، ويتلوه حرف الغين إن شاء الله والله المستعان .

قافية حرف الغين

لما فرغ من حرف العين أراد أن يشرع فى حرف الغين مخبرا بأنه لا يلتفت إلى غير نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (ص) :

عَنِ الْحُبِّ فى الْهَادِى اسْتَحَالَ سُلُوُّنَا   وَخَابَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِيهِ غُلُوُّنَا

وَمَهْمَا غَدَا لِلْقَدْحِ فِيهِ عَدُوُّنَا   غَدَوْنَا لِمَدْحِ الْمُصْطَفَى وَغُدُوُّنَا

طَرِيقٌ إِلَى دَارِ السَّلَامِ مُبَلِّغُ

(ش) (عن الحب فى) النبى (الهادى) الراشد (استحال) امتنع من المحال (سلوّنا) نسياننا وشغلنا :

* سلا قلب من يسلو وقلبى ما سلا *

(وخاب) قلّ (من التقصير فيه غلوّنا) أى كثر مدحنا للنبى صلى الله عليه وسلم ،

وخاب بمعنى : قلّ ، ولا تقول خاب بمعنى خسر ، ولا خسران لمادحه ، لأن من مدحه ولو ببيت واحد كان له شفيعا يوم القيامة ، كما قال صلى الله عليه وسلم فيما ذكره الخزرجي فى نشر طىّ البردة « من مدحنى ولو ببيت كنت له شفيعا يوم القيامة » أى كثرة مدحنا للنبى صلى الله عليه وسلم قلّ لأجل كون المدح قصيراً فى حقه :

غلوك تقصير إذا مامدحته　　كثيرى قليل فى جلالة سيد

يجلّ ويعلو عن قصيد المقصد

وقوله عن الحب متعلق بسلونا ، قدّمه للاختصاص ، وبالهادى متعلق بالحب . ويجوز أن يكون حالامنه (ومهما غدا) بكر ، الغدوّ : هو مابين صلاة الغدوة و بين طلوع الشمس (للقدح) للطعن والعيب ، وذكر مالا يليق بجانبه الكريم (فيه) صلى الله عليه وسلم (عدونا) فاعل غدا (غدونا) بكرنا ، وهى نقيض الرواح (لمدح المصطفى) المختار (وغدونا) مبتدأ وخبره (طريق إلى دار السلام) الجنة (مبلغ) نعت لطريق ، ومنه : « لهم دار السلام » (ص) :

كَرِيمٌ إِلَى بَيْتِ الْمَكَارِمِ يَنْتَمِي　　فُؤَادِي لَهُ بِالشَّوْقِ يُحْمَى فَيَحْتَمِي

فَيَا كَبِدِي الْحَرَّى سَمَالَكِ فَانْعَمِي　　غَمَامٌ عَلَى رَوْضِ الْخَوَاطِرِ يَنْهَمِي

وَبَدْرٌ عَلَى أُفْقِ الْبَصَائِرِ يَبْزُغُ

(ش) هو (كريم إلى بيت المكارم) جمع مكرمة : وهم قريش لاشتمالهم على أفعال الكرم من جود وجمال وشجاعة (ينتمى) ينتسب (فؤادى) قلبى (له) صلى الله عليه وسلم (بالشوق) بسبب شوقى إياه (يحمى) يحرق وتشتد حرارته (فيحتمى) يحترق والفعل الأول مبنى للمفعول ، والثانى مبنى للفاعل (فيا كبدى الحرى) العاطشة اليابسة (سما) ارتفع وظهر (لك فانعمى) كونى فى نعمة أو زيدى

إحسانا (غمام) سحاب فاعل سما أو خبر لمحذوف : أى هو غمام . والمراد هنا المدح (على روض الخواطر) جمع خاطر : وهو مايقع فى القلب (يهمى) يسيل و يصب صفة لغمام (و) سمالك (بدر) قمر (على أفق) ناحية (البصائر يبزغ) يطلع ، ومنه : « فلما رأى القمر بازغا » والمراد به المدح أيضا ، وجملة فانعمى اعتراضية على الإعراب الأول (ص) :

غَمَامٌ مَتَى مَا صَابَ لَمْ تَنْأَ رَحْمَةٌ   وَبَدْرٌ مَتَى مَا لَاحَ لَمْ تَبْقَ غُمَّةٌ

رَسُولٌ تَوَلَّتْهُ مِنَ اللهِ عِصْمَةٌ   غَرَائِزُهُ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحِكْمَةٌ

وَدَائِعُ قُدْسٍ بَيْنَ جَنْبَيْهِ تُفْرَغُ

(ش) هو (غمام) سحاب (متى) شرطية (ما) زائدة (صاب) نزل (لم تنأ) تبعد (رحمة) بل هو عين الرحمة التى أهداها إلينا ، وتقدم :

* وأهدى إلينا رحمة من سمائه *

(و) هو (بدر) قمر (متى) شرطية (ما) زائدة (لاح) ظهر وأضاء (لم تبق) بفتح التاء (غمة) كربة وظلمة أو شدة حزن ، يعنى إذا نظرت إليه زال عنك كل هم وغمة من جوع وغيرها ، لما أعده الله له من جميل الصورة ، هو (رسول) مبلغ أمر الله (تولته) باشرته (من الله) تعالى (عصمة) حفظ وكلاءة، ومنه «والله يعصمك من الناس» قال اليعمرى وحرسه سعد بن معاذ ، وذكوان ومحمد بن مسلمة والزبير وعباد بن بشر ، وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم حتى نزل : « والله يعصمك من الناس » (غرائزه) طبائعه صلى الله عليه وسلم كثيرة ، منها (علم و) منها (حلم و) منها (حكمة) إصابة فى الأمور وأصلها المنع، لأنها تمنع صاحبها من الخطأ (ودائع قدس) طهر : أى استودعته وديعة استحفظت إياها ، قال الشاعر :

استودع العلم قرطاساً فضيعه   فبئس مستودع العلم القراطيس

أو هى ودائع روح القدس (بين جنبيه تفرغ) تصب ، والمراد بالقدس : الطهر أو روح القدس جبريل عليه السلام فيكون إشارة إلى شق صدره ، وإفراغ الإيمان والحكمة فيه ، وتقدم :

* حشى قلبه بالنور إذ شق بطنه *

(ص) :

دَنَا فَتَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ إِذْ دَنَا   فَنَالَ الْمُنَى عَفْوًا وَزَادَ عَلَى الْمُنَى
وَحَازَ سَنَاءً يَبْهَرُ الشَّمْسَ بِالسَّنَا   غِيَاثُ الْوَرَى فِى مُعْضِلِ الدِّينِ وَالدُّنَا
فَلاَ الْإِنْسُ يَسْتَشْرِى وَلاَ الْجِنُّ يَنْزَغُ

(ش) (دنا) النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ممن يحبه (فتدلى) فزاد فى القرب (قاب) قدر (قوسين) ذراعين ، والمراد شدة القرب (إذ دنا) ظرف للتدلى : أى حين قرب ، وهذا الدنوّ :

* دنو اصطفاء لا دنوّ مكانة *

وقال جعفر بن محمد : الدنو من الله لا حدَّ له ، ومن العباد بالحدود (فنال) أصاب النبى صلى الله عليه وسلم (المنى) أى مناه (عفواً) هنيئاً من غير مسألة ، والعفو : مايحصل بدون تكلف ، أو عفواً معناه كثيراً فضلا ومنة ، ومنه قوله تعالى : « حتى عفوا » (وزاد) أعطى (على المنى) أضعاف ماتمناه صلى الله عليه وسلم (وحاز) جمع النبى صلى الله عليه وسلم (سناء) بالمد : رفعة (يبهر) يغلب (الشمس) (بالسنا) بالقصر الضوء ، هو (غياث) معين (الورى) الخلق (فى معضل) مشكل (الدين والدنا) أى فيما اشتد عليهم من أمر دينهم ودنياهم (فـ) بسبب ذلك (لا الإنس يستشرى) يلجّ ويتمادى فى ضلاله (ولا الجن ينزغ) يفسد ويوسوس : أى لايعمهم بفساد ، ومنه : « إن الشيطان ينزغ بينهم » (ص) :

هُدًى مَنْ أَبَاهُ ضَلَّ أَصْلاً عَنِ الْهُدَى رِدًى لِمَنِ اسْتَشْرَى حَيَاةٌ مِنَ الرَّدَى
وَلِيٌّ لِمَنْ وَالَى عَــدُوٌّ لِمَنْ عَدَا غَرِيبُ النَّدَى مَاسِيغَ قَطْرٌ مِنَ النَّدَى
مَعَ الظَّمْءِ إِلاَّ وَهْوَ أَحْلَى وَأَسْوَغُ

(ش) (هدى) جعله نفس الهدى مبالغة (من أباه) امتنع أن يطيعه (ضل) غوى (أصلا) عن أصله (عن الهدى * ردى) مهين ، ومنه : « فأرسله معى ردءا » (لمن استشرى) لجّ وتمادى فى الضلال ينقذه صلى الله عليه وسلم ، هو (حياة من الردى) الهلاك هو (ولىّ لمن والا) ه (عدوّ لمن عدا) أى هو وال لمن آمن بالله واتقى وعمل بالطاعة والعبادة ، هو بغيض لمن خالف الله وعصاه (غريب الندى) وحيد فى عطائه ، ووصف عطاءه وجوده بالقربة لكونه لا نظير له فى الوجود ، ومنه قول الشاعر :

إذا ذهب القرن الذى كنت فيهمُ وخلفت فى قرن فأنت غريب

(ماسيغ) وفى نسخة ما ساغ : أى ما شرب بسهولة ، ومنه : « سائغاً للشاربين » (قطر) مصدر قطر المطر : أى سقط (من الندى) المطر : أى ما سهل مدخل قطر من المطر (مع الظمء) العطش ، ومنه : « لا يصيبهم ظمأ » (إلا وهو أحلى وأسوغ) إلا وجوده وكرمه الذى يمنّ به صلى الله عليه وسلم أحلى من المطر فى وقت العطش ، وأسهل منه دخولا فى الحلق (ص) :

مِنَ الْقَوْمِ يَأْوِى الْمُعْتَفُونَ لِظِلِّهِمْ سَمَا بِمَحَلِّ الدِّينِ فَوْقَ مَحَلِّهِمْ
هُوَ الْوَبْلُ يَعْلُو أَنْ يُقَاسَ بِطَلِّهِمْ غَنِىٌّ بِمَوْلاَهُ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
تَخَاطِرُهُ لِلَّهِ مِنْهُمْ مُفَرَّغُ

(ش) هو صلى الله عليه وسلم مخرج (من القوم) الذين (يأوى) ينضم (المعتفون) الطالبون للمعروف (لظلهم) إلى جنابهم وكنفهم ، إذ المطلوب عتيد

عندهم (سما) ارتفع (بمحل) بمنزل (الدين) أى لأجله (فوق محلهم) منزلهم (هو الوبل) المطر الكثير الشديد (يعلو) يرتفع (أن يقاس) يقدر : أى لايقاس (بطَلهم) بمطرهم الضعيف ، والقياس من الأدلة الشرعية ، وهو حمل معلوم على معلوم لمساواته فى علة حكمه عند الحامل (غنىّ بمولاه) ناصره (عن الناس كلهم) جميعهم (لخاطره) هو مايمر بنفس الإنسان (لله منهم مفرّغ) لخاطره صلى الله عليه وسلم كائن لله : أى لايشغل نفسه إلا بالله مفرغ من الناس : أى بالدعاء والهداية والحفظ لهم والرعاية (ص) :

أَلاَ إِنَّهُ مَنْحُ الإِلٰهِ وَقَسْمُهُ فَمِنْ كُلِّ بِرٍّ قَدْ تَوَفَّرَ قِسْمُهُ
وَإِذْ خُطَّ فِى المَحْفُوظِ بِالْأُثْرَةِ اسْمُهُ غَفَتْ عَنْ مَرَاقِيهِ العُيُونُ وَجِسْمُهُ
إِلَى المَلَإِ الأَعْلَى وَأَعْلَى يُبَلَّغُ

(ش) (ألا) انتبه (إنه) ماذكر له من الأوصاف (منح) عطاء (الإله) المعبود بحق (وقسمه) بالفتح ، من قسمت الشىء بين القوم أقسمه ، وهو يقسم أمره قسما : أى يقدره وينظره كيف يفعل به (فمن كل برّ) خير (قد توفر قسمه) بالكسر حظه ونصيبه: أى وفر الله نصيبه من جميع الخيرات فتوفر: أى أتمه فتم. المعنى أعطاه الله نصيباً وافراً فى كل بر (وإذ) حين (خط) كتب (فى) اللوح (المحفوظ) علم الله القديم (بالأثرة) المكرمة المتوارثة (اسمه) باختيار الله إياه بفضائل (غفت) نامت (عن مراقيه) جمع مرقى : وهو السلم والدرجة (العيون) جمع عين ، والمراد هنا الباصرة (وجسمه) صلى الله عليه وسلم (إلى الملأ الأعلى) الملائكة (وأعلى يبلغ) يبلغه الله إلى الملأ الأعلى، وأعلى منهم: وهو موضع يسمع فيه صريف الأقلام (ص) :

هُنَالِكَ فَازَتْ بِالمُرَادِ قِدَاحُهُ وَآبَ بِسَعْيٍ قَدْ أُتِيحَ نَجَاحُهُ

فَـكُلُّ فَسَادٍ قَدْ نَفَاهُ صَلَاحُهُ غَيَايَةُ إِبْلِيسٍ جَلَاهَا صَبَاحُهُ
فَأَنْقِذَ ضُلَّالٌ وَأُرْشِدَ زُيَّغُ

(ش) (هنالك) إشارة إلى المكان البعيد : أى فى مكان إسرائه :

* إلى مستوًى ماحلّه بشر قبل *

(فازت) ظفرت (بالمراد) بالمقصد (قداحه) وهو ما كانت تقترع بها العرب عند الحوائج ، وهو هنا مستعار عن إدراك المقصد (وآب) رجع (بسعى) بعمل من الصلوات المفروضة عليه (قد أتيح) قدّر (نجاحه) أى السعى : أى نجاح من عمل بالسعى الذى آب به (فـكل فسـاد) دنيوى وأخروى (قد نفاه) طرد (صلاحه) صلى الله عليه وسلم (غياية) ظلمة وضلالة (إبليس) هو أبو الجن ، كما آدم أبو البشر (جلاها) كشفها (صباحه) صلى الله عليه وسلم (ف) بسبب ذلك (أنقذ ضلّال) خلص الله ونجى من أضله إبليس (وأرشد) أهدى (زيغ) جمع زائغ : وهو المنحرف عن الحق والمائل عن سنن الحق « ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب » (ص) :

مَآثِرُ طَابَ الظِّلُّ مِنْهَا مَعَ الْجَنَى بَنَاهَا شَدِيدُ الْأَسْرِ يُحْكِمُ مَا بَنَى
ظِلَالُنَا بِهِ عَمَّا بَنَى الْغَيْرُ فِى غِنَى غَنَاهُ رَسُولِ اللهِ فِى الدِّينِ وَالدُّنَا
غَنَاهُ انْسِكَابِ الْمُزْنِ وَالرَّوْضُ أَهْيَعُ

(ش) (مآثر) فضائل، أو له صنائع حسنة (طاب الظل منها) المآثر (مع الجنى) الثمار التى يقطف عليها ، والظل والجنى مستعار لفوائد المآثر (بناها) أى المآثر (شديد الأسر) قوىّ الخلق ، ومنه : « وشددنا أسرهم » والمراد بشديد الأسر هنا النبى صلى الله عليه وسلم ، وإسناد بنائها إليه مجاز (يحكم) يتقن (مابنى) من البنيان ، وما مصدرية أو موصولة أى يحكم بناءه أو الذى بناه (ظلالنا)

صرنا (به) صلى الله عليه وسلم (عما بنى الغير) من الشريعة (فى غنى) يسار أى أتمنا فى غنى بشريعته عن شريعة غيره، لأن شريعته صلى الله عليه وسلم ناسخة لها (غناء) نفع (رسول الله) صلى الله عليه وسلم (فى الدين والدنيا . غناء) نفع (انسكاب المزن) صبّ السحاب (والروض أهيغ) مخصب معشب ، والجملة الاسمية حالية : أى نفع رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمطر المنسكب الذى يعم نفعه ، والحال أن الروض أخصب ، وفيه ردّ العجز على الصدر (ص) :

أَتَى فَدَرَى مِقْدَارَهُ كُلُّ جَاهِلٍ ... وَأَحْجَمَ عَنْ إِقْدَامِهِ كُلُّ بَاسِلِ
وَمَنْ لَجَّ أَضْحَى مُسْتَبَاحَ المَقَاتِلِ ... غَزَا غَزَوَاتٍ دَوَّخَتْ كُلَّ بَاطِلِ
فَلاَ ضَيْغَمٌ يَعْدُو وَلاَ صِلَّ يَلْدَغُ

(ش) (أتى) جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (فدرى) علم (مقداره) قدره عند مرسله (كل جاهل) والمراد بالقدر هنا الصدق :

* درى الناس طرّا صدقه يوم بعثه *

(وأحجم) رجع أو تأخر (عن إقدامه كل باسل) شجاع ، والإقدام : الشجاعة وإذا كان الرجل عبوسا للشجاعة فهو باسل (ومن لج) تمادى فى الضلال والكفر ولم يثن عنانه إلى الإسلام (أضحى) صار (مستباح المقاتل) جاز لنا قتله ، والمقاتل: مواضع القتال . قال صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » الحديث (غزا) النبي صلى الله عليه وسلم (غزوات دوّخت) ، أذلت وغلبت وقهرت (كل باطل) شجاع ، سمى بذلك لإبطاله الدم هدراً ، أو أذهبت غزواته كل باطل الذى هو خلاف الحق ، ومنه « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » . وغزواته صلى الله عليه وسلم سبعة وعشرون : أولها ودّان : وهى الأبواء ، ثم بواط، ثم العشيرة، ثم بدر الأولى، ثم الثانية، ثم بنوسليم

ثم سويق ، ثم غطفان ، ثم نجران ، ثم بنو قينقاع ، ثم أحد ، ثم حمراء الأسد ، ثم بنو النضير ، ثم ذات الرقاع ، ثم دومة الجندل ، ثم الخندق ، ثم بنو قريظ ، ثم لحيان ، ثم ذو قرد ، ثم المريسيع ، ثم بنو المصطلق ، ثم الحديبية ، ثم خيبر ، ثم فتح مكة ، ثم حنين ، ثم الطائف ، ثم تبوك لأرض الروم وهى آخرها .

وأما عدد البعوث والسرايا فستون ، ومن أراد تتبعها وعدد من حضرها ومن استشهد فيها، فعليه بكتب المغازى كابن إسحاق، وابن هشام واليعمرى رحمهم الله.

(ف) بسبب ذلك (لاضيغم) أسد (يعدو) يسطو ويجاوز الحد (ولا صلّ) حية (يلدغ) يَعَض . الصلّ : الحية التى لاتنفع فيه الرقية ، والمراد بالضيغم والصلّ الشجعان ؛ كأنه يقول : لم يبق لنا فى الأرض عدوّ يخاف ، ولا شجاع يهاب إلا ذل وانقاد عن كفره وضلاله :

* فسر مفرداً فالأرض قد ملئت أمناً *

(ص) :

فَلاَ أُنسَ إِلاَّ فى الْمَنَاخِ بِبابِهِ وَلاَ خِصْبَ إِلاَّ فى كَرِيمِ جَنابِهِ
فَكَمْ نِعْمَةٍ قَدْ سُوِّغَتْ بِكِتَابِهِ غَنَائِمُ أَهْلِ الشِّرْكِ حَلَّتْ لَنَا بِهِ
وَكُلُّ نَعِيمٍ بِالنَّبِىِّ يُسَوَّغُ

(ش) (فلا أنس) انشراح وانبساط (إلا فى المناخ) الحط والمبرك (ببابه) فى بابه ، والمراد هنا شريعته (ولا خصب) ضد الجدب (إلا فى كريم جنابه) فنائه وساحته ؛ بمعنى لاتجد الجواد إلا هو صلى الله عليه وسلم (فكم) من (نعمة) أى مايتنعم به من مأكول ومشروب وملبوس وغنيمة (قد سوّغت) جوزت النعمة من الإساغة ، وهى الجواز والسلاسة والسهولة (بكتابه) العزيز وهو القرآن ، قال تعالى: «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق»

أو هى غنائم ، ولذلك قال (غنائم أهل الشرك حلت لنا به) قال صلى الله عليه وسلم : « وأحل الله لى الغنائم ولم تحل لنبىّ قبلى » وقال : « جعل رزقى تحت ظل رمحى » (وكل نعيم) أى مايتنعم به (بالنبى يسوّغ) يسهله الله لنا بحرمة النبى صلى الله عليه وسلم (ص) :

بِهِ ابْتُلِيتْ مِنَّا الْعُقُولُ وَتُبْتَلَى　　　فَمِنْ مُؤْمِنٍ عَنْ حُبِّهِ قَطُّ مَاخَلاَ

وَمِنْ كَافِرٍ لَمْ يَسْتَنِرْ بِالَّذِى تَلاَ　　　غَوَارِبُهُمْ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تُخْتَلَى

وَهَامُهُمُ بِالسَّمْهَرِيَّةِ تُثْلَغُ

(ش) (به) باتباعه (ابتليت) اختبرت (منا) أهل (العقول) فى الدنيا (و) به (تبتلى) فى الآخرة ، ومنا حال (فمن) بعض (مؤمن عن حبه) صلى الله عليه وسلم (قط) أى فيما مضى من زمانه (ماخلا) فرغ : أى بعض الناس مؤمن ماينفك عن حب النبى صلى الله عليه وسلم (ومن كافر لم يستنر بالذى تلا) أى و بعضهم ابتلى بالكفر ، ولم يطلب النور بالشىء الذى قرأه عليه (غواربهم) جمع غارب : وهو مابين السنام إلى العنق ، والمراد به هنا أعناقهم (ب) السيوف (المشرفية) أى سيوف تنسب إلى قرى بأرض العرب يقال لها مشارف (تختلى) تقطع ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « لايختلى خلاؤها » (وهامهم) رءوسهم (بالسمهرية) الرماح (تثلغ) تشدخ وتشقّ ، وفى نسخة تدمغ : أى تشج (ص) :

وَمِنْ بَعْدِ هٰذَا مَوْعِدٌ أَىُّ مَوْعِدٍ　　　لِأَحْمَدَ فِيهِ مُنْتَهَى كُلِّ سُؤْدَدِ

وَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ الْيَوْمَ لَمْ يَنْجُ فِى غَدٍ　　　غَدًا تُجْتَلَى أَنْوَارُ جَاهِ مُحَمَّدٍ

فَأَفْيَاؤُهُ فِى الْحَشْرِ أَضْفَى وَأَسْبَغُ

(ش) (ومن بعد هذا) إشارة إلى الإيمان والكفر، أو إشارة إلى الزمن الذى نحن فيه وهو الدنيا: أى من بعد كوننا فى الدنيا (موعد) عظيم (أىّ موعد) كامل، والمراد به الدار الآخرة (لأحمد) المرتضى بشرى عيسى (فيه) أى الموعد (منتهى كل سؤدد) غاية جميع سيادة ثابتة لأحمد صلى الله عليه وسلم فى الموعد وهو ما وعده به ربه من إقامته المقام المحمود. قال تعالى: «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» (ومن لم يطعه) صلى الله عليه وسلم (اليوم) فى الدنيا (لم ينج) من النجاة (فى غد) الآخرة من عذاب الله (غداً) يوم القيامة (تجتلى) تظهر وتبصر (أنوار جاه محمد) صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا (فأفياؤه) ظلاله (فى الحشر) يوم القيامة (أضفى) أكمل (وأسبغ) أوفى (ص):

أَطَاعَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْصِ أَحْمَدَ رَبَّهُ ... وَأَبْغَضَ رَبُّ الْعَرْشِ مَنْ لَمْ يُحِبَّهُ

وَلَوْلَا هَوًى فِيهِ تَحَرَّيْتُ كَسْبَهُ ... غَرِقْتُ بِبَحْرِ الذَّنْبِ لَكِنَّ حُبَّهُ

تَدَارَكَنِي مِنْهُ وَقَدْ كِدْتُ أَنْشَغُ

(ش) (أطاع امرؤ) إنسان (لم يعص) هو (أحمد) مفعول به، والجملة صفة امرئ (ربه) مفعول أطاع كما قال تعالى: «من يطع الرسول فقد أطاع الله» لأن الله تعالى قرن طاعته بطاعته، ووعد على ذلك بالثواب الجزيل، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره واجتناب نواهيه، فقال: «وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا» (وأبغض) ضد أحب (رب العرش من لم يحبه) أى أوجب الله العقاب على من لم يحبّ أحمد (ولولا هوى) حب موجود (فيه) صلى الله عليه وسلم (تحرّيت كسبه) اجتهدت عمل الهوى: أى أن حبه وهبىّ فأغناه عن كسب الحب، وجواب لولا (غرقت ببحر الذنب لكنّ حبه) صلى الله عليه وسلم (تداركنى) تلافانى (منه) من بحر الذنب

(وقد كدت) قاربت (أنشغ) أشهق ، ويغشى علىّ حتى أكاد أموت أسفاً وتشوقاً (ص) :

بَرَى حُبُّهُ قَلْبِي فَأَحْكَمَ نَحْتَهُ وَلِمْ لَا وَكُلُّ الخَلْقِ فِى الفَضْلِ تَحْتَهُ
وَلَسْتَ تُوَفِّى مَدْحَهُ مَاشَرَحْتَهُ غُلُوُّكَ تَقْصِيرٌ إِذَا مَا مَدَحْتَهُ
فَكُنْ مُفْلِقاً فَالْأَمْرُ أَعْلَى وَأَبْلَغُ

(ش) (برى) أنحل أو نجر وقشر (حبه قلبى فأحكم) أتقن (نحته) بريه ومنه : « ينحتون من الجبال بيوتاً » (ولم لا) ينحت حبه قلبى (و) الحال أن (كل الخلق فى الفضل تحته) صلى الله عليه وسلم (ولست توفى) من التوفية (مدحه) ثناءه (ما شرحته) بينته ما مصدرية : أى مدة شرحك إياه ، ولا مطمع للحيلة من إكمال أوصافه الجميلة (غلوّك) الغلوّ : الإفراط فى الشىء والتجاوز فيه ، والمراد هنا كثرة مدحك له صلى الله عليه وسلم (تقصير) فى حقه (إذا) حين (ما) زائدة (مدحته) صلى الله عليه وسلم (فكن مفلقاً) وهو الشاعر الذى يأتى بالعجيب بالكلام الوجيز البليغ (فالأمر) أى مدحه صلى الله عليه وسلم (أعلى) أرفع من أن تدركه فصاحتك (وأبلغ) من أن تبلغه بلاغتك ، وفى البيت التجريد ، فإن قيل لى ما تتمنى فى الدنيا والآخرة ؟ قلت (ص) :

مُنَايَ مِنَ الدَّارَيْنِ حَقّاً مُحَمَّدٌ هُوَ العَبْدُ مَا لَمْ يَرْضَ لَمْ يَرْضَ سَيِّدٌ
وَدَائِى بِبُعْدِى عَنْهُ مَاعِشْتُ مُكْمَدٌ غَلِيلِى وَلَمْ أَبْلُغْ إِلَيْهِ مُجَدَّدٌ
عَلَى أَنَّ قَلْبِى بِالْمُنَى يَتَبَلَّغُ

(ش) (مناى من الدارين) الدنيا والآخرة (حقاً) نصب على المصدر : أى أحق ذلك حقاً ، أو حال : أى محققاً (محمد) صلى الله عليه وسلم (هو) صلى الله

عليه وسلم (العبد ما لم يرض) به النبي المختار (لم يرض سيد) أى لم يرضه الله تعالى ، لأن خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه .

المعنى : مايرضى النبي إلا بما رضى الله به (فؤادى) قلبي (ببعدى عنه) عن داره أو عن زيارته صلى الله عليه وسلم (ماعشت) مدة دوام عيشى : أى حياتى (مكمد) مكتوم الحزن (غليلى) حرارة عطشى إليه (ولم أبلغ) أى ما لم أبلغ (إليه) صلى الله عليه وسلم (مجدد . على) مع (أن قلبي بالمنى يتبلغ) يكتفى، وعلى هنا للاستدراك والإضراب كقولك فلان لايدخل الجنة لسوء صنعه على أنه لاييأس من رحمة الله تعالى (ص) :

وَمَاذَا أُرَجِّى بَعْدَ ضَعْفٍ وَشَيْبَةٍ ... وَلاَ قَلْبَ مِنِّى يَسْتَنِيرُ بِتَوْبَةٍ

فَيَا وَيْحَ نَفْسِى مِنْ غُرُورٍ وَخَيْبَةٍ ... غُبِنْتُ حُظُوظِى مِنْ زِيَارَةِ طَيْبَةٍ

وَمَنْ لِى بِوَجْهٍ فِى ثَرَاهَا يُمَرَّغُ

(ش) (وماذا أرجى بعد ضعف وشيبة) أى أىّ شىء أرجوه وآمله بعد ضعفى وشيبتى : أى لا آمل شيئا بعدها (ولا قلب منى يستنير بتوبة) أى والحال ليس لى قلب يطلب النور بتوبة وإنابة إلى الله « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات » والتوبة: هى الرجوع من أفعال مذمومة إلى أفعال محمودة ، وهى واجبة على الفور (فيا ويح نفسى) والويح : كلمة ترحم : أى أترحم نفسى (من غرور) أى ما أغترّ به من متاع الدنيا التى ظاهرها غرة ، وباطنها عبرة (وخيبة) من خاب خيبة إذا لم ينل مراده ومطلبه (غبنت) نقصت (حظوظى) جمع حظ : وهو النصيب لأنى لم أزره (من زيارة طيبة) مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم (ومن لى بوجه فى ثراها) ترابها (يمرغ) يمعك الوجه ، وفى نسخة : بخدّ ، ومن مبتدأ ولى خبره ، فى ثراها ، متعلق : بيمرغ

(ص) :

لَقَدْ سَفِهَتْ نَفْسِي لَقَدْ فَالَ رَأْيُهَا ... وَمَا صَحَّ لِي فِي قَصْدِ يَثْرِبَ وَأْيُهَا
فَهَا أَنَا لَا أَنْفَكُّ مَا عَاقَ لَأْيُهَا ... غَرَامِي بِهَا يَزْدَادُ مَا زَادَ نَأْيُهَا
فَعَيْشِي بِهَا أَهْنَا وَأَسْنَى وَأَرْفَعُ

(ش) والله (لقد سفهت) خفت من الحلم وجهلت (نفسى) والسفاهة والسفه والسفاه : كله خفة العقل والجهل ، ومنه : « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » والله (لقد فال) أخطأ وضعف (رأيها) تدبيرها وعقلها (وما) نافية (صح لى فى قصد يثرب) مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم (وأيها) تصريحها بوعد ، إذ لو صح ذلك لما سفهت ، وما فال رأيها (فها أنا لا أنفك) أزال (ما) مصدرية (عاق) منع وحبس (لأيها) إبطاؤها وتأخيرها ، الضمير للنفس المسفهة أو ليثرب (غرامى) ولوع حبى ، والغرام : الحب المعذب فى القلب (بها) فى يثرب (يزداد ما) مصدرية (زاد نأيها) بعدها (فعيشى) حياتى (بها) فى طيبة (أهنا) أسهل (وأسنى) أرفع (وأرفع) أوسع وأخصب (ص) :

غَرَامٌ حَشَا قَلْبِي فَلِلَّهِ مَا حَشَا ... يَهِيجُ إِذَا مَا هَبَّ مِنْ طَيْبَةَ النَّشَا
وَيَفْشُو إِذَا مَاشٍ يُؤَمِّلُهَا مَشَى ... غَضَاشَوْقِهَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا
فَيَلْفَحُ أَحْيَانًا فُؤَادِي وَيَلْدَغُ

(ش) (غرام) شديد حبى للوصول إلى زيارته والوقوف بربعه (حشا) ملأ الغرام (قلبى فلله) درّ (ماحشا) ملأ (يهيج) يثور ويتحرك (إذا ما) زائدة (هبّ) هاج (من طيبة) مدينة الرسول (النشا) الريح الطيبة ، وهى النسيم (ويفشو) ينتشر ويذاع ويكثر (إذا ماش يؤملها) صفة ماش : أى يقصد

المدينة (مشى) إليها (غضا) شجر خشبه من أصلب الخشب ، وناره من أقوى النار (شوقها) حب طيبة كائن (بين الجوانح) الضلوع (والحشا) الأمعاء (فيلفح) يحرق ، ومنه : « تلفح وجوههم النار » (أحياناً) أوقاتاً (فؤادى) قلبى (ويلدغ) أى يطعن بدليل نسخة : وينذغ معناه : يطعن ، أو معنى يلدغ : يحرق أيضا فؤادى (ص) :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى وَالْخُطُوبُ مُلِمَّةٌ وَأَمْرِىَ إِبْهَامٌ عَلَىَّ وَغُمَّـــةٌ
أَتَنْهَضُ بِى نَحْوَ الْمَدِينَةِ هِمَّـةٌ غُلِبْتُ عَلَيْهَا وَالشَّوَاغِلُ جَمَّـةٌ
فَيَا لَيْتَنِى أَدْرِى مَتَى أَتَفَرَّغُ

(ش) (ألا) انتبه (ليت شعرى) علمى (و) الحال أن (الخطوب) جمع خطب : وهو الشدة (ملمة) نازلة (و) الحال أن (أمرى) شأنى (إبهام) ملتبس علىّ ومغلق (علىّ وغمة) مستورة وملتبس ، ومنه : « ثم لايكن أمركم عليكم غمة » والمتمنى منه (أتنهض بى) أى ليت شعرى أتقوم لى بسرعة (نحو) جهة (المدينة همة) جمع همم : وهو ماهمّ به الإنسان من أمر ينفعه (غلبت عليها) أى غلبتنى العوائق عن الوصول إلى المدينة (و) الحال أن (الشواغل جمة) كثيرة ، ومنه : « وتحبون المال حبًّا جما » (فياليتنى أدرى) أعلم (متى أتفرغ) من هذه الشواغل للسير إلى المدينة * فيقضى فؤادى للهوى فيه دَينه * ديون المحبة وتتزين بغاية الزينة .

هنا انتهى حرف الغين ، ويتلوه حرف الفاء إن شاء الله تعالى ، والله المستعان .

قافية حرف الفاء

لما فرغ من حرف الغين من مدح النبي الأمي صلى الله عليه وسلم ، أراد أن يشرع في حرف الفاء ، مادحا لمن هو بوفاء الوعد معروف ، قال (ص) :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ مِنْ تِهَامَةَ مُومِضٍ   وَنَبَّهَنِي لِلْقَوْلِ فِي الْمُصْطَفَى الرِّضِي
فَقُلْتُ لِرَغْمِ الْأَنْفِ فِي كُلِّ مُبْغِضٍ   فَضَائِلُ هٰذَا الْمُصْطَفَى لَيْسَ تَنْقَضِي
فَمَنْ زَادَ فِي التَّعْدَادِ زَادَتْهُ فِي الضِّعْفِ

(ش) (أرقت) سهرت (لبرق من تهامة) مكة (مومض) مضيء هو ضوء مع خفاء : أي وذلك البرق المومض من تهامة (ونبهني) أيقظني (للقول) على القول ، أو إلى القول (في المصطفى) المختار (الرضي) المرتضى عند الله (فقلت لرغم الأنف) معناه : الذل والإهانة (في كل مبغض) عدو ، وأتى بصيغة العموم ليعم مبغضيه صلى الله عليه وسلم ، ومبغض الناظم ومفعول القول (فضائل) مناقب (هذا المصطفى) المختار (ليس تنقضي) تفرغ (فمن زاد في التعداد) في تعداد تلك الفضائل (زادته في الضعف) تقدم : أي الضعف مثل الشيء أو مثليه (ص) :

فَضَائِلُ لَمْ يُوقَفْ لَهَا عِنْدَ غَايَةٍ   نَفَتْ كُلَّ شِرْكٍ لِلْوَرَى وَعَمَايَةٍ
وَجَاءَتْ بِتَوْحِيدٍ وَنُورِ هِدَايَةٍ   نُجَدُّ فِي ثَنَاهُ مَا لَهُ مِنْ نِهَايَةٍ
فَرَوْضُ الْعُلَا يَنْمِي عَلَى كَثْرَةِ الْقَطْفِ

(ش) (فضائل) أي له فضائل من أراد تتبعها (لم يوقف لها) للفضائل (عند) زائدة (غاية) نهاية ، وهي كثيرة جدا لا مطمع لأحد أن ينتهي إليها ،

بل يقف حيث انتهى (نفتْ) طردت وأذهبت تلك الفضائل (كل) صاحب (شرك) كفر (للورى) صفة لشرك (وعماية) جهالة : أى عماية القلب (وجاءت) الفضائل (بتوحيـد) الله (و) جاءت بـ(نور هداية) والإضافة بيانية ، فإن عرفت أنه صاحب الفضائل جاء بتوحيد ونور هداية (فخذ) فاسلك (فى ثناء) ذكر جميـل (ماله من نهاية) أى ليس له غاية ، ومن زائدة لتأكيد النفى (فرَوض العلا) أى الظاهر المرتفع للشمس (يَنمى) يكثر ويزيد (على كثرة القطف) وهذه استعارة ترشيحية. يقول: إذا قطف حشيش الرّوض زاد فى النبت وذلك معروف ، وكذلك فضائله إذا شرعت فى عددها وذكرها زادت ، حتى لاتقدر على الإتيان بعشر من معشار معشارها :

* ومن ذا يكيل البحر والبحر مزبد

(ص) :

رِيَاضٌ يَدُ الْإِحْسَانِ تَبْنِى قُصُورَهَا   فَتَجْعَلُ بَثَّ الْعَدْلِ فِى الْأَرْضِ سُورَهَا

وَبَذْلَ النَّدَى وَالْعُرْفِ فِى الْخَلْقِ حُورَهَا   فَمِنْ أَثْرَةٍ يَجْلُو لَكَ الْحِسُّ نُورَهَا

وَمِنْ أَثَرٍ يَأْتِيكَ نَصًّا عَنِ الصُّحْفِ

(ش) هى (رياض) فلاح (يد الإحسان تبنى قصورها) جمع قصر : وهو البناء المرتفع . شبه فضائله صلى الله عليه وسلم برياض عليها قصور مبنية بإحسان ، وشبه العدل المانع من تكدرها بالسور ، وهذه استعارة تخييلية (فتجعل) يد الإحسان (بث) نشر (العدل فى الأرض سورها) جمع سور : وهو الحائط المحيط بها (و) تجعل اليد (بذل الندى) عطاء الكرم والجود (و) بذل (العرف) أى المعروف . قال تعالى : « خـذ العفو وأمر بالعرف » (فى الخلق) الورى (حورها) أى بياض تلك القصور ، أو نسائها الكاملة الحسن ، والحور : البياض

من حورت الثياب إذا بيضتها ، ومنه : « قال الحواريون نحن أنصار الله » .

والمعنى : فضائله صلى الله عليه وسلم رياض يد الإحسان والإفضال تبنى لها القصور ، فتجعل لتلك القصور سوراً من نشر العدل فى الأرض يحاط بها، فيكون الخلق محفوظين فيه ، فلا يتسور عليهم ظالم ولا فاجر جائر ، وتجعل بذل معروفه ونشر عطائه فى الناس النساء الحسنى ، يتلذذون بهن فى تلك القصور من ذلك السور (فمن أثرة) مكرمة متوارثة فضائله كثيرة منها ما استأثر الله بعلمها وحقيقتها ، لكى (يجلو) يظهر (لك) أيها الباحث الناظر إليه (الحس) البيان ، أو النظر بعين الرأس (نورها) ضوءها ، فتعلم أن هناك أمرا مكتوما استأثر الله بعلمه (و) بعضها (من أثر) خبر ، والأثر مايؤثر عن السلف وتابعيهم من أئمة الهدى (يأتيك) أيها الباحث عليها (نصا) منصوصا (عن الصحف) عن كتب الحديث ، بمعنى بعضها تعلم بالرواية . والصحف : الكتب ، ومنه : « إن هذا لفى الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى » (ص) :

إِلَى شِيَمٍ قُدْسِيَّةِ الْمُتَوَلَّدِ عَلَى هِمَمٍ سِدْرِيَّةِ الْمُتَصَعَّدِ
يُرَدِّدُ رَائِيهَا مَقَالَةَ مُنْشِدِ فُنُونُ الْمَعَالِى أُكْمِلَتْ لِمُحَمَّدِ
لِأُثْرَتِهِ فِى الْخَلْقِ وَالْخُلْقِ وَالْوَصْفِ

(ش) هذه الفضائل منضمة (إلى شيم) طبائع (قدسية) طاهرة منسوبة إلى القدس ، وهو الطهر (المتولد) مكان الولادة (على همم سدرية المتصعد) أى عالية تتصعد إلى سدرة المنتهى ، وعلى زائدة أو معية (يردد) يكرر (رائيها) أى الناظر إلى تلك الفضائل (مقالة منشد) أى حامد : أى يقولها مرة بعد أخرى ويزيد بتكرارها نوراً على نور (فنون) صنوف (المعالى أكملت لمحمد) صلى الله عليه وسلم : أى اجتمعت فيه على جميع أنواعها ، لا أنها ناقصة فكملت (لأثرته)

لمكرمته ، أو لأجل استئثار الله إياه على الخلق (فى الخَلق والخلق والوصف) الخلق والخلق : عبارتان عن جملة الإنسان ، والخَلق : عبارة عن صفته الظاهرة ، والخُلق عن صفته الباطنة ، وفنون المعالى محكى القول (ص) :

هُدَاهُ فَلاَ تُغْلَبْ عَلَيْهِ هُوَ الْهُدَى ... وَأَلْقِ إِلَيْهِ ظَهْرَ عَقْدِكَ مُسْنِدَا

وَبَايِعْ كَرِيمًا طَابَ أَصْلاً وَمَوْلِدَا ... فَشَبَّ شَبَابَ الرَّوْضِ أَخْضَلَهُ النَّدَى

وَنَاهِيكَ مِنْ حُسْنٍ وَنَاهِيكَ مِنْ عَرْفٍ

(ش) (هداه) رشده صلى الله عليه وسلم (فلا تغلب عليه) لايغلبك أحد على حبه : هى جملة دعائية بعدم سلب حبه عنك معترضة بين المبتدأ والخبر ، أو بعدم سلب هداه (هو الهدى) لكونها هداية الله . قال تعالى : « قل إن هدى الله هو الهدى » وكأن الناظم يحثك ويحضك على هدى النبى صلى الله عليه وسلم لأن خير الهدى هداه : أى اسبق إليه ولا تتأخر ولا تقم من خلف حتى يسبقك غيرك ، ويمنعك مانع عليه (وألق إليه ظهر عقدك) أى اعتقد فيما يقوله وصمم عليه (مسندا) إليه حال على طريقته وسنته ، ولا تتبع غير سبيل المؤمنين (وبايع) نبيًّا (كريما) صلى الله عليه وسلم (طاب) من الطيب (أصلا ومولدا) تمييزان محولان عن الفاعل : أى طاب أصله ومولده ، ويحتمل زمان ولادته والمكان الذى ولد فيه وهو مكة شرفها الله ، وكل صحيح ، والمبايعة فى حق الصحابة صريحة ، لأنهم رأوه وبايعوه ، وفى حق من لم يره فمبايعته اتباع أمره والانقياد له فى كل ما أمر به (فشب) كبر النبى صلى الله عليه وسلم كـ(شباب الروض أخضله الندى) بلله المطر : أى يزيد صلى الله عليه وسلم نضارة فى كل يوم وفى نسخة : شباب الروح ، وهو اسم شجر (وناهيك) كافيك (من حسن) جمال (وناهيك) رائحة طيبة (من عرف) (ص)

حُلًى فِيهِ أَيَّامَ الرَّضاعِ تَكَمَّنَتْ   وَزَادَتْ بِمَرْقَى نَشْئِهِ وَتَمَنَّتْ

وَعِنْدَ التَّنَاهِي لِلْأَشُدِّ تَبَيَّنَتْ   فَلَمَّا اسْتَتَمَّ الْأَرْبَعِينَ تَمَكَّنَتْ

مَكَانَتُهُ لَاعَنْ كَلَالٍ وَلَا ضَعْفِ

(ش) صفاته صلى الله عليه وسلم (حلى) صفات (فيه أيام الرضاع تكمنت) تسترت صفة لحلى ، وظهرت بعد استكماله الأربعين :

* فلما استتم الأربعين تمكنت *

ومعنى التكمن : طيها واندراجها فيه ، وعدم ادّعائه نبوة فى تلك الحالة ، لأنه صلى الله عليه وسلم إذا رىء فى حال صباه لم يعرف بأنه سينبأ ، بل يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال فى الخصائص: وأخرج البيهقى عن الزهرى «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى حِجر جده عبد المطلب ، فاسترضعته امرأة من بنى سعد ، فنزلت به سوق عكاظ ، فرآه كاهن من الكهان ، فقال : يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فإن به ملَكا ، فراعت به أمه التى أرضعته فأنجاه الله، ثم شب عندها حتى إذا سعى هو وأخته من الرضاعة تحضنه ، جاءت أخته فقالت يا أمتاه : إنى رأيت رهطاً أخذوا أخى القرشى آنفاً فشقوا بطنه ، فقامت أمه فزعة حتى أتته ، وإذا هو جالس منتقع لونه لاترى عنده أحدا ، فارتحلت به حتى أقدمته على أمه فقالت لها : اقبضى منى ابنك فإنى قد خشيت عليه ، فقالت أمه : لا والله ما ابنى مما تخافين ، لقد رأيته وهو فى بطنى أنه خرج معتمدا على يديه ، رافعاً رأسه إلى السماء ، فأفصلته أمه وجده عبد المطلب ، ثم توفيت أمه ؛ فيتم فى حجر جده عبد المطلب ، فكان وهو غلام يأتى وسادة جده فيجلس عليها ، فيخرج جده وقد كبر ، فتقول الجارية التى تقود جده : انزل عن وسادة جدك ، فيقول عبد المطلب : دعوا ابنى فإنه يحس بخير . فتوفى جده فكفله أبو طالب ، فلما

ناهز الحلم ارتحل به أبو طالب تاجرا قِبل الشام ، فلما نزل تيماء رآه حبر من اليهود فقال لأبي طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال ابن أخى ، قال أشفيق عليه ؟ قال نعم ، قال فوالله لئن قدمت به الشام ليقتلنه اليهود ، إن هذا عدوّ لهم . فرجع به أبو طالب إلى مكة (وزادت) تلك الحلى (بمرقى نشئه) بسبب موضع صعود شبابه (وتفننت) تفرعت وتنوعت ؛ ومعنى كلامه : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يصعد إلى المعالى من أول نشئه إلى أن جاءه الوحى بأمر ربه (وعند التناهى) بلوغه (للأشد) كمال القوة ، وهو عند سنّ الثلاثين ، ومنه : « حتى إذا بلغ أشده» (تبينت) ظهرت وأوضحت تلك الحلى (فلما استتم الأربعين) سنة (تمكنت. مكانته) درجته ورفعته (لا عن كلال) إعياء وملل (ولا ضعف) أى بلغ الرسالة الميمونة ، فما وهى ولا ونى (ص) :

هُنَاكَ انْتَهَى بَدْرًا وَطَوْدَ جَلاَلَةٍ ... عَلَى مُرْتَقَى مَجْـدٍ وَطِيبِ أَصَالَةٍ
وَعِزَّةِ نَفْسٍ بِالتُّقَى وَبَسَـــالَةٍ ... فَجَاءَتْهُ مِنْ مَوْلاَهُ بُشْرَى رِسَالَةٍ
تَمُدُّ بِأَخْذِ الْعَفْوِ وَالْأَمْرِ بِالْعُرْفِ

(ش) (هناك) إشارة إلى استتمام الأربعين (انتهى) بلغ صلى الله عليه وسلم حال كونه (بدرا) فى الإضاءة (وطود) جبل (جلالة) أبهة وفخامة ، ومنه: « كل فرق كالطود العظيم » والمراد بالطود : إشارة إلى وقاره ، مثل وقار الطود .

* وقار كما أرسى مقر يلملم *

(على) مع (مرتقى) مصعد (مجد) كرم وجود (وطيب أصالة) مع طيب أصل (و) مع (عزة) قوة (نفس) أو منعها (بالتقى) بسبب تقواه (و بسالة) شجاعة (فجاءته) أتته (من مولاه) ناصره (بشرى رسالة تمد) تزاد وتقوى تلك الرسالة (بأخذ العفو) العمل به (والأمر بالعرف) المعروف . قال تعالى : « خذ العفو

وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (ص) :

فَلَمْ يَأْلُ حَتَّى بَثَّ فِينَا جِمَاعَهَا ... يُبَشِّرُ بِالرِّضْوَانِ عَبْدًا أَطَاعَهَا

وَيُنْذِرُ بِالنِّيرَانِ خَلْفًا أَضَاعَهَا ... وَأَيَّدَهُ بِالحَقِّ لَمَّا أَذَاعَهَا

حَنِيفِيَّةً فِى غَيْرِ لِينٍ وَلاَ عُنْفِ

(ش) (فلم يأل) يقصر النبي بتبليغ ما أرسل به ، ومنه : « لا يألونكم خبالاً » (حتى بثّ) نشر (فينا) المرسل إليهم (جماعها) أجمعها : أى جميع الرسالة، أو جماع المعروف وأخذ العفو ، فكيف لا يبثها وقد قال تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » الآية (يبشر) النبي صلى الله عليه وسلم (بالرضوان عبدا أطاعها) الرسالة ، والجملة صفة لعبد ، وتبشير النبي للعبد بالرضوان تبشير الله إياه بذلك . قال تعالى : « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » (وينذر) الإنذار : الإعلام بالشيء قبل وقته مع التخويف (بالنيران خلفا) هو قرن بعد قرن ، ومنه : « فخلف من بعدهم خلف » (أضاعها) ضيعوا الرسالة ولم يقوموا بموجبها ، وكان صلى الله عليه وسلم مبشرا بالجنة لمن أطاعه ونذيرا بالنار لمن عصاه . قال تعالى : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » (فأيده) قوّى الله النبي صلى الله عليه وسلم (بالحق) ضد الباطل ، ويحتمل بملائكة الحق . قال تعالى : « وأيده بجنود لم تروها » (لما أذاعها) نشر الرسالة وأظهرها ، ومنه : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » وفى نسخة:

* فلبى نداء الحق ثم أذاعها *

حال كون دينه (حنيفية) مائلة عن الدين إلى دين إبراهيم عليه السلام . قال تعالى : « أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً » وقال : « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً » وهى السمحة السهلة (فى غير لين) رفق (ولا عنف) ضد اللين :

أى لايلين لمن عصاه واتبع هواه ، ولا يعنف لمن أطاعه واتبع هداه (ص) :

فَسُبْحَانَ مَنْ أَهْدَاهُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً ... وَرَفَّعَهُ ذَاتاً وَدِيناً وَهِمَّــــةً

وَجَلَّلَهُ نُورًا وَعِلْماً وَحِـكْمَةً ... فُتُوَّتُهُ مِثْلُ الْـكُهُولَةِ عِصْمَةً

فَلاَ فِـكْرُهُ يَسْهُو وَلاَ قَلْبُهُ يَغْفُو

(ش) (فسبحان من أهداه للخلق رحمة) أنزِّه الله تنزيها الذى أهدى النبى صلى الله عليه وسلم : أى جعله رحمة أو أعطاه للخلق هداية كما قال : « أنا رحمة مهداة » (ورفّعه) من الترفيع : أى رفع الله النبى صلى الله عليه وسلم (ذاتا ودينا وهمة) إرادة : أى جعل ذاته ودينه عاليا ، وهمته عالية ، وهو صلى الله عليه وسلم كالدهر فى همم ، وهذا من عادة الأدباء من تشبيه الهمم بالدهر حتى قيل :

له همم لا منتهى لـكبارها ... وهمته الصغرى أجلّ من الدهر

(و) سبحان من (جلله) أحاطه (نوراً وعلماً وحكمة) نبوة أو الإصابة فى القول ، أو الفقه فى الدين ، أو إشارة للعقل (فتوته) شبابه صلى الله عليه وسلم (مثل الـكهولة عصمة) والمنصوبات السبع تمييزات : أى سنّ فتوته كسن كهولته ، وهو معصوم من قبل الوحى و بعده ، والـكهل : هو من بلغ الأر بعين سنة إلى ستين سنة (فلا فـكره يسهو) يغفل (ولا قلبه يغفو) ينام (ص) :

وَكَيْفَ وَقَدْ نَقَّى مِنَ الرِّجْزِ صَدْرَهُ ... وَخَفَّفَ وِزْرًا كَانَ أَنْقَضَ ظَهْرَهُ

وَشَدَّ رُوحِ الْقُدْسِ جِبْرِيلَ أَزْرَهُ ... فُؤَادٌ تَوَلَّتْ كَفُّ جِبْرِيلَ طُهْرَهُ

فَزَادَ مَزِيدَ الصُّبْحِ كَشْفاً عَلَى كَشْفِ

(ش) (وكيف) استفهام عن حال : أى كيف يسهو فكره وينام قلبه (و) الحال أنه (قد نقى) طهر جبريل صلى الله عليه وسلم أو الله تعالى (من الرجز)

من وسوسة الشيطان ، ومنه : « ويذهب عنكم رجز الشيطان » (صدره) قلبه صلى الله عليه وسلم بأن شرحها للنبوة . قال تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » وفى نسخة : من الرجس بالسين : المأثم وكل ما استقذر من العمل والشك (وخفف) حط عنه (وزراً) ثقلا أو إثما حتى لايفعله ، وما فعل ذنباً قط ، وأما قوله تعالى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » فعلى فرض المحال : أى على تقدير أن لو كان ، ولم يكن (كان) الوزر (أنقض) أثقل (ظهره) صلى الله عليه وسلم ، ومنه : « ووضعنا عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك » (وشد) قوى الله (بروح القدس جبريل) نعت أو بدل أو عطف بيان (أزره) ظهره أو قوته ، ومنه : « اشدد به أزرى » فؤاده صلى الله عليه وسلم (فؤاد) قلب (توات كفّ) راحة (جبريل طهره) والجملة صفة لفؤاد (فزاد مزيد الصبح) كزيادة الصبح (كشفاً) بياناً (على كشف) بيان ، وكشفا نصب على المصدر فى موضع الحال ، أو بدل من مزيد (ص) :

خِصَالٌ تُدِيلُ الْأَوْلِيَاءَ مِنَ الْعِدَا . جَلَالٌ سَمَا غَيْثٌ هَمَى قَمَرٌ بَدَا
كَمَالٌ بِهِ خَصَّ الْإِلٰهُ مُحَمَّدَا فِعَالٌ كَآثَارِ الْمَوَاطِرِ فى النَّدَى
وَقَوْلٌ كَأَسْلَاكِ الْجَوَاهِرِ فى الرَّصْفِ

(ش) له صلى الله عليه وسلم (خصال) سجايا (تديل الأولياء) تجعل الغلبة والدولة لأوليائها (من العدا) أو له خصال تجعل العدا أولياء . قال صفوان رضى الله عنه : « لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبغض الخلق إلىّ ، فما زال يعطينى حتى صار أحبّ الخلق إلىّ » له (جلال) عظمة (سما) ارتفع للفرقدين مزحزحا . وهو صلى الله عليه وسلم (غيث) مطر (همى) نزل بشدة ، وهو أيضا (قمر بدا) ظهر مسراه شرقا ومغربا ، وهذا التفضيل (كمال به خص الإله محمدا)

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، له (فعال كآثار المواطر) السحب (فى الندى) الجود والكرم (و) له (قول) بليغ ذو فصاحة (كأسلاك) جمع سلك : وهو الخيط الذى ينظم فيه اللؤلؤ (الجواهر فى الرصف) فى النظم والجمع ، والرصف : ضم الحجارة بعضها إلى بعض بتنميق. وقالت أم معبد رضى الله عنها فى وصفها له : « حلو المنطق ، فصل لا نذر ولا هذر ، كأنّ منطقه خرزات نظمن ، وكان الصوت ، حسن النغمة » (ص) :

لَهُ كَنَفٌ يُؤْوِى لَهُ كُلَّ مَنْ أَوَى ... لَهُ عَمَـلٌ فى الْبِرِّ وَفْقَ الَّذِى نَوَى

لَهُ أَرْبَعٌ قَدْ حَازَهَا لِلَّذِى حَوَى ... فَحُسْنٌ بِلاَ نَقْصٍ وَعَقْلٌ بِلاَ هَوَى

وَمَنْحٌ بِلاَ مَنْعٍ وَوَعْدٌ بِلاَ خُلْفِ

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (كنف) ظلّ ، أو جانب ، أو ستر (يؤوى له) أى يضم إليه ، ومنه : « وتؤوى إليك من تشاء » (كل من أوى) انضم له ، وكل مفعول يؤوى ، وفى نسخة : كل من أبى ، لكن معناه غير جيد (له) صلى الله عليه وسلم (عمل) عظيم (فى البر) الإحسان (وفق الذى نوى) أى موافق : يعنى أن عمله الخارجى يكون على قدر ماينويه ، أو معنى : وفق الذى نوى ، مثل الذى قصد ، وصفه صلى الله عليه وسلم بالإخلاص فى عمله : أى أنه لا يقوم إلى عمل إلا بنية خالصة ، فيعمل حتى يتم عمله على وفق النية ، كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات » الحديث (له) صلى الله عليه وسلم (أربع) خصال (قد حازها) ضمها (للذى حوى) جمع الذى جمع من الخصال المحمودة (ف) له حسن ، أو فمنها (حسن بلا نقص) أى ليس له نقص فى حواسه الخمس ، بل هو تام الحواس سليمها (و) له (عقل بلا هوى) عن وهب بن منبه قال : قرأت إحدى وسبعين كتابا ، فوجدت فى جميعها أن الله لم يعط جميع الناس من

بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقل محمد صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا ، وأرجحهم رأيا (و) له (منح) عطاء (بلا منع) أى منّ بلا منّ أو عطاء بلا قطع ، (و) له (وعد بلا خلف) عن عبد الله بن أبى الحمساء رضى الله عنه قال: « بايعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ببيع فبقى له علىّ شىء فوعدته أن آتيه فى مكانه فذهبت فنسيت ذلك اليوم والغد ، فأتيته اليوم الثالث فوجدته فى مكانه ذلك ، فقال لى يا غلام : شققت علىّ أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك »

(ص) :

إِلَى مَايَفُوتُ الحَصْرَ مِنْ شِيَمِ الْهُدَى ... إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى إِلَى الْبَأْسِ وَالنَّدَى

إِلَى مُعْجِزَاتٍ جَازَتِ الحَدَّ وَالْمَدَى ... فَكَمْ ظَامِئٍ أَرْوَاهُ مِنْ غُلَّةِ الصَّدَى

وَلاَ مَاءَ إِلاَّ مَايَجِيشُ مِنَ الْكَفِّ

(ش) (إلى مايفوت) يفوق ، حال من ضمير حازها منضمًّا إلى مايفوت (الحصر) الإحاطة (من شيم) طبائع (الهدى) أو إلى بمعنى مع ، ومن لبيان الجنس أى التى هى شيم الهدى (إلى) مع (البر والتقوى) قيل معناهما واحد ، ومنه : « وتعاونوا على البر والتقوى » (إلى البأس) الشدة والنجدة فى الحرب (والندى) الجود والكرم (إلى) مع (معجزات) كثيرات (جازت) المعجزات (الحد والمدى) الغاية : أى قطعتهما (فكم) خبرية (ظامئ) عاطش (أرواه) سقاه صلى الله عليه وسلم ، الرىّ : الشرب الكامل (من غلة الصدى) أى من حرارته (و) الحال (لا ماء) هناك (إلا مايجيش) يفور ويرتفع ، أو يظهر ويخرج (من الكف) من راحته الشريفة صلى الله عليه وسلم. عن جابر بن عبد الله : « عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة ، فتوضأ

رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا ماء إلا ما فى ركوتك ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، وفيه فقلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » (ص) :

إِلَى هِمَّةٍ تَسْمُو لِكُلِّ مُهِمَّةٍ　　إِلَى ذِمَّةٍ لاَ تَلْتَقِى بِمَذَمَّةٍ

إِلَى عِصْمَةٍ تَجْلُو دُجَى كُلِّ وَصْمَةٍ　　فَضَلْنَا بِهِ السُّبَّاقَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

وَلاَ عَجَبٌ أَنْ يُوجَدَ الْفَضْلُ فى الصِّنْفِ

(ش) (إلى) مع (همة) إرادة (تسمو) ترتفع (لكل مهمة) شديدة . قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

له همم لا منتهى لكبارها　　وهمته الصغرى أجلّ من الدهر

قلت : وأما معنى قوله: وهمته الصغرى أجلّ من الدهر، فإنه إذا انقضى أمر الدنيا قام صلى الله عليه وسلم يطلب الشفاعة ويشفع لمن كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة ، واعترض فى نسبة الصغرى إلى همته ، لأن المقام مقام مدح لا إيهام بالنسبة لغيره ، وأجيب بأن ذلك أمر نسبى لا مطلق ، فاندفع ما قيل (إلى) مع (ذمة) عهد (لا تلتقى) هذه الذمة (بمذمة) ضد المحمودة ، المراد له صلى الله عليه وسلم وعد بلا خلف (إلى) مع (عصمة) حفظ (تجلو) تكشف (دجى) ظلمة (كل ظلمة) عيب ، وجملة تجلو : صفة لعصمة ، و«إلى» السبعة معناها معية أوحالية ، كقوله تعالى: «ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم » أى مع أموالكم ، والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم من الناس ، من وصول مكروههم إليه . قال تعالى : « والله يعصمك من الناس » (فضلنا به) بسبب اتباعه (السباق) جمع سابق ، ومنه : « والسابقون السابقون » (من كل أمة) من أبينا آدم إلى عيسى عليهما الصلاة والسلام : أى غلبنا جميع الأمم

المتقدمة فى الفضل . ونحن بذلك الفضل من بينهم فزنا . (ولا عجب أن يوجد) بالبناء المجهول (الفضل فى الصنف) وفى البيت احتراس (ص) :

مَفَاخِرُ مَنْ لاَ يَدَّعِيهَا مُفَاخِرًا تَسِيرُ بِهَا فُلْكُ الثَّنَاءِ مَوَاخِرًا

حَوَاهَا أَجَلُّ الرُّسْلِ حَيًّا وَنَاخِرًا فَإِنْ كَانَ مَعْطُوفًا عَلَى الرُّسْلِ آخِرًا

فَمَا هُوَ إِلاَّ الْوَاوُ فِى أَحْرُفِ الْعَطْفِ

(ش) هذه (مفاخر) جمع مفخرة : وهى ادعاء الرفعة ، والمباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان بالمال والجاه (من لا يدَّعيها مفاخرا) حال اسم فاعل من فاخر : أى ادعى الرفعة ، وفى نسخة : مفاخر لا من يدعيها مفاخراً ، والمعنى واحد . قال صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » ، قال ذلك امتثالا لأمر الله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » وأيضا فإنه من البيان الذى وجب تبليغه لتعتقده الأمة ، وتعمل بمقتضاه فى توقيره صلى الله عليه وسلم كما أمر (تسير بها) بتلك المفاخر (فلك) سفن (الثناء) الذكر الجميل كهذه العشرينيات وغيرها (مواخراً) جاريات حال ، وهى التى يسمع صوت جريها ، وتشقّ الماء بصدرها ، ومنه : « وترى الفلك مواخر فيه » (حواها) جمع المفاخر (أجل الرسل حيا) حال (وناخراً) بالياء ، والمراد ميتاً ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يبلى ، وكذلك غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والعلماء والشهداء ، وحملة القرآن والمؤذنون (فإن كان) النبى صلى الله عليه وسلم (معطوفا) وهو لغة الرديف ، يقال عطف الفارس على قرنه إذا رجع إليه ، وعطف الثوب : ضم بعضه على بعض (على الرسل آخرا) أى تذكر الرسل ويعطف عليها (فما هو) العطف (إلا الواو) التى لمطلق الجمع ، ولا تقتضى تقدّما فى الترتيب (فى أحرف العطف) يعنى أن العطف بالواو لايرتب ، وإنما تقتضى المشاركة نحو : « فأنجيناه

ومن معه » واللاحق نحو : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا » والسابق نحو : « يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى — ومنك ومن نوح و إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم » (ص) :

تَبَارَكَ مَنْ بِالْمَاءِ فَجَّرَ كَفَّهُ ... وَطَهَّرَ مِنْ رِجْسِ الرَّذَائِلِ عِطْفَهُ

وَسَوَّغَ أَشْتَاتَ الْخَلِيقَةِ عَطْفَهُ ... فَكُلُّ نَبِيٍّ فى الْقِيَامَةِ خَلْفَهُ

وَنَاهِيكَ فَخْرًا بِالْإِمَامِ وَبِالصَّفِّ

(ش) (تبارك) جلّ وتعاظم ، ولا يصلح من معنى الزيادة لفقد النقص ، أو معناه باسمه تكون البركة (من بالماء فجر كفه) أسالها (وطهر) مَن فجر كفه بالماء (من رجس الرذائل) الرذايا ، ومنه : « أراذلنا بادئ الرأى » (عطفه) بالكسر : أى جانبه ، ومنه : « ثانى عطفه » (وسوّغ) سقى بسهولة (أشتات) متفرقات (الخليقة) المخلوقات (عطفه) بالفتح شفقته ورحمته (فكل نبى فى القيامة خلفه) صلى الله عليه وسلم (وناهيك فخراً) تمييز (بالإمام) هو صلى الله عليه وسلم : أى هو المتبع والمتقدم بين يدى القوم ، والشافع لمن خلفه (وبالصف) أى الأنبياء ، روى « أن صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفا ، منها ثمانون صفا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وباقيها لغيره من الأنبياء » (ص) :

فَلَا فَاضِلٌ إِلَّا مُقِرٌّ بِفَضْلِهِ ... عَمَائِمُهُمْ تَهْوِى انْخِفَاضًا لِنَعْلِهِ

وَأَبْصَارُهُمْ تَسْمُو لِبُعْدِ مَحَلِّهِ ... فَصَمَّدَ وَصَوَّبْ هَلْ تُحِسُّ بِمِثْلِهِ

وَهَيْهَاتَ لَيْسَ الْمَزْجُ فى الْفَضْلِ كَالصِّرْفِ

(ش) (فلا فاضل) من نبى (إلا مقرّ بفضله) صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم

رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » (عمائمهم) جمع عمامة : وهى تيجان العرب (تهوى) تنزل أو تسقط ، ومنه : « والنجم إذا هوى » (انخفاضاً لنعله) كناية عن تواضعهم له ، عليه وعليهم الصلاة والسلام (وأبصارهم تسمو) تعلو (لبعد محله) موضعه ، والمراد به منزلته ومكانته عند الله ، وهذا كله استعارة (فصعد) ارفع بصرك فى عالمَ الملكوت (وصوّب) أنزل بصرك فى عالم الملك (هل تحس) تنظر (بمثله) أى لاتجد مثله ، والباء زائدة (وهيهات) أى بعد (ليس المزج) الخلط : أى الممزوج (فى الفضل كالصرف) الخالص ، والمراد بالمزج بقية الناس ، لا النبيون والملائكة بل هم الصِّرف ، وهو صلى الله عليه وسلم صرف الصرف ، و إنما فسر بهذا التفسير لقوله فى الفضل ، وقيل المزج الأنبياء لأنه الخلط ، ولا يدل على عيب ولا على التعيب ، كما فى قوله تعالى : « ومزاجه من تسنيم ، عيناً يشرب بها المقربون » فيكون المراد بالمزج جميعهم وبالصرف هو وحده ، ولو خلطتهم وجمعت بعضهم إلى بعض فهو أفضلهم ، فتأمله (ص) :

إِلَى اللهِ أَشْكُو ظُلْمَ نَفْسِي وَحُوبَهَا ... إِذَا اسْتَحْسَنَتْ بِالْبُعْدِ عَنْهُ عُيُوبَهَا
وَلَوْ قَدْ أَتَتْهُ كَانَ حَقًّا طَبِيبَهَا ... فَقَدْنَاهُ فُقْدَانَ الصُّدُورِ قُلُوبَهَا
عَلَى أَنَّنَا بِالدَّمْعِ وَالذِّكْرِ نَسْتَشْفِي

(ش) (إلى الله) تعالى لا إلى غيره (أشكو) أرفع شكواى (ظلم نفسى) وهو وضع الشىء فى غير محله (وحوبها) إثمها ، ومنه : « إنه كان حوباً كبيراً » (إذا استحسنت) النفس (بالبعد) بسبب البعد أو لأجله (عنه) صلى الله عليه وسلم (عيوبها) مفعول استحسنت (ولو قد أتته) صلى الله عليه وسلم (كان)

الإتيان (حقا) حال أو نصب على المصدر (طيبها) خبر كان (فقدناه) أى وصولنا إليه ولقاءه : أى غبنا عن زيارته مثل (فقدان) غيبة (الصدور قلوبها) اللاتى هى فيها (على) للاستدراك (أنا بالدمع والذكر نستشفى) أى لكننا نطلب الشفاء بالبكاء والذكر ونجد الراحة بهما (ص) :

فَقَــدْنَاهُ يَشْفِى كُلَّ دَاءٍ لَنَا عَيَا يَحُضُّ عَلَى الإِخْلَاصِ يَنْهَى عَنِ الرِّيَا
يَصُدُّ عَنِ الفَحْشَاءِ يَأْمُرُ بِالحَيَا فَأَجْفَانُنَا أَهْمَى دُمُوعًا مِنَ الحَيَا
وَأَحْشَاؤُنَا أَحْمَى ضُلُوعًا مِنَ الرَّضْفِ

(ش) (فقدناه) أى زيارته ولقاءه حال كونه (يشفى كل داء) مرض (لنا عيا) صعب وأعيا الأطباء ، وهو صفة ثان لداء (يحض) يحث أمته ، ومنه : «ولا يحض على طعام المسكين» (على الإخلاص) تفريد الله بالعبادة « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » (ينهى) أمته (عن الريا) قصره للضرورة ، وهو الشرك الأصغر كما فى الحديث ، وهو العمل لغير الله (يصد) يصرفنا ويمنعنا (عن الفحشاء) وهى كل مايشتد قبحه من الذنوب ، أو هو كل مانهاه الله عنه (يأمر بالحيا) وهى رقة تعترى وجه الإنسان عند فعل مايتوقع كراهته ، أو يكون تركه خيرا من فعله . يقول صلى الله عليه وسلم : « الحياء لا يأتى إلا بخير » وفى الحديث الآخر « الحياء خير كله » وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ قالوا نعم جعلنا الله فداك ، قال : فأقصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم ، واستحيوا من الله حق الحياء » الحديث بطوله (فأجفاننا أهمى) أكثر صبًّا (دموعا) تمييز (من الحيا) المطر (وأحشاؤنا) أى ما انضمت عليه ضلوعنا (أحمى) أشد حرًّا (ضلوعا) تمييز وهى العظام التى تحت الترائب إلى الظهر (من الرضف) الحجارة المحماة ، أو الحارّة

(ص) :

بِنَفْسِي لَهُ مِنْ يَثْرِب خَيْرُ مَلْحَدِ   أَكادُ لَهُ أَنْقَدُّ لَوْلاَ تَجَلُّدِي

فَبِاللهِ خَلُّونِي لِغَيْبِي وَمَشْهَدِي   فَوَاللهِ مَا أَظْهَرْتُ مِنْ حُبِّ أَحْمَدِ

مَعَ الْجُهْدِ إِلاَّ الْبَعْضَ مِنْ كُلِّ مَا أُخْفِي

(ش) (بنفسى) أى أفدى (له) خبر خير (من يثرب) مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حال أو صفة قدمت (خير ملحد) قبر أوله متعلق بملحد ، وخير ملحد : مبتدأ خبره كائن : أى له من يثرب مفدى بنفسى (أكاد) أقرب (له) لأجل شوقى إياه و بُعده عنى (أنقدّ) أنشق (لولا تجلدى) تصبرى وتكلفى الجلادة : وهى الصلابة (ف) أنشدكم (بالله خلونى) اتركونى (لغيبى) فى غيبى (ومشهدى) حضورى ، واللام بمعنى « فى » نحو : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » أى سألتكم بالله اتركونى فى غيبى عنه بجسدى ، وحضورى عنده بذكرى إياه ، وتقدم :

* وأدنيته بالذكر فهو به معى *

(فوالله ما أظهرت من حب أحمد) المرتضى بشرى عيسى (مع الجهد) المشقة و بلوغ الغاية (إلا البعض من كل ما أخفى) أستره وأكتمه ، ويكون بمعنى الظهور وهو من الأضداد ، ومنه : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » أى أظهرها .

هنا انتهى حرف الفاء ، و يتلوه حرف القاف إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف القاف

لما فرغ من حرف الفاء من مدح كريم الكرماء ، أراد أن يصدّر كلامه في حرف القاف بمدح من مدحه وحده خير من ألف نصب دموع : أى وفرحت نفسه فى البين فقال (ص) :

دُمُوعٌ عَلَى الخَدَّيْنِ تُرْسِلُ مُزْنَهَا   وَنَفْسٌ لِيَوْمِ الْبَيْنِ تُذْئِبُ حُزْنَهَا
فَيَاقَوْمِ وَالآمَالُ تُحْسِنُ ظَنَّهَا   قِفُوا الْعِيسَ فِى أَعْلَامِ يَثْرِبَ إِنَّهَا
رِيَاضٌ لِمَنْ يَرْنُو وَمَنْ يَتَنَشَّقُ

(ش) وأما أنا فلى (دموع) جمع دمع : وهو ماء العين والقطرة منه دمعة ، وأما إن كان لفرح كان باردا و إن كان لحزن كان سخينا (على الخدين) وهما : ما ارتفع تحت العينين (ترسل مزنها) تصب سحابها (و) لى (نفس ليوم البين) الفراق أو الوصل ، ومنه : « لقد تقطع بينكم » و يراد به الفراق ، وكلا اللغتين محتمل المعنى فى هذا الموضع فتأمله (تذئب) تجد أو تديم (حزنها) وهو خلاف السرور (فياقوم والآمال) جمع أمل : وهو الرجاء (تحسن ظنها) ظن النفس والحسن ضد القبح (قفوا) من وقف يقف الإبل (العيس) البيض يخالها شىء من شعرة (فى أعلام يثرب) جبال المدينة جمع علم : وهو الجبل المنصوب للهداية فى الطريق ، وجملة الآمال اعتراضية (إنها) بالكسر (رياض) أى فلاة (لمن يرنو) يديم النظر (ومن يتنشق) يشم .

المعنى أن المدينة شرفها الله حسنة المنظر ، طيبة الرائحة (ص) :

فَأَكْرِمْ بِهَا مِنْ مَعْهَدٍ أَىِّ مَعْهَدِ   تَأَرَّجَ مِنْهَا الْعَرْفُ لِلْمُتَوَدِّدِ

وَأَشْرَقَ مِنْهَا النُّورُ لِلْمُتَعَبِّدِ قَرَارَةُ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدِ
فَلَا غَرْوَ أَنْ تَأْنِى تُنِيرُ وَتَعْبَقُ

(ش) (فأكرم بها) بالمدينة ، صيغة الأمر بمعنى التعجب (من معهد) مألوف (أىّ معهد) وهو المنزل الذى لايزال القوم إذا انتقلوا عنه رجعوا إليه ، المراد به المكان المألوف الذى يألفه صلى الله عليه وسلم حيث يلازم الصلاة فى مسجده وما فيه من الأماكن (تأرّج) فاح الريح الطيب (منها) الرياض (العرف) بالفتح : أى ريح طيب (للمتودّد) المتحبب (وأشرق) أضاء (منها) أى المدينة (النور للمتعبد) لمن كان عبد الله طائعا (قرارة) بدل، أو عطف بيان، أو خبر لمحذوف هى قرارة : أى موضع ثبوت (خير العالمين محمد) صلى الله عليه وسلم (فلا غرو) عجب (أن تانى) توجد المدينة ، ومنه : « وألفيا سيدها لدا الباب » (تنير) تضىء المدينة ، والجملة حالية (وتعبق) تنتشر بها الريح الطيب (ص) :

فَعُدْنَا بِأَكْبَادٍ نُقَاسِى وُلُوعَهَا لِأَشْتَاتِ آفَاتٍ نَخَافُ وُقُوعَهَا
وَلَوْ قَدْ صَدَقْنَا النَّفْسَ فِيهَا نُزُوعَهَا قَصَدْنَا عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ رُبُوعَهَا
فَلَا الْبَرُّ يُرْدِينَا وَلَا الْبَحْرُ يُغْرِقُ

(ش) (فعدنا) أقمنا (بأكباد) جمع كبد : المراد به القلوب (نقاسى) نكابد ونجاهد (ولوعها) أى حرارة شوقها (لأشتات) لمتفرقات (آفات) ومنه : «ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً » (نخاف وقوعها) علينا والضمير للآفات (ولوقد صدقنا النفس فيها) فى المدينة (نزوعها) اشتياقها وحبها وخروجها إلى المدينة، وقيل معنى نزوعها : موتها (قصدنا على) مع (بعد الديار ربوعها) منازلها (فلا البرّ) خلاف البحر (يردينا) يهلكنا ، ومنه قوله تعالى: «واتبع هواه فتردى» (ولا البحر يغرق) نا أى وقد وقانا الله مما وقع لغيرنا من الأمم السالفة من خسف

وغرق كما قال تعالى: « فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا » ولا يهلكنا البَر، ولا يغرقنا البحر ما نأخذ بسنته واقتدينا به صلى الله عليه وسلم ، فإن الاقتداء به واتباع سنته أمان لنا ، فإذا أميتت السنة فلا بد للناس من انتظار البلاء والفتن ، وهما سبب الهلاك ، ومع ذلك لانخسف فى الظاهر لكرامة الله تعالى لهذه الأمة.

(ص) :

إِلَى كَمْ نُعَانِى حَيْرَةَ الْمُتَرَدِّدِ ... وَلَوْ قَدْ قَضَيْنَا حَقَّ حُبٍّ مُؤَكَّدِ

لَسِرْنَا مَسِيرَ الْعَازِمِ الْمُتَجَرِّدِ ... قِيَامًا عَلَى الْأَقْدَامِ فِى حَقِّ سَيِّدِ

لَهُ الْفَضْلُ شَخْصٌ وَالنُّبُوَّةُ رَوْنَقُ

(ش) (إلى كم) من الزمان (نعانى) نقاسى ونجاهد (حيرة المتردد) فى أمره (ولو قد قضينا) أدّينا (حق) دَين (حب) بالتنوين (مؤكد. لسرنا مسير العازم) مصدر نوعى (المتجرد) الخالى عن الشواغل والموانع ، والعزم إرادة الشىء وتصميم الرأى عليه حال كوننا (قياما على الأقدام) أى أقدامنا ، أو قمنا قياما مصدر (فى حق سيد) لأجل سيد (له) صلى الله عليه وسلم (الفضل شخص) ذات وحقيقة : يعنى ذاته مركبة من الفضل ، والشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد (والنبوة رونق) حسن فى سيد ، ورونق الوجه : حسنه و بهاؤه وجماله ، وجملة له الفضل ، وما عطف عليه حالية أو مستأنف (ص) :

نَبِىُّ الْهُدَى فِى نَوْمِهِ وَانْتِبَاهِهِ ... أَبَانَ طَرِيقَ الْحَقِّ عِنْدَ اشْتِبَاهِهِ

فَزُرْهُ تَفُزْ بِالْجَاهِ عِنْدَ إِلٰهِهِ ... قَبُولُ قَبُولِ الْبِرِّ هَبَّتْ بِجَاهِهِ

فَلَا الْقَصْدُ مَرْدُودٌ وَلَا الْبَابُ مُغْلَقُ

(ش) (نبي الهدى) الهدى (في نومه وانتباهه) المراد به أنه يوحى إليه في النوم واليقظة ، وتنام عينه ولا ينام قلبه (أبان) أظهر (طريق الحق) ضد الباطل (عند اشتباهه) التباسه واختلاط الحق بغيره (فزره) صلى الله عليه وسلم (تفز) تظفر ، وهو جواب الأمر (بالجاه) بالقدر والمنزلة ، والمراد به هنا المغفرة أو الشفاعة لقوله صلى الله عليه وسلم : « من زارني وجبت له شفاعتي يوم القيامة » (عند إلهه) صلى الله عليه وسلم ، والإله المعبود بالحق (قبول) ريح تقابل الدبور ، وهي المسماة بالصَّبا (قبول البر) أي الأعمال الصالحات (هبت بجاهه) تحركت بقدره ومنزلته .

والمعنى: تنسمت ريح القبول بقبول برّي: أي مدحي، ولهذا قال (فلا القصد) مني إلى الله (مردود ولا الباب مغلق) دوني ، وهو كناية عن عدم البخل ، لأنه قال تعالى: « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ـ و إن تك حسنة يضاعفها » (ص) :

أَطِعْهُ تَـكُنْ أَوْلَى الْأَنَامِ بِحُبِّهِ ۞ وَمَا صَحَّ عَنْهُ مِنْ حَدِيثٍ فَدِنْ بِهِ
وَزُرْ مِنْهُ أَهْدَى مُرْشِدٍ وَمُنَبِّهِ ۞ قِرَاهُ لِمَنْ وَافَاهُ رِضْوَانُ رَبِّهِ
فَدُونَكَ يَا مَسْبُوقُ أَنَّكَ تَلْحَقُ

(ش) (أطعه) فإن الشمس في طوعه جرت (تكن) جواب الشرط (أولى الأنام بحبه) صلى الله عليه وسلم (وما صح عنه من) بيان الجنس (حديث فدن به) اتخذه ديناً وتمسك به ، وكذلك ما حسن وما ضعف منه (وزر منه) صلى الله عليه وسلم ، ومنه من باب التجريد (أهدى مرشد و) أهدى (منبه) أي زر أهد مرشد منبه من النبي صلى الله عليه وسلم، جرد له شخصا نخاطبه لبلوغه الغاية في الهداية والتنبيه ، والمراد نفسه صلى الله عليه وسلم (قراه) ضيافته

صلى الله عليه وسلم (لمن وافاه) أتاه وزاره (رضوان ربه . فدونك) خذ (يا مسبوق) يا من سبقك غيرك فى الأعمال الصالحات (أنك) لعلك (تلحق) أى خذ الطرف إلى المدينة لعلك تلحق من سبقك بحصول الزيارة ، وأنّ المشددة تكون لغة فى لعل كما هنا (ص) :

مِنَ القَوْمِ يُلْفَى كُلُّ فَخْرٍ لَدَيْهِمُ عَنِ الشَّرِّ يَنْهَى أَوْ إِلَى الخَيْرِ يُلْهِمُ
عَطُوفٌ عَلَى الشَّاكِينَ دَانٍ إِلَيْهِمُ قَرِيبٌ مِنَ الرَّاجِينَ حَانٍ عَلَيْهِمُ
يُقَيِّدُ بِالْإِحْسَانِ مِنْ حَيْثُ يُطْلِقُ

(ش) (من القوم) أى هو صلى الله عليه وسلم من بعض القوم أو من أفضل القوم (يلفى) يوجد (كل فخر) تمدّح بالخصال الحسنة (لديهم) عندهم ، والمراد بالقوم قريش ، ويحتمل أن يريد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (عن) فعل (الشر ينهى) أمته (أو) بمعنى الواو (إلى الخير يلهم) يعلمهم فعل الخيرات

* يسوّى الورى للخير مثنى وموحدا *

(عطوف) رحيم (على الشاكين) على الذين يشكون إليه بحوائجهم (دان) قريب (إليهم) إلى الشاكين: بمعنى لايغيب عنهم ، وكلما طلبوه بحوائجهم وجدوه ويقضى حوائجهم وليس له بوّاب ، ويقول : «أبلغوا حاجة من لايستطيع إبلاغها» الحديث . هو (قريب من الراجين) أى ممن رجاه يظفر بمراده (حان) رحيم أو حبيب (عليهم) أى الراجين (يقيد بالإحسان من حيث يطلق) القيد يكون محسوساً : أى من حيث يطلق العطاء يقيد الناس به بأن يردهم به إلى الإسلام : أى لايطلق يده إليهم إلا بالإحسان (ص) :

عَفَا كُلُّ رَسْمِ الْمُحَالِ بِحَقِّهِ وَعَظَّمَ رَبُّ الْعَرْشِ شِيمَةَ خُلْقِهِ

وَمَنْ ذَا يُمَارِى فِى عُلَاهُ وَسَبْقِهِ قَضَى اللهُ أَنَّ الرُّسْلَ أَسْبَقُ خَلقِهِ
وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ لِلرُّسْلِ أَسْبَقُ

(ش) (عفا) درس وعدم (كل رسم) أثر وعلامة (المحال) الباطل (بحقه) الذى جاء به ، قال تعالى: «وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً ــ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق» (وعظم رب العرش شيمة) طبيعة (خُلقه) وهو من إضافة الشيء إلى نفسه ، قال تعالى : «وإنك لعلى خلق عظيم» (ومن ذا يمارى) يجادل (فى علاه) ارتفاعه (و) من ذا يجادل فى (سبقه) الناس لعمل الخير : أى لا أحد يماريه فى ذلك، ومنه : «أفتمارونه على ما يرى» (قضى الله) قدّر وحكم ، ومنه : «وقضى ربك» (أن الرسل) عليهم الصلاة والسلام (أسبق خلقه) فى الفضل (وأن رسول الله) صلى الله عليه وسلم (للرسل أسبق) .

المعنى : أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أفضل الناس ، وهو صلى الله عليه وسلم أفضلهم ، كما قال تعالى : «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» الآية .

(ص) :

خِصَالُ الدُّنَا وَالدِّينِ قَدْ جُمِعَتْ لَهُ وَإِحْسَانُهُ مَا زَالَ يَصْحَبُ عَدْلَهُ
وَمَا فِى الْعِدَا مَنْ كَانَ يَجْحَدُ فَضْلَهُ قَطَعْنَا بِإِجْمَاعٍ عَلَى أَنَّ مِثْلَهُ
مَدَى الدَّهْرِ لَمْ يُخْلَقْ وَلَا هُوَ يُخْلَقُ

(ش) (خصال الدنا) جمع خصلة : وهى الخلة والفضيلة (و) خصال (الدين) الإسلام (قد جمعت له) أى جمع الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما يتشرف به فى الدنيا والآخرة (وإحسانه) صلى الله عليه وسلم (ما زال) من

أخوات كان (يصحب عدله) أى لم يزل إحسانه مع عدله ، كما قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » (وما فى العدا من كان) هو (يجحد) ينكر (فضله) قال أبو جهل لعنه الله : إنه يأتينا بالوحى والأمان ، والله إن محمدا لصادق ، ولكن نحن و بنوهاشم مافعلوا من خصلة إلا وفعلنا مثلها ، حتى إذا كنا كفرسى رهان ، قالوا إنه يأتينا بالوحى من السماء فما لنا بهذه من طاقة (قطعنا بإجماع) هو اتفاق علماء القرن على حكم النازلة الشرعية (على أن مثله) صلى الله عليه وسلم (مدى الدهر) غاية الزمان (لم يخلق) فيما مضى (ولا هو يخلق) أى ولا يخلق مثله فيما يأتى ، وهذا حكم الإجماع (ص) :

شَرِيعَتُهُ لَمْ يَضْحَ آوٍ لِظِلِّهَا   عَطِيَّتُهُ لاَ وَابِلٌ مِثْلَ طَلِّهَا
فَضِيلَتُهُ لاَ نَاهِضٌ لِمَحَلِّهَا   قَبِيلَتُهُ خَيْرُ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا
وَمَوْطِنُهُ أَزْكَى الْبِقَاعِ وَأَشْرَقُ

(ش) (شريعته) صلى الله عليه وسلم (لم يضح) يبرز للشمس ، ومنه : « لاتظمأ فيها ولا تضحى » (آو) داخل (لظلها) أى من استمسك بالشريعة لم يضره شىء فى الدنيا والآخرة ، لأنه قد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها (عطيته) صلى الله عليه وسلم (لاوابل) مطر كثير (مثل طلها) مطر ضعيف ويكفيك فى جوده وكرمه صلى الله عليه وسلم أنه يعطى عطاء من لايخشى فاقة (فضيلته) صلى الله عليه وسلم (لا ناهض) قيام بسرعة (لمحلها) إلى غايتها ، يعنى لايطمع أحد فى إدراك فضيلته لأنه :

* نهايته لم تكتسبها بداية *

(قبيلته) صلى الله عليه وسلم (خير القبائل كلها) وهى الطبقات الست التى عليها العرب ، وهى : الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة . وعن ابن عباس

رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق الخلق فجعلنى من خير قرونهم ، ثم تخير القبائل فجعلنى من خيرهم قبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا» (وموطنه) منزله ومسكنه وموضع إقامته (أزكى البقاع) جمع بقعة : وهى قطعة من الأرض (وأشرق) أضوأ وأنور (ص) :

مَزَايَاهُ بِالْإِسْرَاءِ بَاهِرَةُ السَّنَا   سَجَايَاهُ وَهْيَ الرَّوْضُ فِى الظِّلِّ وَالْجَنَا
سَحَائِبُ تَهْمِى بِالرَّغَائِبِ وَالْمُنَى   قَضَايَاهُ وَهْيَ الْحَقُّ فِى الدِّينِ وَالدُّنَا
قَوَاضِبُ تَفْرِى الْهَامَ أَوْ تَتَـأَلَّقُ

(ش) (مزاياه) فضائله (بـ) سبب (الإسراء باهرة) راجحة (السنا) الضوء ، وهذه كناية عما انطوت عليه من الإسراء من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز ، وشرحته صحاح الأخبار من المناجاة والرؤية ، وإمامة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعروج إلى سدرة المنتهى ، وما رأى من آيات ربه الكبرى (سجاياه) طبائعه صلى الله عليه وسلم (وهى الروض) المكان الذى يجتمع فيه الماء والحشيش (فى الظل والجنا) مايجتنى من الثمار ، ويخبر بهذا على حسن خلقه ولين جنابه ، وعموم نفعه صلى الله عليه وسلم (سحائب) خبر مزاياه والجملة بينهما اعتراضية ، أو سحائب خبر لمحذوف : أى هى سحائب (تهمى) تسيل نعت سحائب (بالرغائب) بالعطايا (والمنى) جمع منية (قضاياه) أحكامه (وهى الحق فى الدين والدنا) جملة اعتراضية (قواضب) سيوف (تفرى) تقطع (الهام) الرءوس (أو) بمعنى الواو كقول رؤبة :

وقد زعمت ليلى بأنىَ فاجر   لنفسى تقاها أو علىّ فجورها

(تتألق) تضىء ، وفى نسخة : تتعلق. يعنى أن أحكامه فاصلة كالسيوف القواطع

التي تزيل الرءوس عن أما كنها ، أو هي تزيل الفساد كإزالة القواطع الرءوس ، وتضيء الظلمة ، وجملة تفرى : صفة لقواضب (ص) :

يُنَصُّ بِهَا حُكْمٌ وَتُقْرَأُ سُورَةٌ   لَهَا هَبَّ وَسْنَانٌ وَحَجَّ صَرُورَةٌ
وَلِي فِيهِمُ قَلْبٌ وَفِي الحَيِّ صُورَةٌ   قُعُودِي وَقَدْ سَارَ الحَجِيجُ ضَرُورَةٌ
وَفِي الصَّدْرِ قَلْبٌ لاَ يَزَالُ يُحَرَّقُ

(ش) (ينص) يبين ويرفع ، ومنه : نصّ الحديث نصا : رفعه (بها) أى بتلك القضايا (حكم وتقرأ) بها (سورة) وقضاياه صلى الله عليه وسلم قضايا القرآن الذى أنزل عليه (لها) لأجلها (هب) استيقظ وتنبه من نومه (وسنان) نعسان أو كافر ، أو غافل أو نائم القلب : وهو الذى لم يعلم الشريعة (و) لأجلها (حج صرورة) هو الذى لم يحج (ولى فيهم) فى الحجيج (قلب) يتعلق بهم (وفى الحى) القبيلة (صورة) أى صورتى فى قبيلتى ، وقلبى معلق بالحجيج والزوّار إلى قبره صلى الله عليه وسلم ، ولو قدرت المشى إليه لمشيت إلى زيارته ولو حبوا على الوجنات (قعودى) جلوسى (و) الحال أنه (قد سار الحجيج) جمع حاج (ضرورة. وفى الصدر قلب لا يزال يحرّق) بنار الحب ، وفى نسخة يشرق : أى يأخذ جهة المشرق (ص) :

أَلَهْفِي لِقَلْبٍ لاَ طَبِيبَ لِدَائِهِ   سِوَى القُرْبِ مِنْ نُورِ الْهُدَى وَضِيَائِهِ
هُوَ المُصْطَفَى لِلهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ   قَوَاطِعُ هَـذَا الدَّهْرِ دُونَ لِقَائِهِ
قَوَاطِعُ أَحْنَاءَ الضُّلُوعِ تُمَزِّقُ

(ش) (ألهفى) يا حزنى وتحسرى هـذا وقتك فاحضر (لقلب) منى (لا طبيب لدائه) مرضه (سوى) غير (القرب من نور الهدى وضيائه) كأنه

سائلا سأله نور الهدى من هو؟ فقال (هو المصطفى) المختار (لله من) بين (أنبيائه) عليهم الصلاة والسلام (قواطع) موانع وعوائق (هـذا الدهر) الزمان (دون لقائه) زيارته (قواطع) عوائق (أحناء) جمع حنو: وهو كل ما كان فيه اعوجاج كالضلع (الضلوع تمزق) تقطع، والجملة صفة لقواطع (ص):

إِلَى كَمْ وَرَبِّى سَابِقٌ بِقَضَائِهِ أُعَلِّلُ قَلْبِي هٰكَذَا بِرَجَائِهِ
كَأَنِّى أَدْرِى مَا زَمَانُ بَقَائِهِ قَبِيحٌ بِمِثْلِي الْعَيْشُ دُونَ لِقَائِهِ
وَإِنِّيَ مِنْ بَغْتِ الْمَنُونِ لَمُشْفِقُ

(ش) (إلى كم) من الزمان (و) الحال أن (ربى) مالكى (سابق بقضائه) بحكمه (أعلل) أشغل (قلبى) فؤادى (هكذا برجائه) أى إلى كم أحزن وأتلهف بعدم الزيارة والحال أن ربى سابق بقضائه، ومع ذلك أعلل قلبى هكذا برجاء لقائه، والتعلل: قطع الزمان بالعيش اليسير بما يذهب به علة الجوع (كأنى أدرى) أعلم، وما فى (مازمان بقائه) استفهامية: أى ماقدر زمان بقاء الغاية (قبيح) مبالغة فى القبح ضد الحسن (بمثلى العيش دون لقائه) زيارته لقوله عليه الصلاة والسلام: «من كان ذا سعة من أمتى ولم يزرنى فليس له عند الله حجة يوم القيامة» (وإنىَ من بغت المنون) فجأة الموت (لمشفق) لخائف، ومنه: «والذين هم من عذاب ربهم مشفقون» (ص):

صَدَقْتُ الْهَوَى قَلْبِي فَلَمْ أَرْضَ زُورَهُ وَأَخْلَصْتُ فِى حُبِّ الرَّسُولِ ضَمِيرَهُ
وَلَمَّا رَأَتْ أَلْحَاظُ قَلْبِيَ نُورَهُ قَبَضْتُ عِنَانَ الْأُنْسِ حَتَّى أَزُورَهُ
فَهَا أَنَا مَبْسُوطُ الْهَوَى مُتَشَوِّقُ

(ش) (صدقت الهوى قلبى) أى أخبرت قلبى صدق الهوى، أو صدقت

قلبي فى هواه ، أو قلبي بدل من الهوى ، أو الهوى نعت لقلبي (فلم أرض) أنا (زوره) كذب الهوى (وأخلصت) قدّست (فى حب الوسول ضميره) أى مستور قلبي (ولما رأت ألحاظ) أبصار (قلبي َنوره) صلى الله عليه وسلم ، والألحاظ : جمع لحظ ، وهو النظر بمؤخر العين (قبضت عنان) سير اللجام الذى تمسك به الدابة (الأنس) أى تركت الأنس بالناس وصرت فى وحشة (حتى أزوره) فى وطنه ، والأنس : ضد الوحشة (فها) للتنبيه (أنا مبسوط) منشور (الهوى متشوّق) حريص عن النفس بالشوق ، وفى بعض النسخ :

* فقلبي خفاق ولا دمع مرقرق *

أى مضطرب كثير الاضطراب (ص) :

مَتَى ذُكِرَتْ أَوْطَانُهُ وَرُبُوعُهُ ... تَوَهَّمَهَا قَلْبِي فَزَادَ نُزُوعُهُ

وَكَيْفَ يُدَاوَى أَوْ يَخِفُّ وُلُوعُهُ ... قَرِيحُ فُؤَادٍ تَسْتَهِلُّ دُمُوعُهُ

مَتَى لَاحَ بَرْقٌ أَوْ مَتَى نَاحَ أَوْرَقُ

(ش) (متى ذكرت أوطانه) محالّه ومنازله (وربوعه) جمع ربع : وهو الدار بعينها (توهمها) ظنها (قلبي) الوصول إلى هذه الأوطان والربوع ، والوهم : هى القوة المدركة للمعانى الجزئية الموجودة فى المحسوسات من غير أن يبادر إليها من طريق الحواس ، كإدراك العداوة والصداقة من زيد مثلا (فزاد نزوعه) اشتياقه وحبه (وكيف) للتعجب (يداوى أو يخف ولوعه) حرقة حبه (قريح) جريح (فؤاد) نائب فاعل يداوى (تستهل) يشتد انصبابها وينسكب (دموعه . متى) ظرف بمعنى الشرط : أى كلما (لاح) أومض (برق أو متى) كلما (ناح) غرّد وصوّت (أورق) وهو الذى لونه كلون الرماد من الحمام .

المعنى : كيف يعالج قريح فؤاد من تسيل دموعه ، ولا ة
أو غرّد حمام ، يقول :

* فهذا حمام الأيك ترتاح للشدو *

فكيف بنا فى محبة رسولنا ، ولا نتفكر نوره بلمعان البرق ، ولذلك قال :
وكيف يداوى الخ (ص) :

وَلَمَّا دَجَا لَيْلُ الشُّجُونِ وَعَسْعَسَا وَلَمْ أَرَ لِلْإِصْبَاحِ فِيهِ تَنَفُّسَا

وَخَابَ رَجَائِى فِى لَعَلَّ وَفِى عَسَى قَسَمْتُ فُؤَادِى بَيْنَ شَوْقِى وَالْأَسَى

كَذَاكَ يَكُونُ الْمُسْتَهَامُ الْمُحَقَّقُ

(ش) (ولما دجا) أظلم (ليل الشجون) الأحزان (وعسعسا) أقبل ظلامه وأدبر ، لأن العسعسة : الظلمة الرقيقة ، يستوى فيه أول الليل وآخره (ولم أر للإصباح) جمع صبح (فيه) أى الليل ، وفى نسخة: منه (تنفسا) الصبح تبلج وظهر ، ومنه قوله تعالى : « والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس » (وخاب رجائى فى) حرف (لعل وفى) فعل (عسى) أى أقول :

* لعلىَ أروى بالذى كنت أظمأ * * وعسى زمن يدنو به ولعلما *

* عسى الضر من قلبى يزاح بنفعه *

أى خاب ظنى لعدم ظفرى بالمطلوب وجواب لما (قسمت فؤادى) قلبى (بين شوقى) محبتى إياه (والأسى) حزنى لعدم زيارتى (كذاك يكون المستهام المحقق) الهائم الذى تحير لشدة العشق وصدق فى حبه يكون كذلك . يعنى يقسم فؤاده بين شوقه وأساه ، وفى نسخة :

قسمت الحشا بين التلهف والأسى فدمعىَ تهمى والجوانح تخفق

أى تضطرب (ص) :

كَثِيرِى قَلِيلٌ فِى جَلَالَةِ سَيِّدٍ يَجِلُّ وَيَعْلُو عَنْ قَصِيدِ الْمُقَصِّدِ

لَعَلَّ وَبَذْلُ الْوُسْعِ جُهْدُ الْمُسَدِّدِ قَصِيدِي مُؤَدٍّ بَعْضَ حَقِّ مُحَمَّدِ
وَأَنَّى يَرُومُ الحَصْرَ لِلْكُلِّ مَنْطِقُ ؟

(ش) (كثيرى) فى مدحى إياه (قليل فى جلالة) عظمة (سيد) عظيم (يجلّ) يعظم (ويعلو) يرتفع مدحه (عن قصيد المقصد) والمقصد الشاعر الذى يواصل عمل القصائد. والقصيد: جمع قصيدة من الشعر مابلغ عشرة أبيات وزاد، والمراد بقصيد المقصد مدح المادح، وكل ما مدح به فهو صلى الله عليه وسلم فوقه، * وقد أثنى الله عليه بما هو أهله *

(لعل و) الحال أن (بذل) عطاء (الوسع) الطاقة ومنه : « لايكلف الله نفساً إلا وسعها» (جهد) غاية (المسدد) الذى يحاول السداد، وهو الصواب فى القول والعمل، ومنه : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » (قصيدى) اسم لعل (مؤدّ) قاض (بعض حق محمد) صلى الله عليه وسلم (وأنى) كيف (يروم) يطلب (الحصر) الإحاطة فى معجزاته وفضائله، ومما خصه الله به (للكل) مما تقدم (منطق) أى لا يرومه، ولا سيما أن يحصره ويجمعه (ص) :

أَحَقًّا غَدَا الرَّكْبُ المُغِذُّ إِلَى مِنَى وَسَارُوا إِلَى الْقَبْرِ الْمُجَلَّلِ بِالسَّنَا
هَنِيئًا لَهُمْ وَاللهُ يَلْطُفُ لِي أَنَا قُصَارَايَ وَالْأَيَّامُ تَمْطُلُ بِالْمُنَى
سَلَامٌ كَمَا هَبَّ النَّسِيمُ الْمُفَتَّقُ

(ش) (أحقا) نصب على المصدر (غدا الركب) اسم لأصحاب الإبل خاصة فى السفر (المغذّ) المسرع (إلى منى * وساروا) مشوا (إلى القبر المجلل) المحاط (بالسنا) بالضوء (هنيئا) ضد التعزية (لهم) للركب المغذّ لقوله صلى الله عليه وسلم : « من زار قبرى كنت له شفيعا يوم القيامة » أو هنيئا دخول الجنة أو هنيئا لهم قضاء حوائجهم بسيرهم إلى محبوبهم (والله يلطف) يرحم (لى أنا)

للتوكيد لياء المتكلم ، ويحتمل أن يكون أنا مبتدأ أول (قصاراى) غاية جهدى مبتدأ ثان (و) الحال أن (الأيام تمطل) تؤخر ، وأصل المطل التسويف بالدَّين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « مطل الغنى ظلم » (بالمنى سلام) خبر من المبتدأ الثانى (كما هبّ) هاج وتحرك (النسيم) الريح الطيبة (المفتق) الذى رائحته زكية (ص) :

سَلاَمٌ عَلَى النُّورِ الَّذِى جَاءَ بِالْهُدَى ... سَلاَمٌ عَلَى الْبَدْرِ الْمُسَمَّى مُحَمَّدَا

وَلاَ يَأْسَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ بَعُدَ الْمَدَى ... قَدِ اسْتَحْكَمَتْ فِى أَضْلُعِى لَوْعَةُ الصَّدَى

فَعُذْرًا فَإِنِّى عَنْ صَبُوحٍ أُرَقِّقُ

(ش) (سلام) من التسليم : وهو الأمان الدائم (على النور) ومن أسمائه عليه السلام النور (الذى جاء بالهدى) من عند الله «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » (سلام على البدر المسمى محمدا) صلى الله عليه وسلم (ولا يأس) قنوط (من قرب وإن بعد المدى) الغاية (قد استحكمت) أتقنت ورسخت (فى أضلعى) جمع ضلع (لوعة) حرقة (الصدى) العطش (فعذرا) أى خذ عذرى ، والعذر : هو إظهار الإنسان مايمحو به ذنوبه (فإنى عن صبوح) وهو الشرب أول النهار (أرقق) أكنى ، وترقيق الكلام تحسينه: أى أزين الكلام لطلب شرب الصباح وهو مثل. ذكر أبوعبيد بن سالم رحمه الله فى كتاب الأمثال : أن سبب هذا المثل رجل أضاف عند قوم فسقوه غبوقه ليلا ، فلما كان عند السحر جعل يحكى لهم حكايات الأجواد من العرب الأسخياء منهم ، ويبدئ فى ذلك ويعيد . فقالت ربة المنزل : أعن صبوح ترقق ، فصار مثلا ، كأنها قالت له : تحسن الكلام ليعطاك الصبوح .

وهنا انتهى حرف القاف، ويتلوه حرف الكاف إن شاء الله ، والله المستعان.

قافية حرف الكاف

لما تكلم فى حرف القاف بكلام وافٍ ، وأراد أن يبتدئ الكلام فى حرف الكاف مشعرا بأن من يريد السلوك فى الطريق المسدد ، فليصن نفسه عن اللهو وأرشده إلى ماهو السداد ، فقال (ص) :

صُنِ النَّفْسَ وَاصْرِفْهَا عَنِ اللَّهْوِ وَالدَّدِ لِمَدْحِ نَبِيٍّ بِالرِّسَالَةِ مُهْتَدِ
لَهُ السُّؤْدَدُ الْعَالِى عَلَى كُلِّ سُؤْدَدِ كَفَى شَرَفاً لِلْهَاشِمِىِّ مُحَمَّدِ
تَقَدُّمُهُ لِلأَنْبِيَاءِ بِلاَ شَكِّ

(ش) (صن النفس) احفظها (واصرفها عن اللهو والدّد) المراد هنا باللهو والدّد غير :

* مديح سوى المختار بالعقل يعيث * البيت

(لمدح نبىّ بالرسالة مهتد) نعت لنبى (له) صلى الله عليه وسلم (السؤدد) السيادة (العالى) الفائق (على كل سؤدد) أى كل له سيادة كأن سائلا قال له : عدد شمائله التى ساد بها ، فقال لاتطول بتعداد ذكرها (كفى شرفا للهاشمى محمد) صلى الله عليه وسلم (تقدمه) فاعل كفى (للأنبياء) أى على الأنبياء (بلا شك) ريب فى ذلك (ص) :

هُوَ الْمُصْطَفَى لِلّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ شَفِيعُ الْوَرَى الْمَقْبُولُ يَوْمَ مَعَادِهِ
وَمُنْقِذُهُمْ مِنْ غَيِّهِمْ لِرَشَادِهِ كَبِيرٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ مُنْذُ وِلاَدِهِ
فَمَا شَبَّ إِلاَّ فِى الطَّهَارَةِ وَالنُّسْكِ

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (المصطفى) المختار (لله) تبارك وتعالى

(بين عباده) المصطفَيْن الأخيار ، قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » الحديث (شفيع الورى) صاحب شفاعة الخلائق (المقبول) له الشفاعة (يوم معاده) مرجعه إلى مولاه (ومنقذهم) مخلص الورى (من غيهم) ضلالتهم (لرشاده) خلاف الغى (كبير) القدر (عظيم القدر منذ ولاده) من وقت ولدته أمه إلى هلم جرا (فما شب) كبر صلى الله عليه وسلم (إلا فى الطهارة) من كل مايدنسه (والنسك) العبادة ، ومنه : « إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له » (ص) :

لَقَدْ أَشْرَبَ الْإِيمَانُ قَلْبِيَ حُبَّهُ ... فَإِنْ قِيلَ لِي مَاتَشْتَهِي قُلْتُ قُرْبَهُ

أُصَافِحُ مَغْنَاهُ وَأَلْثِمُ تُرْبَهُ ... كَذَا فَلْيَكُنْ مَنْ قَدَّسَ اللهُ قَلْبَهُ

فَلاَ شَكَّ مِنْ شَكٍّ وَلاَ شِرْكَ مِنْ شِرْكِ

(ش) والله (لقد أشرب) أدخل وخالط (الإيمان) التصديق بالله (قلبى حبه) أى النبى ، وأشرب يتعدى إلى مفعولين ، وهما قلبى وحبه ، ومنه : « وأشربوا فى قلوبهم العجل » (ف) بسبب ذلك (إن قيل لى ما تشتهى) أىّ شىء تحبه وترغب فى دنياك وآخرتك (قلت قربه) أشتهى دنوّه وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم (أصافح) آخذ (مغناه) منزله ومجلسه بيدى (وألثم) أقبل (تربه) ترب مجلسه ، وهذه استعارة عن الاتصال به (كذا) الإشارة راجعة إلى ماتقدم من وصفه صلى الله عليه وسلم (فليكن من قدس) طهر (الله قلبه) وجعل فيه حبه فليكن كذا يصافح مغناه ويلثم تربه ، وكذا خبر فليكن ، والأمر بمعنى الخبر ومن اسمها (فلا شك) أى لاطعن من رمح أو لاداء ، والشك من أدواء الإبل فكأنه قال : ولا داء (من شك) ارتياب (ولا شرك) نصيب (من شرك) كفر : أى من الشرك الذى هو ضد التوحيد ، ولا يوجد شرك شريك بعد

وجوده لعدم ما يستندون إليه « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » وفي البيت الجناس التام (ص) :

فَلِلّٰهِ صَبٌّ بَاتَ وَهْوَ مُؤَرَّقٌ وَأَكْبَادُهُ بِالشَّوْقِ تُذْكَى وَتُحْرَقُ

لِقَبْرِ رَسُولٍ شَأْوُهُ لَيْسَ يُلْحَقُ كِلاَ طَرَفَيْهِ فِى السِّيَادَةِ مُعْرِقُ

فَمَا شِئْتَ مِنْ أُسٍّ كَرِيمٍ وَمِنْ سَمْكِ

(ش) (فلله) درّ (صب) عاشق (بات) يفعل كذا : إذا فعله ليلا ، من أخوات كان، وهى هنا تامة (و) الحال (هو) أى العاشق (مؤرّق) مسهر (وأكباده) المراد به قلبه ، وجمعه باعتبار النواحى (ب) سبب (الشوق) إليه (تذكى) توقد وتشتعل (وتحرق) تحنذ ، وهذا تشبيه وتمثيل (لقبر رسول) متعلق بالشوق (شأوه) غايته فى سبقه فى الرفعة (ليس يلحق) لم يدركها أحد ولم يرمها ، والجملة الاسمية صفة لرسول (كلا طرفيه) أبيه وأمه (فى السيادة معرق) والعريق الذى له أصل فى الكرم . قال الكلبى : كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أمّ فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية تفعله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح » (ف) قل (ماشئت) أو قدّر له ماشئت ، أو فله ماشئت (من أسّ) أصل (كريم) يعنى أمه (ومن سمك) سقف : يعنى أباه . قال نجم الدين الغيطى رحمه الله بعد كلامه على نذر عبد المطلب : « ولما انصرف عبد الله مع أبيه عبد المطلب من نحر الإبل ، مرّ على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى وهو عند الكعبة واسمها قُتيلة أو رقيقة فقالت له حين نظرت إلى وجهه — وكان أحسن رجل فى قريش — لك مثل الإبل التى نحرت عنك .وقع علىّ لما رأت فى وجهه من نور النبوة ، ورجت أن تحمل بهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ، فقيل إنه أجابها بقوله :

أما الحرام فالْحِمام دونه والحـــلّ لاحل فأستبينه
فـكيف بالأمر التى تبغينه يحمى الـكريم عرضه ودينه

ثم خرج به عبد المطلب ، حتى أتى به إلى وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسباً وشرفا ، فزوّجه ابنته آمنة رضى الله عنها وهى يومئذ أفضل امرأة من قريش نسبا وموضعا » إلى آخر الحديث (ص) :

جَـــلَالٌ سَمَا لِلْفَرْقَدَيْنِ مُزَحْزِحَا خِلَالٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ أَضْحَى مُفَتَّحَا
جَمَالٌ كَوَجْهِ الْيَوْمِ أَسْفَرَ مُصْبِحَا كَمَالٌ كَمَا شُقَّ الْغَمَامُ عَنِ الضُّحَى
وَذِكْرٌ كَمَا فُضَّ الْخِتَامُ عَنِ الْمِسْكِ

(ش) له (جلال) عظمة (سما) علا وارتفع (للفرقدين) أى عليهما ، والفرقدان: نجمان من بنات نعش الصغرى قريبان من القطب الشمالى حال كونه (مزحزحا) مبعدا عنهما حتى وصل إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، له (خلال) خصال وافقت الطبائع (ك) موافقة (زهر) نور (الروض) للطبائع: جمع روضة : وهى البستان (أضحى) صار فى وقت الضحى (مفتحا) مفتقا : مشققا، له (جمال) حسن (كوجه اليوم) أول اليوم أو ذاته (أسفر) أضاء وأظهر ، ومنه : « والليل إذا أسفر » (مصبحا) دخل وقت الصبح أو مضيئا له (كمال) ظاهر (كما شق الغمام) السحاب (عن الضحى) عن الشمس (و) له (ذكر) ثناء حسن يفوح وتميل إليه النفوس (كما) مصدرية (فض) فك (الختام) والفض : الـكسر بالتفرقة (عن المسك) أى طيبه ، والختام : الغطاء، وفى البيت تمثيل وتشبيه (ص) :

عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللهِ أَزْكَى تَحِيَّةٍ فَـكَمْ حَازَ مِنْ فَضْلٍ وَكَمْ مِنْ مَزِيَّةٍ

وَمِنْ شِيَمٍ عُلْوِيَّةٍ قُدْسِيَّةٍ ... كَرَامَتُهُ فِى الرُّسْلِ غَيْرُ خَفِيَّةِ
هُمُ السِّلْكُ نَظْمًا وَهْوَ وَاسِطَةُ السِّلْكِ

(ش) (على خير خلق الله) خبر مقدم مبتدؤه (أزكى تحية) أطهر سلامة (فكم حاز من فضل وكم من مزية) أى كثيرا : جمع من خير الدارين ، وكثيرا: جمع من الفضيلة (و) كم حاز (من شيم) طبائع (علوية) شريفة منسوبة إلى العلو (قدسية) منسوبة إلى القدس : وهو الطهر (كرامته) معجزته ، وما خصه الله به (فى الرسل) عليهم الصلاة والسلام (غير خفية) بل هى ظاهرة دائمة (هم) أى الرسل (السلك) خيط اللؤلؤ (نظما) حال أو تمييز (وهو) صلى الله عليه وسلم (واسطة السلك) خيارها (ص) :

وَلَمَّا ارْتَضَاهُ اللهُ لِلْوَحْىِ عَيْبَةً ... وَجَلَّلَ بِالنُّورِ النَّبِيِّىِّ طَيْبَةً
وَلَمْ يَنْأَ فِى حَالٍ عَنِ الحَقِّ غَيْبَةً ... كَسَاهُ إِلَهُ النَّاسِ فِى النَّاسِ هَيْبَةً
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالمُلْكِ

(ش) (ولما) حين (ارتضاه الله) اختاره (للوحى عيبة) هى موضع سر الرجل ، ووعاء يصان فيه الثياب والأمتعة .

والمعنى : أنه يصون الوحى (وجلل) غطى وستر (بالنور النبيىّ) نسبة للنبى (طيبة) يعنى المدينة (ولم ينأ) يبعد (فى حال) من أحواله (عن الحق) عن مراقبة الحق وحضوره له تعالى (غيبة) وجواب لما (كساه) ألبسه (إله الناس) مالكهم (فى الناس هيبة) جلالة أو كرامة (وشتان) بعد (ما بين النبوة والملك) فملوك الدنيا تهاب ، فكيف هو والنبوة تحتها كل ملك ورياسة :

* ذوو الملك دانوا خاضعين لأمره *

(ص) :

لَقَدْ طَابَ مِنْهُ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ أَطْيَبُ وَصَابَ عَلَيْنَا لِلْهُدَى مِنْهُ صَيِّبُ
حَبِيبٌ إِلَى الرَّحْمٰنِ عَبْدٌ مُقَرَّبُ كَثِيرُ الْمَزَايَا وَالْعَطَايَا مُحَبَّبُ
إِلَى الْخَلْقِ مَرْفُوعُ الْمَحَلِّ عَنِ الدَّرْكِ

(ش) والله (لقد طاب) طهر ، أو من الطيب : بمعنى فاح (منه) صلى الله عليه وسلم (الأصل) أصله من قِبَل آبائه وأجداده (والفرع) الذى هو ما خرج من ذلك الأصل (أطيب) أكثر طهرة ، أو أكثر طيبا (وصاب) نزل (علينا) معاشر الأمة (للهدى) للرشد (منه) صلى الله عليه وسلم (صيّب) مطر كثير ، ومنه : « أو كصيب من السماء » هو (حبيب) محبوب (إلى الرحمن عبد) للرحمن (مقرب * كثير المزايا) أى فضائله كثيرة لا تمدّ (و) كثير (العطايا) أى عطاياه ، هو (محبب . إلى الخلق) هو (مرفوع المحل عن الدرك) أى مكانه مرفوع لا يلحق ولا يدرك (ص) :

لَقَدْ أَوْسَعَ اللهُ الْبَرِيَّةَ عَطْفَهُ لَقَدْ صَلَّتِ الْأَرْسَالُ فِى الْعُلْوِ خَلْفَهُ
لَقَدْ جَلَّ عَنْ أَنْ يَبْلُغَ الشِّعْرُ وَصْفَهُ كَرِيمُ السَّجَايَا مَلَّكَ اللهُ كَفَّهُ
رِقَابَ الْوَرَى فَاسْتَوْجَبُوا الْعِتْقَ بِالْمُلْكِ

(ش) والله (لقد أوسع الله البرية) أغنى الله الخلق (عطفه) رحمته عليهم ، والمراد به هنا الشفاعة ، والله (لقد صلت الأرسال) أى الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والمراد أرواحهم (فى العلو) فى السموات العلى (خلفه) وراءه مأمومين به :

* فلما رأته قدمتـــه وصلّت *

والله (لقد جل) عظم (عن أن يبلغ الشعر وصفه) نعته ، والشعر لغة: العلم بالفهم ، وعرفاً : كلام مقفى موزون قصدا ، هو (كريم السجايا) أى سجاياه : أى طبائعه وشمائله ، كريم (ملك الله كفه) صلى الله عليه وسلم (رقاب الورى) أعناق الخلق (فاستوجبوا العتق) الخلوص من النار (بالملك) أى بسبب تمليكه إياهم ، والمراد أن الله تعالى أوجب عليهم اتباعه ، وامتثال سنته والاقتداء بهديه ، وهذا تمليك له صلى الله عليه وسلم .قال صلى الله عليه وسلم : « هذه أمة مرحومة عذابها بأيديها ، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين ، فيقال هذا فداؤك من النار » (ص) :

هُوَ الحَقُّ بِالْبُرْهَانِ يُعْرَفُ صِدْقُهُ هُوَ الرَّتْقُ لِلْخَطْبِ الَّذِى جَلَّ فَتْقُهُ
هُوَ الْغَوْثُ بَعْدَ الْيَأْسِ أَدْرَكَ رِفْقُهُ كَصَيِّبِ مُزْنٍ أَخْضَلَ الْأَرْضَ وَدْقُهُ
فَلَا مِقْوَلٌ يَشْكُو وَلَا مُقْلَةٌ تَبْكِى

(ش) (هو الحق) وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم . قال تعالى: «فلما جاءهم الحق من عندنا» (بالبرهان) بالدليل القطعى، لأن دلائله كلها قطعية (يعرف) يعلم (صدقه* هو الرتق) السد (للخطب) للأمر العظيم (الذى جل) عظم (فتقه) فتحه أو شقه وثقبه ، ومنه : « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » أى سد مابين الأوس والخزرج ، وهما أخوان شقيقان أبوهما حارث ابن ثعلبة ، وأمهما قيلة بنت كاهن بن قضاعية ، دامت حربهم مائة وعشرين سنة إلى قدومه صلى الله عليه وسلم فألف الله عز وجل بينهم ببركته ، وفيهم نزلت «وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً» الآية (هو الغوث) العون (بعد اليأس أدرك) الخلق (رفقه) وفى الحديث : « إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة فيلقيها فى كفة الميزان التى فيها حسناته فيرجح،

فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى ، ما أحسن وجهك وما أحسن خُلقك ، من أنت؟ فيقول : أنا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صلواتك التى كنت تصلى علىّ ، وقد وفيتك أحوج ما تكون إليها» وكفه تهمى بالندى أو نبع الماء (كصيب مزن) مطر سحاب (أخضل) بلل (الأرض ودقه) مطره ، ومنه : « فترى الودق يخرج من خلاله » (فلا مقول) لسان : أى صاحب قول (يشكو) فاقة (ولا) ضررا ، ولا (مقلة) شحمة العين (تبكى) لعدم موجب البكاء (ص) :

جَزَى اللهُ عَنَّا الخَيْرَ أَجمعَ أَحْمَدَا   أَتَانَا بِأَمْرِ اللهِ يُعْلِنُ مُرْشِـدَا
وَهَلْ يَعْتَرِى فى الصُّبْحِ شَكٌّ وَقَدْ بَدَا   كَمَا يَنْفَحُ الزَّهْرُ الأَنِيقُ مَعَ النَّدَى
كَمَا يَخْلُصُ التِّبْرُ الْعَتِيقُ عَنِ السَّبْكِ

(ش) (جزى) أثاب (الله عنا) معاشر الأمة (الخير) مفعول ثان لجزى (أجمع) تأكيد للإحاطة (أحمـدا) المرتضى بشرى عيسى مفعول أول ، كأن سائلا سأله : لماذا طلبت أن يجازيه عنا الخير ؟ فقال لأنه (أتانا بأمر الله) بشأنه الذى هو الخير الشامل للأمر والنهى (يعلن) يظهر الأمر حال كونه (مرشدا) الخلق إلى طريق مستقيم . قال تعالى: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» (وهل) الاستفهام إنكارى (يعترى) يعترض ويصيب (فى الصبح شك) ضد اليقين (و) الحال أنه (قد بدا) ظهر : أى لايشك أحد فى الصبح بعد ظهوره ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم لايشك أحد فى نبوته ورسالته (كما ينفح الزهر) النوّر (الأنيق) الحسن المعجب (مع الندى) المطر (كما يخلص) يطهر (التبر) هو ما كان من الذهب غير مضروب (العتيق) القديم الذى لا غش فيه (عن السبك) الصوغ والذوب (ص) :

أَتَانَا وَمَا مِنَّا عَنِ الغَيِّ مُقْصِرُ فَأَبْصَرَ أَعْمَى وَاهْتَدَى مُتَحَيِّرُ
وَفِى مَدْحِهِ أَطْنِبْ وَأَنْتَ مُقَصِّرُ كَأَحْمَدَ لَمْ تُبْصِرْ وَلاَ أَنْتَ مُبْصِرُ
مُعِيناً عَلَى التَّقْوَى مُغِيثاً مِنَ الْهُلْكِ

(ش) (أتانا) صلى الله عليه وسلم (وما منا) ليس أحد منا (عن الغى) الضلال (مقصر * ف) بسبب النبى صلى الله عليه وسلم (أبصر أعمى) جاهل: أى صار عالما، والمراد من كانت عيناه لاتبصران صار يبصر بهما بسببه. وروى عن ابن حبيب بن فديك: «أن أباه ابيضت عيناه فكان لايبصر بهما شيئا، فنفث عليه الصلاة والسلام فى عينيه فأبصر، فرأيته يدخل الخيط فى الإبرة وهو ابن ثمانين سنة» (واهتدى) ارتشد بسببه (متحير) حائر مرتاب، والمراد به هنا الذى لايعرف الحق من الباطل (فى مدحه) صلى الله عليه وسلم (أطنب) بالغ وأكثر الكلام فيه، لأن المقام مقام الإطناب (و) الحال (أنت مقصر) عاجز عن كنه مدحه، فكل مادح به فهو صلى الله عليه وسلم فوقه:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

(كأحمد) المرتضى بشرى عيسى (لم تبصر) فيما مضى من الزمان (ولا أنت مبصر) فيما بقى من الزمان:

* مدى الدهر لم يخلق ولا هو يخلق *

(معيناً على التقوى) عملا بقوله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» (مغيثاً) مخلصا (من الهلك) الهلاك، معيناً ومغيثاً منصوبان على الحال، أو على المفعولية لمعيناً على التقوى كأحمد، ومغيثاً عطفاً عليه بحذف الواو للوزن (ص):

تَتِمَّةُ رُسْلِ اللهِ خَيْرُ تَتِمَّةٍ عَزَائِمُهُ تَفْرِى عُرَى كُلِّ عَزْمَةٍ

عَزَائِمُهُ تَفْرِي عُرَى كُلِّ عَزْمَةٍ ... مَرَاتِبُهُ تَعْلُو ذُرَى كُلِّ قِمَّةٍ ... كَتَائِبُهُ ذَلَّتْ لَهَا كُلُّ أُمَّةٍ

فَقَدْ دَانَ مَا بَيْنَ الْأَحَابِيشِ وَالتُّرْكِ

(ش) هو (تمة) أى آخر وختام (رسل الله) عليهم الصلاة والسلام (خير تمة) أحسن تمام وأبهجه :

* به ختم السلك النبيئ بهجة *

(عزائمه) أى أوامره ، والعزم : إجماع المرء على فعل يفعله ولا يتردد فيه (تفرى) تقطع (عرى) عقد (كل عزمة) جماعة ، والمراد به نسخ شرعه شرائعَ من قبله (مراتبه) منازله (تعلو) تسمو (ذرى كل قمة) أعلى كل عال ، والمراد أن درجات نبينا صلى الله عليه وسلم تعلو على درجات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (كتائبه) جيوشه وعساكره جمع كتيبة : وهى الجيش (ذلت) أطاعت وخضعت (لها) للكتيبة (كل أمة) جماعة (فقد دان) أطاع (ما بين الأحابيش) بالياء وبلا ياء ، وهى الجماعة التى ليست من قبيلة واحدة ، وكذلك الأحبوش (والترك) هم جيل من الناس : أى صنف منهم ، وإذا دان ما بينهما :

* فسر مفردا فالأرض قد ملئت أمنا *

(ص) :

فَكَمْ ذِي ارْتِبَاكٍ فِي الضَّلَالِ بِهِ هُدِي ... وَكَمْ بِيعَةٍ فِي الْأَرْضِ رُدَّتْ لِمَسْجِدِ

عَلَى رَغْمِ أَعْدَاءٍ بُغَاةٍ وَحُسَّدِ ... كَوَاكِبُ آيَاتِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

جَلَتْ مَا دَجَى فِي الْأَرْضِ مِنْ ظُلَمِ الْإِفْكِ

(ش) (فكم) كثير من (ذى ارتباك) صاحب تحير ونشوب : أى تعلق (فى الضلال) ضد الرشد (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم لا بغيره (هدى * وكم)

من (بيعة) هى كنيسة النصارى (فى الأرض ردت لمسجد) بإسلام أهلها ، أو انتزاعها منهم كرها (على) مع (رغم) ذلّ وكره (أعداء بغاة) ظالمين (و) مع رغم (حسّد) جمع حاسد ، والمراد بهم اليهود ومشركو العرب .

لقيت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله : أنشدت أبياتاً فأنصت رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها فأنشأت تقول :

* لا مات حسادك بل خلدوا *

فلما أنشدت البيت أنصت صلى الله عليه وسلم إليها ، وعلىّ رضى الله عنه جرّد سيفه ليقتلها ، فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك حتى تكمل أبياتها ، فجعلت تقول هذه الأبيات :

لا مات حسادك بل خلدوا   حتى يروا منك الذى يكمد
ولا خلاك الدهر من حاسد   فإن خير الناس من يحسد

(كواكب) أى النجوم التى هى (آيات النبى محمد) صلى الله عليه وسلم : أى علامات نبوّته (جلت) كشفت وأزالت (مادجى) أظلم (فى الأرض من ظلم) جمع ظلمة (الإفك) الكذب ومن بيانية (ص) :

وَمَا يَبْتَغِى الْحُسَّادُ مِمَّنْ أَجَلَّهُ   كَمَا شَاءَ مَوْلاَهُ وَأَسْنَى مَحَلَّهُ
وَقَدْ جَاءهُ مِنْهُ لِيُظْهِرَ فَضْلَهُ   كِتَابٌ عَزِيزٌ أَعْجَزَ الْخَلْقَ كُلَّهُ
وَكَمْ مُلْحِدٍ فِى الْمَحْكِ لَجَّ وَلَمْ يَحُكِ

(ش) (وما) أىّ شىء (يبتغى) يطلب (الحساد) جمع حاسد : وهو الذى يتمنى زوال النعمة عن الغير وصلت إليه أم لا ، وهو عدو الله وعدوّ نعمة الله (ممن) أى الذى (أجلّه) عظمه مولاه (كما شاء) أراد (مولاه) ناصره أن يجله (و) يبتغى الحساد ممن (أسنى) أرفع (محله) درجته مولاه كما شاء أن يرفعها ،

والفعلان يتنازعان فى مولاه (وقد جاءه) أتاه (منه) من عند مولاه (لـ) أجل أن (يظهر) الكتاب للناس (فضله) منزلته عند ربه (كتاب) فاعل جاء (عزيز) « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » ومعنى عزيز : منيع لايقدر أحد على معارضته (أعجز) الكتاب العزيز (الخلق) المخلوق (كله) عن الإتيان بمثله « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » أو المراد بالكتاب القرآن (وكم) كثير (ملحد) مائل عن الحق (فى المحك) اللجاج وشدة الرأس (لجّ) تمادى فى ضلاله (ولم يحك) لم يشابه : أى لم يقل مثله ، وقد قالوا : « لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين » وقد قال لهم الله: « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » أو من تعاطى من سخفائهم كمسيلمة الكذاب كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم فى تعاطيه بمخرمة : أى مضحكة وحمق كقوله عند ما سمع بسورة الفيل : الفيل وما أدراك ما الفيل، له ذنب وثيل وخرطوم طويل ، وإن ذلك فى خلق ربنا لقليل (ص) :

أَيُحْكَى قَدِيمٌ بِالْكَلَامِ الْمُوَلَّدِ ... دَعِ الْإِفْكَ وَاكْلَفْ بِالْحَقِيقَةِ تُرْشَدِ
وَأَنْشِدْ إِذَا الْأَفَّاكُ لَجَّ وَرَدَّدِ ... كَلِفْنَا بِمَدْحِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدِ
بِصُبْحِ الْهُدَى الْعُلْوِيِّ بِالْقَمَرِ الْمَكِّى

(ش) (أيحكى قديم) أى لا يحكى كلام الله القديم الذى لا أول له (بالكلام المولد) المولود عليه من الكلام المحدَث (دع) اترك (الإفك) الكذب (واكلف) تولع واشتغل : أى أحبب (بالحقيقة ترشد) مجزوم على جواب الأمر : أى أرشدك الله (وأنشد) الشعر فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم (إذا الأفاك) الكذاب (لجّ) تمادى فى ضلاله (وردّد) كرره مرة بعد أخرى

ودم على إنشاد ذكر مدحه ، وقل فى إنشادك (كلفنا) أو لعنا واشتغلنا (بمدح الهاشمىّ محمد) صلى الله عليه وسلم (ب) مدح (صبح الهدى) الرشد (العلوىّ) وهوالنبى صلى الله عليه وسلم، و بصبح الهدى بدل من قوله بمدح وكذا (ب) مدح (القمر المكى) هو النبى صلى الله عليه وسلم و إنما سمى به لبياضه ، أو الباء بمعنى مع ، وفى رواية : بصيح الهدى بالياء من الصياحة ، والمراد به جبريل عليه السلام وفى الحديث : « إن جبريل صاح به : يا محمد يا محمد أنا جبريل » الحديث.

(ص) :

مُبَلِّغُ أَمْرِ اللهِ مِنْ غَيْرِ شَدْهَةٍ عَلَى طِرْفِ جِدٍّ لاَيُعَابُ بِسَمْهَةٍ

وَلَمَّا صَرَفْنَا نَحْوَه كُلَّ وِجْهَةٍ كَشَفْنَا بِهِ عَنَّا دُجَى كُلِّ شُبْهَةٍ

فَمَا تُعْدَمُ الْأَنْوَارُ فِى الظُّلَمِ الْحُلْكِ

(ش) هو صلى الله عليه وسلم (مبلغ) موصل (أمر الله) وحيه (من غير شدهة) تحير والتباس حال كونه (على طرف) فرس كريم من (جد) غير هزل (لايعاب بسمهة) إعياء ، من باب نفى الملزوم بنفى لازمه : أى ليس بسامه فيعاب بالسمه (ولما صرفنا) رجعنا (نحوه) جهته (كل وجهة) طريقة أو ناحية أو قصد (كشفنا) أزلنا (به عنا دجى كل شبهة) ظلمة بسببه (ف) بسبب ذلك (ماتعدم الأنوار فى الظلم الحلك) الشديدة الظلمة (ص) :

مَدَحْنَاهُ مَدْحًا لَمْ نَنَلْ مِنْهُ غَايَةً وَلٰكِنَّهُ جُهْدُ الْمُقِلِّ عِنَايَةً

بِذِكْرِ حَبِيبٍ يَبْهَرُ الشَّمْسَ آيَةً كَتَمْنَا بِنَأْيِ الدَّارِ عَنْهُ شِكَايَةً

وَلاَ طِبَّ إِلاَّ الْقُرْبُ لَوْ أَنَّهُ يُشْكِى

(ش) (مدحناه) صلى الله عليه وسلم (مدحا) ثناء حسنا (لم ننل)

ندرك (منه) من ذلك المدح ، أو من النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى موجب مدحه (غاية) نهاية مما يستحقه فنقف عليها :

* فأطنب فقد وافاك ما ليس ينفد *

(ولكنه) ذلك المدح مع ما فيه من التقصير (جهد المقل) طاقة الفقير فيقبل منه كما قال الشاعر :

جهد المقل إذا أعطاك نائله ومكثر فى الغنى والجود سيان

ذا (عناية) حال : أى اعتناء من المقلّ واختصاص منه (بذكر) مدح (حبيب) صلى الله عليه وسلم ، لأنه :

* حبيب لمولاه حبيب لخلقه *

(يبهر) يغلب (الشمس آية) أى ضوءا وعلامة، وجملة يبهر صفة لحبيب (كتمنا) سترنا ، ومنه الحديث : « استعينوا على أموركم بالكتمان لها » (بنأى) بُعد (الدار عنه) صلى الله عليه وسلم (شكاية) عظيمة ، وإذا وصلنا إليه نرفع له شكايتنا (ولا طبّ) لنا ينجى من الشكوى (إلا القرب) أى إلا قربه (لو أنه) أى القرب (يشكى) يوافق ويزيل شكوانا ، نعم يزيل شكوانا بحصول قربه (ص) :

نَأَى فَنَأَى صَبْرِى وَأَكْدَى تَجَلُّدِى وَلاَ شَىْءَ إلاَّ القُرْبُ يَأْخُذُ بِالْيَدِ
وَيَمْحُو ذُنُوبِى يَوْمَ نَشْرِى لِمَوْعِدِى كَبَائِرُنَا تُمْحَى بِجَاهِ مُحَمَّدِ
إِذَا طَاشَتِ الْأَلْبَابُ فى الْمَوْقِفِ الضَّنْكِ

(ش) (نأى) بَعُد رسول الله صلى الله عليه وسلم عنا حسًّا غير ناء معنى (فنأى) بعد (صبرى) بسبب ذلك (وأكدى) امتنع (تجلدى) أى صبرى بلغ الكدية ؛ أصله أن الحافر يحفر فتصادفه كدية : أى صخرة فتمنعه عن الحفر ،

فيقال أكدى ، ثم استعمل فى كل من طلب شيئا ولم يصل إليه : أى كأنه بلغ الغاية فى الصبر واستعار للكدية ، ومنه : « وأعطى قليلا وأكدى » (ولا شىء) يخلصنى من عذاب البعد (إلا القرب) إلا قربه له (يأخذ) القرب ، أو النبى صلى الله عليه وسلم (باليد) بيده أو بيدى ، أو يأخذ جملة حالية (ويمحو) القرب ، أو النبى صلى الله عليه وسلم (ذنوبى) بشفاعته إياى (يوم نشرى) حياتى (لموعدى) لأجل ما وعدنى ربى ، أو لمرجعى إلى الله يوم القيامة (كبائرنا) جرائمنا ، وهى الذنوب العظام إذا عملناها ومتنا على التوحيد (تمحى) تزال وتضمحلّ (بجاه) سيدنا ومولانا (محمد) صلى الله عليه وسلم . وروى : « يؤتى يوم القيامة برجلين أحدهما اسمه أحمد والآخر محمد لم يعملا خيرا قط ، فيقول الله سيروا بعبدىّ إلى الجنة ، فيقولان: يا ربنا بأىّ شىء استوجبنا الجنة ولا عمل لنا؟ فيقول الله : لأنى آليت على نفسى أن لا أعذب من تسمى باسم حبيبى » (إذا طاشت) خفت وذهبت (الألباب) جمع لبّ : وهو العقل الخالص (فى الموقف الضنك) الضيق أو الشديد ، ومنه : « فإن له معيشة ضنكا » والموقف الضنك : هو يوم القيامة « يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » (ص) :

هُنَاكَ يُلاَقِى المَرْءُ سَالِفَ كَدْحِهِ ... وَيَسْلَمُ مِنْ حَرِّ السَّعِيرِ وَلَفْحِهِ

فَتًى مَدَحَ الْمُخْتَارَ آسِ لِجُرْحِهِ ... كَأَنَّ الْمُصِرَّ الْمُسْتَجِيرَ بِمَدْحِهِ

غَرِيقٌ أَوَى خَوْفَ الْهَلاَكِ إِلَى الْفُلْكْ

(ش) (هناك) إشارة إلى الموعد أو إلى الموقف على شأن التخميس (يلاقى) من اللقاء (المرء) الإنسان (سالف) ماضى (كدحه) عمله خيرا أو شرا ، ومنه : « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه » (ويسلم)

ينجو (من حر السعير) اسم من أسماء النار أعاذنا الله منها ، والمراد هنا بها من حرّ جهنم (ولفحه) إحراقه (فتى) فاعل يسلم (مدح المختار) صفة فتى (آس) مداوٍ طبيب خبر مبتدأ محذوف (لجرحه) كلمه ، أوالمراد ذنبه ؛ وطبه مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم ، تقديره : فتى مدح المختار آس لجرحه يسلم من حر السعير ولفحه (كأنّ المصرّ) المقيم على الذنب (المستجير) الذى طلب الإجارة : وهى الأمانة (بـ) سبب (مدحه) صلى الله عليه وسلم (غريق) خبر كأنّ ، وجملة (أوى) أى انضم صفة لغريق (خوف) لأجل الخوف (الهلاك إلى الفلك) السفينة ، والمراد بالفلك : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم .

هنا انتهى حرف الكاف ، ويتلوه حرف اللام إن شاء الله، والله المستعان .

قافية حرف اللام

لمـا فرغ من مدحه عليه الصلاة والسلام فى حرف الكاف ، أراد أن يشرع فى حرف اللام ، نادما على ما فاته فى زمن الشباب بإصلاح حاله من الدين ، والقربة مخبرا بأن ما فاته فى حال صباه ، وما أضاعه يدركه بمدحه صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال (ص) :

قَضَى الْقَلْبُ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ دُيُونَهُ وَلِلشَّيْبِ عَهْدٌ يَنْبَغِى أَنْ نَصُونَهُ
وَقَدْ لاَحَ وَالْغَاوِى يَغُضُّ جُفُونَهُ لِطَيْبَةَ نُورٌ تَقْصُرُ الشَّمْسُ دُونَهُ
تَطَابَقَ فِى تَحْقِيقِهِ الْحِسُّ وَالنَّقْلُ

(ش) (قضى) أدّى وفرغ ، ومنه : «فإذا قضيتم مناسككم» أى فرغتم (القلب من عهد) زمان (الشباب) حداثة السن (ديونه) التى للهوى (وللشيب)

بياض الشعر (عهد) حرمة وذمة وزمان (ينبغى) يستحب (أن نصونه) نحفظه . ويروى بالياء ويعود ضميره على الشيب : أى يحفظه بترك مالايليق لحرمته ووقاره . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « أخبرنى جبريل عن الله أنه قال : وعزتى وجلالى ، ووحدانيتى وارتفاع مكانى ، واستوائى على عرشى إنى لأستحيي من عبدى وأمتى يشيبان فى الإسلام أن أعذبهما ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى عند ذلك ، فقلت يا رسول الله مايبكيك ؟ قال : بكيت لمن يستحيي الله عز وجل منه ولا يستحيي من الله عز وجل » (و) الحال أن الشيب (قد لاح) لمع وظهر واشتعل فى الرأس (والغاوى) الضال الذى أضله الله (يغض) يغطى (جفونه) جمع جفن : وهو غطاء المقلة لئلا يرى الشيب ويقوم بموجبه ، بل يكتمه بالكتم ، ولمثله قال الشاعر :

يا أيها الرجل المسوّد شيبه ... كيما يعدّ به من الشبان
أقصر ولو سودت كل هامة ... بيضاء ماعدت من الغربان

ولآخر :

وللغوانى خضبت شيبى ... فأجلسونى مع شبابى
فانتقدونى فبهرجونى ... وأخرجونى من الحساب

ويحتمل أن فاعل لاح نور على مثال التخميس، استقر (لطيبة) مدينة (نور تقصر) تعجز (الشمس دونه) تحته وتقصر صفة لنور (تطابق) توافق (فى تحقيقه) أى النور (الحس) مايدرك بالحواس ، والمراد به حاسة البصر (والنقل) وما نقله العدول من أنه صلى الله عليه وسلم استقر بيثرب وتوفى هناك ، وهذا مما لانزاع فيه (ص) :

لِمَنْ مِثْلُهُ مَا دَانَ لِلهِ دَائِنُ ... لِمَنْ نُتِحَتْ بِالوَعْدِ مِنْهُ المَدَائِنُ

لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فِى غَيْرِ حَقٍّ يُلاَيِنُ ‏ ‏ ‏ ‏ لِخَيْرِ الْوَرَى مَنْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَأَفْضَلُ مَذْخُورٍ لَهُ الْحُبُّ وَالْوَصْلُ

(ش) استقر ذلك النور (لمن مثله ما دان لله دائن) أى ما أطاع الله طائع مثله صلى الله عليه وسلم ، فإنه أتقى الناس وأعلمهم وأحلمهم صلى الله عليه وسلم وذلك النور استقر (لمن فتحت بالوعد منه المدائن) الأمصار والقرى ، وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول حين فتحت الأمصار فى زمن عمر رضى الله عنه وزمان عثمان رضى الله عنه وما بعده: ما افتتحوا من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك ، وذلك النور استقر (لمن لم يكن فى غير حقّ يلاين) يدارى : أى ليس يخاشن ، وغير الحق الباطل . يعنى : أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يلين على الباطل ، وإنما يلين على الحق :

* فما زال ممن خالف الحق يبرأ *

وذلك النور استقر (لخير الورى) الخلق (من كان) بدل الشىء من الشىء (أو هو كائن) إلى يوم القيامة (وأفضل مذخور) أى مايدخر فى الآخرة (له الحب والوصل) أى حبى ووصلى مذخور له لا لغيره :

* ذخرت لهول الحشر حب محمد *

(ص) :

كَرِيمٌ كِرَامِ الصِّيدِ وَالنُّخَبِ الْأُولَى ‏ ‏ ‏ ‏ لَهُمْ قَدَمٌ يَعْلُو عَلَى النَّجْمِ مَنْزِلاَ
أَجَلُّهُمُ قَدْرًا وَأَفْضَلُهُمْ حُلَى ‏ ‏ ‏ ‏ لُبَابُ لُبَابِ الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلاَ
وَقَدْ طَابَ مِنْهُ الطَّبْعُ وَالْفَرْعُ وَالْأَصْلُ

(ش) هو (كريم كرام الصيد) أى السادات من كل أصيد : أى ملك :

* بتقواه ساد الصيد من كل عالم *

(والنخب) الخيار (الأولى) الذين (لهم قدم) سبق وتقدم فى المكرمات (يعلو على النجم) الثريا (منزلا) تمييز ؛ وهو صلى الله عليه وسلم نخبة بنى هاشم وسلالة قريش وصميمها، وأفضل العرب وأعزهم نفرا من قِبل أبيه وأمه (أجلهم) أى الورى (قدرا) درجة (وأفضلهم حلى) جمع حلية : وهى الصيغة (لباب لباب) خالص خالص (الجود و) لباب لباب (المجد) الشرف (و) لباب لباب (العلا) الرفعة (وقد طاب) من الطيب (منه) صلى الله عليه وسلم (الطبع) السجية التى جبل عليها (و) قد طاب منه (الفرع) الذى هو صلى الله عليه وسلم : أى هو شريفهم (و) قد طاب منه (الأصل) والمراد أبوه (ص) :

فَأَمَّا عُقُودُ الْمُشْرِكِينَ تَحَلَّهَا ... وَأَمَّا دِمَاءُ الْمُعْتَدِينَ فَطَلَّهَا
وَأَذْهَبَ أَحْقَادَ الصُّدُورِ وَسَلَّهَا ... لَهُ جَمَعَ اللهُ الْفَضَائِلَ كُلَّهَا
فَمِقْدَارُهُ يَعْلُو وَتَذْكَارُهُ يَحْلُو

(ش) (فأما عقود) جمع عقد (المشركين) الكافرين (فحلها) والمراد بالعقود الأحكام التى كانوا يحكمون بها ، ولم يبق لهم عقد إلا حله .

والمعنى : أن صحيفتهم التى كتبوها لعداوة النبى صلى الله عليه وسلم أكلت الأرضة ما فيها من جَور وظلم ، و بقى ما فيها من ذكر الله (وأما دماء المعتدين) المتجاوزين حدود الله (فطلها) أهدرها وجعلها باطلا، ولم يأخذ لها دية ولا قودا. وروى ابن قانع «أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله سمعت أبى يقول فيك قولا قبيحا فقتلته ، فلم يشقّ ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم» إلى أن قال ابن عباس رضى الله عنهما: « إن أعمى كانت أمه أمّ ولد تسبّ النبى صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر ، فلما كانت ذات ليلة تقع فى النبى

صلى الله عليه وسلم فتشتمه فقتلها ، وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأهدر دمها » (وأذهب) أزال النبي صلى الله عليه وسلم (أحقاد الصدور) أضغان القلوب (وسلَّها) أخرجها برفق حتى ألف بين قلوبهم ، كما قال الله تعالى : « وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم » الآية (له) صلى الله عليه وسلم (جمع الله الفضائل) خلاف النقائص (كلها . فمقداره) قدره (يعلو) على قدر الناس (وتذكاره) ذكره (يحلو) من الحلاوة نقيض المرارة

(ص) :

فَكَمْ بَاطِلٍ أَضْحَى بِهِ وَهْوَ زَاهِقٌ ... وَإِنْ لَجَّ مُرْتَابٌ وَشَكَّ مُنَافِقُ

فَفِي الْبَعْثِ تَبْدُو لِلْجَمِيعِ الْحَقَائِقُ ... لِوَاءُ رَسُولِ اللهِ فِي الْحَشْرِ خَافِقُ

وَهَلْ تَحْتَهُ إِلاَّ النَّبِيُّونَ وَالرُّسْلُ

(ش) (فكم) كثير من (باطل) أصحابه أو نفسه (أضحى) صار (به) بالنبي صلى الله عليه وسلم (و) الحال (هو زاهق) هالك وذاهب ، وفي الحديث : « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنما ، فأشار إلى كل صنم بعصا وقال : ـ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ـ فكان لا يشير إلى صنم إلا سقط من غير أن يمسه بعصا » (وإن لج مرتاب) تمادى الشاكّ في ضلالته (وشك منافق) هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر (ففي البعث) جواب إن (تبدو) تظهر (للجميع) من مرتاب ومنافق (الحقائق) حقيقة الأمر الذي دعوا إليه فأبوا إجابته إذ ظهر لهم الحقائق : « يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » (لواء رسول الله) علمه الضخم : وهو ما كان مستظلا ولا يمسكها إلا صاحب الجيش ، وموضوعها شهرة مكان الرئيس (في الحشر) يوم القيامة (خافق) مضطرب ، ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ما روى : « أن لواءه يضرب يوم القيامة ، فما دام لواؤه مضروبا لا يعذب بنار أحد لا مسلم ولا كافر »

(وهل) ليس (تحته إلا النبيون والرسل) وعباد الله الصالحون ، وسكت عنهم لاتباعهم بالأنبياء ، وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، و بيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ آدم ، فمن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » (ص) :

لَهُ الْكَوْثَرُ الْمُرْوِى بِفَضْلِ مِيَاهِهِ مَنِ اخْتَصَّهُ بِالسَّعْدِ حُكْمُ إِلٰهِهِ
فَلَمْ يَنْأَ عَنْ إِرْشَادِهِ لِسَفَاهِهِ لِذَلِكَ لاَذَ الْعَالَمُونَ بِجَاهِهِ
وَقَدْ طَاشَتِ الْأَلْبَابُ وَازْدَحَمَ الْحَفْلُ

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (الكوثر) الحوض ، أو الخير الكثير (المروى) الدافع للعطش (بفضل) بجرى (مياهه) جمع ماء (مَن) مفعول المروى (اختصه بالسعد) بالسعادة (حكم إلهه . فلم ينأ) يبعد (عن إرشاده) بعد ذلك (لسفاهه) لأجل جهله وغيِّه : أى لم يحصل منه سفه ولا بعد : أى لم يبدل دينه ، لأن الله تعالى سمى الكفرة السفهاء (لذلك) الخير الكثير الذى أعطاه الله ، أو الإشارة راجعة إلى قوله :

* وهل تحته إلا النبيون والرسل *

(لاذ) التجأ (العالمون) الخلائق (بجاهه) بحرمته صلى الله عليه وسلم (وقد طاشت الألباب) خفت العقول ، أو ذهبت (وازدحم الحفل) تزاحم الجمع والتأموا عليه (ص) :

أَفِى فَضْلِهِ لِلْمُسْتَبِينِ اسْتِرَابَةٌ وَمَا لِلْوَرَى يَوْمَ الْوَعِيدِ مَثَابَةٌ
سِوَاهُ وَكُلٌّ قَدْ عَلَتْهُ كَآبَةٌ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ
وَأَحْمَدُ يَبْدُو فِى شَفَاعَتِهِ الْفَضْلُ

(ش) (أفى فضله للمستبين) طالبى المعروف ، أو الذين يطلبون البيان والرشد (استرابة) شك : أى ليس فى فضله على جميع الخلائق لطالبى الرشد شك (وما للورى) ليس للخلائق (يوم الوعد) يوم المرجع (مثابة . سواه) والمثابة الذى يرجع إليه مرة بعد أخرى .

المعنى : ليس للخلائق مرجع يوم القيامة إلا إليه صلى الله عليه وسلم كما عرفته فى حديث شفاعته الكبرى ، ومنه : « وإذ جعلنا البيت مثابة » (وكل) واحد من الخلائق (قد علته) رفعته وأشرفته (كآبة) شدة وسوء حال ، أو انكسار قلب : أى وكل واحد خاف خوفا عظيما ، لما رأى من غضب ربه (لكل نبى) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (دعوة مستجابة) دعاها لأمته فاستجيب عنها ، فنبينا صلى الله عليه وسلم اختبأ دعوته لأمته ، كما قال فى الحديث المنتشر الصحيح « لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها ، واختبأت دعوتى شفاعة لأمتى » (وأحمد) المرتضى بشرى عيسى (يبدو) يظهر (فى شفاعته الفضل) أى يظهر فضله على غيره فى شفاعته (ص) :

وَمَنْ ذَا الّذِى يَعْلُو هُنَاكَ كَأَحْمَدَا   يَقُومُ مَقَامَ الحَمْدِ يَطْلُبُ مَوْعِدَا
قَضَى اللهُ فى الدَّارَيْنِ أَنْ كانَ سَيِّدَا   لَيَالِيهِ أَنْوَارٌ وَأَيَّامُهُ هُـــدَى
وَأَلفَاظُهُ حُـكْمٌ وَأَحْـكَامُهُ عَدْلُ

(ش) (ومن ذا الذى) استفهام بمعنى النفى (يعلو) يرتفع (هناك) يوم القيامة (كأحمدا * يقوم) صلى الله عليه وسلم (مقام الحمد يطلب) حال (موعدا) أى إنجاز ما وعده ربه بقوله : « ولسوف يعطيك ربك فترضى» وبقوله : «عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » (قضى) حكم (الله فى الدارين) الدنيا والآخرة (أن كان سيدا) أن مصدرية أو مخففة (لياليه أنوار) * لقيامه فيها والناس هجد *

(وأيامه هدى) يهدى فيها الورى :

* ورثنا الهــدى منه فأكرم بإرثه *

(وألفاظه) مايتحدث به (حكم) علم يحكم به (وأحكامه عدل) « قال فمن يعدل إن لم أعدل » (ص) :

إِذَا شَفَعَ انْزَاحَتْ عَنِ الخَلْقِ مِحْنَةٌ وَحَلَّتْ بِأَصْحَابِ الْكَبَائِرِ جَنَّةٌ

فَلُذْ بِحِمَاهُ فَهُوَ لِلْكُلِّ جُنَّةٌ لِمِقْدَارِهِ بَيْنَ النَّبِيِّينَ مِكْنَةٌ

وَإِسْرَاؤُهُ يَبْدُو بِهِ الْفَضْلُ وَالْفَصْلُ

(ش) (إذا شفع) النبي صلى الله عليه وسلم (انزاحت) بعُدت (عن) جميع (الخلق محنة) بلية عظيمة أو عذاب عظيم (و) إذا شفع (حلت) وجبت (بأصحاب الكبائر جنة) حديقة كما قال صلى الله عليه وسلم : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » (فلذ) التجئ (بحماه) بجاهه ومنعته (فهو) أى حماه (للكل) ممن لاذ به صلى الله عليه وسلم (جنة) بالضم : ستر من النار (لمقداره) لقدره صلى الله عليه وسلم (بين النبيين) صلوات الله وسلامه عليه وعليهم (مكنة) رفعة (وإسراؤه) سيره ليلة الإسراء (يبدو) يظهر (به) بإسرائه (الفضل) الزيادة (والفصل) القطع : أى إسراؤه هو الذى يفضله على غيره ، وتفصله عنه ، إذ هى من خصائصه صلى الله عليه وسلم :

* وحسبك بالإسراء أصلا افضله *

(ص) :

وَلَمَّا غَدَا يَبْغِي الحَقِيقَةَ جَاهِدًا وَشَمَّرَ عَنْ بَذْلِ النَّصِيحَةِ سَاعِدًا

وَلَمْ يَرْضَ إِلاَّ قَائِدَ الحَقِّ قَائِدًا لَقُوهُ بِآفَاقِ السَّمٰوَاتِ صَاعِدًا

إِلَى مُسْتَوًى مَا حَلَّهُ بَشَرٌ قَبْلُ

(ش) (ولما) حين (غدا) صار وذهب (يبغى) يطلب (الحقيقة) هى الخروج من علم اليقين إلى عين اليقين، أو هى أصل كل شىء وذاته (جاهدا) مجتهدا حال، أو بلغ الغاية فى اجتهاده (وشمر) رفع ثوبه (عن) لأجل (بذل النصيحة ساعدا) عضده، والمراد هنا بالنصيحة تبليغ ما حمل من الرسالة (و) لذلك (لم يرض) صلى الله عليه وسلم (إلا قائد الحق) نصب على الاستثناء (قائدا) مفعول يرض، وقائد الحق جبريل عليه السلام، لأنه القائد له ليلة الإسراء (لقوه) لقيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (بآفاق السموات) أى فى نواحيهن حال كونه (صاعدا) مرتفعا وذاهبا (إلى مستوى) موضع عال يسمع فيه صريف الأقلام (ما حله) ما نزل فى ذلك المستوى (بشر قبل) قبله صلى الله عليه وسلم ولا بعده يحله أحد (ص):

فَــكَمْ غَايَةٍ قَدْ حَازَهَا بَعْدَ غَايَةٍ ... إِلَى أَنْ رَأَى لِلرَّبِّ أَكْبَرَ آيَةِ

فَأَصْبَحَ مَخْصُوصاً بِعِلْمِ دِرَايَةٍ ... لِغُرَّتِهِ الْغَرَّاءِ نُورُ هِدَايَةِ

بِهِ أَبْصَرَ الْعُمْيَانُ وَانْتَظَمَ الشَّمْلُ

(ش) (فكم) كثير من (غاية) نهاية (قد حازها) جمع الغاية (بعد غاية) من ذهاب إلى بيت المقدس، وارتقاء سماء إلى سماء، وترحيب الأنبياء، وثنائهم عليه، وسلام مالك خازن النار، وصلاته بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام (إلى أن رأى للرب أكبر آية) كما قال تعالى: « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » رأى جبريل عليه السلام فى صورته، له ستمائة جناح (فأصبح) صار النبى صلى الله عليه وسلم (مخصوصا) أى خصه الله تعالى (بعلم دراية) معرفة لحقيقة الأمر، وهو من باب إضافة الشىء إلى نفسه، والمراد بأصبح عبارة عن دوام الحال واستقراره على جميع أوقاته، وعلم الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ليلة

الإسراء ثلاثة علوم : علم وجب عليه أن لايبلغه لقصور الناس ، ولا يليق إلا بمنصبه النبوى وعهد إليه فى ذلك . وعلم خيّر فى إبلاغه ، وعدم إبلاغه، وهو علم الحدثان وأخبار الزمان، فمن رآه أهلا لذلك أخبره ، ومن رآه سوى ذلك أمسك عنه . وعلم وجب عليه تبليغه وهو القرآن والأحكام (لغرته الغراء) لوجهه المشهور (نور هداية) أى نور يهتدى به من نظر إليه (به) بالنور أو بالنبى صلى الله عليه وسلم (أبصر) اهتدى (العميان) الجهال أو أبصر العميان على ظاهره ، وتقدم ذلك (و) به (انتظم الشمل) اجتمع الافتراق : أى جمع ما كان متفرقا، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً (ص) :

بِأَطْيَبِ مَنْ زَكَّاهُ طِيبُ الْأَطَايِبِ بِمَنْ جَلَّ عَنْ ذَامٍ وَعَنْ عَيْبِ عَائِبِ
بِأَرْوَعَ بَادِى الْبِشْرِ مُعْطِى الرَّغَائِبِ لِكَفَّيْهِ فى اللَّأْوَاءِ عَشْرُ سَحَائِبِ
وَمِنْ بِشْرِهِ بَرْقٌ وَمِنْ بَذْلِهِ وَبْلُ

(ش) (بأطيب من زكاه) طهره متعلق بانتظم الشمل ، أو بأبصر العميان فى البيت قبله (طيب الأطايب) الخيار من الشىء : أى انتظم الشمل بأطهر من طهره الله بالنبوة ، فهو صلى الله عليه وسلم أطهر الطاهرين وأطيب الطيبين ، أو طيب الأطايب كلام مستأنف : أى طيب الأطايب ، ثابت ببركة أطيب من طهره الله وانتظم الشمل (بمن جل) عظم (عن) ذم (ذام و) انتظم الشمل بمن جل (عن عيب عائب) .

والمعنى : أنه صلى الله عليه وسلم ليس بذى عيب فيذم ، بل زكى روحا وجسما ، وحاشاه عيباً ووصما ، وانتظم الشمل (بأروع) هو الذى يعجبك حسنه (بادى البشر) ظاهر طلاقة الوجه صفة لأروع (معطى الرغائب) العطايا للناس

(لكفيه) راحتيه (فى اللأواء) الشدائد (عشر سحائب) هذه إشارة لعموم جوده عموم القطر .

* ندى كفه كالغيث أسبل ودقه *

(ومن بشره) طلاقة وجهه (برق) لمع ونور (ومن بذله) عطائه (و بل) مطر شديد ، وهذه استعارة ترشيحية (ص) :

أَفَاضَ بِهِ الْمَوْلَى عَلَيْنَا امْتِنَانَهُ   وَخَوَّلَنَا إِحْسَانَهُ وَحَنَانَهُ

فَأَصْبَحَ مِمَّا عَظَّمَ اللهُ شَأْنَهُ   لَوِ اسْتَلَمَتْ كَفُّ الْغَمَامِ بَنَانَهُ

لَمَا صَوَّحَ الْمَرْعَى وَلاَ ذَبَلَ الْبَقْلُ

(ش) (أفاض) كثر (به) بسببه (المولى) الناصر (علينا امتنانه) عطاءه أو إنعامه (وخوّلنا) ملكنا ، ومنه : « ماخولناكم وراء ظهوركم » (إحسانه و) خولنا (حنانه) رحمته ، ومنه : « وحناناً من لدنا » (فأصبح) النبي صلى الله عليه وسلم (مما عظم الله شأنه) أمره ، ومنه : « كل يوم هو فى شأن » (لو استلمت) صافحت ومست ، وهو متصل بأصبح (كف الغمام) راحته (بنانه) أصابعه ، ومنه : « واضربوا منهم كل بنان » (لما) نافية (صوّح) يبس (المرعى ولا ذبل) ذوى (البقل) أى نور النبات . تقديره : فأصبح النبى صلى الله عليه وسلم لو استلمت كف الغمام بنانه لما يبس المرعى ولا ذوى نور البقل ، وذلك لأجل ما عظم الله شأنه له (ص) :

خَرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ وَغُمَّةٍ   دَخَلْنَا بِهِ فِى ظِلِّ أَمْنٍ وَعِصْمَةٍ

أُتِيحَ لَنَا بِهِ لِلّٰهِ أَسْبَغُ نِعْمَةٍ   لَحِقْنَا بِهِ السُّبَّاقَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

وَلَوْلاَهُ كَانَ الْبَعْضُ يَسْبِقُهُ الْكُلُّ

(ش) (خرجنا به) بسببه صلى الله عليه وسلم (من كل ضيق) فى الدنيا والآخرة (وغمة) شدة حزنهما، والضيق: ضد السعة (دخلنا به فى ظل أمن وعصمة) منعة وحفظ، والمراد بالأمن هنا دين الإسلام، لأن كل من آمن أمن، وفى البيت الطباق (أتتنا به) بسببه حال كونه (لله أسبغ) أ كمل (نعمة) أى مايتنعم به وأسبغ فاعل أتتنا (لحقنا) أدركنا (به) باتباعه (السباق) السابقين (من كل أمة) أتباع الرسل، ومصداق ذلك قوله تعالى: « ليلة القدر خير من ألف شهر » (ولولاه) صلى الله عليه وسلم (كان البعض) هو هذه الأمة المحمدية (يسبقه الكل) الذى هو الأمم السابقة: أى يتقدمه من قبله، ولكن هم السابقون فى الدنيا ونحن السابقون فى الآخرة ببركته وشرف منزلته (ص):

صَدَمْنَا بِهِ الْإِشْرَاكَ أَعْظَمَ صَدْمَةٍ ... دَفَعْنَا بِهِ فى صَدْرِ كُلِّ مُلِمَّةٍ
رَفَعْنَا إِلَى إِرْشَادِهِ كُلَّ هِمَّةٍ ... لَجَأْنَا إِلَيْهِ أُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ
فَأَحْسَبَنَا الْإِحْسَانُ وَالنَّائِلُ الْجَزْلُ

(ش) (صدمنا) دفعنا (به) بسببه (الإشراك) أى أهل الكفر (أعظم صدمة) ضربة بالجسد (دفعنا به) بالنبى صلى الله عليه وسلم، و (فى) زائدة للتأكيد، وأجاز الفارسى زيادتها ضرورة (صدر) أعلى (كل ملمة) نازلة من نوازل الدنيا لخروجنا به من كل ضيق وغمة (رفعنا إلى إرشاده) بيانه وهدايته للناس (كل همة لجأنا) رجعنا واستندنا (إليه) صلى الله عليه وسلم أو إلى إرشاده (أمة بعد أمة) حينا بعد حين، ومنه: « وادّكر بعد أمة » أوجماعة بعد جماعة (فأحسبنا) كفانا (الإحسان) إحسانه (والنائل الجزل) أى كفانا عطاؤه الكثير (ص):

جَرَى حُبُّهُ فى الْقَلْبِ مِنِّى مَعَ الدَّمِ ... وَذَنْبِىَ يَأْبَى فى الرِّفَاقِ تَقَدُّمِى

وَمَا بَانَ عَنْ فِكْرِى وَلَا زَالَ عَنْ فَمِى   لَدَى يَثْرِبٍ أَضْحَى هَوَى كُلِّ مُسْلِمٍ
فَهُمْ نَحْوَهَا دَبًّا كَمَا دَبَّتِ النَّمْلُ

(ش) (جرى حبه) صلى الله عليه وسلم (فى القلب منى مع الدم) وهو أحد العناصر الأربعة : أى سرى حبه فى قلبى حال كون القلب مصاحبا مع الدم فى جرى الحب وهو فى الحقيقة تشبيه ، أو المعنى : أن الحب والدم جريا معا فى القلب ، فيكون مع الدم حال من الحب (وذنبى يأبى) يمتنع (فى الرفاق) جمع رفقة : أى جماعة ترافقهم فى سفرك (تقدمى) أى إثمى : امتنع أن أمشى قدام الماشين إليه (وما) نافية (بان) بعد من البون (عن فكرى) بل أتفكره كل ساعة (ولا زال عن فمى) وإن أقصانى ذنبى ومنعنى أن أروح إليه، فما نسيته فى قلبى ، ولا تركت مدحه بلسانى (لدى يثرب) عند المدينة المنورة (أضحى هوى كل مسلم) أضحى من أخوات كان اسمها هوى ، وخبرها لدى يثرب ، ويجوز سبق خبرها ، قال ابن مالك :

وفى جميعها توسط الخبر   أجز وكل سبقه دام حظر
كذاك سبق خبر ما النافيه   . . . . .

(فهم) أى المسلمون (نحوها) جهة يثرب يدبون (دبا) متتابعين حال (كما دبت النمل) أى كدبيب النمل ، من دب يدب قال الشاعر :

زعمتنى شيخا ولست بشيخ   إنما الشيخ من يدب دبيبا

(ص) :

مِنَ اللهِ أَرْجُو أَنْ يُسَنِّىَ قُرْبَهُ   وَإِنْ عَاقَ وَقْتٌ كَدَّرَ اللهُ شِرْبَهُ
نُرَاوِدُهُ سِلْمًا فَيُؤْثِرُ حَرْبَهُ   لَثَمْنَا بِأَفْوَاهِ الخَوَاطِرِ تُرْبَهُ
فَيَا لَيْتَنَا مِمَّنْ مُقَبِّلُهُ النَّعْلُ

(ش) (من الله) لا من غيره (أرجو) آمل (أن يسنى) يسهل (قربه) على زيارته صلى الله عليه وسلم (وإن عاق) منع وحبسنى (وقت) مقدار من الزمان (كدّر) غير (الله شربه) حظه من الماء ، ومنه : « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » (نراوده) أى نطلب الوقت ، ومنه : « امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » (سلما) صلحا (فيؤثر) فيختار الوقت ويفضل ، ومنه : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (حربه) بمنعه الزيارة إياى كما يمنع صاحب الحرب رعيته ، وسلما : منصوب بنزع الخافض ، وإن قعدنا فى مكاننا ولم نقدر على المشى إليه فإنا (لثمنا) قبّلنا (بأفواه الخواطر تربه) ترابه (فيا) قوم ، وقومه من اتصف بصفته فى العشق (ليتنا ممن مقبله النعل) مكان تقبيله نعله ، وإن لم نقدر عليه فنقبل بالأفكار آثار نعله ، والنعل ما وقيت به القدم من الأرض (ص) :

نَأَى غَيْرُ نَاءٍ عَنْ فُؤَادِى وَفِكْرِهِ ... وَغَايَةُ مِثْلِى أَنْ يَفُوزَ بِذِكْرِهِ
وَلَوْ سِرْتُ نَحْوَ الْقَبْرِ فُزْتُ بِبِرِّهِ ... لَقَدْ طَالَ تَسْوِيفِى بِزَوْرَةِ قَبْرِهِ
وَفَازَ بِهِ قَوْمٌ هُمُ لِلرِّضَى أَهْلُ

(ش) (نأى) بعد صلى الله عليه وسلم عنا حسا (غير) نصب على الحال ، ويحتمل أن يكون فاعل نأى (ناء) بعيد (عن فؤادى) قلبى (وفكره) القلب (وغاية مثلى) نهاية من هو على صفتى فى كثرة الخطايا (أن يفوز) يظفر (بذكره) بالمدح له صلى الله عليه وسلم (ولو سرت) ذهبت (نحو) طريق (القبر) أو جهته (فزت) ظفرت (ببره) ببر صاحب القبر وهو الشفاعة كما قال : « من زارنى كنت شفيعا له يوم القيامة » أو معنى ببره بطاعة الله التى هى السير إلى ذلك القبر المعظم ، والله (لقد طال تسويفى) تأخيرى أو قولى سوف أزور قبره ، وهذا على أن الحجّ على التراخى (بزورة) زيارة (قبره) صلى الله عليه وسلم

(وفاز به) بالذكر ، أو بزيارة القبر (قوم) فاعل فاز (هم للرضى أهل) أى هم أهل رضا الله خاصة (ص) :

عَسَى رَحْمَةُ المَوْلَى تُقَرِّبُ بَيْنَهُ ... فَيَقْضِي فُؤَادِي لِلْهَوَى فِيهِ دَيْنَهُ

وَيُذْهِبُ نَقْصَ الْبُعْدِ عَنْهُ وَشَيْنَهُ ... لَحَا اللهُ وَقْتاً حَالَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ

فَمَرْبَعُهُ قَيْظٌ وَصَيِّبُهُ مَحْلُ

(ش) (عسى رحمة المولى) الناصر المالك (تقرب بينه) بُعده ، أو وصله (ف) إن قربتنى منه (يقضى) يؤدى (فؤادى) قلبي (للهوى) للحب (فيه) أى النبى صلى الله عليه وسلم ، أو زيارته (دَينه . ويذهب) المولى (نقص البعد عنه) عن فؤادى (وشينه) عيب البعد ، والشين : خلاف الزين (لحا) قبح (الله وقتا) مقدارا من الزمان (حال بينى و بينه) صلى الله عليه وسلم ، وقوله : لحا الله وقتاً ليس من سبّ الدهر المنهىّ عنه ، وهو السبّ لزمانه ، وهو إخبار صفة الوقت وهو مثل قول أنس رضى الله عنه : « شهدت يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أر يوما أقبح منه » (فمربعه) موضع الإقامة زمن الربيع (قيظ) صيف شديد الحرارة ، والقيظ : صميم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل (وصيّبه) سحاب الوقت الماطر (محل) جدب وهو انقطاع المطر ، و يبس الأرض من الكلأ (ص) :

وَلِلهِ دَمْعٌ فِيهِ فَاضَتْ غُرُوبُهُ ... وَقَلْبٌ بِنَارِ الشَّوْقِ يُذْكَى لَهِيبُهُ

وَعَيْشٌ لِبُعْدِ الدَّارِ لاَ أَسْتَطِيبُهُ ... لَئِنْ كُنْتُ مِمَّنْ خَلَّفَتْهُ ذُنُوبُهُ

فَإِنِّيَ مِنْ طُولِ التَّشَوُّقِ لاَ أَخْلُو

(ش) (ولله) درّ (دمع فيه) لأجل حبه صلى الله عليه وسلم (فاضت)

سالت (غروبه) مجاريه ، يقال بعينه غرب : إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها (و) لله (قلب بـ) سبب (نار الشوق) الحب (يذكى) يوقد (لهيبه) يشتعل انشراقه و إيقاده ، ويذكى صفة لقلب (و) لله در (عيش) حياة (لبعد الدار) لبعد داره عنى ، وعدم زيارتى له صلى الله عليه وسلم (لا أستطيبه) أى لم أجد لطعام ذلك العيش طعما طيبا ، والله (لئن كنت ممن خلفته) أخّرته وأقعدته عن زيارته (ذنوبه) هذا مثل قوله :

* وذنبى فى الرفاق تقـــــــــدمى *

(فإنىَ من طول التشوق لا أخلو) من الخلاء: وهو الفراغ ، وفى نسخة : من طول التأسف ، وهو شدة الحزن : أى لا أفرغ منه .

هنا انتهى حرف اللام ، و يتلوه حرف الميم إن شاء الله تعالى، والله المستعان .

قافية حرف الميم

لما تكلم فى حرف اللام فى مدحه عليه الصلاة والسلام ، شرع يتكلم فى حرف الميم بالثناء على النبى الكريم ، وأجاد فى ذلك وأطنب لكون الثناء عليه وسيلة من الله ، لذلك شمر ساعده وضمر طرفه إلى حصول ماسيجد جزاءه عند الله موجودا ، وأجاد فى ذلك وأمر كل من يقدر أن يجيد قائلا (ص) :

أَجِدْ مَدْحَ خَيْرِ الخَلْقِ ذَاتًا وَجَوْدَةً وَحِدْ عَنْ سِوَى مَا سَنَّهُ لَكَ حَيْدَةً

وَأَنْشِدْ هَوًى فِيهِ اكْتَفَى وَمَوَدَّةً مَدَحْتُ رَسُولَ اللهِ بَدْءًا وَعَوْدَةً

فَمِقْدَارُهُ فى البَدْءِ وَالْعَوْدِ أَعْظَمُ

(ش) (أجد) من الإجادة وهى الإحسان (مدح خير الخلق) أحسن ثناء

أفضل مخلوقات الله (ذاتا) حقيقة تميز (وجودة) كرما : أى أفضلهم خلقا وخُلقا (وحد) مل (عن سوى) غير (ماسنه لك حيدة) جعله لك سنة وشرعا وميلا . والمعنى لاتعمل إلا بسنته وشريعته «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (وأنشد) انظم ثناءه (هوى) لأجل المحبة (فيه) أى النبى صلى الله عليه وسلم أو فى مدحه (اكتفى) تمّ أو قوى (ومودة) محبة ، وقوله اكتفى استئنافية : اعتراضية وفاعله ضمير هوى ، ويجوز أن يكون هوى مفعولا به ، واكتفى نعت لهوى بمعنى قوى ، وهذا على التفرقة ، وأما على شأن التخميس فمفعول أنشد (مدحت رسول الله) صلى الله عليه وسلم (بدءا وعودة) فى بدء مدح وعودة أو مرة بعد أخرى (فمقداره فى البدء) أعظم (والعود أعظم) من مدح وقدره فى العود أعظم من مدح ، والمراد منزلته أعظم وأكبر من أن أصل إليها بمدح فى بدئى وعودى (ص) :

أَلاَ إِنَّ لِي نَفْسًا بِأَحْمَدَ صَبَّةً ... تُقَدِّمُ ذِكْرَاهُ لَدَى اللهِ قُرْبَةً

وَتُهْدِي لَهُ وَالْبِرُّ أَرْضَى مَغَبَّةً ... مَدَائِحَ مَمْلُوءِ الْفُؤَادِ مَحَبَّةً

يُجَمْجِمُ شَوْقًا وَالدُّمُوعُ تُتَرْجِمُ

(ش) (ألا) انتبه (إن لى نفسا) قلبا (بأحمد) المرتضى بشرى عيسى (صبة) عاشقة نعت لنفسا (تقدم) تلك النفس (ذكراه) ذكرى أحمد صلى الله عليه وسلم (لدى الله) تعالى المثيب بالعبادة القليلة بثوابه الجزيل (قربة) مفعول له والجملة صفة لنفس أيضا (وتهدى) من الهدية (له) لأحمد (والبر) عمل الطاعات (أرضى مغبة) عاقبة «والعاقبة للمتقين» و (مدائح) مفعول تهدى على التخميس أو منصوب على إضمار أعنى (مملوء الفؤاد) كامل القلب (محبة) تمييز ، وجملة والبر أرضى مغبة اعتراضية (يجمجم) يردد صوتا لايفهم (شوقا) مفعول له

(والدموع تترجم) تعبر ، والترجمان هو المعبر بلفظه والمفسر بلسان آخر .

والمعنى : أن الذى امتلأ فؤاده بشوق يتكلم بكلام لايفهم ، ودموعه يفسر لنا أن الذى يجمجم به وهو الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشاعر:

دموع الفتى عما يكنّ تترجم   وأنفاسه يبدين ما القلب يكتم

وهذه استعارة تحقيقية (ص) :

أَلاَ إِنَّ أَزْكَى الرُّسْلِ غَيْباً وَمَشْهَدًا   وَأَثْبَتَهُمْ فَخْرًا وَمَجْدًا وَسُؤْدَدًا

وَأَتْقَاهُمُ قَلْباً وَأَهْدَاهُمُ هُـدًى   مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ أَعْلَى الْوَرَى يَدًا

وَأَشْرَفُهُمْ ذِكْرًا وَإِنْ كَانَ مِنْهُمُ

(ش) (ألا) انتبه ، أو نعم (إنّ أزكى) أطهر (الرسل) عليهم الصلاة والسلام . عن أبى ذرّ رضى الله عنه : « قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبىّ ، قلت يا رسول الله : كم المرسلون منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وفى رواية : الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر ، والرسل كلهم عجم إلا خمسة : محمد صلى الله عليه وسلم ، وإسماعيل ، وهود ، وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام » (غيبا) فى موته (ومشهدا) فى حياته (وأثبتهم) أرسخ الرسل عليهم الصلاة والسلام (فخرا ومجدا) شرفا من قبل آبائه (وسؤددا) سيادة ولد آدم (وأتقاهم) أى الرسل (قلبا) قال صلى الله عليه وسلم : « أنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر » (وأهداهم هدى) أكثرهم للناس رشدا لأن رسالته عامة ، كما قال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » وخبر إن (محمد المختار) نعت له (أعلى) أرفع (الورى) الخلق (يدا) نعمة أو جودا (وأشرفهم) أرفعهم (ذكرا) قال تعالى : « ورفعنا لك ذكرك » (وإن كان) محمد المختار واحـدا (منهم) من الرسل عليهم الصلاة

والسلام ، ولا عجب أن الله تعالى فضله عليهم ، قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » الآية :

محمـــد بشر لا هو كالبشر بل هو كالياقوت من بين الحجر

وأتى بالإغياء للاحتراس ، وكل مابعد أفعل التفضيل ،منصوب على التميز (ص):

هُوَ الْفَرْدُ مِنْ أَمْثَالِهِ رَجَحَ الْعَصَا عَصَى بِذُبَابِ السَّيْفِ هَامَةَ مَنْ عَصَى

وَأَلْقَى مِنَ التَّسْيَارِ فِى السِّدْرَةِ الْعَصَا مَنَاقِبُهُ كَالشُّهْبِ وَالتُّرْبِ وَالْحَصَى

وَأَضْعَافِهَا وَالْأَمْرُ أَعْلَى وَأَفْخَمُ

(ش) (هو الفرد) المنفرد بجميع الفضائل (من أمثاله) نظائره وأكفائه (رجح) غلب وثقل (العصا) الجماعة لما وزنوا به ، ومن أمثاله حال ، وجملة رجح العصا : مستأنفة أو حال من العصا ، وانظر ما مراده بأمثاله ، هل المراد أتباعه وأمته فتكون المثلية فى الإنسانية ، فيصدق فيه حديث شق الصدر لأن فيه الكلام ، « ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته فوزننى بهم فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته فوزننى بهم فرجحتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمتى فوزننى بهم فوزنتهم ، ثم قال : دعه فلو وزنته بأمته لوزنها » الحديث . أو المراد من أمثاله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فتكون من بيانية : أى هو الفرد رجح الجماعة الذين هم أمثاله ، فيكون إشارة لصلاتهم ليلة الإسراء وراءه مأمومين ،و يؤم الناسَ أفضلهم وأفقههم فى الدين وأرجحهم فضلا وفقها ، نعم ولك أن تقول من أمثاله من أمته ، لأن الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام من أمته على ما فى آية « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم » الآية (عصى) ضرب وقطع (بذباب السيف) بحدّه : وهو طرفه الذى يضرب به (هامة) رأس (من عصى) الله (وألقى) النبى صلى الله عليه وسلم (من التسيار) من السير (فى السدرة) المنتهى (العصا)

وهو العود الذى يمسك باليد و يعتمد عليه ، يعنى كان انتهاء سيره إليها : أى قطع سفره بالوصول إليها (مناقبه) جمع منقبة : وهى الخصلة الرفيعة التى تعدّ للإنسان (كالشهب) كالنجوم كثرة وضياء (والترب والحصى) كثرة (وأضعافها) كزيادة أضعافها عليها يصدق ، أما أمثالها : أى أمثال الثلاثة ضعفها عليها ، لأن الضعف يصدق على المثل وعلى المثلين عليها (و) لأن هـذا (الأمر) الشأن (أعلى) أرفع من أن يعدّ بالعدد :

* ومن ذا يعد الرمل فى عرصاته *

(وأنجم) أعظم قدرا من أن يحد مناقبه غيره (ص) :

هُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ سِرًّا وَجَهْرَةً　　هُوَ الشَّمْسُ إِشْرَاقاً هُوَ الْبَدْرُ غُرَّةً

عَلَيْهِ سَلَامُ اللهِ مُسْيًا وَبُكْرَةً　　مَوَاهِبُهُ كَالْوَدْقِ نَفْعاً وَكَثْرَةً

وَلاَ بَرْقَ إِلاَّ بِشْرُهُ وَالتَّبَسُّمُ

(ش) (هو الصادق) الذى يصدّق فعله قوله ، لأنه ما أمر بشىء إلا كان أول آخذ به ، وما نهى عن شىء إلا كان أول تارك له (المصدوق) الذى صدّقه المؤمنون (سرا وجهرة) أى فى سرهم وجهرهم ، لأنه : « ماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » (هو) صلى الله عليه وسلم مثل (الشمس إشراقا) ضياء حتى كأنها تجرى فى وجهه (هو) صلى الله عليه وسلم مثل (البدر غرة) بياضا يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، ونصب إشراقا وغرة على التمييز (عليه) صلاة الله ، و (سلام الله مسيا و بكرة) فى الصباح والمساء ، والمراد دوام الصلاة والسلام عليه لا خصوص الوقتين (مواهبه) عطاياه (كالودق) المطر الكثير (نفعا) تمييز أو منصوب بنزع الخافض : أى فى عموم النفع (و) كالودق (كثرة) فى وقوعها (و) الحال (لا برق) لالمع بذلك الودق ، ومنه: «يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار»

(إلا بشره) طلاقة وجهه (والتبسم) ظاهر كلامه أن البشر والتبسم كل واحد منهما برق ، والحال لابرق إلا بشره ولا برق إلا تبسمه ، والتبسم دون الضحك وهو ظهور الأسنان عند تعجب بلا تصويت ، أو معنى مواهبه كالودق : إشارة إلى نبع الماء من بين أصابعه ، ويساعده قوله (ص) :

لَهُ الْكَفُّ تَهْمِي كالحَيَا المُتَدَفِّقِ   لَهُ النُّصْحُ يَهْدِي كالأَبِ المُتَرَفِّقِ

أَجَلُّ عِبَادِ اللهِ قَدْرًا وَأَطْلَقِ   مَعَالِيهِ لاَتُحْصَى بِرَسْمٍ وَمَنْطِقِ

وَلَوْ لَمْ يَغِبَّ الْعَدَّ كَفٌّ وَلاَ فَمُ

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (الكف) الراحة (تهمى) تسيل (كالحيا) المطر (المتدفق) الذى يدفق بعضه بعضا (له النصح) لا لغيره (يهدى) يرشد الناس (كالأب المترفق) كنصح الأب الراحم :

* من الأب أحنى بل من الأم أرحم *

(أجلّ) أعظم (عباد الله قدرا) مقدارا تمييز (وأطلق) القول بأعظميته لجميع عباد الله ، ولا تقيد بأحد منهم ولا تستثن أحدا :

* فقــدمه إجماعا عليهم بلا ثنيا *

(معاليه) أموره العالية (لاتحصى) ولا تعدّ (برسم) كتب (ومنطق) كلام ، إذ هى من نعمة الله « وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها » (ولو لم يغبّ) يترك (العد) مفعول به ، ذو (كف) راحة فاعل يغب (ولا) ذو (فم) أى ولو لم يغب الكلام فم ، وجواب لولا محذوف لما أحصاها ولا أحاط بعدّها (ص) :

أَلاَ فَتَمَسَّكْ مِنْ هُدَاهُ بِسُنَّةٍ   هِيَ الرَّحْمَةُ المُهْدَاةُ أَعْظَمُ مِنَّةِ

أَتَانَا بِهَا نُورًا لِكُلِّ دُجُنَّةٍ   مُطَاعٌ مِنَ الجِنْسَيْنِ إِنْسٍ وَجِنَّةِ

فَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ فَالْحُسَامُ المُصَمِّمُ

(ش) (ألا) انتبه (فتمسك من) بيانية (هداه بسنة) بطريقه الذى هو هداه (هى) السنة (الرحمة المهداة) المعطاة التى أعطيت للخلق حال كونها (أعظم منة) نعمة ، ومن رفع أعظم جعله خبرا بعد خبر ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « إنما أنا رحمة مهداة » (أتانا) جاءنا (بها) بالرحمة أو بسنة ، وكلاهما بمعنى ، حال كونها (نورا لكل دجنة) ظلمة (مطاع) فاعل أتانا على شأن التخميس ، أو هو خبر لمحذوف : أى هو مطاع (من الجنسين) النوعين (إنس وجنة) بدل تفصيل يريد وملائكة (فمن لم يطعه) بالإيمان به صلى الله عليه وسلم (ف) جزاؤه (الحسام) السيف (المصمم) الماضى فى العظم : القاطع كل ما وقع عليه هذا جزاؤه فى الدنيا :

* ومن لم يطعه اليوم لم ينج فى غد *

(ص) :

مُعَلًّى عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ مُسَوَّدُ   لَهُ الْفَخْرُ يَبْقَى وَالْعُلَى يَتَأَبَّدُ
تَكَفَّلَ مِنْهُ بِالرِّسَالَةِ أَوْحَدُ   مُعَانٌ بِتَوْفِيقِ الْإِلٰهِ مُؤَيَّدُ
مُنَاجًى بِأَسْرَارِ الْحَقَائِقِ مُلْهَمُ

(ش) هو (معلى) مرفوع القدر والمنزلة (على كل الأنام) على جميع المخلوقات (مسوّد) جعل سيدا لهم ، وفى نسخة : مسدد من التسديد : أى هو موفق للسداد الذى هو الصواب (له) لمعلى على كل الأنام (الفخر) الافتخار (يبقى) يخلد إلى يوم القيامة (و) له (العلى) الرفعة (يتأبد) يكون أبدا يبقى ، ويتأبد صفتان لما قبلهما أو حالان (تكفل) تضمن (منه) من النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو من باب التجريد (بالرسالة أوحد) أى تكفل بالرسالة ، أوحد من النبى صلى الله عليه وسلم ، أو الأوحد هو الله تعالى ، وقوله بالرسالة : أى بالرسالة

إليه وهو متعلق بتكفل ، ومنـه حال من الرسالة ، وتكفل الله بها : حفظه إياها ، وهو إشارة إلى قوله : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » أو المعنى تكفل: أى أخذ النبى صلى الله عليه وسلم الضمان من الله بإبلاغ الرسالة ، وقد تبين لك أن الضمير فى منه يحتمل أن يعود إلى الله أو إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأوحد يحتمل أن يكون الله أو النبى صلى الله عليه وسلم احتمالات (معان) نعت أوحد (بتوفيق الإله مؤيد) نعت لمعان .

والمعنى : أنه مقوّى بتقوية الله ومنصور بنصرة الله « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » (مناجى) مكلم بالسرّ (بأسرار الحقائق ملهم) بأسرار الحقائق أيضا ، وكان صلى الله عليه وسلم ملهما بواسطة الملك و بغيرها أخرى ، والإلهام : إلقاء معنى فى القلب على طريق الفيض (ص) :

فَمَنْ ذَا الَّذِى يَحْوِى مِنَ الْفَضْلِ مَا حَوَى   أَلَيْسَ الَّذِى مَا ضَلَّ قَط وَمَا غَوَى
وَبِالْأُفُقِ الْأَعْلَى تَمَكَّنَ وَاسْتَوَى   مُنَزَّهُ أَسْرَارِ الْفُؤَادِ عَنِ الْهَوَى
لِذَلِكَ لَمْ يَعْلَقْ بِهِ قَط مَأْثَمُ

(ش) (فمن ذا الذى يحوى) أى لا يجمع أحد (من الفضل ما حوى) أى من الفضائل ما جمع، كأن سائلا سأله : ألا تذكر لى واحدا مما حوى من الفضل (أليس الذى ما ضل قط وما غوى) الاستفهام للتقرير : أى هو الذى ما ضل قط وما غوى . وعن علىّ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ما هممت بشىء مما كان عليه أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بينى و بين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمنى الله برسالته ، قلت ليلة لغلام كان يرعى معى : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها

كما يسمر الشباب لخرجت لذلك ، حتى جئت أول دار من مكة ، فسمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم ، فجلست أنظر فضُرب على أذنى فنمت ، فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك ثم لم أهمّ بعد ذلك بسوء » . قال مختصر النفحة : قلت فى قصيدتى الميمية ، أعنى سعد السعود :

وله الطهارة فى الولادة والنقا ‏ ‏ ‏ وله النجابة والصفا وصميمه
قد شقّ منه القلب جبريل صفا ‏ ‏ ‏ وبماء زمزم غسله ويطيمه
من بعد رمى مضغة مذمومة ‏ ‏ ‏ من حظ شيطان أتاه نميمه
وحشاه توحيدا وعلم سياسة ‏ ‏ ‏ وجميع حكم والعلوم علومه
فلذاك ما إن ضلّ قطّ وما غوى ‏ ‏ ‏ والنطق عن أهوا نفته حلومه
حتى أتاه الوحى وهو مقدّس ‏ ‏ ‏ لم يدنه غاو ولا تسخيمه

(وبالأفق الأعلى تمكن) أى ثبت (واستوى) استقر فى علوّه إلى الأفق الأعلى واستوائه فيه ، والمراد بالأفق الأعلى : السموات السبع (منزه) مقدس (أسرار الفؤاد) القلب (عن الهوى) أى هوى النفس وهو مايلائمها ويوافقها ، بل « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » (لذلك) لأجل تنزيه أسرار فؤاده عن الهوى (لم يعلق به) صلى الله عليه وسلم (قط مأثم) ذنب لأنه معصوم عن الكبائر والصغائر من الذنب (ص) :

هُدَاهُ فَلَا يَدْخُلْكَ شَكٌّ هُوَ الْهُدَى ‏ ‏ ‏ فَشُدَّ عَلَيْهِ الْقَلْبَ وَيْحَكَ وَالْيَدَا
يُخَلِّصْكَ مِنْهُ هٰهُنَا وَكَذَا غَدًا ‏ ‏ ‏ مَلِيٌّ بِإِنْقَاذِ الْعِبَادِ مِنَ الرَّدَى
وَقَدْ زُخْرِفَتْ عَدْنٌ وَأُجِّجَتْ جَهَنَّمُ

(ش) (هداه) صلى الله عليه وسلم (فلا يدخلك شك) جملة اعتراضية

(هو الهدى) خبر مبتدؤه هداه : أى أن ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم هو الهدى فلا يدخلك شك :

☆ أفى الحق شك بعد ألف دلالة ☆

(فشد) اربط (عليه) الهدى (القلب) قلبك (ويحك) كلمة ترحم (واليدا) يدك ربطا وثيقا؛ بمعنى: اعتقد واعمل بما جاء به، فإن عملت ذلك فقد استمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، وجواب الأمر (يخلصك) ينجك النبى صلى الله عليه وسلم (منه) من أجل شد قلبك عليه، أو من الهلاك والعذاب (ههنا) الدنيا (وكذا غدا) الآخرة هو (ملىّ) غنى أو ضامن (بإنقاذ) إخلاص (العباد من الردى) الهلاك ، ويحتمل أن يكون ملى فاعل يخلصك على شأن التخميس ، وضمير منه عائد على الهلاك فقط (و) الحال أنه (قد زخرفت) زينت جنات (عدن وأجت) تلهبت وصوتت (جهنم) أعاذنا الله منها بحرمة صاحب اللواء والحوض (ص) :

وَكُلٌّ مِنَ العِصْيَانِ تَحْتَ تَقِيَّةٍ سِوَى المُصْطَفَى مِنْ بَيْنِهِمْ بِمَزِيَّةٍ
مُرَتَّبَةٍ عَنْ أَثْرَةٍ أَزَلِيَّةٍ مَكَانَةُ رُسْلِ اللهِ غَيْرُ خَفِيَّةٍ
وَسَيِّدُهُمْ هٰذَا المُحَبُّ المُكَرَّمُ

(ش) (وكل) واحد من العباد (من العصيان) لأجل عصيانه (تحت تقية) خوف (سوى) إلا (المصطفى) المختار (من بينهم) أى العباد فإنه فى أمره (بمزية) بسبب فضيلته التى أعطيت فى ذلك اليوم ، وهى الشفاعة الكبرى ووصفها بقوله (مرتبة) مثبتة له (عن أثرة أزلية) لأجل اختيار الله له لذلك فى الأزل، والأثرة: المكرمة المتوارثة (مكانة) منزلة (رسل الله) عليهم الصلاة والسلام (غير خفية)

على من له عقل سليم (وسيدهم) على الإطلاق (هذا المحب المكرّم) والسيد : هو المقصود فى الحوائج (ص) :

لِآيَاتِهِ مِنْهُمْ عَنَتْ كُلُّ آيَةٍ وَحَيْثُ انْتَهَوْا مِنْهُ اهْتَدَى بِبِدَايَةٍ
وَأَضْحَى بِحُكْمٍ سَابِقٍ وعِنَايَةٍ مَتَى رُفِعَتْ لِلْمَجْدِ رَايَةُ غَايَةٍ
فَمَا أَحَدٌ قُدَّامَهُ يَتَقَدَّمُ

(ش) (لآياته) جمع آية : والآية أعم من المعجزات ، لأن كل معجزة آية وليست كل آية معجزة (منهم) أى الرسل حال (عنت) خضعت وانقادت ، ومنه: « وعنت الوجوه » (كل آية) فاعل عنت : أى خضعت كل علامات نبوة حال كونها منهم لأجل علامة نبوته صلى الله عليه وسلم . وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من نبى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحى الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» (وحيث انتهوا) أى الرسل إلى المكان الذى بلغوا النهاية (منه) من مكان انتهائهم (اهتدى) نبينا صلى الله عليه وسلم (ببداية) بإنشاء أمره :

* بدايتـــه للمرسلين نهاية *

لأن إبراهيم كان آخر شأنه رؤية وبدئ النبى صلى الله عليه وسلم بالرؤية ، أومعناه هو آخرهم لما انقرضوا ابتدأ بنبوته ورسالته ، إذ لا نبى بعده (فأضحى) صار الاهتداء ، أو النبى صلى الله عليه وسلم كائنا (بحكم سابق وعناية) خصوصية من الله (متى رفعت للمجد) للشرف (راية غاية) علم نهاية (فما أحد قدامه) أمامه (يتقدم) :

* تراه إماما والنبيون خلفــه *

(ص) :

وناهِيكَ مِمَّنْ كانَ جِبْرِيلُ خِدْنَهُ   حَشَا قَلْبَهُ بِالنُّورِ إِذْ شَقَّ بَطْنَهُ
وأَسْرَى بِهِ إِذْ كَمَّلَ اللهُ سِنَّهُ   مَرَاقِيهِ فى الْإِسْرَاءِ تَقْضِى بِأَنَّهُ
عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ سِوَاهُ مُقَدَّمُ

(ش) (وناهيك) كافيك (ممن) أى نبى ، ويحتمل أن تكون من زائدة (كان جبريل) عليه السلام (خدنه) صديقه فى الإسراء ومقوده ، ومنه : « ولا متخذى أخدان » (حشا) ملأ جبريل عليه السلام (قلبه) فؤاده (بالنور إذ) حين (شق بطنه) فما ظنك :

* ضميرٌ توالت كف جبريل طهره *

وعنه عليه الصلاة والسلام : « أتيت وأنا فى أهلى فانطلق بى إلى زمزم فشرح صدرى ، ثم غسل بماء زمزم ، ثم أتيت بطست من ذهب ممتلئ إيماناً وحكمة فحشى بها صدرى » الحديث (وأسرى به إذ) تعليلية (كمل الله سنه) فلما استتم الأربعين تمكنت مكانته عند ربه ، وأسرى به مولاه ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم منه إلى حيث فارقه جبريل ، فجاوز إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام لأجل كمال سنه أربعين (مراقيه) مصاعده : جمع مرقاة ، وهى الدرجة : أى درجته التى تصاعده أو يصعد بها (فى الإسراء) إسرائه (تقضى) تحكم (بأنه) صلى الله عليه وسلم (على كل مخلوق سواه) غيره (مقدم) (ص) :

مَنِ الخَالِصُ الْوَاقِى مِنَ الشَّرِّ خَيْرُهُ   يُؤَمَّلُ مِنْهُ النَّفْعُ يُؤْمَنُ ضَيْرُهُ
يَعُمُّ الْوَرَى إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ مَيْرُهُ   مَنِ الْمُرْتَقِى فَوْقَ السَّمٰوَاتِ غَيْرُهُ
ومَنْ ذَا الْمُنَاجِى وَالْبَرِيَّةُ نُوَّمُ

(ش) (من) اسم استفهام (الخالص) الطاهر من كل نقيصة (الواقى) الحافظ (من الشر خيره) فاعل الواقى: أى خيره يقيه ويحفظه من الشر، لأنه يجزى بالسيئة السيئة: وعن أنس رضى الله عنه: «كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابى بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه عليه الصلاة والسلام، ثم قال يا محمد: احمل لى على بعيرىَّ هذين من مال الله تعالى الذى عندك، فإنك لاتحمل من مالك ولا من مال أبيك» الحديث. (يؤمل منه النفع) أى يرجى نفعه (يؤمن ضيره) فلا يجده إلا هو (يعم الورى إن أخلف) أخر (الغيث) المطر (ميره) طعامه يمتاره الإنسان (من) اسم استفهام بمعنى النفى (المرتقى) الصاعد (فوق السموات غيره) لاتجده إلا هو (ومن ذا المناجى) أى من الذى كان بينه و بين ر به مناجاة (و) الحال أن (البرية) الخلائق (نوّم) جمع نائم؟ لا تجده إلا هو (ص):

ذَ كَتْ نَارُ أَشْوَاقِى إِلَيْهِ وَمَا خَبَتْ ‏ ‏ ولِمْ لاَ وَلِى نَفْسٌ سِوَى حُبِّهِ أَبَتْ

وَتَعْظِيمُهُ فى الْعَالَمِ الْعُلْوِ قَدْ ثَبَتْ ‏ ‏ مَلاَئِـكَةُ السَّبْعِ الطِّبَاقِ تَأَهَّبَتْ

لِإِسْرَائِهِ كُلٌّ عَلَيْهِ يُسَلِّمُ

(ش) (ذكت) اشتعلت (نار أشواقى إليه) صلى الله عليه وسلم (وما خبت) خمدت وطفئت (ولم لا) يكون ذلك (ولى نفس) روح أو قلب، أو النفس جميع البدن (سوى) غير (حبه أبت) امتنعت (وتعظيمه) صلى الله عليه وسلم (فى العالمَ العلو) أهل السموات (قد ثبت * ملائـكة السبع الطباق تأهبت) استعدت (لإسرائه) متعلق بتأهبت (كل) واحد من الملائـكة (عليه يسلم) و يقول له: السلام عليك يا محمد (ص):

هُمُ قَدَرُوا لِلْمُصْطَفَى حَقَّ قَدْرِهِ ‏ ‏ وَقَامُوا لَهُ بِالحَقِّ مِنْ فَرْضِ بِرِّهِ

وَجِبْرِيلُ أَدْرَاهُمْ بِتَأْسِيسِ أَمْرِهِ   مَدَاهُ قَصِيٌّ عَنْ لَوَاحِظِ غَيْرِهِ
وَلَيْسَ إِلَى الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ سُلَّمُ

(ش) (هم) أى ملائكة السبع الطباق (قدروا) عظموا (للمصطفى) اللام زائدة (حق قدره) عظموه حق تعظيمه، أو عرفوه حق معرفته، حيث سلم عليه كل واحد منهم، ومنه: « وما قدروا الله حق قدره » (و) لما عظموه حق تعظيمه (قاموا له) لإجله (بالحق) ضد الباطل (من فرض برّه) أى بره المفروض، أو واجب طاعته (جبريل) اسم سريانى: معناه عبد الله أو غيره (أدراهم) أعلمهم (بتأسيس) تأصيل، أو إصلاح (أمره) شأنه لكونه خِدنه ورفيقه فى إسرائه؛ «لأنه استفتح أبواب السموات فقيل من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد بعث إليه؟ قال بعث إليه» كما فى حديث الإسراء (مداه) غايته صلى الله عليه وسلم (قصىّ) بعيد (عن لواحظ) نواظر (غيره. وليس إلى الشمس المنيرة) نعت للشمس (سلّم) درجة ومرقاة، وهو مثل للنبى صلى الله عليه وسلم؛ لما كان الشمس لايوصل إليها كذلك النبى صلى الله عليه وسلم لايصل أحد إلى مرتبته، ولا يرقى مرقى درجته صلى الله عليه وسلم (ص):

وَلَمَّا اصْطَفَاهُ رَبُّهُ مِنْ عِبَادِهِ   وَطَهَّرَهُ فِى ذَاتِهِ وَاعْتِقَادِهِ
وَجَرَّدَهُ سَيْفاً لِفَتْحِ بِلَادِهِ   مَحَا ظُلَمَ الْإِشْرَاكِ نُورُ وِلَادِهِ
وَلَا عَجَبٌ فَاللَّيْلُ بِالصُّبْحِ يُهْزَمُ

(ش) (ولما) حين (اصطفاه) اختاره (ربه) خالقه ومالك أمره (من) بين (عباده * و) لما (طهره) زكاه (فى ذاته) روحا وجسما، وحاشاه عيبا ووصما، وذات الشىء: حقيقته (و) طهره ربه فى (اعتقاده) إيمانه (و) لما (جرده)

انتضاه وأخرجه من غمده (سيفا) حال أو تمييز (لفتح بلاده) وجواب لما (محا) أزال (ظلَم) جمع ظلمة (الإشراك) الكفر (نور ولاده) أى أزال نورُ ولاده الكفر: إشارة إلى ماقالته أمه رضى الله عنها « فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له مابين المشرق والمغرب ، ثم وقع إلى الأرض معتمدا على يديه ، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء» وقال بعضهم «وقع جاثيا على ركبتيه وخرج منه نور أضاء قصور الشام وأسواقها ، حتى رأيت أعناق الإبل ببصرى » الحديث (ولا عجب) فى ذلك (فالليل بالصبح) بطلوع الصبح (يهزم) يذهب : يعنى أن ظلمة الكفر تنجلى بنوره صلى الله عليه وسلم (ص) :

تَكَنَّفَهُ مِنْ ذِى الجَلَالِ اصْطِنَاعُهُ ... زَكَا فَزَكَتْ أَفْعَالُهُ وَطِبَاعُهُ

فَمَا شَبَّ حَتَّى امْتَدَّ فى الْفَضْلِ بَاعُهُ ... مَنَارُ هُدًى يَهْدِى الْقُلُوبَ شُعَاعُهُ

إِذَا لَمْ تَلُحْ شَمْسٌ وَلَمْ تَبْدُ أَنْجُمُ

(ش) (تكنفه) أحاط به صلى الله عليه وسلم (من ذى الجلال) أى الله (اصطناعه) اختياره تمثيل لما أعطاه ربه من منزلة التقريب ، ومعنى ذى الجلال ذى العظمة (زكا) صلح وطهر صلى الله عليه وسلم (فزكت) طهرت (أفعاله وطباعه) سجاياه وخلائقه (فما شبّ) كبر (حتى امتدّ) بسط (فى) لأجل (الفضل باعه) أى شرفه وكرمه ، وأصله طول مابين اليدين ، هو (منار هدى) دين الإسلام (يهدى القلوب شعاعه) ضوؤه ونوره (إذا) حين (لم تلح) تظهر (شمس ولم تبد) تظهر (أنجم) جمع نجم ؛ وكون إذا ظرفية أليق ، وهو متعلق بمنار .

والمعنى : إذا لم تر شريعة أحد من الأنبياء ، فهو منار هدى يهتدى به صلى الله عليه وسلم (ص) :

أُعِدَّتْ لَهُ دَارُ النَّعِيمِ وَأُزْلِفَتْ حَنَّتْ لِمَثْوَاهُ بِهَا وَتَزَخْرَفَتْ
وَكَمْ بُقْعَةٍ أَوْحَى لَهَا فَتَشَرَّفَتْ مِنًى تَاهَ لَمَّا أَنْ أَتَاهَا وَعُرِّفَتْ
بِهِ عَرَفَاتٌ وَالحَطِيمُ وَزَمْزَمُ

(ش) (أعدت له) صلى الله عليه وسلم (دار النعيم) الجنة (وأزلفت) له، ومنه: «وأزلفت الجنة للمتقين» (ف) لما قربت له (حنت) اشتاقت (لمثواه) لمقامه (بها) فيها (وتزخرفت) تزينت لمثواه بها (وكم) كثير من (بقعة أوحى) أشار (لها) بيده الشريفة بذكره بتفضيل البقعة (فتشرفت) تعظمت على غيرها من البقاع (منى) اسم موضع بقرب مكة (تاه) افتخر، وذكّر باعتبار المكان وأنثه فى قوله: أتاها باعتبار البلد بنحر البدن به، وأقامت تلك الشعيرة به (لما أن أتاها) جاءها (وعرفت) بينت أو طيبت، ومنه: «عرّفها لهم» (به) بالنبي صلى الله عليه وسلم (عرفات) اسم موضع (والحطيم) مابين الكعبة إلى مقام إبراهيم، أو هو جدار حجر الكعبة (وزمزم) بئر بمكة (ص):

مِنَ اللهِ أَرْجُو نَظْمَ شَمْلِي بِشَمْلِهِ وَإِلاَّ فَدَمْعٌ وَبْلُهُ إِثْرَ طَلِّهِ
وَحِبٌّ عَلَى النَّأْيِ اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِهِ مُنَى كُلِّ نَفْسٍ لَثْمُ آثَارِ نَعْلِهِ
وَفِى النَّاسِ مَنْ يُعْطَى مُنَاهُ وَيُحْرَمُ

(ش) (من الله) لا من غيره (أرجو) آمل (نظم) جمع (شملي) افتراقي (بشمله) بجمع النبي صلى الله عليه وسلم، وإن شئت فقل من الله أرجو، جمع افتراقي بافتراقه صلى الله عليه وسلم، وهو المراد هنا بدليل تقدم النظم على الشمل (وإلا) إن لم ينظم شملي بشمله، أو إن لم يكن الأمر كذلك (ف) لي صب (دمع وبله) مطره الكثير (إثر) بعد (طله) مطره القليل (و) لي (حب)

أى محبوب (على النأى) لأجل بعده عنا حسا ، ويحتمل أن تكون على بمعنى مع : أى مع حبه (اعتصمت بحبله) استمسكت بحبل الحب ، لأن حبه حبل متين ، ومنه : « واعتصموا بحبل الله جميعا » (منى) جمع منية : وهى البغية والطلب (كل نفس) مؤمنة (لثم) تقبيل (آثار) موطئ (نعله) صلى الله عليه وسلم وإن وجدت تقبيل موطئ نعله فقد حصلت مناها ، وقال الفاكهانى : لما دخل المدينة وأخذ نعلى النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يقول قول الشاعر :

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها تريد أم الدنيا وما فى طواياها
لقال غبار من تراب بنعلها أحبّ إلى نفسى وأشفى لبلواها

(وفى الناس من يعطى مناه) جعلنا الله منهم (و) منهم من (يحرم) مناه ولا يعطى له ، اللهم اقض حوائجنا كلها بحرمة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

وهنا انتهى حرف الميم ، ويتلوه حرف النون إن شاء الله تعالى ، والله المستعان .

قافية حرف النون

لما فرغ من حرف الميم من مدح النبى الكريم ، شرع فى حرف النون يمدح من أمّ فى ليلة الإسراء النبيين ، والمرء لابد له من لائم فى كل ما كان فيه ، فلا تبال به ، واعمل بما ينجيك من عذاب أليم ، والمادح قد علم أن اللوم لا ينفك عنه واحد فقال (ص) :

أَيَا لاَئِمِى أَقْصِرْ عَنِ اللَّوْمِ أَوْ زِدِ وَخَالِفْ وَإلا إِنْ عَقَلْتَ فَأَسْعِدِ
فَمَا دَدُ مِنِّى لاَ وَلاَ أَنَا مِنْ دَدِ نَعِمْتُ بِذِكْرِ الْهَاشِمِىّ مُحَمَّدِ
وَسَاعَدَنِى فى مَدْحِهِ اللَّفْظُ وَالمَعْنَى

(ش) (أيا لائمى) عاذلى (أقصر) اكفف (عن اللوم او زد) اى انقص لومك أو زده إن شئت ، فإنك لست بعاقل ولا نلتفت إليك (وخالف) فى فى مدحى إياه إن كنت غير عاقل (و إلا) إن لم تخالفنى ، بل وافقتنى فى مدحى إياه فامدحه معى (إن عقلت فأسعد) أعنى إن كنت عاقلا (فما دد منى) لهو ولعب (لا ولا) للتأكيد (أنا من دد) .

المعنى : أنا فى صدق من مدح النبى صلى الله عليه وسلم لا فى لهو ولا لعب ، وفى البيت اقتباس، لأنه أخذ من قوله عليه الصلاة والسلام : « لست من دد ولا دد منى » (نعمت) صرت فى نعمة من الله (بذكر الهاشمىّ محمد) بسبب مدحى إياه (وساعدنى) أعاننى ووافقنى (فى مدحه) فى مدحى إياه (اللفظ) الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية (والمعنى) المراد .

والمعنى : أنه كلما أراد أن يمدحه صلى الله عليه وسلم ، يساعده اللفظ والمعنى ، ولم يحتج إلى إحضار شىء منهما ، بل هو حاضر عنده (ص) :

عَـكَفْتُ عَلَيْهِ أُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ أَدِينُ بِهِ لِلّٰهِ أَفْضَـلَ أُمَّةٍ

بِنَفْسِيَ مِنْهُ قَانِتٌ خَيْرُ أُمَّةٍ نَبِيٌّ تَمَنَّتْ بَعْثَهُ كُلُّ أُمَّةٍ

وَنَحْنُ بِذَاكَ الْفَضْلِ مِنْ بَيْنِهِمْ فُزْنَا

(ش) (عكفت عليه) أى لازمت ذكره ، ومنه : « يعكفون على أصنام لهم » (أمة بعد أمة) أى حيناً بعد حين ، ومنه : « وادّكر بعد أمة » (أدين) أعبد (به) بذكره (لله) حال كونه (أفضل أمة) خير دين ، ومنه : « إنا وجدنا آباءنا على أمة » أفدى (بنفسى منه) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو (قانت) مطيع ، ومنه : « وقوموا لله قانتين » (خير أمة) أى خير رجل جامع للخير ، أوخير إمام يعلم الخير ، ومنه : « إن إبراهيم كان أمة قانتاً » وهذا تجريد،

هو (نبي تمنت) من التمنى (بعثه كل أمة) من أمم الأنبياء أن يبعثه الله إليها (ونحن بذاك الفضل) بكوننا أمته عليه الصلاة والسلام (من بينهم) بين الأمم السالفة (فزنا) ظفرنا ببعثته من بين الأمم المتمنين ، وقد تقدم سؤال موسى عليه السلام ربّه أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالحمد لله على ذلك ، ونسأل الله تعالى أن يعطينا كل خير من خيرات الدنيا والآخرة ، ويعيذنا من كل شر من شرور الدنيا والآخرة بحرمة نبيه المعصوم (ص) :

بَدَا قَمَرًا مَسْرَاهُ شَرْقٌ وَمَغْرِبُ وَخُصَّتْ بِمَثْوَاهُ المَدِينَةُ يَثْرِبُ
وَكَانَ لَهُ فِى سِدْرَةِ النُّورِ مَضْرِبُ نَجِىٌّ لِرَبِّ العَالَمِينَ مُقَرَّبُ
حَبِيبٌ فَيَدْنُو كُلَّ حِينٍ وَيُسْتَدْنَى

(ش) (بدا) النبي صلى الله عليه وسلم حال كونه (قمرا مسراه) أى ذلك (شرق ومغرب) والجملة الخبرية وما عطف عليها صفة لقمر ، أو المراد كما عم نور القمر الأفق ، كذلك هدايته عمت الورى ، أو المراد إشارة إلى إسرائه كما بين المشرق والمغرب لأن مابين السماء والأرض خمسمائة سنة ، وكذلك مابين المشرق والمغرب خمسمائة ؛ كما قطعهما قمر فى الفلك كذلك هو صلى الله عليه وسلم قطعهما فى إسرائه ، ويصح أن يرفع قمر فيكون فاعل بدا ، لأن المادح سماه قمرا فى قافية الكاف فيكون إشارة إلى عموم هدايته أيضا (وخصت بمثواه) موضع إقامته (المدينة يثرب) بدل أو عطف بيان (وكان له) لذلك القمر (فى سدرة النور) أى سدرة المنتهى ، وأضاف السدرة إلى النور لقوله صلى الله عليه وسلم : « فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها » الحديث . (مضرب) مقام (نجىّ) مكالم مناجى (لرب العالمين مقرّب) قربه الله إليه وناجاه ، ومنه : « وقربناه نجيا » والمراد بالقرب قرب المنزلة

(حبيب) لرب العالمين (فيدنو) يقرب (كل حين) وقت (ويستدنى) يطلب له الدنوّ دنو اصطفاء لا دنوّ مسافة ، وفى قصة الإسراء عنه عليه الصلاة والسلام فى قوله : «دنا فتدلى» قال : « فارقنى جبريل فانقطعت عنى الأصوات فسمعت كلام ربى يقول : ليهدأ رَوعك يا محمد أدن أدن » الحديث . له (ص) :

خُصُوصِيَّةٌ أَبْقَتْ لَهُ الذِّكْرَ خَالِدَا ... بِهَا حَازَ رِقَّ الْمَجْدِ طِرْفًا وَتَالِدَا
وَبَرَّزَ فِى الدُّنْيَا وَفِى الدِّينِ وَاحِدَا ... نَمَتْهُ فُرُوعُ الْمَجْـدِ أُمًّا وَوَالِدَا
فَأَعْظِمْ بِهِ ظَهْرًا وأَكْرِمْ بِهِ بَطْنَا

(ش) (خصوصية) خصه الله بها ، أو أن المذكور من إسرائه ودنوّه ورؤية ربه خصوصية (أبقت) الخصوصية (له) صلى الله عليه وسلم (الذكر) الشرف والدرجة (خالدا) أبد الآباد ، والجملة الإنشائية صفة لخصوصية (بها) بالخصوصية (حاز) جمع (رقّ) ملك (المجد) الشرف والكرم حال كونه (طرفا) مستحدثا (وتالدا) قديما (وبرّز) فاق الناس كلهم (فى الدنيا وفى الدين واحدا) حال (نمته) زادته رفعة (فروع المجد) أعاليه (أمّا ووالدا) تمييزان: أى من جهة الأم ومن جهة الأب (فأعظم به ظهرا) أبًا : أى ما أعظمه أبا (وأكرم به بطنا) أمًّا، وعن ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم : «لما خلق الله آدم عليه السلام أهبطنى فى صلبه إلى الأرض ، وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة ، وقذف بى فى النار فى صلب إبراهيم عليه السلام ، ثم لم يزل ينقلنى فى الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة ، حتى أخرجنى بين أبوىّ ولم يلتقيا على سفاح قط» وإلى هـذا أشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما عم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

من قبلها طبت فى الظلال وفى ... مستودع حيث يخصف الورق

ثم لما هبطتَ البلاد لابشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهـــله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خنـــدق علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق
ونحن فى ذلك الضياء وفى النـ ور وسـبل الرشاد نخترق
يا برد نار الخليـــل يا سببا لعصمة النار وهى تحـــترق

فلما فرغ العباس رضى الله عنه من الأبيات ، قال له النبى صلى الله عليه وسلم « لا فضَّ فوك ولا برَّ من يجفوك » وسئل العباس رضى الله عنه : أنت أكبر أم النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو أكبر منى وأنا ولدت قبله (ص) :

مِنَ الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَمَا هُوَ مِنْهُمُ شَبِيهٌ بِهِمْ فى الْوَصْفِ زَاكٍ لَدَيْهِمُ
رَحِيمٌ بِكُلِّ الْخَلْقِ دَانٍ إِلَيْهِمُ نَصِيحٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ حَانٍ عَلَيْهِمُ
أَضَاءَ لَهُمْ صُبْحًا وَصَابَ لَهُمْ مُزْنَا

(ش) هو (من العالمَ الأعلى) أى الملائـكة بخلقه وسجاياه (وما هو منهم) فى حلاه وخَلقه * حلى آدمىّ خلقه ملـكية *
(شبيه بهم) بالعالم العلوى (فى الوصف) أى فى جميع أوصافه « الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم ماعصى قط ربه (زاك) طاهر من كل نقيصة وعيب (لديهم) عندهم : أى علم ذلك حاصل لهم (رحيم) كثير الرحمة (بكل الخلق) بجميع المخلوقات ملـكا وجنًّا و إنسا و بهائم (دانٍ إليهم) قريب إلى الخلق بإحسانه لهم (نصيح) أى كثير النصح (لأهل الأرض) ينصحهم على ماينفعهم ، وفى الحديث : « الدين النصيحة » (حانٍ)

رحيم (عليهم) أى على أهل الأرض ، ونصح النبي لأمته معروف « وكان بالمؤمنين رحيما » (أضاء) النبي صلى الله عليه وسلم (لهم)لأهل الأرض (صبحا) تمييز أو حال أو منصوب بنزع الخافض: أى كالصبح فى انكشاف الظلمة (وصاب) نزل (لهم مزنا) أى كالمزن فى عموم النفع (ص) :

هُوَ الحَقُّ يَنْفِى كُلَّ إِفْكٍ وَبَاطِلِ ۝ هَدَى فَأَزَاحَ الرَّيْبَ عَنْ كُلِّ جَاهِلِ
وَجَادَ فَأَنْسَى كُلَّ طَلٍّ وَوَابِلِ ۝ نَدًى وَهُدًى قَدْ أَحْسَبَا كُلَّ نَائِلِ
فَقَدْ ضَمِنَ الْإِحْسَانَ لِلْخَلْقِ وَالْحُسْنَى

(ش) (هو) صاحب (الحق ينفى) يطرد (كل إفك) كذب (و باطل) ضد الحق (هدى) أرشد الناس (فأزاح) أبعد (الريب) الشك (عن كل جاهل) بسبب هدايته إياه (وجاد) أعطى (فأنسى) عطاؤه (كل طل) أضعف المطر (ووابل) مطر كثير : أى كل سخى وبخيل (ندى وهدى) لف ونشر معكوس ، ويحتمل أن يكون ندى خبرا لمحذوف : أى هو ذو ندى (قد أحسبا) كفيا (كل نائل) أى نداه وهداه قد كفيا كل من يطلب العطاء والهدى ، وفى نسخة: قابل (فقد ضمن) كفل (الإحسان) الخير كله (للخلق) المخلوقات (و) قد ضمن لنا (الحسنى) الجنة وزيادة بسبب اتباعه والاقتداء بسنته كما قال تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » (ص) :

تَلَقَّى الْهُدَى عَنْ جِبْرَئِيلَ تَلَقِّيَا ۝ وَقَدْ كَانَ يَأْبَى الشِّرْكَ قَبْلُ تَوَقِّيَا
وَلَمَّا دَنَا لِلْحَقِّ بِالْيَدِ مُدْنِيَا ۝ نَأَى لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عَنَّا تَرَقِّيَا
فَكَانَ دُنُوًّا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى

(ش) (تلقى) أخذ النبي صلى الله عليه وسلم (الهدى) القرآن ، أو الرشد ،

كما قال تعالى : « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » (عن جبرئيل تلقيا) أخذا (وقد كان) النبى صلى الله عليه وسلم (يأبى) يمتنع عن أهل (الشرك) الكفر (قبل) لقائه جبريل (توقيا) مفعول له : أى تحفظا لاعتقاده (ولما) حين (دنا) قرب (للحق) هو من أسماء الله تعالى (باليد ملقيا) مستسلما أو راميا باليد ليأخذ الحق من الحق .

والمعنى: لما دنا من الحق تبارك وتعالى عمل بالحق وألقى غيره ، وهو كل مايشغله عن الحق، وجواب لما محذوف تقديره فاز بمطلبه أوهو (نأى) بَعُدصلى الله عليه وسلم (ليلة الإسراء عنا) يترقى (ترقيا) يصعد صعودا (فكان) دنوّه أو نأيه المفهوم من السياق (دنوًّا) مثل دنو (قاب) قدر (قوسين أو أدنى) من ذلك ، فالمراد به شدة القرب ونفى البعد الملتبس عليه ، يعنى: أنه فى موضع لايلتبس عليه مايقال له وهو سماع ما يوحى إليه (ص) :

فَلِلّهِ ذَاكَ النَّأْىُ إِذْ يَدَّنِى بِهِ ... لِمُرْضِهِ مَهْمَا اشْتَكَى وَطَبِيبِهِ
تَدَانِى أَوَّاهِ الْفُؤَادِ مُنِيبِهِ ... نَفَى نَوْمَهُ تَأْمِيلُ قُرْبِ حَبِيبِهِ
فَأَقْلَقَ مِنْهُ الْقَلْبَ إِذْ أَرَّقَ الْجَفْنَا

(ش) (فلله) هذه صيغة تعجب (ذاك النأى) البعد (إذ) حين (يدّنى) يقرب النبى صلى الله عليه وسلم (به) أى النأى، أو لله درّ ذلك البعد حين يقرب النبى صلى الله عليه وسلم (لمرضه) إلى الذى أمرضه (مهما) أى إن (اشتكى وطبيبه) العالم بطبه ، وهو الله سبحانه وتعالى : أى لايشتكى إلا لعالم طبه (تدانى) تقارب مصدر نوعى ليدنى (أواه الفؤاد) والأوّاه : خاشع القلب الذى يكثر التأوّه من خوف الله ، ومنه : « إن إبراهيم لأوّاه حليم » (منيبه) راجع الفؤاد إلى ربه (نفى) طرد (نومه) صلى الله عليه وسلم (تأميل) رجاء (قرب حبيبه) محبوبه

(فأقلق) أزعج التأميل (منه) صلى الله عليه وسلم حال (القلب إذ أرق) السهر (الجفنا) العين (ص) :

وَأَوْجَبَهُ لِلَّهِ أَشْرَفَ وِجْهَةٍ أَفَاقَ بِهَا مِنْ كُلِّ بَأْسٍ وَأَهَّةٍ
فَهٰذَا وَمَنْ يَنْظُرْ يُمَتَّعْ بِنُزْهَةٍ نَهَارُ هُدَاهُ لَمْ يَدَعْ لَيْلَ شُبْهَةٍ
فَسِرْ مُفْرَدًا فَالْأَرْضُ قَدْ مُلِئَتْ أَمْنَا

(ش) (و) نسختنا (أوجبه لله) بالباء : أى أوجبه له نفى المذكور ، وفى بعض النسخ : وأوجهه بالهاء حال كونه (أشرف) أرفع (وجهة) جهة ، والمراد ثبت له المكانة عند ربه (أفاق) انتبه (بها) بتلك الوجهة (من كل بأس) شدة وعذاب فى الدنيا والآخرة (وأهة) تحزّن وتوجع ، وفى نسخة أوهة : أى مشقة (فهذا) التخلص مبتدأ (و) جملة (من ينظر) فعل الشرط (يمتع بنزهة) بفرح جوابه ، والجملة معترضة (نهار هداه) خبر أو بدل أو عطف بيان أو مبتدأ خبره (لم يدع) يترك (ليل شبهة) أى لم يترك الشبهة التى هى كالليل .

والمعنى : فهذا المذكور أمره ، ومن يتفكر فيه واتبعه وعمل بسنته يحصل له التمتع بفرح وجهه ودوام سرور فى الدنيا والآخرة (فسر) فحيث لم يدع نهاره هدى كل ظلم وشبهة ، وطرد كل ظالم ولصّ ، سر حال كونك (مفردا) منفردا (فالأرض قد ملئت) أكملت (أمنا) تمييز ، والجملة الخبرية تعليل لما قبلها : أى فلك الأمان فيها ، لأنه لايظلم أحد أحدا بسبب شريعته صلى الله عليه وسلم (ص) :

لَهُ الْقَدَمُ الْأَعْلَى عَلَى كُلِّ مُعْتَلٍ هُوَ الْآخِرُ السَّامِي عَلَى كُلِّ أَوَّلِ
تُفَضِّلُهُ أَعْزِزْ بِهِ مِنْ مُفَضَّلٍ تُقَدِّمُهُ نَصًّا عَلَى كُلِّ مُرْسَلِ
وَلَا خَلْقَ يَسْتَثْنِي وَلَا خُلُقَ يُسْتَثْنَى

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (القدم الأعلى) نعت للقدم : أى السعادة السابقة فى الأزل، أو الأعمال الصالحات من العبادات أو الشفاعة (على كل معتل) على كل صاحب منزلة رفيعة ، والمراد بكل معتل كل نبى عليهم الصلاة والسلام (هو الآخر) فى البعث (السامى) المرتفع (على كل أول) فى البعث (نفضله) صلى الله عليه وسلم (أعزز به) أى ما أعظمه (من مفضل) من الذى فضله الله على سائر الخلق وهو تمييز جر بمن (نقدمه نصا) منصوصا حال : أى بكتاب وسنة وإجماع (على كل مرسل) أرسل إلى أمة (ولا خاق) مخلوق من مخلوقات الله ملكا وإنساً وجنًّا (يستثنى) بنفسه أو يستثنيه أحد (ولا خاق) جبلة وطبيعة (يستثنى) من ملك وجنّ وإنس ، والاستثناء : إخراج الشىء مما دخل فيه غيره وإدخال الشىء فيما خرج منه غيره بإحدى الأدوات المخصوصة المعروفة عند النحاة ، ومنه : « ولا يستثنون » (ص) :

ضَلَلْنَا فَوَافَانَا بِنُورِ هِدَايَةٍ نَجَوْنَا بِهِ مِنْ إِفْكِ كُلِّ غَوَايَةِ
نَظَرْنَا فَلَمْ نَحْصُلْ لَهُ عِنْدَ غَايَةٍ نَقَلْنَا لَهُ عَنْ صِحَّةٍ أَلْفَ آيَةِ
وَهَلْ تُنْكَرُ الْأَزْهَارُ فى الرَّوْضَةِ الْغَنَّا

(ش) (ضللنا) غوينا وعدلنا عن الحق (فوافانا) جاءنا (بنور هداية) ورشده : أى كنا فى ضلال فأنقذنا الله منه بسببه (نجونا) خلصنا (به) أى النبى صلى الله عليه وسلم (من إفك) كذب (كل غواية) ضلال (نظرنا) إلى غايته فى الفضل والجمال ، وما أعطاه الله تعالى من خصال الكمال (فلم نحصل) نثبت (له عند غاية) نهاية فى ذلك وعند زائدة ، وله حال من غاية (نقلنا له) صلى الله عليه وسلم (عن صحة ألف آية) قال فى اللؤلؤة المرادية : وله فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم أربع مجلدات ، ولذلك قال : * نقلنا له فى صحة ألف آية *

(وهل) استفهام إنكارى (تنكر) تجحد (الأزهار) الأنوار (فى الروضة الفنا)، وهى الكثيرة العشب التى يألفها الذباب المتصوتة لها ، وفى أصواتها غنة .

والمعنى : أن معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة لايحصى عددها ولا ينكر إثباتها كما لاتنكر الأزهار فى الروضة الغناء (ص) :

وَهَلْ بَعْدَ مَسْرَاهُ لِذِى شَرَفٍ شَرَفْ   وَهَلْ يُنْكِرُ الْفَضْلَ النَّبِيِّ مَنْ عَرَفْ
وَهَلْ هُوَ إِلاَّ الْبَدْرُ يَجْلُو دُجَى السَّدَفْ   نَحَوْنَا بِهِ نَحْوَ الصَّوَابِ فَلَمْ تَحَفْ
عَقَائِدُنَا وَهْمًا وَأَلْسُنُنَا لَحْنَا

(ش) (وهل) ما (بعد مسراه) إسرائه لمولاه (لذى شرف) رفعة (شرف) علو (وهل ينكر) يجحد (الفضل النبيّ) المنسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم (من عرفه)، وهو الإسراء .

والمعنى : أن من عرف تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم على غيره لاينكر تفضيله على الرسل ، قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » الآية (وهل) ما (هو إلا البدر يجلو) يكشف (دجى) ظلمة (السدف) الليل (نحونا) قصدنا (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم، أو بالنقل لمعجزاته أو بمدحه (نحو) جهة (الصواب فلم تحف . عقائدنا وهما) أى فبسبب قصدنا جهة الصواب لم تحف عقائدنا غلطا (و) لم تحف (ألسننا لحنا) فى إعراب ما مدحناه به ، واللحن : إخراج الكلام وتغييره عما يقتضيه الإعراب من المعانى الصحيحة ، والأمور العجيبة (ص) :

تَقَاصَرَ عَنْ أَمْدَاحِهِ قَدْرُ نَظْمِنَا   فَنَحْنُ نُحَلِّيهِ بِمَبْلَغِ فَهْمِنَا
عَسَانَا بِعَفْوِ اللهِ عَنْ سُوءِ جُرْمِنَا   نُحَفُّ بِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ لِعِلْمِنَا
بِأَنَّ لَهُ جَاهًا لِأُمَّتِهِ يُغْنِى

(ش) (تقاصر) تفاعل من القصر (عن أمداحه) أوصافه (قدر نظمنا) وهو ضد النثر: أى كل مانظمناه صار قصيرا فى حقه (فنحن نحليه) نصف النبى صلى الله عليه وسلم، أو نزين النظم (بمبلغ فهمنا) علمنا أو عقلنا، ومنه: « ذلك مبلغهم من العلم » (عسانا بـ) سبب (عفو الله عن سوء جرمنا) أى قبح ذنبنا (نحف) نطاف بالبناء للفاعل والمفعول، أو نطوف وندور (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم والمراد نلوذ به، ومنه: « وترى الملائكة حافين » (يوم الحساب) يوم القيامة الذى يحاسب الله فيه العباد على أعمالهم (لـ) أجل (علمنا. بأن له) صلى الله عليه وسلم (جاها لأمته يعنى) يهتم: أى يخلص الله أمته به أو يقصد بأمته (ص):

هُوَ الْعَبْدُ إِنْ أَرْضَيْتَهُ تُرْضِ رَبَّهُ ... وَمَنْ زَارَهُ فَاللهُ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ
فَهَا نَحْنُ إِذْ لَمْ نُوتَ فى الحَالِ قُرْبَهُ ... نُعِدُّ لِيَوْمِ الْعَرْضِ وَالوَزْنِ حُبَّهُ
وَيُدْرِكُنَا إِحْسَانُهُ حَيْثُمَا كُنَّا

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (العبد) وأل للعهد الذهنى (إن أرضيته) إن عملت له ما رضى به (ترض ربه) « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (ومن زاره) محتسبا (فالله يغفر ذنبه) وفى الحديث: « من زارنى ميتاً فكأنما زارنى حيا، ومن زار قبرى وجبت له الجنة بشفاعتى يوم القيامة، وما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عند الله عذر » (فها) حرف تنبيه (نحن إذ لم نوت فى الحال) الدنيا (قربه) أى صحبته (نعدّ) نستعد ونتهيأ (ليوم العرض) وهو من أسماء يوم القيامة (و) نعد ليوم (الوزن حبه) لكون المرء مع من أحب (ويدركنا) يلحقنا معاشر الأمة (إحسانه) خيره (حيثما كنا) من الأماكن دنيا وأخرى، وذكر الحيثية احتراس.

(ص) :

رَعَى اللهُ نَفْسًا فى النفُوسِ كَرِيمَةً   رَأَتْ حُبَّهُ فَرْضًا عَلَيْهَا عَزِيمَةً
فَقَالَتْ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَهْمَعُ دِيمَةً   نُحِبُّ رَسُولَ اللهِ دِينًا وَشِيمَةً
وَلِمْ لاَ وَمَرْآهُ هَدَى الإِنْسَ وَالْجِنَّا

(ش) (رعى) حفظ (الله) تعالى (نفسا فى النفوس كريمة) نعت لنفسا، ومعناه الدعاء أوقعه موقع المستقبل : أى دعا للنفس الكريمة أن يحفظها الله التى (رأت) هى (حبه) صلى الله عليه وسلم (فرضا) واجبا (عليها) أى النفس (عزيمة) واجبة لازمة حتما ، أوقوية (فقالت) النفس الكريمة (و) الحال أن (دمع العين) دمع عينها (يهمع) يسيل (ديمة) دائما ، وأصله مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ، وهو تمييز أو حال ، ومقول القول (نحب رسول الله) صلى الله عليه وسلم (دينا) شرعا (وشيمة) طبيعة (ولم لا) نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومرآه) منظره ووجهه (هدى الإنس والجنا) والألف للإطلاق :

لو لم تكن فيه آيات مبينة   لكان منظره ينبيك بالخبر

وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه ، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب » الحديث (ص) :

عَجَزْنَا لَعَمْرُ اللهِ عَنْ وَصْفِ سَمْحِهِ   وَإِغْضَائِهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَصَفْحِهِ
وَلَوْ أَنَّنَا مِمَّنْ يَقُومُ بِشَرْحِهِ   نَثَرْنَا عَلَى الأَسْمَاعِ مِنْ دُرِّ مَدْحِهِ
سُلُوكاً عَلَتْ قَدْرًا وَقَدْ رَجَحَتْ وَزْنَا

(ش) (عجزنا) عيينا (لعمر الله) بقاؤه (عن وصف) نعت (سمحه) جوده .

والمعنى: نقسم ببقاء الله على حصول ذلك العجز لنا ، وجملة لعمر الله اعتراضية ومنه : « لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون » (و) عجزنا لعمر الله عن وصف (إغضائه) تغافل وجهه (عن كل نقص) فينا (و) عجزنا لعمر الله عن وصف (صفحه) تجاوزه عن هفوات الناس وعثراتهم (ولو) ثبت (أننا ممن يقوم شرحه) ببيان صفته و إيضاحها ، وجواب لو محذوف لأتينا بها (نثرنا) رمينا وفرقنا (على الأسماع) الآذان (من) بيانية (درّ مدحه. سلوكا) خيوطا (علت) ارتفعت (قدرا) تمييز (و) الحال أنها (قد رجحت) مالت (وزنا) تمييز ، هذا كله تمثيل وتشبيه ، والمراد به عدم حصر فضائله ومآثره ومناقبه التى خصه الله بها (ص) :

نُقِرُّ بِهَا لِلْمَجْدِ فِيـــهِ عُيُونَهُ ... وَنَجْمَعُ شَـتَّى وَصْفِهِ وفنُونَهُ

ولِى فِيهِ قَلْبٌ لمْ يُفَارِقْ شجُونَهُ ... نَبذْتُ جَمِيلَ الصَّبْرِ فى الْعَيْشِ دُونَهُ

وقُلْتُ إلَى كَمْ يَصْبِرُ الْـكَلِفُ الْمُضْنَى

(ش) (نقرّ بها) نفرح بتلك السلوك (للمجد) الـكائن (فيه) صلى الله عليه وسلم (عيونه) يعنى عيون النبى صلى الله عليه وسـلم ، أو عيون أحبابه ، أو عيون المجـد (ونجمع شتى) متفرقات (وصفه) نعته المجد فيه (و) نجمع (فنونه) أنواع مدحه فيه ؛ بأن نجمع امتداحه بالفصاحة والسماحة والشجاعة ، والجود والـكرم ، والعلم والتقوى ، والصبر والمروءة ، والتواضع والإسراء ، إلى غير ذلك من كلامه مع ربه ورؤيته له ، والطاعة كما جمعنا بعض ذلك النوع فى قصيدتنا بثّ الشوق :

ألا يا رسـول الله يا من ببابه ... ينال أولو الحاجات كل كريمة

ومن ليس فى الإمكان أبدع منه فى ... كمالاته من كل حسن ورفعة

وتعديل جسم والجمال مع الصفا ... وسمت وقار والحيـــــاء وعفة
وحسب ونسب والتقى وتواضع ... وشرف جدود والذكا ومروءة
وعقل وعـــــلم والنقا وزهادة ... وصـــبر وحلم والرضا ومعزّة
وجود وعدل والكرامة والهدى ... وشكر وبسط والنجا وشجاعة
وعفو وبرّ والبهـــا ومكانة ... وإيفاء وعد والســـنا وجلالة
وخَلق وخُلق والزكا ومهابة ... وأمن ومجد والسناء وهمة
وورع وتثبيت ونحر وسؤدد ... وشرح ورفع الذكر فى كل خطبة
وعزم وحزم والنـدى وتوكل ... وخفض جناح ثم لين وفطنة
وحمد ووضع الوزر والشكروالجدى ... وإسراء ليل ثم رؤية سـدرة
ونطق بإيحــــاء ورؤية ربه ... وتعليمه بالسرّ ثم بحجــــة
إلى ماوراء الحصر من حسن وصفه ... وما ما دراه الخلق من حسن سيرة
وصفى كل وصف من محاسن وصفه ... بهمزة تفضـيل وتعجيب صيغة
لتعـــلم أن المصطفى أبدع الورى ... وتعـلم أن الوصف خارج طاقة

انتهى المراد منها هنا . (ولى فيه) فى حبه (قلب) فؤاد (لم يفارق) القلب (شجونه) أحزانه (نبذت) طرحت ، ومنه: « فنبذناه بالعراء » (جميل الصبر) أى الصبر الجميل (فى) لأجل (العيش) الحياة (دونه) دون الوصول إليه بزيارة ، أو رؤية قبره صلى الله عليه وسلم (فقلت إلى كم) من الزمان (يصبر الكلف) المحب العاشق (المضنى) الوجع الذى أمرضه الحب وأهزله الشوق (ص) :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ لِعَيْنِيَ لَمْحَةٌ ... لِرَوْضَتِهِ حَيْثُ الرَّغَائِبُ سَمْحَةٌ
فَإِنَّا وَأَسْبَابُ الْوُلُوعِ مُلِحَّةٌ ... نَكَادُ إِذَا هَبَّتْ لِيَثْرِبَ نَفْحَةٌ
نَطِيرُ لَهَا شَوْقاً وَنَفْنَى بِهَا حُزْنَا

(ش) (ألا) للتنبيه (ليت شعرى) علمى : أى ليتنى أشعر (هل لعينى لمحة) نظرة لى أى أن ينظر نظرا خفيفا (روضته) لقبر القائل : «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» (حيث الرغائب) المأمولات (سمحة) سهلة المأخذ، يعنى : حيث يعطى كل إنسان كل مايرغب فيه (فإنا و) الحال (أسباب الولوع) حرقة الشوق (ملحة) دائمة لازمة علىّ لاأفارقها (نكاد) خبر إن (إذا هبت) هاجت (ليثرب) للمدينة (نفحة) رائحة طيبة (نطير لها) للمدينة (شوقا) لأجل الشوق (ونفنى) نموت، ومنه : «كل من عليها فان» (بها) فيها (حزنا) لأجل الحزن، ولذلك نطير لها :

* يطير اشتياقا والقضاء يلبث *

(ص) :

وَلِلنَّفْسِ فى الْأَطْمَاعِ بِالْوَصْلِ مُتْعَةٌ ... يَخِفُّ بِهَا وَجْدٌ وَتَرْقَأُ دَمْعَةٌ

لِنَأْىِ حَبِيبٍ حُبُّهُ الدَّهْرَ شِرْعَةٌ ... نَأَتْ دَارُهُ عَنَّا وَلِلْقَلْبِ لَوْعَةٌ

فَيَا لَيْتَنَا إِذْ لَمْ نُعَايِنْهُ قَدْ زُرْنَا

(ش) (وللنفس) خبر مقدم (فى الأطماع بالوصل) ضد القطع (متعة) تمتع ونفع (يخفّ) يسهل تلك الأطماع (بها) بالمتعة أو النفس والباء ظرفية (وجد) حزن (وترقأ) تسكن بها أيضا (دمعة) وهو الماء السائل من العين للبكاء (لـ) أجل (نأى) بُعد (حبيب) محبوب (حبه الدهر) فى الزمن كله (شرعة) طريقة مسلوكة . عن أنس رضى الله عنه : «لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه ووالده وولده وماله والناس أجمعين» (نأت) بعدت (داره) منزلته المدينة المشرفة بشرفه صلى الله عليه وسلم (عنا) معاشر المحبين (و) الحال أن (للقلب) أى لقلوبنا (لوعة) حرقة وحزن (فيا) قوم (ليتنا إذ) حين (لم نعاينه)

نبصره بعيون رءوسنا فى الدنيا (قد زرنا) ه (ص) :

هُوَ المُصْطَفَى لِلّٰهِ مِنْ خَيْرِ رُسْلِهِ رَعَيْنَا لَهُ الحَقَّ المُرَاعَى لِمِثْلِهِ
فَهَا نَحْنُ مِنْ شَوْقٍ لِسَاعَةِ وَصْلِهِ نُقَبِّلُ بِالأَفْكَارِ آثَارَ نَعْلِهِ
وَمَنْ فَاتَهُ المَحْبُوبُ حَنَّ إِلَى المَغْنَى

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (المصطفى) المختار (لله) تعالى (من خير رسله) من رسله الأخيار ، وهم أولو العزم من الرسل، ومن بيانية وتحتمل التبعيضية (رعينا) حفظنا (له) صلى الله عليه وسلم (الحق) ضد الباطل (المراعى) المحافظ (لمثله) نظيره : وهى معرفة مايجب عليهم، وما يجوز فى حقهم، وما يستحيل عليهم، عليهم الصلاة والسلام (فها) للتنبيه (نحن من) أجل (شوق) حب (لساعة وصله) بلوغه (نقبل) نلثم (بالأفكار) أى بأفكارنا (آثار نعله) أى إلى ساعة البلوغ إليه « قيل إن صبيا كان يمسح نعل النبى صلى الله عليه وسلم فسأله النبى صلى الله عليه وسلم : من علّمك هذا ؟ قال : ربى ، فإنى لا أصل إلى عبادة ربى فأمسح نعل حبيبه لعله يرضى عنى ، فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعوله ، فجاء جبريل عليه السلام فقال له: لو لم يغفر الله له لم يرزقه محبتك » (ومن فاته) سبقه (المحبوب) محبو به (حنّ) اشتاق (إلى المغنى) المنزل والمكان الذى يقيم فيه ، كما قال الشاعر :

أمرّ على الديار ديار ليلى أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

وقوله نقبل بالأفكار استعارة تخييلية

هنا انتهى حرف النون ، ويتلوه حرف الهاء إن شاء الله تعالى ، والله المستعان .

قافية حرف الهاء

لما تم الكلام على حرف النون ، أراد أن يشرع فى حرف الهاء شاكرا لأنعم الله تعالى له من كونه من أمة سيد المرسلين، وأتى بحرف التحضيض ، وضمير الجمع لينبه كل مسلم على هذا الشكر الجسيم ، و يشغل باله بمدح النبى الهاشمى قائلا (ص) :

أَلاَ فَاشْكُرُوا نُعْمَى الْإِلٰهِ يَزِدْ كُمُ   وَمَهْمَا أَرَدْتُمْ مَا لَدَيْهِ يُرِدْ كُمُ
إِلَى كَمْ أُنَادِيكُمْ وَلَمَّا أَجِدْ كُمُ   هَبُوا لِيَ أَسْمَاعَ الْقُلُوبِ أُفِدْ كُمُ
مَدَائِحَ فِيهاَ لِلنُّهَى مُتَنَزَّهُ

(ش) (ألا) انتبهوا (فاشكروا) أمر من الشكر كما قال تعالى : « واشكروا لى ولا تكفرون » (نعمى الإله) نعمة المعبود بالحق التى أنعم الله بها علينا بكوننا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (يزدكم) من الزيادة : أى يثبكم الله بالثواب الأوفى ، وتشربوا من حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم و يوسع رزقكم فى الدنيا (ومهما أردتم ما لديه) عنده من النعم بطلبها (يردكم) يحببكم : أى يحبكم بإعطائه إياكم ، قال الشاعر :

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه   من فيض جودك ماعلمتنى الطلبا

وقال آخر :

الله يغضب إن تركت سؤاله   و بنىّ آدم حين يسأل يغضب

(إلى كم) كثير من الزمان (أناديكم) معاشر العاشقين (ولما) لم (أجدكم* هبوا لى) أعطونى (أسماع) آذان (القلوب) أى اصغوا لى بقلوبكم وفهومكم (أفدكم) جواب الأمر (مدائح) مفعول ثان لأفدكم (فيها) المدائح (للنهى) لأهل العقول

الخالصة ، وسمى العقل بالنهى : جمع نهية ، لأنه ينهى صاحبه عن فعل القبيح ، ومنه : « إن فى ذلك لآيات لأولى النهى » (متنزه) مكان النزاهة وما تنبسط به النفس وتفرح (ص) :

تَضَمَّنَتِ الزُّلْفَى بِذِكْرِ مُحَمَّدِ ... فَمَا شِئْتَ مِنْ فَخْرٍ صَمِيمٍ وَسُؤْدَدِ
لَقَدْ صَدَقَتْ فِيهِ مَقَالَةُ مُنْشِدِ ... هَدَى اللهُ أَهْلَ الْأَرْضِ طُرًّا بِسَيِّدِ
أَبَانَ بِهِ فَهٌّ وَأَبْصَرَ أَكْمَهُ

(ش) (تضمنت) اشتملت وأوجبت تلك المدائح (الزلفى) القربى إلى الله تعالى (ب) سبب كونها (ذكر) مدح (محمد) صلى الله عليه وسلم (ف) له ما (شئت من فخر صميم) خالص (و) له ما شئت من (سؤدد) أى سيادة ، والله (لقد صدقت فيه) فى مدحه صلى الله عليه وسلم (مقالة منشد) كأن سائلا سأله المقالة المنشدة ماهى ؟ فقال (هدى) أرشد (الله) تعالى (أهل الأرض طرا) جميعا (بسيد) عظيم (أبان) أوضح (به فهٌّ) عيي عاجز عن الكلام ، والعيي : الذى لايحسن العبارة عما فى نفسه ، ولا يقيم الحجة (وأبصر) به (أكمه) هو الذى يولد أعمى ، أو هو الذى يبصر فى الليل ولا يرى فى النهار ؛ المراد بالأكمه : أعمى القلب ، ويحتمل عمى الجارحة ، وفى [خلاصة الوفا بأخبار المصطفى] عن عثمان ابن حنيف : « أن رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله لى أن يعافينى ، فقال : إن شئتَ دعوتَ ، و إن شئتَ صبرتَ فهو خير لك ، قال فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة ، يا محمدُ إنى توجهت بك إلى ربك فى حاجتى لتقضى ، اللهم شفعه فىّ » . وصححه البيهقى وزاد « فقام وقد أبصر » رواه الطبرانى ، ولهذا الحديث أخبار كثيرة (ص) :

دُمُوعُ الْهَوَى مِنْ شَوْقِهِ لَيْسَ تَرْقَأُ بَدَا مِنْهُ لِلْأَفْهَامِ وَالْحَقُّ أَضْوَأُ
وَصَابَ عَلَى الْأَجْسَامِ وَالرِّفْدُ أَهْنَأُ هِلاَلُ هُدًى مِنْ كُلِّ نَقْصٍ مُبَرَّأُ
وَغَيْثُ نَدًى عَنْ كُلِّ عَيْثٍ مُنَزَّهُ

(ش) (دموع) أصحاب (الهوى) الحب (من) أجل (شوقه) صلى الله عليه وسلم (ليس) الدموع (ترقأ) تسكن : أى لاتنقطع (بدا) ظهر (منه) صلى الله عليه وسلم (للأفهام و) الحال أنّ (الحق أضوأ) أوضح ، والحق: الإسلام، أو العلم لقرينة الأفهام (وصاب) نزل (على الأجسام) جمع جسم (و) الحال أن (الرفد) العطاء (أهنأ) أسهل ، وكل ما أتاك بغير مشقة فهو لك هنيء (هلال) فاعل بدا : أى قمر (هدى) رشد (من كل نقص مبرأ) أى أبرأه الله تعالى من كل نقيصة ، وما أحسن قول بعضهم مدحا فى ذاته الشريفة :

خلقتَ مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء
فأحسن منك لم تر قط عين وأفضل منك لم تلد النساء

(و) صاب (غيث) مطر (ندى) جود وكرم (عن كل عيث) فساد دنيا وأخرى ، ومنه : « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » (منزه) مبعد ، وفى البيت لف ونشر مرتب ، وفيه تجريد (ص) :

أَلاَ إِنَّهُ بَحْرٌ مِنَ الْعِلْمِ زَاخِرُ عَنِ السُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ نَاهٍ وَزَاجِرُ
وَبِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ قَاضٍ وَآمِرُ هَبَبْنَا بِهِ وَالنَّوْمُ لِلْقَوْمِ غَامِرُ
فَلاَ خَاطِرٌ يَعْشُو وَلاَ فِكْرَ يَعْمَهُ

(ش) (ألا) أداة استفتاح : أى نعم (إنه) صلى الله عليه وسلم (بحر من العلم زاخر) مرتفع ، أو سائل لكثرة مائه (عن السوء والفحشاء ناه وزاجر) فيه

لف ونشر مرتب : أى ناهٍ عن السوء وزاجر عن الفحشاء (وبالعدل والإحسان قاض وآمر) فيه لف ونشر مرتب أيضا : أى قاض بالعدل وآمر بالإحسان ، ويحتمل أن ليس فيه لف ونشر : أى قاض بالعدل والإحسان آمر بهما ، قال تعالى: « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » وعطف آمر على قاض لاختلاف اللفظين (هبنا) استيقظنا (به) بسببه صلى الله عليه وسلم (و) الحال أن (النوم) أى الكفر (للقوم غامر) مغطٍّ ومرتفع عليهم (فلا خاطر) أى قلب (يعشو) من عشا إلى النار استدل عليها ببصر ضعيف : أى يضعف بصره (ولا فكر يعمه) يتحير و يتردد. العمه فى الرأى : مثل العمى فى العين ، ومنه : «ونذرهم فى طغيانهم يعمهون » (ص) :

وَلَمَّا امْتَطَيْنَا نَحْوَهُ كُلَّ كَهَّةٍ مِنَ الْعَزْمِ نَحْدُوهَا إِلَيْهِ بِمَدْهَةِ
قَدِ انْبَعَثَتْ مِنْهَا بِأَبْلَغِ نَدْهَةٍ هتَكْنَا بِهِ عَنَّا دُجَى كُلِّ شُبْهَةِ
فَمَاذَا عَسَى يَجْرِى إِلَيْهِ الْمُمَوَّهُ

(ش) (ولما) حين (امتطينا) ركبنا المطا : وهو الظهر (نحوه) جهته صلى الله عليه وسلم (كل كهة) ناقة ضخمة مسنة (من) بيانية : أى هى (العزم) وهو إرادة الشىء (نحدوها) نزجر الكهة ونسوقها (إليه بمدهة) بمدحة وثناء ، أو بصوت حسن ، إذ المادة بالهاء والمادح بالحاء بمعنى (قد انبعثت) أسرعت تلك الكهة (منها) أى من المدهة (بأبلغ ندهة) زجر (هتكنا) أزلنا ، والهتك: خرق الستر عما وراءه التباس (به) صلى الله عليه وسلم (عنا دجى) ظلمة (كل ظلمة) التباس (فماذا عسى يجرى إليه المموه) المدلس فما مبتدأ وذا خبره .

والمعنى : ليس للمموّه شىء يجرى إليه ويتمسك ويعتمد عليه فى تمويهه من موّهت الشىء: إذا طليته بفضة أو ذهب وتحته نحاس أو حديد. وأخرج الشيخان

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « بينا أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب فمررنا بنفر من اليهود ، فقال بعضهم : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لاتسألوه عسى أن يخبر فيه بشىء تكرهونه، فسألوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فظننت أنه يوحى إليه، فلما انجلى عنه قال: ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » (ص) :

أَفِي الحَقِّ شَكٌّ يَسْتَقِلُّ بِنَكْثِهِ   أَفِي المُصْطَفَى رَيْبٌ لِمُدْئِبِ بَحْثِهِ
صُبَابَةُ سُؤْرِ المَاءِ جَاشَتْ لِنَفْثِهِ   هِضَابُ مُلُوكِ الأَرْضِ دُكَّتْ لِبَعْثِهِ
وَأَلْسُنُهُمْ لِلذُّعْرِ لَاتَتَفَوَّهُ

(ش) (أفى الحق شك) أى ليس للحق ريب (يستقلّ) يستقيم أو يمضى أو يرتفع (بنكثه) نقضه (أفى) حديث أو صدق (المصطفى) المختار (ريب) شك (لمدئب بحثه) الجدّ فى عمله بالتفتيش : أى ليس فى المصطفى شك للذى أتعب نفسه فى تفتيشه شأنه صلى الله عليه وسلم (صبابة) قليل (سؤر) بقية (الماء) فى الإناء (جاشت) ارتفعت (لنفثه) شبيه النفخ وأقل من التفل؛ إشارة إلى قصة الحديبية وبئرها لا تروى خمسين شاة ، فبصق فيها صلى الله عليه وسلم فجاشت وارتووا أنفسهم وركابهم (هضاب) جمع هضبة : وهى الجبل المنبسط على الأرض (ملوك الأرض دكت) هدمت وتسوّت مع الأرض (لبعثه) لإرسال الله إياه لهم ، صلى الله عليه وسلم ، ومنه : « فدكتا دكة واحدة » والمراد ذلت وانقادت وخضعت :

* ذو الملك دانوا خاضعين لأمره *

والمعنى : أن الشوامخ من ملوك الأرض الصلبة منهم ذلت لأمره ولانت لعزه (وألسنهم) جمع قلة المراد به الكثرة (ل) أجل (الذعر) الفزع ، والذعر : الارتعاد

والارتعاش من الرعب والخوف (لاتتفوّه) لا تتكلم بكلمة لأجل خوفهم إياه صلى الله عليه وسلم (ص) :

نُفُوسُ الْبَرَايَا لاَ تَفِي بِفِدَائِهِ ... رَسُولٌ دَعَاهُ اللهُ نَحْوَ سَمَائِهِ

فَمَاذَا عَسَى يَحْكِي امْرُؤٌ مِنْ سَنَائِهِ ... هُبُوبُ رِيَاحِ النَّصْرِ تَحْتَ لِوَائِهِ

دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ المَكَانَةَ أَنْوَهُ

(ش) (نفوس) أرواح (البرايا) الخلائق (لا تفى) تعدل (بفدائه) يقال فداه إذا أعطى مالاً وأخذ رجلا ، وفاداه إذا أعطى رجلا وأخذ رجلا . هو (رسول) الله صلى الله عليه وسلم (دعاه الله نحو سمائه) إشارة إلى إسرائه (فما) مبتدأ ، و (ذا) خبره وهى موصولة (عسى يحكيه) يشبهه (امرؤ) وراؤه يتبع همزته (من سنائه) رفعته (هبوب) هجيج وسطوع (رياح النصر) أى هبت رياح النصر (تحت لوائه) رايته ، هبوب مبتدأ وخبره (دليل على أن المكانة) الدرجة : أى مكانته (أنوه) أرفع الدرجات (ص) :

إِلَى رَبِّهِ أَلْقَى بِظَهْرِ اسْتِنَادِهِ ... وَمِنْ قَبْلِ وَحْيٍ فَاهْتَدَى لِرَشَادِهِ

فَشَاهَدَ مَوْلاَهُ بِنُورِ فُؤَادِهِ ... هُدَاهُ مُبِينٌ مُنْذُ يَوْمِ وِلاَدِهِ

يُنَبِّهُ فِي طَوْرِ الصِّبَا وَيُنَبِّهُ

(ش) (إلى ربه ألقى) والباء فى (بظهر استناده) زائدة ، وهو مجاز عن توكله على ربه وأنه لم يشاهد سواه ، ومن دعائه صلى الله عليه وسلم « وألجأت ظهرى إليك » ومعناه : اعتمدت فى أمورى عليك (ومن قبل وحىٍ) أى إتيان جبريل عليه السلام إليه (فاهتدى لرشاده) والفاء زائدة ، ومن قبل متعلق

باهتدى (فشاهد) عاين (مولاه) ناصره (بنور فؤاده) قلبه قبل أن يسرى به ، وأما فى الإسراء :

* فقد قال قوم عاين الله جهرة * البيت

إن أمعنت النظر تجد هذا التفسير أولى من تفسير بعضهم فى هذا المحل (هداه) صلى الله عليه وسلم (مبين) متضح (منذ يوم ولاده) وروى الطبرانى : « أنه صلى الله عليه وسلم لما وقع إلى الأرض وقع مقبوضة أصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح » وفى رواية عند ابن سعد : « لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع على الأرض على يديه رافعا رأسه إلى السماء وقبض قبضة من تراب بيده » الحديث (ينبه) بالبناء المفعول : أى يستيقظ (فى طور الصبا) فى حال صغره ، ومنه : « وقد خلقكم أطوارا » (وينبه) بالبناء للفاعل : أى ينبه غيره فى طور الصبا ، وكانوا يسمونه قبل النبوة الأمين ، ويحكّمونه ويرضون بحكمه فى حال صباه صلى الله عليه وسلم (ص) :

غَزَا فَفَدَا وَفْدُ المَلَائِكِ جُنْـدَهُ ... سَمَا فَرَأَى أَهْلُ السَّمٰوَاتِ مَجْدَهُ
فَـكُلٌّ بِحُبِّ اللهِ إِيَّاهُ وَدَّهُ ... هُوَ المُصْطَفَى لِلْحُبِّ وَالْقُرْبِ وَحْدَهُ
وَلَيْسَ لَهُ فِى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مُشْبِهُ

(ش) (غزا) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الغزو : السير إلى قتال العدو (ففدا) صار (وفد) جماعة (الملائك جنده) أعوانه تقدم :

* وبالجند من أهل السماء أمده *

«وكان صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد صفّ أصحابه رضى الله عنهم للقتال ، فنظر إلى المشركين وعِدتهم ، ونظر إلى أصحابه نيفاً على ثلاثمائة ، وانصرف إلى عريش قد بنى له من جريد النخل ، فدخله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ولم يكن معه فيه

غيره ، واستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة فجعل يدعو ويقول : اللهم إنى أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعبد فى الأرض ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فأخذه أبو بكر فوضعه ثم ضمه من ورائه وقال : كفاك يا نبىّ الله بأبى أنت وأمى يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ، ثم خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش ، ثم انتبه وهو يقول : يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل عليه السلام يأخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع ، فأنزل الله تعالى : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » (سما) ارتفع النبى صلى الله عليه وسلم (فرأى أهل السموات مجده) شرفه صلى الله عليه وسلم (فكل) واحد من أهل السمٰوات (ب) سبب (حب الله إياه وده) أحبه (هو المصافى للحب والقرب وحده) حال: أى منفردا ، والمراد به قرب رضى واجتباء (وليس له) صلى الله عليه وسلم (فى الإنس والجن مشبه) أى ليس له من يشابهه فى الجنسين ، يريد والملائكة لعموم أفضليته على جميع العالم (ص) :

وَجِيهٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ فى كُلِّ مَشْهَدٍ ... فَقَدْ سَادَ فى الْمَعْمُورِ كُلَّ مُسَوَّدِ
وَفى الْمَلَإِ الْأَعْلَى لَهُ أَىُّ مَصْعَدٍ ... هُنَا بَانَ جَاهُ الْهَاشِمِىِّ مُحَمَّدٍ
عَلَى أَنَّهُ قَطْعًا هُنَالِكَ أَوْجَهُ

(ش) (وجيه) شريف كبير الجاه ذو قدر وحرمة (عظيم الشأن) الأمر (فى كل مشهد) محضر (فقد ساد) صلى الله عليه وسلم من السيادة (فى المعمور) المأهول (كل مسوّد) من السيادة : أى قد غلب فى السيادة كل سيد فى معمور الأرض ، ويحتمل البيت المعمور لأنه فى قصة الإسراء « ثم عرج بنا إلى السماء

السابعة فذكر مثله ، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور » الحديث . (وفى الملإ) الجماعة (الأعلى له) صلى الله عليه وسلم (أى مصعد) مرتقى كامل (هنا) فى الدنيا (بان) ظهر (جاه الهاشمىّ محمد) صلى الله عليه وسلم (على) مع (أنه) صلى الله عليه وسلم (قطعا هنالك) فى الآخرة (أوجه) أكبر جاها وقدرا، أو هنا فى الأرض وهناك فى السماء ، وذلك يوافق تخميس ابن مهيب، وأما ظاهر قول الفازازى بلا تخميس ، فهنا : أى فى الدنيا وهنالك فى الآخرة .

(ص) :

بِذِكْرَاهُ فِى الدُّنْيَا تُزَاحُ كُرُوبُنَا ... وَنَطْمَعُ أُخْرَى أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُنَا

إِلَيْـهِ انْتَهَتْ أَسْرَارُنَا وَغُيُوبُنَا ... هَفَتْ نَحْوَهُ أَرْوَاحُنَا وَقُلُوبُنَا

فَنَحْنُ عَلَى آثَارِهِ نَتَأَوَّهُ

(ش) (بذكراه) أى بسبب كثرة الثناء عليه صلى الله عليه وسلم (فى الدنيا) والآخرة (تزاح) تبعد (كروبنا) غمومنا وشدتنا (ونطمع) نرجو (أخرى) فى الآخرة ، لأن الرجاء ما قارنه عمل ، وإلا فهو أمنية (أن تحط) تسقط (ذنوبنا) بسبب ذكراه (إليه) صلى الله عليه وسلم (انتهت أسرارنا وغيوبنا) عطف عليه لاختلاف اللفظين بمعنى يخبر بهما . وروى «أن العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفدى نفسه وابنى أخويه : عقيل بن أبى طالب ، ونوفل ابن الحارث ، فقال يا محمد : تركتنى أتكفف قريشا مابقيت ، فقال أين الذهب الذى دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها لا أدرى مايصيبنى فى وجه هذا ، فإن حدث بى حادث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقثم ؟ فقال وما يدريك ؟ قال أخبرنى ربى تعالى ، قال فأشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ، ولقد دفعته

إليها فى سواد الليل » أو معنى إليه انتهت أسرارنا الخ مانكتم فى أصداف قلوبنا من الشوق والمحبة ، وغيو بنا إليه أو عنده ينتهى لايجاوزه ، وإلى للانتهاء أو بمعنى عند :

ألا لاسبيل إلى الشباب وذكركم   أشهى إلىّ من الرحيق السلسل

فتأمله بدليل ما يأتى من الأبيات وهى (هفت) طارت وخفت (نحوه) جهته (أرواحنا وقلوبنا) أفئدتنا (فنحن على آثاره نتأوّه) أى نحن نتوجع ونقول: آه آه لعدم وقوفنا على آثاره ورسومه (ص) :

لَقَدْ حَالَتِ الْأَقْدَارُ دُونَ اقْتِرَابِهِ   وَأَسْلَمَنِي لِلْبَيْنِ حُكْمٌ جَرَى بِهِ
فَقَلْبِيَ لَايَنْفَكُّ نِضْوَ اضْطِرَابِهِ   هَوَايَ مَعَ الْأَعْذَارِ لَثْمُ تُرَابِهِ
وَمِنْ أَيْنَ لِي ذَاكَ التُّرَابُ الْمُفَوَّهُ

(ش) والله (لقد حالت) منعت واعترضت (الأقدار دون اقترابه) أى قدر الله حال بيننا وبين قربه صلى الله عليه وسلم (وأسلمنى) تركنى (للبين) الفراق (حكم) الله تعالى (جرى) على قدره ، لايكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به (به) بالفراق أو بالقضاء ، وجملة جرى صفة لحكم (ف) بسبب ذلك (قلبى لاينفك) لايزال ولا ينفصل (نضو) مهزول (اضطرابه) تحركه ، والنضو : البالى المجهود (هواى) اشتياقى مبتدأ (مع) ما نحن فيه من (الأعذار) جمع عذر : وهو العوائق التى تمنع صاحبها من الوصول إلى المراد (لثم) تقبيل خبر (ترابه) المراد الوقوف بربعه :

وما حب الديار شغفن قلبى   ولكن حب من سكن الديارا

(ومن أين لى ذاك التراب المفوّه) المطيب ، من فاه يفوه : إذا طاب ريحه وانتشر

(ص) :

سَأَبْكِي وَذُوا الْأَشْجَانِ يَبْكِي شُجُونَهُ   بِدَمْعٍ مَرَتْ كَفُّ الْفِرَاقِ شُئُونَهُ

أَبَيْتُ لِبُعْدِ الْمُصْطَفَى أَنْ أَصُونَهُ   هَلُمُّوا فُؤَادًا يُحْسِنُ الصَّبْرَ دُونَهُ

فَإِنَّ فُؤَادِي مُدْنَفٌ لَيْسَ يَنْقَهُ

(ش) (سأبكى) من البكاء (وذو الأشجان) الأحزان (يبكى شجونه) أحزانه (بدمع مرت) استخرجت من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها بكفك (كف) راحة (الفراق) البين (شئونه) جمع شأن : وهو مجرى الدمع إلى العين ، وجملة والأشجان إلى آخره اعتراضية (أبيت ل) أجل (بعد المصطفى) عنى (أن أصونه) أحفظ الدمع (هلموا) تعالوا وأقبلوا أو قربوا أنفسكم إلى (فؤادا يحسن) الفؤاد (الصبر) حبس النفس عن الجزع (دونه) دون الوصول إلى زيارته صلى الله عليه وسلم إن وجدتم من يحسن الصبر دونه ، فالله تعالى يرزقه المحبة ، وأما أنا (فإن فؤادى) قلبى (مدنف) مثقل بالمرض (ليس) الفؤاد (ينقه) يصح و يبرأ من الحب حتى يحسن الصبر دون لقائه ، والدنف : المرض الملازم، وأدنفه المرض أثقله فهو مدنف . وأما ترتيب أحوال العليل فعليل ثم سقيم ومريض وقيد ثم دنف ثم حرض ومحرض وهو الذى لاحى فيرجى ، ولا ميت فينسى ، أجارنا الله من الأمراض والعلل (ص) :

بِنَفْسِيَ وَالْمُشْتَاقُ يُبْدِي فُنُونَهُ   حَبِيبٌ سَبَا أَبْكَارَ فِكْرِي وَعُونَهُ

رَأَيْتُ سُهُولَ الْعَيْشِ عَنْهُ حُزُونَهُ   هَجَرْتُ لَذِيذَ الْأُنْسِ فِي الْعَيْشِ دُونَهُ

وَحُزْنِي لِنَأْيٍ عَنْهُ أَوْلَى وَأَشْبَهُ

(ش) (بنفسى) خبر مقدم ومبتدؤه حبيب (و) الحال أن (المشتاق يبدى)

يظهر (فنونه) أنواعه من الأشواق (حبيب سبا) أسر وغنم (أبكار) أوائل (فـكرى وعونه) نصفه ، والأبكار : جمع بكر ، وهو أول ولد الرجل ، والعون : جمع عوان ، وهو النصف من كل شيء ، ومنه : « لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » (رأيت سهول العيش) بين الحياة (عنه) بعـده (حزونه) صلبته ، والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض ، وهو مفعول ثان لرأيت الذى بمعنى علم (هجرت) تركت (لذيذ الأنس) الائتناس : ضدّ الوحشة ، وهو التحدث ، ولذيذ الشيء : مايحبه الإنسان لموافقته إياه (فى العيش) الحياة (دونه) دون لقائه والوصول إلى قبره صلى الله عليه وسلم (وحزنى ل) أجل (نأيى عنه) صلى الله عليه وسلم (أولى) خبر حزنى (وأشبه) أمثل (ص) :

إِذَا كَانَ لِلْأَقْوَامِ فِى الْأَرْضِ نُجْعَةٌ ... فَمَا حَسُنَتْ لِي دُونَ يَثْرِبَ بُقْعَةٌ

وَلاَ رَقَأَتْ مِنْ شَوْقِهَا لِيَ دَمْعَةٌ ... هَمَتْ أَدْمُعِى شَوْقاً وَفى الصَّدْرِ لَوْعَةٌ

فَقَلْبِيَ مَكْلُومٌ وَجَفْنِيَ أَمْرَهُ

(ش) (إذا كان للأقوام) جمع قوم (فى الأرض نجعة) كلأ : هى الموضع الذى يرتحل إليه للمرعى والكلأ ، وجواب إذا (فما حسنت لى دون) غير حال (يثرب) طيبة (بقعة) فاعل حسنت .

والمعنى : إذا ارتحل الناس طالبين المرعى لمواشيهم وعيالهم ، فما حسنت لى بقعة من بقاع الأرض غير طيبة ، فهناك مرعى دابة اشتياق (ولا رقأت) سكنت لى (من) أجل (شوقها لى دمعة) أى شوق المدينة ، ولى حال من دمعة (همت) جرت وسالت (أدمعى) جمع دمع (شوقا) مفعول له : أى لأجل اشتياق إياه (وفى الصدر لوعة) حرقة الحب (فقلبى مكلوم) مجروح (وجفنى) غطاء عينى من أعلى وأسفل (أمره) فاسد لـكثرة البكاء عليه صلى الله عليه وسلم ، من مرهت

عينه: خلت من الكحل أوفسدت، لتركه ذلك، والنعت أمره، أومعنى أمره مسلوخ؛ ودواء ذلك الشهد يكتحل به صحيح مجرب ، وفيه لف ونشر معكوس (ص) :

شُجُونٌ لِفَقْدِ الْهَاشِمِيِّ عَتِيدَةٌ ... وَفِى كَبِدِى والدَّارُ مِنْهُ بَعِيدَةٌ

بَلاَبِلُ يَبْلَى الدَّهْرُ وَهْىَ جَدِيدَةٌ ... هَجِيرَةُ نَأْى الدَّارِ عَنْهُ شَدِيدَةٌ

تَذُوبُ قُلُوبٌ فى لَظَاهَا وَأَوْجُهُ

(ش) (شجونى) مبتدأ جمع شجن : وهو الحزن (لفقد الهاشمىّ) أى لعدم زيارته صلى الله عليه وسلم (عتيدة) حاضرة لاتفارقنى خبر المبتدأ ، ومنه: « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » (وفى كبدى) خبر مقدم (والدار منه) من الهاشمى (بعيدة) جملة اعتراضية ، أو حالية من الضمير المستتر فى الخبر ، والضمير فى منه عائد على الهاشمى أو على صاحب الكبد (بلابل) وسواس أو هموم وأحزان مبتدأ مؤخر (يبلى الدهر) والجملة صفة لبلابل ، وجملة (وهى جديدة) حالية. يقول هموم يبلى الدهر: أى يخلق الليل والنهار بمعنى أنهما يجيئان و يذهبان والحال أن البلابل جديدة : أى تجدد فى كل ساعة من ساعات الزمان حاصلة فى كبدى ، والدار من الهاشمى أو من صاحب الكبد بعيدة (هجيرة) مبتدأ : أى نصف النهار ، واستعارها لحرّ نار الشوق ، كما استعار لها لظى ، وهى من أسماء دركات جهنم ، أعاذنا الله منها (نأى) بُعد (الدار عنه) صلى الله عليه وسلم (شديدة . تذوب) ضد تجمد (قلوب) جمع قلب (فى لظاها) نار الهجيرة ، ومنه : « كلا إنها لظى » (و) تذوب (أوجه) فى لظاها : جمع وجه (ص) :

أَرَدْتُ وَلَمْ أَعْزِمْ فَبُؤْتُ بِخَيْبَةٍ ... وَقَدْ يُدْرِجُ الْحِرْمَانُ فِى طَىِّ هَيْبَةٍ

وَكَمْ وَحُضُورِى بِالْمُنَى مِثْلُ غَيْبَةٍ ... هَمَمْتُ بِأَعْمَالِ الْمَطِىِّ لِطَيْبَةٍ

وَلِلْحَالِ عُذْرٌ لاَ يَزَالُ يُنَهْنِهُ

(ش) (أردت) الوصول إليه (ولم أعزم) والعزم: إرادة الشيء وربط النية إليه (فبؤت) رجعت (بخيبة) بخسران (وقد) للتقليل (يدرج) يطوى ويلفّ (الحرمان) المنع (فى طىّ) ضد النشر، من طوى الكتاب طيّا، ومنه: «يوم نطوى السماء كطىّ السجل للكتاب» (هيبة) خوف. معناه: أن الخوف يمنعك المراد، ومثّله ابن عباد فى شرح الحكم برجل بات فى مكان وأراد البراز فسمع صوت الريح من كوة هناك، فظنه زئير أسد فمنعه ذلك عن البراز، فلما أصبح لم يجد هناك أسدا، وإنما هو الريح سقط فى تلك الكوة، فما حجبه وجود أسد وإنما حجبه توهُّم الأسد (وكم) كثير من الزمان (و) الحال أن (حضورى بالمنى) جمع منية: وهى ما يتمناه الإنس (مثل غيبة) خبر حضورى (هممت) أردت (بأعمال المطىّ) جمع مطية: أى الإبل التى تركب (لطيبة) وهى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام (وللحال عذر) والعذر ما تسقط به المؤاخذة والعقوبة (لايزال) ذلك العذر (ينهنه) يكفّ ويزجر: أى يمنعنى ما أردت من ذلك (ص):

بِمَدْحِ رَسُولِ اللهِ أَهْدِي وَأَهْتَدِي ... وَأُرْغِمُ أَنْفَ الجَحْدِ مِنْ كُلِّ مُلْحِدِ

وَإِنْ زَهْزَهَ الْبَطَّالُ عِطْفاً لِمُنْشِدِ ... هَزَزْتُ بِمَدْحِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدِ

نُفُوساً عَلَى طِيبِ الثَّنَاءِ تُزَهْزِهُ

(ش) (بمدح رسول الله) صلى الله عليه وسلم (أهدى) غيرى (وأهتدى) أنا بمدحى إياه (وأرغم) أذلّ وألصق (أنف الجحد) أى أنف صاحب الإنكار بالرغام: وهو التراب (من كل ملحد) مائل عن الحق، والجحد: الإنكار مع العلم (وإن زهزه) حرّك (البطال) الذى أقام فى البطالة (عطفا) جانبا، ومنه: «ثانىَ عطفه» (ل) أجل سماع (منشد) ينشد الشعر (هززت) حرّكت

(ب) سبب (مدح) النبى (الهاشمىّ) المنسوب إلى هاشم بن عبد مناف (محمد) صلى الله عليه وسلم (نفوسا) مفعول هززت (على طيب الثناء تزهزه) تحرك وتفرح صفة لنفوسا (ص) :

فَكَمْ ذِى سِفَاهٍ رَدَّهُ عَنْ سِفَاهِهِ ... وَبَصَّرَهُ قَلْبًا بِحَقِّ إِلٰهِهِ
فَمَنْ رَامَ مَا قَدْ حَازَهُ لَمْ يُضَاهِهِ ... هَنِيئًا لَنَا فى الحَشْرِ إِنَّا بِجَاهِهِ
نُنَعَّمُ فى دَارِ الرِّضَا وَنُرَفَّهُ

(ش) (فكم) كثير من (ذى سفاهٍ) صاحب خفة ، أو حماقة ، أو جهالة (رده) صلى الله عليه وسلم (عن سفاهه) جهالته ، وضمير رده لذى سفاه (و بصره) علمه (قلبا) تمييز محوّل عن المفعول به (بحق إلهه) وهو الإسلام فقبل الإسلام وانقاد له (فمن رام) طلب (ما) أى الذى (قد حازه) جمعه من الفضائل والخصوصيات (لم يضاهه) يشابهه فى ذلك :

* بدايته للمرسلين نهاية *

ومنه : « يضاهون قول الذين كفروا » (هنيئا لنا) نصب على المصدر ليهنىء لنا هنيئاً نحن (فى) يوم (الحشر) القيامة (إنا بجاهه) بحرمته (ننعم فى دار الرضا) وهى الجنة (ونرفه) من الرفاهة : وهى سعة العيش، والفعلان بالبناء للمفعول، وجملة إنا بجاهه إلى آخرها فى محل رفع على الفاعل بهنيئاً : أى هنيئاً لنا التنعم والترفه (ص) :

تَوَجَّهْ بِهِ لِلّٰهِ فى كُلِّ أَزْمَةٍ ... تَوَجُّهَ صِدْقٍ تُكْفَ كُلَّ مُهِمَّةٍ
مِنَ الدِّينِ وَالدُّنيا وَلَوْ بَعْدَ أُمَّةٍ ... هَلِ الْفَوْزُ كُلُّ الْفَوْزِ إِلاَّ لِأُمَّةٍ
بِأَحْمَدَ فى آمَالِهَا تَتَوَجَّهُ

(ش) (توجه) توسل (به لله فى كل أزمة) شدة نزلت دنيا وأخرى بكثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وقال خليل فى مناسكه : وهو محط الأوزار وأثقال الذنوب ببركة شفاعته صلى الله عليه وسلم ، وأعظمها عند ربه الذى لا يتعاظمه ذنب ، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذى قد طمس الله بصيرته وأضلّ سريرته ، ألم تسمع قوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسولُ لوجدوا الله توّابا رحيما » (توجهَ) توسل (صدق تكف) مجزوم بجواب الأمر (كل مهمة) حادثة نازلة (من) أمر (الدين والدنيا ولو بعد أمة) حين (هل) ما (الفوز) الظفر بالمقصود والمطلوب (كل الفوز) غايته (إلا لأمة . بأحمد) المرتضى بشرى عيسى (فى آمالها) أى الأمة (تتوجه) تتوسل و بأحمد متعلق بتتوجه ، وهو صفة لأمة .

المعنى : ما الفوز غاية الفوز إلا لأمة تتوجه بأحمد المرتضى بشرى عيسى فى آمالها . وفى الحديث ، قال أبىّ بن كعب : « يا رسول الله إنى أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتى ؟ قال : ماشئت ، قال الربعَ ؟ قال ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قال الثلثَ ؟ قال ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قال النصفَ ؟ قال ماشئت وإن زدت فهو خير لك ، قال الثلثين ؟ قال ماشئت وإن زدت فهو خير لك ، قال يا رسول الله فأجعل صلاتى كلها لك؟ قال إذًا تكفى همك ويغفر ذنبك » .

وهنا انتهى حرف الهاء ، ويتلوه حرف الواو إن شاء الله ، والله المستعان .

قافية حرف الواو

لما كمل حرف الهاء ، شرع فى حرف الواو مستحضرا فيه ما فى الرواية راكبا طرف عزمته التى هى مدح نبى الله الصمد ، غير ملتفت للأشعار الجاهلية وتاركا لها ، قال (ص) :

تَرَكْنَا زُهَيْرًا لِلْبَقِيعِ فَثَهْمَدٍ   بِدَارًا إِلَى نُورٍ بِيَثْرِبَ مُصْعِدِ
وَمَهْمَا ابْتَغَى رِيًّا لَدَى أُمِّ مَعْبَدٍ   وَرَدْنَا بِمَدْحِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ
مَوَارِدَ تُرْوِى مَنْ يُمِلُّ وَمَنْ يَرْوِى

(ش) (تركنا زهيرا) هو ابن أبى سُلمى ، وهو أحد الشعراء الستة فى الجاهلية ، وليس من العرب ابن أبى سلمى بضم السين غيره ، واسمه ربيعة ابن رباح من بنى مازن من مزينة ، وهو شاعر ابن شاعر ابن شاعر ، ولما أثنى على هرم أعطاه ألفا من الإبل ، وهو المعنى المراد بقول البوصيرى :

ولم أرد زهرة الدنيا التى اقتطفت   يدا زهير بما أثنى على هرم

(للبقيع فثهمد) وهما اسما موضعين ، والبقيع الصلبة .

والمعنى : ودّعنا شعرا مثل شعر زهير الذى يمدح فيه هرم بن سنان يقول :

غشيت ديارا بالبقيع فثهمد   دوارس قد أقوين من أم معبد

وصرفت عنانى إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أن يكون فى كلامه قلب : أى تركنا البقيع فثهمد لزهير فى حال كوننا (بدارا) مسارعة: أى مبادرين مسرعين (إلى) مدح (نور بيثرب مصعد) والمراد بالنور النبى صلى الله عليه وسلم إذ من أسمائه النور . قال تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » (ومهما ابتغى) طلب زهير الشاعر (ريا) شربا من الماء يكفيه (لدى) عند (أم معبد)

المتقدم ذكرها فى قوله: قد أقوين من أم معبد، فى شعره، فنحن لا نرد على أم معبد فنطلب منها السقى، بل (وردنا) وصلنا (بمدح الهاشمى محمد) صلى الله عليه وسلم (موارد) جمع مورد: وهو الطريق إلى الماء، و إن استعمل فى غيره فمجاز (تروى) تشبع من الرىّ (من) مفعول به (يملّ) من الإملال : أى يملى على غيره عمله (ومن يروى) بالفتح من الرواية : أى من يأخذ علما من غيره ، و بضم الياء معناه : إزالة العطش (ص) :

مَوَارِدَ حُفَّتْ بِالْعُـلَى وَالْمَـكَارِمِ   حَوَى فَضْلَهَا الْمُخْتَارُ مِنْ آلِ هَاشِمِ
مُشِيدُ الْهُدَى مِنْ فَوْقِ خَمْسِ دَعَائِمِ   وَحِيـدُ الْمَعَالِي بَيْنَ عِيسَى وَآدَمِ
وَلاَ عَجَبٌ أَنْ يَفْضُلَ الصِّنْوُ لِلصِّنْوِ

(ش) (موارد) بدل من الأول ، وهو على نية تكرار العامل : أى وردنا موارد (حفت) أى أحيطت (بالعلى والمكارم) ومنه الحديث : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » (حوى) جمع (فضلها) أى الموارد (المختار من) بيانية (آل هاشم) أى الذى هو آل هاشم ، وهو صلى الله عليه وسلم مصطفى من جميع الخلائق يشير به إلى حديث : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » الحديث . (مشيد) مطول البناء (الهدى من فوق خمس دعائم) جمع دعامة : وهو الأسطوانة : والمراد بها الإسلام . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله عبده ورسوله ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة، وحج بيت الله وصوم رمضان » (وحيد المعالى) منفرد بمكارم الأخلاق (بين عيسى وآدم) من آدم إلى عيسى صلوات الله عليهم أجمعين (ولا عجب) غرو (أن يفضل الصنو) الأخ الشقيق ، وواحد الصنوين، وهما النخلتان فى الأصل الواحد ، ومنه :

قوله تعالى : « صنوانٌ وغير صنوان » (للصنو) وكثير ما يشاهد فى الوجود الأبناء أفضل من الآباء فلا يتعجب من هذا ، وإنما يتعجب من النادر الذى يعزّ وجوده: أى لا عجب أن يفضل الأخ الشقيق ، والمراد بالصنو الأول النبى صلى الله عليه وسلم ، وبالصنو الثانى آدم عليه السلام بمعنى : ولا عجب أن يفضل نبيُّنا آدمَ عليهما الصلاة والسلام (ص) :

قَرِيبٌ بَعِيدٌ فى هُدَاهُ وَسَبْقِهِ ... حَبِيبٌ لِمَوْلاَهُ حَبِيبٌ لِخَلْقِهِ

مَهِيبٌ عَلَى مَا كانَ مِنْ حُسْنِ خُلْقِهِ ... وَهُوبٌ إذَا ضَنَّ الْغَمَامُ بِوَدْقِهِ

ضَرُوبٌ إِذَا كَعَّ الشُّجَاعُ عَنِ الخَطْوِ

(ش) هو (قريب بعيد فى هداه وسبقه) فيه لفّ ونشر مرتب: أى قريب فى هداه بعيد فى سبقه ، وقد امتثل صلى الله عليه وسلم ما أمره الله به من المسابقة إلى فعل الخير فى قوله تعالى : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم » الآية . هو (حبيب لمولاه حبيب لخلقه) إلى مخلوقه (مهيب) أى مخوف يهابه الناس (على) مع (ما كان من حسن خُلقه) أى من كثرة تواضعه وحسن عشرته صلى الله عليه وسلم « ودخل عليه رجل فأصابه رعدة من هيبته ، فقال له صلى الله عليه وسلم : هوّن عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » الحديث، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه صلى الله عليه وسلم ، وكان تامة (وهوب) كثير الهبة والعطاء (إذا ضنّ) بخل (الغمام) السحاب ، ومنه : « وما هو على الغيب بضنين » (بودقه) بمطره ، وصفه بالجود والكرم وقت بخل الكرماء (ضروب) كثير الضرب بالسيف للأعداء (إذا كعّ) جبن أو عجز وضعف ونكص على عقبيه (الشجاع) البطل الباسل (عن الخطو) المشى إلى القتال، وكفاك ما كان فى يوم بدر وحنين والخندق من شجاعته صلى الله عليه وسلم

(ص) :

إِلَى الحَقِّ قَبْلَ الْوَحْيِ أَخْفَى رُكُونَهُ ‏ وَأَسْهَرَ فِيــــهِ قَلْبَهُ وَجُفُونَهُ

وَقُورٌ يَوَدُّ الطَّوْدُ مِنْهُ سُكُونَهُ ‏ وَضِيءُ المُحَيَّا يَحْسُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ

وَمَنْ ذَا يُحِسُّ الشَّمْسَ فِى رَوْنَقِ الصَّحْوِ

(ش) (إلى الحق قبل الوحى أخفى) أظهر كما فى قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » أى أظهرها (ركونه) ميله إلى دين الحق أو إلى الوحى ، قبل إتيان جبريل عليه السلام بالرسالة ، لأنه حُبِّب إليه الخلاء بحراء :

* ثوى بحـــراء للتحنث مدة *

وثواه فيها ظاهر غير خفى ، وهذا أولى ممن فسر أخفى بستر وكتم ، ومنه : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا » (وأسهر) أرّق النبى صلى الله عليه وسلم (فيه) فى طلب دين الحق (قلبه وجفونه) أغطية العين (وقور) ذو ثبات وتؤدة وسكينة: أى شديد الحلم والرزانة (يودّ) يتمنى (الطود) الجبل العظيم ، ومنه : « كل فرق كالطود العظيم » (منه) صلى الله عليه وسلم (سكونه) أى مثل ثبوته :

* حليم إذا طاشت يد الطود خفة *

(وضيء المحيا) بضم الميم: أى نير الوجه، أو حسن المنظر: أى حسن وجهه (يحسر) يكلّ و يعجز (الطرف) العين (دونه) دون أن يصل إلى حقيقة جماله (ومن) اسم استفهام مبتدأ (ذا) خبره (يحس) أى ينظر و يدرك من أحسّ ، وهو صلة ذا (الشمس فى رونق الصحو) فى صحو السماء ، وهو ذهاب الغيم عنها (ص) :

أَتَى مَعْشَرًا فى صَحْوِ غَيِّهِمُ سُدَى ‏ بِجِلْبَابِ رُشْدٍ سَاتِرٍ نَيِّرِ السَّدَى

سَدَى بُرْدِهِ التَّقْوَى ولُحْمَتُهُ الْهُدَى ‏ وَقَانَا بِهِ اللهُ الضَّلَالَةَ والرَّدَى

فَلَا شُبْهَةٌ تُغْوِى وَلَا لَفْحَةٌ تُذْوِى

(ش) (أتى) النبى صلى الله عليه وسلم (معشرا) جماعة ، ومنه: « يا معشر الجن والإنس » (فى صحو) محض (غيهم) ضلالتهم وهلا كهم (سدى) هملا : أى مهملين لا راعى لهم ، ومنه : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » وهو حال من معشر (بجلباب) ثوب أو ملحفة (رشد ساتر) سابغ ، ومنه : « يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ » ومنه الحديث : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » . ملحفة وريطة وملاءة وجلبة بمعنى : استعارة للرشد ، والجلباب كناية ، و إثبات ذلك تخييلية ورشحها بما يلائم الثوب من قوله (نيّر) اسم فاعل من النور (السدى) خلاف اللحمة : وهو من الثوب ما مدّ منه (سدى برده) كسائه (التقوى) امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه (ولحمته) هى ما كان عرضا (الهدى) الرشد. السدى : خيوط الثوب طولا ، واللحمة : خيوطه عرضا ، والبرد : ثوب مخطط.

والمعنى : نسج هذا الدين على التقوى والهدى (وقانا) حفظنا (به) أى النبى صلى الله عليه وسلم (الله) تعالى (الضلالة والردى) الهلاك (فلا شبهة) فبسبب ذلك لا التباس (تغوى) تضل وتهلك (ولا لفحة) حرقة (تذوى) تذبل وتيبس ، والفعلان بضم التاء .

والمعنى : أذهب الله ما فى صدورنا من الغلّ والحقد والحسد ، والشك والنفاق بسببه صلى الله عليه وسلم (ص) :

أَتَى بِالْهُدَى مَا بَيْنَ فَرْضٍ وَسُنَّةٍ   هُمَا مِنْ لَهِيبِ النَّارِ أَحْصَنُ جُنَّةٍ
عَلَى رَغْمِ أَفَّاكٍ رَمَاهُ بِجِنَّةٍ   وَهَلْ هُوَ إِلاَّ مُزْنَةٌ فَوْقَ جَنَّةٍ
فَمِنْ نَهَرٍ عَذْبٍ وَمِنْ ثَمَرٍ حُلْوِ

(ش) (أتى) جاء النبى صلى الله عليه وسلم (بالهدى) الرشد (ما) أى الذى (بين فرض وسنة) وهى ما فعلها النبى صلى الله عليه وسلم وحضّ عليها (هما)

أى الفرض والسنة (من لهيب) اشتعال (النار) وخبرهما (أحصن) أغلظ وأحفظ (جنة) بالضم : أى سترة ، وفى نسخة : أحصف بالحاء المهملة والمعجمة : أحكم (على) مع (رغم) إلصاق أنف (أفاك) كذاب بالرغام : وهو التراب (رماه) صلى الله عليه وسلم (بجنة) بالكسر : أى جنون كما حكى الله عنهم ، «ويقولون إنه لمجنون» فأكذبهم الله بقوله : «وما صاحبكم بمجنون ـ مابصاحبكم من جنة» (وهل) ما (هو) صلى الله عليه وسلم (إلا مزنة) سحابة بيضاء (فوق جنة) بالفتح : بستان وحديقة (ف) اشرب (من نهر عذب) شديد العذوبة ، لأنه يمنع العطش (و) كل (من ثمر حلو) ضد المرّ (ص) :

وَإِلاَّ فَبَــدْرُ التِّمِّ نَصَّفَ شَهْرَهُ   يَزِيدُ سَــناً مَا أَنْسَأَ الدَّهْرُ عُمْرَهُ
هُوَ الْبَحْرُ لاَ بِالنَّزْفِ تَبْلُغُ قَعْرَهُ   وَعَى مَا وَعَى إِذْ شَقَّ جِبْرِيلُ صَدْرَهُ
فَأَحْرَزَ عِلْماً دُونَ رَسْمٍ وَلاَ مَحْوِ

(ش) (وإلا) أى وإن لم تشبهه بالمزنة (ف) قل فيه : إنه صلى الله عليه وسلم (بدر التم) بدر التمام (نصف شهره) وتنصيف الشيء جعله نصفين ، وهذا تحقيق وتقرير لبدر التم المعلوم بأنه (يزيد سنا) نوراً دائماً ، وبدر التمّ ينقص بعد نصف الشهر (ما) مصدرية ظرفية (أنسأ) أخر (الدهر) الزمان (عمره) حياته : أى يزيد نوره مدة حياته ، وبهذا فارق البدر الذى ينقص بعد تمامه ، وفى البيت احتراس (هو) صلى الله عليه وسلم (البحر لا بالنزف) النزح : هو طلب تفريغ الماء من البئر بالدلو ونحوه (تبلغ قعره) أقصاه وعمقه (وعى) حفظ صلى الله عليه وسلم (ما وعى) فخمه للتعظيم كقوله تعالى : « فغشيهم من اليمّ ما غشيهم » (إذ) حين (شق جبريل) عليه السلام (صدره) صلى الله عليه وسلم ، فما ظنك بقلب :

* ضمير تولت كفُّ جبريل طهره *

هذا إشارة إلى شق صدره ، فسبحان من باين أمره عن أمر غيره ، وجعل ما فيه موت سواه حياته صلى الله عليه وسلم ، كما قال صاحب تاج الهدى في المولد المحمدى :

تقدس من أعلى به الذكر والثنا ... وقبل التدلى منه لا شك قد دنا
فباين إكراما له الأمر كله ... من أمر سواه فانجلى وتبينا
فصار علاه فى محطة غيره ... ومحياه فيما كان من غيره فنا
فإن كان أميا فمعجزة علت ... ومعجزة فى غيره تورث العنا
وفى شق بطن منه تثبيت قلبه ... وفيمن سواه كان هلكا معينا
فصلى عليه الله ما ذكر اسمه ... ونال المصلى فى الصلاة به المنى

وشق الصدر له صلى الله عليه وسلم وصبره عليه من جنس ما ابتلى به الذبيح ، بل هذا أشق وأجل لأن تلك معاريض ، وهذا حقيقة ؛ وأيضا قد تكرر له وهو رضيع يتيم بعيد من أهله صلى الله عليه وسلم (فأحرز) جمع بسبب ذلك (علما دون رسم) كَتْب (ولا محو) هو إزالة الشيء وذهاب أثره ، وقد أخبر الله تعالى به « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » (ص) :

وَلَكِنَّهُ وَحْيٌ أُفِيدَ كَلَامَهُ ... شَفِيعُ الْوَرَى وَالْكُلُّ يَخْشَى أَثَامَهُ
فَلَا قَائِمٌ يَوْمَ الْحِسَابِ مَقَامَهُ ... وَجِيهٌ كَمَا فِى الْحَشْرِ خَلْقٌ أَمَامَهُ
وَلِلْحُبِّ قُرْبٌ لَيْسَ يُدْرِكُ بِالْعَدْوِ

(ش) (ولكنه) أى لكن هذا العلم الذى أوتيه (وحى) من الله تعالى (أفيد) النبى صلى الله عليه وسلم ، أو الوحى (كلامه) الوحى .

المعنى : أن ذلك العلم وحى من الله تعالى إياه ، وتكلم به صلى الله عليه وسلم « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » ونائب الفاعل ضمير يعود على الوحى أو النبى أو شفيع الورى أو هو خبر لمحذوف ، وكلامه مفعول ثان (شفيع الورى) الخلق (والكل) كل واحد منهم (يخشى) يخاف (أثامه) ذنوبه ، ومنه : « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً » والجملة حالية ، وهذه إشارة إلى شفاعته الكبرى (ف) بسبب ذلك (لا قائم يوم الحساب) يقوم (مقامه . وجيه) رفيع الدرجات ، ومنه : « وجيهاً فى الدنيا والآخرة » (فما فى الحشر) يوم القيامة (خلق) من خلق الله (أمامه) أى قدامه :

فما أحــد قدامه يتقدم　　تراه إماما والنبيون خلفه

(وللحب) أى لحب الله إياه (قرب) أى قرب رضا ومكانة وإنافة ، لا قرب مسافة (ليس) القرب (يدرك) يلحق (بالعَدْو) الجرى أو بالخوض ، وفى بعض النسخ شأو : أى غاية ، وفى بعض قعر : أى عمق (ص) :

رَسُولٌ كَرِيمُ الْمُنْتَمَى وَالمَوَالِدِ　　لَهُ هٰهُنَا مَجْــدٌ عَلَى كُلِّ مَاجِدِ

بِمَا حَازَ مِنْ خُلُقِ الْعُلَى وَالمَحَامِدِ　　وَفِى لَيْـلَةِ الْإِسْرَاءِ أَعْدَلُ شَاهِدِ

لَهُ بِشُفُوفِ الْقَدْرِ فِى الْعَالَمِ الْعُلْوِى

(ش) هو (رسول) مبلغ أمر الله (كريم المنتمى) ماينتسب إليه كقريش: أى كريم منتماه ومنتسبه (و) كريم (الموالد) جمع مولد : وهو الموضع الذى ولد فيه ، يعنى مكة زادها الله شرفا (له) صلى الله عليه وسلم (ههنا) فى الدنيا (مجد) شرف (على كل ماجد) شريف ، فإذا كان يوم القيامة يشفع فى جميع الورى ، والحال أن الكل يخاف ذنوبه كما تقدم آنفاً ، يحصل له هــذا الشرف هنالك (بـ) سبب (ما) أى الذى (حاز) جمع (من خلق العلى) الرفعة (والمحامد) الصفات

المحمود عليها جمع محمدة : وهى الطبيعة والسجية المرضية (وفى ليلة الإسراء) خبر مقدم (أعدل شاهد) مبتدأ مؤخر (له) صلى الله عليه وسلم (بشفوف) عظم أو رفعة أو زيادة (القدر) الدرجة (فى العالم العلوى) وهم الملائكة .

والمعنى : أعدل شاهد له برفعة قدره فى العالم العلىّ كائن فى ليلة الإسراء ، والمراد بأعدل شاهد هنا جبريل عليه السلام ، لأنه شهد عنه بقول الملائكة عند بلوغهما كل باب من أبواب السموات: قد بعث إليه، وما يسأل عنه من قول الملائكة فى كل سماء لجبريل عليه السلام « من معك ؟ فيقول محمد ، فيقولون أو قد بعث إليه ، فيقول نعم » الحديث . ومعنى سؤالهم فى البعث إليه ، هو شفوف قدره عندهم (ص) :

فَكَمْ مِنْ غَوِىٍّ فى بَطَالَةِ مُفْسِدِ ... أَنَابَ بِهِ لِلّٰهِ بَعْدَ تَمَرُّدِ

بِنَفْعِ كِتَابٍ أَوْ بِوَقْعِ مُهَنَّدِ ... وَكَمْ آيَةٍ دَلَّتْ عَلَى صِدْقِ أَحْمَدِ

مِنَ الطَّوْعِ فى الْعَجْمَاءِ وَالنُّطْقِ فى الْمَرْوِ

(ش) (فكم) كثير (من غوىّ) ضالّ (فى بطالة) شجاعة (مفسد) نعت غوى مفسد فى البطالة ، من بطل الأجير بطالة بكسر الباء : أى لم يعمل ، و بطل ككرم بطالة بفتح الباء و بطولة : أى شجع ، أمعن النظر فى معنى هذين أيهما أوفق للمتن (أناب) رجع الغوىّ (به) بسببه صلى الله عليه وسلم (لله) إلى دين الله ، ومنه : « خرّ راكعا وأناب » (بعد تمرد) عتوه فى الضلالة وتجرده للشر ، والتمرد : شدة المراس وهو التمادى فى الضلالة، ومنه: «و إن يدعون إلا شيطاناً مريدا لعنه الله » (بـ) سبب (نفع كتاب) عزيز « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» وهو القرآن ، هذا لمن أناب إلى الله وأجاب طوعا :

* ومن لم يجب طوعا فللسيف طاقة *

وإلى ذلك أشار بقوله (أو بوقع مهند) بالتنوين ، أو بالإضافة : أى يجيب بسبب سيف قاطع مطبوع من حديد الهند ، والوقيع : من السيوف ما شحذ بالحجر ، وسكين وقيع : أى حديد، ووقعت السكين أحددتها (وكم) كثير من (آية) من آى القرآن (دلت) الآيات (على صدق أحمد) المرتضى بشرى عيسى (من) بيانية (الطوع) الانقياد ، من طاع يطوع : إذا انقاد (فى العجماء) البهيمة: وهو كل ما تحلّ به الحياة ، ولم تجر العادة بنطقه كما فى قصة الظبية والضب ، وكلام الذئب وحماره عليه الصلاة والسلام الذى قال اسمى يزيد بن شهاب ، وكلام ناقته العضباء وتعريفها له بنفسها ، ومبادرة العشب إليها فى الرعى ، وتجنب الوحوش عنها وندائهم حتى ماتت ، وقصة الجمل أنه شكى إليه كثرة العمل وقلة العلف ، وفى رواية : « أنه شكى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : إنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه فى شأن العمل من صغره، فقالوا نعم »(والنطق فى المرو) جمع مروة : وهى الحجارة البيض ، وتقدم حديث : « لا أمرّ بشجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله » (ص) :

وَمِنْ صَاحِبَيْهِ بَعْدُ تَعْرِفُ قَدْرَهُ ... فَهٰذَا يُنَقِّى لِلرِّسَالَةِ صَدْرَهُ
وَهٰذَا بِإِذْنِ اللهِ يَخْدُمُ أَمْرَهُ ... وَزِيرَاهُ جِبْرِيلٌ وَمِيكَالُ إِثْرَهُ
فَأَهْلاً بِشَمْسٍ بَيْنَ بَدْرَيْنِ فى جَوٍّ

(ش) (ومن صاحبيه) هما جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام (بعد) بالضم منقطع عن الإضافة : أى بعد ماذكرت لك من صاحبيه (تعرف) أيها المخاطب وهو خطاب لكل من يتأتى أن يخاطب (قدره) منزلته عند مرسله ، أو تعرف قدره بعد هذا فى قول الفازازى : وزيراه جبريل الخ (فهذا) جبريل عليه السلام (ينقى) يطهر (للرسالة صدره * وهذا) ميكائيل عليه السلام (بإذن الله)

متعلق بـ (يخدم أمره) شأنه؛ فيه لفّ ونشر مرتب (وزيراه) مُعيناه صلى الله عليه وسلم، ومنه: «وجعلنا معه أخاه هٰرون وزيرا» (جبريل وميكال إثره) بعده لغة فى ميكائل أو ميكائيل (فأهلا) مرحبا (بشمس) الذى هو النبى صلى الله عليه وسلم (بين بدرين) أى جبريل وميكائيل عليهما السلام (فى جوّ) الجوّ: مابين السماء والأرض. عن عبد الرحمن بن قرط: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى المسجد الأقصى كان بين المقام وزمزم، وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فطارا به حتى بلغ السموات العلى» (ص):

بَرَاهِينُ لاَتَخْفَى عَلَى قَلْبِ مُبْصِرٍ　　فَوَصْفُ مُقِلٍّ عِنْدَهَا مِثْلُ مُكْثِرِ
إِذَا خِيضَ مِنْهَا الْبَحْرُ مُدَّ بِأَبْحُرٍ　　وَصَفْنَاهُ مُذْ عَامَيْنِ وَصْفَ مُقَصِّرِ
وَمَنْ ذَا الَّذِى يَأْتِى عَلَى الْبَحْرِ بِالدَّلْوِ

(ش) (براهين) أى حجج: جمع برهان، وهو الحجة: أى معجزاته صلى الله عليه وسلم (لاتخفى على قلب مبصر) أى ذى بصر (فوصف مقلّ عندها) أى البراهين (مثل مكثر) فى تحصيل الثواب لها، قال عليه الصلاة والسلام: «من مدحنى ولو ببيت كنت له شفيعا يوم القيامة» أو المعنى: فوصف مقلّ فى الذكر عند تلك البراهين، مثل وصف مكثر فى الذكر فى عدم تحصيل المكثر شيئا؛ جعل عدم تحصيل المكثر شيئا أصلا، يشبه به كل ما لم يحصل مبالغة، كما قال صاحب البردة:

لولا العناية كان الأمر فيه على　　حد السواء فذو نطق كذى بكم

(إذا خيض منها) أى البراهين (البحر مدّ بأبحر) إذا دخل المتكلم فى بحر تلك البراهين زيد ذلك البحر بأبحر (وصفناه) صلى الله عليه وسلم (مذ عامين) وفى نسخة: عامان مثل (وصف مقصر) أى إن هذه القصيدة كملت فى عامين،

كأن سائلا سأله : لم قصرت عن وصفه ؟ فقال (ومن ذا الذى يأتى على البحر بالدلو) أى لا يأتى أحد بالدلو لينزح به البحر : أى لايقدر أن يفرغ البحر ، ومن اسم استفهام إنكارى مبتدأ وذا خبره ، والذى نعت أو بدل من ذا (ص) :

أَلَمْ يُقْسِمِ الرَّحْمٰنُ بِالنَّجْمِ إِذْ هَوَى   عَلَى أَنَّهُ مَا ضَلَّ قَطُّ وَمَا غَوَى
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَحْوِي مِنَ الْفَضْلِ مَا حَوَى   وَفَاءٌ بِلاَ غَدْرٍ وَعَقْلٌ بِلاَ هَوَى
وَجُودٌ بِلاَ مَنْعٍ وَعِلْمٌ بِلاَ سَهْوِ

(ش) (ألم يقسم) يحلف (الرحمن) أى أقسم (بالنجم إذ هوى) أى سقط وغاب ، والنجم : الثريا أو كل نجم (على أنه) صلى الله عليه وسلم (ما ضل قط وما غوى) جهل : أى لم يجاوز الحد ، قال تعالى : « والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى » وفيه اقتباس (فمن ذا الذى يحوى) يجمع (من الفضل) أى الخصال المحمودة مثل (ماحوى) الذى جمع صلى الله عليه وسلم ، ويكفيك هذه الأربعة التى أتى بها بقوله : هى له (وفاء بلا غدر و) له (عقل بلا هوى) وما ينطق عن الهوى (و) له (جود) سخاء (بلا منع) أى منّ بلا منع (و) له (علم بلا سهو) نسيان (ص) :

فَلاَ فَضْلَ إِلاَّ وَهْوَ حَشْوُ ثِيَابِهِ   وَلاَ خَيْرَ إِلاَّ فِى اتِّبَاعِ كِتَابِهِ
كَتَائِبُ كِسْرَى أَذْعَنَتْ لِرِكَابِهِ   وَفُودُ مُلُوكِ الْأَرْضِ لاَذَتْ بِبَابِهِ
عَلَى ثِقَةٍ بِالصَّفْحِ مِنْهُ وَبِالْعَفْوِ

(ش) (فلا فضل إلا وهو) أى الفضل (حشو ثيابه) المراد ذاته الكريمة، من حشوت الوسادة وغيرها حشوا : أى جعلت التبن أو القطن فى بطنها .

يعنى أن الله تعالى خصه بالفضائل ، وكنى بذلك بأن جعلها حشو ثيابه التى هو لابسها صلى الله عليه وسلم .

والمعنى : ما أعطى نبى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة إلا وقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم تلك المعجزة أو مثلها ، وخص بخصائص لم توجد عندهم (ولا خير إلا فى اتباع كتابه) القرآن ، قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » (كتائب كسرى) جمع كتيبة : وهى الجيش (أذعنت) خضعت وانقادت وذلت (لركابه) لركاب سرجه ، وهو ما يعتمد عليه ويركب ، أو الركاب : الإبل التى يسار عليها ، والمراد به جيوشه ، وتقدم :

* غزا غزوات دوّخت كل باطل *

(وفود ملوك الأرض) جمع وفد : وهو الجماعة من الناس ، يقال وفد القوم إذا قدمت ركباناً ، ومنه : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا » (لاذت) التجأت (ببابه) صلى الله عليه وسلم (على) لأجل (ثقة) أمانة (بالصفح) بالتجاوز (منه) صلى الله عليه وسلم (وبالعفو) بلا عتب (ص) :

حَشَا اللهُ مِنْهُ أَنْفُسَ الْقَوْمِ رَهْبَةً ... فَجَاءوا وَمَنْ لَمْ يَأْتِ أَصْبَحَ نَهْبَةً
تَرَاهُمْ لَدَى الْبَابِ الْمُكَرَّمِ عُصْبَةً ... وُقُوفاً عَلَى الْأَقْدَامِ رُعْباً وَرَغْبَةً
لَدَى مَلِكٍ مِنْ غَيْرِ كِبْرٍ وَلاَ زَهْوِ

(ش) (حشا) ملأ (الله منه) صلى الله عليه وسلم (أنفس القوم رهبة) خوفا، تمييز أو منصوب بنزع الخافض ، ومنه قوله تعالى: «رغباً ورهباً» (ف) بسبب امتلاء قلوب الملوك رهبة (جاءوا) إليه مذعنين (ومن) أبى الإذعان و(لم يأت) إليه (أصبح نهبة) غنيمة له صلى الله عليه وسلم :

* ومن لم يجب طوعا فللسيف طاقة *

(تراهم) أى القوم (لدى) عند (الباب) أى عند باب النبى (المكرم) صفة لنبى أو لباب (عصبة) جماعة ، ومنه : « ونحن عصبة » والعصبة من الرجال : مابين العشرة إلى أربعين ، والمراد بها مطلق الجماعة (وقوفا) منصوب على المصدر : أى يقفون وقوفا ، أو على الحال فى حال كونهم واقفين (على الأقدام) أى على أقدامهم وأرجلهم (رعباً ورغبة) أى خوفا وحبا ، حال من الضمير فى وقوفا : أى وقفوا راغبين فى طلب خيره ، وراهبين : أى خائفين منه « من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه » (لدى ملك) بدل من لدى الأول بدل كل من كل (من غير كبر ولا زهو) الكبر والفخر : أى ليس فيه تكبر ، وتقدم تواضعه صلى الله عليه وسلم (ص) :

لَدَى مَنْ حَبَاهُ بِالشفَاعَةِ رَبُّهُ   فَلاَ حَظَّ فِيهاَ لِامْرِئٍ لاَيُحِبُّهُ
وَمَنْ صَحَّ فِيه حُبُّهُ فَهْوَ حَسْبهُ   وَسِيلَتُنَا يَوْمَ الْقِيامَةِ حُبُّـــهُ
وَلَوْ لمْ نَنَلْ حَظًّا بِحَجٍّ وَلاَ غَزْوِ

(ش) (لدى) بدل من لدى الثانى (من حباه) أعطاه (بالشفاعة ربه . فلاحظ) نصيب (فيها) أى الشفاعة (لامرئ لايحبه) صلى الله عليه وسلم : أى لاينال شفاعة النبى غير محبيه ، إذ بغضه له يحمله على تكذيب الشفاعة ، قال صلى الله عليه وسلم : « من كذب بشفاعتى لم ينلها » أو كما قال (ومن صح فيه حبه) صلى الله عليه وسلم (فهو) أى الحب أو النبى الذى يحبه (حسبه) يكفيه مئونة الدنيا والآخرة (وسيلتنا) أى ما نتقرب به إلى الله (يوم القيامة) ومنه : « وابتغوا إليه الوسيلة » وخبر وسيلتنا (حبه) صلى الله عليه وسلم (ولو لم ننل) نصب (حظا) نصيبا (بحج ولا غزو) أى جهاد (ص) :

وَمِثْلِيَ لاَ يُدْلِى بِصَالِـحِ كَسْبِهِ   وَلَـكِنْ بِحُبٍّ فى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ

وَزُخْرُفِ قَوْلٍ مَاقَضَى حَقَّ نَحْبِهِ وَقَدْ يُدْرِكُ الْبَطَّالُ رَحْمَةَ رَبِّهِ
وَلاَ كَسْبَ إِلاَّ مَا يَقُولُ وَمَا يَنْوِى

(ش) (ومثلى لايدلى) لايتقرب إلى الله (بصالح كسبه) بعمله الصالح لتردده فيه هل رضى به الله أم لا، ومنه: « فأدلى دلوه » ثم أتى بحرف الاستدراك على ما يتقرّب به فقال (ولـكن) يدلى (بحب فى سويداء قلبه) وهو حبته، أو فى وسط قلبه، أو العلقة التى فى باطن قلبه إذا شق القلب بدت كأنها قطعة كبد وهى فى وسط القلب، وأقوى مايرتجى به النجاة من المهالك، وينال به الفوز فى الدارين عند الرب الملك التوسل بمحمد صلى الله عليه وسلم :

وإن شئت فوزا بالنعيم المخلد عليك بمدح الهاشمىّ محمـــد

(و) لـكن يدلى بـ(زخرف قول) جميله، وأصل الزخرف الذهب (ما) نافية (قضى) أدى، أو حكم (حق نحبه) نذره، ومنه: « فمنهم من قضى نحبه » (وقد) للتقليل (يدرك) ينال (البطال) الخالى عن الأعمال، ويتقاعد عن الإحسان والإجمال (رحمة ربه) فاعل يدرك، أو البطال فاعل يدرك ورحمة مفعوله (و) الحال (لا كسب) عمل له (إلا ما يقول) البطال من مدح (وما ينوي) ه من الخير.

المراد أن رحمة الله تدخل البطال الجنة إن كان مؤمناً وتكاسل عن الأعمال الصالحة كما يدخل العمل الجنة :

لعل رحمـة ربى حين يقسمها تأتى على حسب العصيان فى القسم

وقد صح « لن يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته» فالدخول حقيقة إنما هو بالرحمة، والإيمان سبب اقترن به ظهورها (ص) :

هُوَ الْمُصْطَفَى جِدٌّ نَفَى الصِّدْقُ لَهْوَهُ ... وَكَابَدَ فِيهِ الْقَلْبُ لِلْبُعْدِ شَجْوَهُ
فَأُقْسِمُ مَا إِنْ كَدَّرَ الْبَيْنُ صَفْوَهُ ... وَمَا وَخَدَتْ عِيسُ الْمُلَبِّينَ نَحْوَهُ
بِأَضْوَعَ مِنْ شَوْقٍ تَلَقَّتْهُ مِنْ نَحْوِى

(ش) (هو المصطفى) المختار (جد) بالكسر : أى ذو جدّ ، وهو المبالغ فى التحقيق (نفى الصدق) أى طرد صدقه (لهوه) لعبه ، وفى نسخة: هوى المصطفى أى حبه جد يعنى حبه حق (وكابد) قاسى (فيه) صلى الله عليه وسلم (القلب) أى فؤادى (للبعد شجوه) حزنه : أى لأجل بعدى عنه ، ويحتمل أن يعود ضمير شجوه للبعد : أى وكابد القلب فيه شجوه : أى للبعد عنه (فأقسم) أحلف بالله (ما) نافية (إن) زائدة (كدر) غيّر (البين) الفراق (صفوه) خالصه : أى خالص ذلك الحب .

والمعنى : حبه عندى صاف مع بعدى عنه ، وما كدره الفراق (و) أقسم بالله (ما) نافية (وخدت) أسرعت (عيس) الإبل البيض جمع أعيس (الملبين) الذين يقولون : لبيك اللهم لبيك (نحوه) جهته صلى الله عليه وسلم (بأضوع) أفوح، من ضاع يضوع إذا فاحت رائحة المسك وانتشرت ، ومادته (من شوق) حب (تلقته) أخذته (من نحوى) جهتى ، ومنه : « إذ تلقونه بألسنتكم » (ص) :

سَمَتْ هِمَّةٌ نَحْوَ اللَّحَاقِ بِهِ سَمَتْ ... وَأَخَّرَهَا عَمَّا إِلَيْهِ تَقَدَّمَتْ
قَضَاءٌ جَرَى فِيهِ عَلَى الرَّغْمِ سَلَّمَتْ ... وَجَدْنَا بِهِ وَجْدَ الظِّمَاءِ تَنَسَّمَتْ
نَسِيمَ الزُّلَالِ الْعَذْبِ فِى الْقَيْظِ فِى الدَّوِّ

(ش) (سمت) ارتفعت (همة) إرادة (نحو) جهة (اللحاق) الوصول

والبلوغ (به) متعلق بـ (سمت) ارتفعت توكيد لفظى (وأخرها) أى الهمة (عما) أى الذى (إليه تقدمت) الهمة إليه (قضاء) الله فى الأزل (جرى فيه) الضمير عائد على ما : أى فيه إنه يأتى على وفق ما كتب فى الأزل (على الرغم سلمت) تلك الهمة لقضاء الله على الرغم مثلث الراء ، لأنه لارادّ لقضائه، فما شاء كان وما لم يشأ فممتنع كيف شاء احتكم ، وجرى صفة قضاء (وجدنا) شوقنا، من الوجد: وهو شدة الحب (به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (وجد الظماء) شوق العطاش للماء ، أوو جدنا وجدا للقائه وزيارة قبره، مثل وجد الإبل العطاش ، ومادة وجد متحدة الماضى والمضارع ، قال فى القاموس : وجد المطلوب كوعد وورم يجده ويجده بضم الجيم ولا نظير لها وجدا وجدة، ووجدا ووجودا ووجدانا بكسرهما: أدركه ، والمال وغيره يجده وجدا مثلثة وجدة استغنى ، وعليه يجد ويجد وجدا وجدة وموجدة : غضب وبه وجدا فى الحب فقط، وكذا فى الحزن لكن بكسر ماضيه (تنسمت) استنشقت (نسيم الزلال العذب) ريح الماء الحلو (فى القيظ) صميم الصيف وشدة الحر (فى الدوّ) المفازة والصحراء وجد الظماء مصدر نوعى (ص) :

فَأَكْبَادُنَا بِالشَّوْقِ تُصْلَى بِلَفْحِهِ ... وَإِذْ حَالَتِ الْأَقْدَارُ مِنْ دُونِ لَمْحِهِ

فَإِنَّ لَنَا أُنساً بِأَوْصَافِ سَمْحِهِ ... وَلاَ غَرْوَ أَنْ نَرْتَاحَ شَوْقاً لِمَدْحِهِ

فَهَذِى حَمَامُ الْأَيْكِ تَرْتَاحُ لِلشَّدْوِ

(ش) (فأكبادنا) جمع كبد (بالشوق) لأجل الحب (تصلى) تحرق ، ومنه : « تصلى ناراً حامية » (بلفحه) وهج الشوق وحرقه ، ومنه : « تلفح وجوههم النار » (وإذ) حين (حالت) دخلت ومنعت (الأقدار) جمع قدر : أى قدر الله (من دون لمحه) نظره والوصول إلى قبره صلى الله عليه وسلم (فإن لنا أنساً) ضد الوحشية (بأوصاف سمحه) جوده وكرمه (ولا غرو) لا عجب

(لن ترتاح) نطرب وننشط (شوقا) مفعول له (لمدحه) لثنائه إياه (فهذى) مبتدأ أول (حمام الأيك) الشجر الملتف (ترتاح) تنشط (للشدو) للغناء والترنم ، والحمام: كل طائر له طوق ، أو الحمام هو البرى ، واليمام هو الذى يألف البيوت .

انتهى حرف الواو ، ويتلوه حرف لام الألف إن شاء الله تعالى ، والله المستعان .

قافية حرف لام الألف

لما تم حرف الواو من مدح النبى شفيع المذنب أراد أن يشرع فى حرف لام الألف يمدح فيه النبى صلى الله عليه وسلم ذاكرا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون برسالة مولاهم مبلغون ، وأن الله تعالى أمنهم وكسا وجوههم نورا ، وأحسن صورهم وجعل لكل منهم أهل بطانة ، وأتقى عباد الله وسيدهم فى ذلك وأفضلهم محمد بن عبد الله قائلا (ص) :

لِكُلِّ نَبِيٍّ عِصْمَةٌ وَأَمَانَةٌ ... وَوَجْهٌ جَمِيلٌ لِلتُّقَى وَبِطَانَةٌ
وَمِنْهُمْ وَمَا الْإِنْصَافُ إِلاَّ دِيَانَةٌ ... لِأَحْمَدَ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مَكَانَةٌ
تُخَصِّصُهُ بِالْحُبِّ فِى الْمَلَإِ الْأَعْلَى

(ش) (لكل نبىّ) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (عصمة وأمانة) يعنى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون لا يصدر عنهم ذنب أصلا ، لا كبيرة ولا صغيرة ، لا عمداً ولا سهواً (و) لكل نبى (وجه جميل) حسن (للتقى) مع التقوى . قال صلى الله عليه وسلم: « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت

وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتاً » (و) لـكل نبى (بطانة) وهم دخلاء الرجل وأهل سرّه ، ومنه : « لاتتخذوا بطانة من دونكم » (ومنهم وما) نافية (الإنصاف) العدل (إلا ديانة) جمع دين (لأحمد خير العالمين مكانة) حال كونه منهم ، وجملة وما الإنصاف معترضة وخير بدل لأحمد بدل الشىء من الشىء . وتقدير البيت: ثبت لأحمد خيرالعالمين رفعة ومنزلة حال كونه من النبيين ليس العدل إلا دين الله هذا على شأن التخميس، وعلى التفرقة فمعناه بيّن واضح .

أو المعنى : لأحمد خير العالمين مكانة عظيمة لاتكيفها العقول تخصيص تلك المكانة ثابتة لأحمد ، لكونه حبيب الله فى الملإ الأعلى الذى هو جماعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم وصف المكانة بقوله (تخصصه) صلى الله عليه وسلم (بالحب) بحب الله إياه (فى الملإ الأعلى) الملائكة . ومنه قوله تعالى : «لايستمعون إلى الملإ الأعلى » عن كعب الأحبار قال : « إن الله أنزل الكتاب على آدم عليه السلام محصيا بعدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فأقبل آدم عليه السلام على ولده شيث ، فقال يا بنىّ : أنت خليفتى من بعدى تخذها بعبادة التقى ، وكلما ذكرت الله عز وجل فاذكر إلى جنبه محمدا صلى الله عليه وسلم فإنى رأيت اسمه مكتوبا بساق العرش وأنا بين الروح والطين ، ثم طفت السموات فلم أر موضعا إلا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا ، ولقد رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على صدور الحور العين، ولم أر بالجنة قصرا ولا غرفة ولا موضعا إلا اسم محمد مكتوبا عليه ، وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب ، و بين أعين الملائكة ، أكثر ذكره فإن الملائكة تذكره فى كل ساعة» . وعن كعب رضى الله عنه : « عرفت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم ، فلما خلق آدم سمع من أسارير جبهته نشيشاً كنشيش الماء »

قال : سبحانك ما هذا ؟ قال الله تعالى : يا آدم هذا تسبيح سيد النبيين ، وسيد ولدك من المرسلين ، فكان نور محمد صلى الله عليه وسلم يرى فى غرة آدم كالشمس» والنشيش : صوت الماء وغيره إذا علا اه (ص) :

لِمَنْ كَانَ فِى الدُّنيَا وَفِى الدِّينِ سَيِّدًا ... لِمَنْ كَانَ بِالرُّوحِ الْأَمِينِ مُؤَيَّدَا

لِمَنْ خُصَّ بِالْإِسْرَاءِ بِالْجِسْمِ مُفْرَدًا ... لِأَعْلَى الْوَرَى قَدْرًا وَأَوْضَحِهِمْ هُدًى

وَأَصْدَقِهِمْ قَوْلاً وَأَكْرَمِهِمْ فِعْلاَ

(ش) تلك المكانة ثابتة (لمن كان) بدل من قوله لأحمد (فى الدنيا وفى الدين سيدا) أى لا خلاف فى سيادته صلى الله عليه وسلم :

أحاسده مت إن عيشك أنكد ... فها هو فى الدنيا وفى الدين سيد

تلك المكانة ثابتة (لمن كان بالروح الأمين) جبريل عليه السلام (مؤيدا) أى قواه الله به و بسائر الملائكة عليهم السلام ، تلك المكانة ثابتة (لمن خص) بالبناء للمجهول (بالإسراء بالجسم مفردا) حال ، وتلك المكانة ثابتة (لأعلى الورى قدرا و) لـ (أوضحهم) أظهرهم (هدى. و) لـ (أصدقهم) أى الورى (قولا و) لـ (أكرمهم) أشرفهم (فعلا) والمنصوبات تمييزات (ص) :

لَهُ ذِمَّةٌ يُثْنَى مِنَ الْعَرْشِ حَبْلُهَا ... إِلَى الْفَرْشِ مَمْدُودًا عَلَى الخَلْقِ ظِلُّهَا

فَلِلّهِ مِنْهُ بَاسِطُ الْكَفِّ بِالْعَمَى ... لِآيَاتِهِ النُّورُ الْمُبِينُ فَكُلُّهَا

صَحِيحٌ إِذَا يُرْوَى فَصِيحٌ إِذَا يُتْلَى

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (ذمة) عهد من الله (يثنى) يطوى ويعطف (من العرش حبلها) ذمتها : وهى الإسلام أو القرآن (إلى الفرش) المراد به

هنا جميع الأرض ، وهى التى فرشها الله تعالى لعباده . قال تعالى : « والأرض فرشناها فنعم الماهدون » (ممدودا) حال (على الخلق ظلها) نائب فاعل ممدودا والضمير للذمة ، والجملة صفة لذمة : أى ذمة ظلها ممدود . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كتاب الله ممدود من السماء إلى الأرض » وفيه عن أبى شريح الخزاعى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذا القرآن لسبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به» (فلله منه) من النبى صلى الله عليه وسلم رجل كريم (باسط الكف) الراحة (باللهى) العطايا : جمع لهوة بالضم والفتح ، وهى العطية فلله خبر مقدم ، و باسط الكف كلام إضافى مبتدأ ، ومنه حال من الضمير المستتر فى الخبر ، وهو من باب التجريد (لآياته) دلائل نبوته أو آيات قرآنه (النور المبين فكلها) أى الآيات (صحيح إذا يروى) من الرواية ، فكلها (فصيح إذا يتلى) يقرأ ، عن عائشة رضى الله عنها « البيت الذى يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما يتراءى النجوم لأهل الأرض » وأخرج من حديث أنس : « نوّروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن » وأخرج من حديث النعمان بن بشير : « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن » (ص) :

لَقَدْ نَهَضَتْ بِالحَقِّ أَصْدَقَ نَهْضَةٍ ... ورَضَّتْ فُؤَادَ الشِّرْكِ أَسْحَقَ رَضَّةٍ
كَوَاكِبُ أَفْلَاكٍ سَبَائِكُ فِضَّةٍ ... لَآلِئُ أَسْلَاكٍ أَزَاهِرُ رَوْضَةٍ
فَهَا هِىَ تُجْنَى بِالخَوَاطِرِ أَوْ تُجْلَى

(ش) والله (لقد نهضت) وثبت وقامت الآيات المذكورة بسرعة (بالحق) خلاف الباطل (أصدق نهضة) أحق قيام بسرعة (ورضت) أى دقت وكسرت هذه الآيات (فؤاد) قلب أهل (الشرك) الكفر (أسحق رضة) أهلك دقة .

والمعنى : أماتت هذه الآيات أهل الشرك وأبطلته . هذه الآيات (كواكب) أنجم (أفلاك) فى الإنارة : جمع فلك وهو المستدير ، أو هو موج مكفوف تجرى فيها الكواكب ، أو هو كل شىء دائر ، يعنى : أن هذه الآيات مثل النجوم فى الأفلاك . وهذه الآيات (سبائك فضة) فى الجمال والحسن جمع سبيكة : وهى ما يذاب ويسبك من الفضة وغيرها ، وهذه الآيات (لآلئ أسلاك) فى جمالها جمع لؤلؤة ، وأسلاك جمع سلك : وهى الحبل الذى رصع فيه الجوهر . وهذه الآيات (أزاهر روضة) فى ميل النفوس إليها واشتياقها ، أزاهر جمع أزهر : أى النَّور ، والروض : موضع العشب (فها هى) الآيات (تجنى) أى تقطف وتقطع (بالخواطر) الأفكار (أو) بمعنى الواو (تجلى) تظهر (ص) :

لَهُ الخَيْرُ مَهْمَا جَاءَ بِالشَّرِّ رِبْذَةٌ ... فَأَنْفُسُنَا دَأْبًا إِلَيْهِ مُغِــذَّةٌ
وَفى كُلِّ قَلْبٍ حيثُ أُقْـبِرَ فَـلْذَةٌ ... لِأَسْمَائِهِ فى النُّطْقِ وَالسَّمْعِ لَذَّةٌ
فَلِلَّهِ مَا أَزْكَى نَسِيماً وَمَا أَحْلَى

(ش) (له) عنده صلى الله عليه وسلم (الخير) المعهود (مهما جاء بالشر ربذة) هو الرجل الذى لاخير فيه ، وهو صلى الله عليه وسلم لايدفع بالسيئة السيئة ولـكن يعفو ويصفح بهذا أمر صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن السيئة » . وقال تعالى : « فاعف عنهم واصفح » (فأنفسنا) أرواحنا (دأبًا) دائمًا أو تدأب دأبًا مصدر (إليه مغذة) مسرعة ذلك دائما (وفى كل قلب حيث أقبر فلذة) قطعة .

المعنى : كل قلب يودّ ويميل إلى الموضع الذى أقبر فيه صلى الله عليه وسلم (لأسمائه) صلى الله عليه وسلم (فى النطق والسمع لذة) ثابتة لمن نطق بأسمائه

أو سمع من نطق بها ، وأسماؤه صلى الله عليه وسلم كثيرة ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وعلوه ورفعة مكانه. قال بعضهم: إن لله تعالى ألف اسم ، ولنبيه عليه الصلاة والسلام ألف اسم ، وقد ذكر صاحب دلائل الخيرات من أسمائه مائتى اسم له صلى الله عليه وسلم (فلله) در (ما أزكى) ما أسطع (نسما) ريحا تمييز (وما أحلى) نسما : أى طيب الرائحة استعار لموافقتها الطبع بالنسيم ، وما أحلاها فى الفم للنطق (ص) :

هُوَ الْفَجْرُ يَبْدُو لِلْعِيَانِ عَمُودُهُ ... هُوَ الْبَدْرُ لَمْ يَنْقُصْهُ نُورًا حَسُودُهُ
فَأُقْسِمُ حَقًّا لَا يُرَدُّ شُهُودُهُ ... لَأَحْسَنَ حَتَّى أَحْسَبَ الْخَلْقَ جُودُهُ
فَفَاءَ لَهُمْ ظِلاًّ وَصَابَ لَهُمْ وَبْلاً

(ش) (هو) صلى الله عليه وسلم (الفجر) ومن أسمائه الفجر (يبدو) يظهر (للعيان عموده) ضوؤه ، عمود الصبح: هو الخط المستطيل الذى تراه فى وجه الصبح . قال ابن رواحة :

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

(هو) صلى الله عليه وسلم (البدر لم ينقصه نورا) بدل من الضمير (حسوده) فاعل ينقص ، ونقص لازم ومتعد (فأقسم) أحلف قسما (حقا) صدقا (لا يرد شهوده) أى القسم أو شهود المحلوف عليه، لأنه كلما حلفت عليه أقول والله (لأحسن) صلى الله عليه وسلم (حتى أحسب) كفى (الخلق) مفعول به (جوده) عطيته لأنه يعطى عطاء من لا يخشى فاقة (ففاء) رجع (لهم) أى الخلق (ظلا) فيئا تمييز (وصاب) نزل (لهم وبلا) مطراً كثيراً تمييز (ص) :

أَتَمُّ الْوَرَى عِلْمًا بِحَقِّ إِلَهِهِ ... وَأَصْدَقُهُمْ فِى نَوْمِهِ وَانْتِبَاهِهِ

وَأَبْعَدُهُمْ عَنْ غَيِّهِ وَسَفَاهِهِ ... لِأُمَّتِهِ الجَاهُ المَكِينُ بِجَاهِهِ
فَإِنْ أُخِّرُوا وَقْتاً فَقَدْ قُدِّمُوا فَضْلاَ

(ش) هو (أتم) أجمع (الورى) الخلق (علماً) تمييز (بحق إلهه) من واجب ومستحيل وجائز، فهو صلى الله عليه وسلم على غاية المعرفة فى ذلك (وأصدقهم) أى الورى (فى نومه) إذ رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق (وانتباهه) أى يقظته :

* وأصدق من يمشى على الأرض لهجة *

(وأبعدهم) أى الورى (عن غيه) ضلال الورى (وسفاهه) جهالة الورى ، والهمزة فى وأصدق وأبعد للتفضيل (لأمته) صلى الله عليه وسلم (الجاه) الحرمة والقدر (المكين) الرفيع أو الثابتة (بجاهه) المكين ثابتة لأمته بسبب جاهه صلى الله عليه وسلم ، وقيل اللام فى لأمته لام السبب والعلة ، وهو غير سديد فتأمله ، كأنّ سائلا قال له : هذا الجاه المكين لهذه الأمة وهم متأخرون ، والفضل للمتقدم فأجابه بقوله (فإن أخروا وقتا فقد قدّموا فضلا) أى إن أخرت هذه الأمة فى الوقت فقد قدموا على جميع الأمة فى الفضل ، وقد وصفهم الله بالفلاح والخيرية قال تعالى : « قد أفلح المؤمنون » . « كنتم خير أمة أخرجت للناس » (ص) :

أَطَاعُوهُ فَاسْتَخْزَى لَهُمْ كُلُّ سَيِّدٍ ... وَفَازُوا بِفَخْرٍ خَالِدٍ مُتَأَبِّدِ
فَهُمْ قَادَةُ الدُّنْيَا وَهُمْ لِلتَّعَبُّدِ ... لِأَنَّهُمْ فَازُوا بِبِعْثَةِ أَحْمَدِ
فَفَازُوا بِمَجْدٍ لاَ يُطَالُ وَلاَ يُعْلَى

(ش) (أطاعوه) أى أجابت الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم (فاستخزى) أذعن وخضع (لهم) للصحابة (كل سيد) كل رئيس :

* ذو الملك دانوا خاضعين لأمره *

(وفازوا) ظفروا (بفخر خالد متأبد) دائم (فهم) أى الصحابة ، أو أمته (قادة الدنيا) ساداتها (وهم للتعبد) أى سادة للعبادة ، واللام للاختصاص نحو الجنة للمؤمنين والعاقبة للمتقين ، وقال فى حق غيرهم :

* فهم للردى والبؤس فى اليوم والغد *

و بين علة كونهم سادة فى الدنيا والعبادة بقوله (لأنهم) أى الأمة (فازوا) ظفروا بالنجاة (ببعثة أحمد) المرتضى بشرى عيسى صلى الله عليه وسلم ، والباء سببية (ففازوا) ظفروا (بمجد) شرف (لايطال ولا يعلى) .

المعنى : ليس يوجد شرف ولا مجد يطول و يعلو على شرف محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، وكفاهم شرفا ذكر الخيرية لهم بين سائر الأمم (ص) :

لَجَرَّدَ سَيْفاً كانَ لِلْحَقِّ مُغْمَدَا فرَدَّ بِهِ لِلْقَصْدِ مَنْ جَارَ وَاعْتَدَى

فَلِلّهِ مَا أَزْكَى وَلِلّهِ مَا هَـدَى لَأَبْرَأَ أَفْهَامَ الْعِبَادِ مِنَ الرَّدَى

بِحُجَّتِهِ الْعُلْيَا وَشِرْعَتِهِ الْمُثْلَى

(ش) والله (لـ) قد (جرد) سلّ (سيفا) قاطعا مهندا (كان) السيف (للحق) أى جرّد سيف الحق :

* وإذ هزّ سيف الحق مات لهزه *

(مغمدا) مستورا فى جفنه وغمده (فرد) صلى الله عليه وسلم (به) بالسيف (للقصد) التوسط ، أو الصدق ، أو الاستقامة (من) مفعول رد (جار) مال عن طريق القصد إلى المدى (واعتدى) جاوز الحد إلى الاستقامة وهى الإسلام (فلله) أى للملائكة الله عجب عظيم (ما أزكى) أى ما أطهره صلى الله عليه وسلم (ولله) در (ما هدى) من النفوس، والله (لـ) قد (أبرأ) من البرء (أفهام العباد

من الردى) الهلاك : أى والله لأبرأ عقول العباد من مرض الشرك الذى هو سبب الردى ، وكل ما أدركته لعقلك فقد فهمته (بحجته) ببرهانه متعلق بأبرأ (العليا) نعت حجته (وشرعته) شريعته صلى الله عليه وسلم (المثلى) الفضلى تأنيث الأمثل الأفضل ، ومنه : « ويذهبا بطريقتكم المثلى » (ص) :

أَحَاطَتْ بِهِ طِفْلاً عِنَايَةُ رَبِّهِ فَنَقَّى مِنَ الْأَدْنَاسِ جَوْهَرَ قَلْبِهِ
وَأَرْسَلَهُ مِنْ بَعْدُ خَيْرَ مُنَبِّهٍ لِأَمْرٍ رَآهُ اللهُ أَهْلاً لِحُبِّهِ
فَطَهَّرَهُ طِفْلاً وَأَرْسَلَهُ كَهْلاَ

(ش) (أحاطت) أحدقت (به) صلى الله عليه وسلم (طفلا) حال (عناية ربه) اختصاص الله إياه بالخير والفضل ، وأصله من الاعتناء بالشىء وهو الاستئثار ، ومنه قولهم : من سبقت له العناية لم تضره الجناية (فنقى) طهر الرب (من الأدناس) الأوساخ والأدران (جوهر) أصل (قلبه) فؤاده ، والجوهر : لفظة فارسية عرّبتها العرب واستعملتها فى أصول الأشياء (وأرسله) إلى الخلق كافة (من بعد) التنقية أو بعد طفوليته (خير) حال (منبه) موقظ . قال السبكى : أرسل للناس كافة من لدن آدم عليه السلام، والأنبياء نوّاب عنه بعثوا بشرائع له فهو نبى الأنبياء ، وأرسل إلى الجن والملائكة والحيوانات والجمادات والحجر والشجر ، وبعثه رحمة للعالمين ؛ وأرسله ربه (لأمر) شأن ، واللام علة الإرسال (رآه الله) علم الله النبى (أهلا لحبه. فطهره) الله (طفلا) حال (وأرسله كهلا) وهو من الرجال من جاوز الثلاثين وخطه الشيب ، يعنى : أرسله بعد أربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث فيها عشر سنين يوحى إليه ، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة (ص) :

قَوَاعِدُ مَجْـدٍ لَمْ يَشِنْهَا تَضَعْضُعُ ... وَأَجْنَاسُ فَخْرٍ لَمْ تَزَلْ تَتَنَوَّعُ
وَهَلْ فى عُلَاهُ لِلْمُخَالِفِ مَدْفَعُ ... لِإِسْرَائِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ هُجَّعُ
دَلَائِلُ نَسْتَهْدِى بِهَا الشَّرْعَ وَالْعَقْلَا

(ش) له صلى الله عليه وسلم (قواعد) أصول (مجد) شرف (لم يشنها) يعبها (تضعضع) تحرك وزلزال وهدم وخراب ، والقاعدة : الأساس ، وهو ما يقام عليه البناء، والشين : ضد الزين (و) له (أجناس) جمع جنس وهو أعم من النوع لأن تحته أنواعا من إنسان و بقر و إبل ونحوها (فخر لم تزل) الأجناس (تتنوع) تصير أنواعا .

المعنى : كل ما يفتخر به من شرف وكرم ، ونسب وشجاعة ، وصبر وعلم ، وعقل وفصاحة منطق وجمال فقد ثبت له صلى الله عليه وسلم على جميع أنواعها (وهل) استفهام إنكارى (فى علاه) رفعته (للمخالف) للكفار (مدفع) أى ليس فى رفعته ومجده مدفع للمخالف ، بل أقروا لذلك على الرغم ثم جحدوه (لإسرائه) خبر مقدم (بالليل والناس هجع) جمع هاجع : وهو النائم ، وجملة والناس هجع حالية معترضة بين المبتدأ والخبر (دلائل) مبتدأ مؤخر : أى البراهين (نستهدى بها) نطلب بها الهدى فى (الشرع والعقلا) والشرع : منصوب بنزع الخافض، ومعنى الاستهداء بها : أنه أسرى به شرعا وعقلا. قال تعالى: « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » الآية . والحق من هذا والصحيح أن الإسراء بالجسد والروح فى اليقظة كلها ، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والآثار ، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند استحالة الظاهر، وليس فى الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة ، إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ، ولم يقل بعبده .

(ص) :

دَلاَئِلُ زَادَتْ فِى بِلَى الدَّهْرِ جِدَّةً أَمَالَتْ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ مَوَدَّةً
فَلِلّٰهِ مِنْهُ أَطْهَرُ الخَلْقِ بُرْدَةً لَأَرْوَى عِبَادَ اللهِ بَدْءًا وَعَوْدَةً
بِأَنْمُلِ كَفٍّ دُونَهَا الدِّيمَةُ الْهَطْلَى

(ش) له (دلائل) براهين أو بدل مما قبله (زادت فى بلى الدهر) مرور الزمان أو خلوّه (جدة) ضد بلى مفعول زادت أو تمييز (أمالت) الدلائل (قلوب العارفين مودة) محبة مفعول له أو تمييز (فلله) الدرّ (منه) صلى الله عليه وسلم حال ، وهو من باب التجريد (أطهر الخلق) أزكى الورى (بردة) كساء مربع أسود : أى فلله در أطهر الخلق بردة حال كونه منه ، وهذا مبالغة لكمال طهارته حتى جرد أطهر الخلق بردة منه صلى الله عليه وسلم، والله (ل) قد (أروى) النبى صلى الله عليه وسلم (عباد الله) من العطش (بدءا وعودة) المراد وقوع ذلك مرارا (بأنمل كف) راحة جمع أنملة : وهى رءوس الأصابع (دونها) دون تلك الكف أو الأنمل وهى بمعنى عند : أى عندها (الديمة) المطر الذى لا فيه رعد ولا برق و يدوم إلى الأيام (الهطلى) أى كثيرة السيلان ، وهى إشارة إلى نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرم (ص) :

أَلاَ إِنَّهُ الْفَرْعُ الَّذِى بَذَّ أَصْلَهُ فَمَا بَعَثَ الرَّحْمٰنُ فِى الرُّسْلِ مِثْلَهُ
وَلَيْسَ لِخَلْقٍ أَنْ يُسَامِىَ فَضْلَهُ لِآدَمَ تَمَّ الْفَخْرُ إِذْ كَانَ نَجْلَهُ
لَقَدْ فَاقَ هٰذَا الْفَرْعُ فِى الرُّتْبَةِ الْأَصْلاَ

(ش) (ألا) للتنبيه (إنه) صلى الله عليه وسلم (الفرع) الولد (الذى بذّ) غلب وسبق (أصله) يعنى آدم عليه السلام ، وفى حديث مسلم : « أول ما خلق

يا جابر نور نبيك » (فما بعث) أرسل (الرحمن فى الرسل مثله) وفى ذكر الرحمن مع رسالته إشعار بأنه أرسل رحمة للعالمين (وليس لخلوق) لمخلوق ملكا أو جنًّا أو إنسا (أن يسامى) يعارض (فضله ☆ لآدم) عليه السلام (تم الفخر إذ كان) الرسول صلى الله عليه وسلم (نجله) ولده .

والمعنى : أن آدم عليه السلام فخره تم بسبب كونه صلى الله عليه وسلم نجله وولده ، سمى الولد نجلا لأن أباه نجله فى موضع التكوين ، والله (لقد فاق هذا) فاعل فاق (الفرع) نعت أو عطف بيان (فى الرتبة) الدرجة (الأصلا) مفعول فاق ، يعنى : آدم عليه السلام .

والمعنى : أن محمدا صلى الله عليه وسلم فاق آدم عليه السلام :

فاق النبيين فى خَلق وفى خُلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم

(ص) :

تَوَاضَعَتِ الْأَقْدَارُ دُونَ مَكَانِهِ فَمَا الْغَيْثُ إِلاَّ قَطْرَةٌ مِنْ بَنَانِهِ
وَلاَ الْغَيْبُ إِلاَّ نُكْتَةٌ مِنْ بَيَانِهِ لِإِنْبَائِهِ بِالْغَيْبِ قَبْلَ أَوَانِهِ
دَلاَئِلُ تَشْرِيفٍ قَدِ اتَّصَلَتْ نَقْلاَ

(ش) (تواضعت الأقدار دون مكانه) أى خضعت أقدار الخلق دون الوصول إلى منزلته (فما) نافية (الغيث) المطر (إلا قطرة) نقطة (من بنانه) أى أطراف أصابعه، الواحدة بنانة ، يحتمل حسا ومعنى (ولا الغيب) أى ما غاب عن أعين الخلق ، أو الإخبار بالغيب (إلا نكتة) أى شىء يسير جدا (من بيانه) إظهاره كما أطلعه الله عليه ، والنكتة : قطعة بياض فى سواد وعكسه (لإنبائه) لأخباره بكسر اللام والهمزة خبر مقدم (بالغيب) هنا ما غاب عن غيره من

الخلق (قبل أوانه) وقته (دلائل) مبتدأ مؤخر (تشريف قد اتصلت نقلا) تمييزه نقله خلف عن سلف ولم ينقطع حتى وصل إلينا وإلى هلم جرا ، وجملة اتصلت صفة دلائل (ص) :

أَمِينٌ عَلَى وَحْيِ الْإِلٰهِ وَدِينِهِ   بَدَا فَتَمَنَّى الْبَدْرُ ضَوْءَ جَبِينِهِ

وَجَادَ فَوَدَّ الْغَيْثُ فَيْضَ مَعِينِهِ   لِإِشْرَاقِ مَرْآهُ وَجُودِ يَمِينِهِ

مَدَى الدَّهْرِ لَا تَخْشَى ضَلَالاً وَلَا أَزْلاَ

(ش) هو (أمين على وحى الإله، و) أمين على (دينه) دين الإله (بدا) ظهر صلى الله عليه وسلم (فتمنى البدر ضوء) نور (جبينه) أى جبهته . عن جابر ابن سمرة رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أضحيان وعليه جبة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو عندى أحسن من القمر » وكذلك هو لما أعطاه الله من ضياء الوجه والنور ، وكمال الخلق وحسن الصورة وتمام البشرى (وجاد) أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فود) تمنى (الغيث) المطر (فيض) سيلان (معينه) مائه الجارى ، وإذا كان الماء ظاهرا جاريا على وجه الأرض فهو معين (لإشراق مرآه) لأجل نور وجهه ، راجع إلى قوله فتمنى البدر (وجود) كرم (يمينه) خلاف الشمال ، راجع إلى قوله : فود الغيث الخ ، فيه لف ونشر مرتب (مدى الدهر لاتخشى ضلالا ولا أزلا) شدة وضيقا ، فيه لف ونشر مرتب (ص) :

لَأَضْحَى عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الدِّينِ مُرْشِدًا   وَفِيــهِ وَفِيهَا رَاغِباً وَمُزَهِّدًا

لَأَوْضَحَ مَخْفِيًّا لَأَصْلَحَ مُفْسِـدًا   لَأَصْبَحَ فِى الدَّارَيْنِ لِلْـكُلِّ سَيِّدًا

وَدُونَكَ فَاسْأَلْ هَلْ تُحِسُّ لَهُ مِثْلاَ

(ش) (ل) قد (أضحى) صار النبي صلى الله عليه وسلم ناهياً (عن) هوى (الدنيا إلى الدين مرشدا) هاديا :

* هداه فلا يدخلك شك هو الهدى *

(وفيه) أي الدين (وفيها) أي الدنيا (راغبا ومزهّدا) فيه لف ونشر مرتب: أي في الدين راغبا بمعنى يرغب الناس في أمر دينهم ويحببهم إياه، وفي الدنيا مزهدا : أي يزهد الناس عن حب الدنيا ، ويزجرهم عليها بعد نبذه إياها ، والله (ل) قد (أوضح) أظهر (مخفيا) مايخفى على الناس أظهره للناس باطلاع الله إياه ، والله (ل) قد (أصلح) أحسن (مفسدا) من كان فاسدا صار ذا صلاح بسببه صلى الله عليه وسلم (ل) قد (أصبح) صار النبي صلى الله عليه وسلم (في الدارين) الدنيا والآخرة (للكل) لكل مخلوق ولا تعرّفها العرب إلا بإضافة ، وإن عرفت الكل بأل فعلى التسامح (سيدا) خبر أصبح ، وتقدم :

* فما هو في الدنيا وفي الدين سيد *

(ودونك) أي خذ ما قلت لك ، فإن أردت أن تسأل (فاسأل) من شئت (هل) استفهام إنكاري (تحس) تعلم ، أو تسمع : أي لاتسمع (له) صلى الله عليه وسلم (مثلا) شبيها :

* مدى الدهر لم يُخلق ولا هو يخلق *

ومنه : « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا » (ص) :

أَبَرُّ عِبَادِ اللهِ دِيناً وَعَادَةً ... وَأَنْفَعُهُمْ لِلطَّالِبِينَ إِفَادَةً

وَأَثْبَتُهُمْ فِي كُلِّ بَابٍ سِيَادَةً ... لَئِنْ كَانَ رُسْلُ اللهِ لِلنَّاسِ سَادَةً

فَأَحْمَدُ قَدْ سَادَ النَّبِيِّينَ وَالرُّسْلاَ

(ش) هو (أبر) أحسن وأصدق وأقوى (عباد الله ديناً وعادة) تمييزان

أو نزع خافضهما (وأنفعهم) أى عباد الله (للطالبين) الذين يطلبون عطاءه (إفادة) عطاء تمييز، الفائدة عبارة عما يحصل من غير كلفة ولا كبير مئونة (وأثبتهم) أرسخهم (فى كل باب) طريق من طرق المزايا (سيادة) تمييز، والله (لئن كان رسل الله للناس سادة) جمع سيد (فأحمد) المرتضى بشرى عيسى (قد ساد النبيين والرسلا) عليه وعليهم الصلاة والسلام، هذا الكلام ليس على سبيل التشكيك فى صدق ما ذكر من كون الرسل سادة للناس، لكنّ إن كثيرا يقع فى كلام العرب على صورة التشكيك، والمراد به التقرير واليقين كقوله تعالى: «وإن أدرى لعله فتنة لكم — قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن اهتديت فبما يوحى إلىّ ربى» (ص):

شَفِيعُ الْوَرَى وَالْهَوْلُ قَدْ بَلَغَ الْمَدَى وَقَدْ شَمِلَ الْخَوْفُ النَّبِيَّ وَمَا عَدَا
فَلُوذُوا بِهِ تَنْجُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَأَوَّلُ مَا تَلْقَاهُ أُمَّتُــهُ غَدَا
تُلاَقِى بِهِ التَّرْحِيبَ وَالْمَنْزِلَ السَّهْلاَ

(ش) هو (شفيع الورى) الخلق (و) الحال أن (الهول) الفزع (قد بلغ المدى) الغاية (وقد شمل) جمع (الخوف النبى) أى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأل فيه لاستغراق الجنس (وما عدا) أى جميع الخلق، وإنما خوف الأنبياء خوف إجلال وخوف غيرهم خوف ذنوب وعقاب. يعنى: أن الخوف قد جمع الأنبياء والملائكة وجميع الخلق، يقول كل نبى: نفسى نفسى، ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى ويشفع الشفاعة الكبرى (فلوذوا) الجئوا (به) صلى الله عليه وسلم (تنجوا) تخلصوا، بأن تؤمنوا به وتصدقوا برسالته تخلصوا من عقاب الله (فإن محمدا) صلى الله عليه وسلم (لأول ما تلقاه أمته غدا. تلاقى به الترحيب) التوسيع (والمنزل السهلا) الخفيف لا غلظ فيه صلى الله عليه وسلم. عن أبى أمامة

رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عقاب ، مع كل ألف سبعين ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربى » . وعن عمرو بن حزم الأنصارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن ربى وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً لا حساب عليهم ، وإنى سألت ربى المزيد فأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً ، قلت يا رب وتبلغ أمتى هذا ؟ قال : أكمل لك العدد من الأعراب » (ص) :

أَبَى الْوَجْدُ إِلاَّ أَنْ أَذُوقَ فُنُونَهُ ... لِشَوْقٍ بَرَى قَلْبِي أَطَالَ شُجُونَهُ
إِذَا ذُكِرَ الْمُخْتَارُ حَنَّ حَنِينَهُ ... لَأَسْتَمْطِرَنَّ الدَّمْعَ مَاعِشْتُ دُونَهُ
عَسَى طُولُ هٰذَا الْبُعْدِ يُعْقِبُنِي وَصْلاَ

(ش) (أبى الوجد) امتنع الحب الذى معه حزن (إلا أن أذوق فنونه) أنواعه : أى إلا ذوق طعم أنواع الوجد (ل) أجل (شوق) حب (برى) نحت الشوق وقطع ، وجملة برى صفة لشوق (قلبى) فؤادى (أطال) القلب (شجونه) أحزانه (إذا ذكر المختار حنّ) أى اشتاق القلب (حنينه) اشتياقه منصوب على المفعول المطلق ، ومنه قول الشاعر :

فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا أرض أبقل إبقالها

والله (ل) قد (أستمطرنّ) أهملنّ وأسيلنّ (الدمع) ماء العين (ما عشت) مدة حياتى (دونه) دون الوصول إلى زيارته صلى الله عليه وسلم (عسى طول هذا البعد يعقبنى وصلا) أى لعلّ طول هـذا البعد يكون فى عقبه وصل للسراج المنير ، وعسى من أفعال المقاربة وطول اسمها ويعقبنى فى محل نصب خبرها ،

ومنه : « فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم » (ص) :

فَيَا لَلْمُحِبِّ رِيعَ لِلْبَيْنِ سِرْبُهُ لِذِكْرِ نَبِيِّ اللهِ يَرْتَاحُ قَلْبُهُ
وَمَنْ لِى بِهِ وَالْمَرْءُ يُقْصِيهِ ذَنْبُهُ لِأَهْلِ التُّقَى وَالْبِرِّ يُذْخَرُ قُرْبُهُ
وَأَنَّى لِمِثْلِى أَنْ يَكُونَ لَهُ أَهْلاً ؟

(ش) (فيا للمحب) مستغاث من أجله : أى يا قوم اعجبوا أو فياعجبا للمحب أو يا لله للمحب ، وقيل معناه : يا محب ، واللام زائدة أقحمت للتوصل إلى البلاغة (ريع) أفزع بالبناء للمجهول (للبين) لأجل الفراق (سربه) نفسه أو قلبه نائب فاعل ، ريع (لـ) أجل (ذكر نبى الله) صلى الله عليه وسلم (يرتاح) يطرب وينشط ويفرح (قلبه) فؤاد المحب (ومن) يتكفل (لى به) بالوصل أى أىّ شىء، أو لى إنسان يعيننى على المشى والبلوغ إلى زيارته (والمرء) الإنسان (يقصيه) يبعده (ذنبه) حوبه (لأهل التقى) أصحاب امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه (والبر) الطاعة (يذخر) بالذال المعجمة ما يذخره للآخرة ، وبالدال المهملة للدنيا (قربه) زيارته ، وهضم نفسه بقوله (وأنى) كيف (لمثلى أن يكون له أهلا) لذلك القرب .

هنا انتهى حرف لام الألف ، ويتلوه حرف الياء إن شاء الله تعالى ، وبه يتم الكتاب ، والله المستعان .

قافية حرف الياء

لما فرغ من حرف لام الألف من مدح النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يشرع فى حرف الياء ، وبه يختم نظمه من الثناء على من رفعه الله وأكرمه ، والدءوب على ذكر المحبوب شيمة المشتاقين لكونهم عن غير محبوبهم محجوبين متلذذين بتكرار اسمه وإعادة ذكره ، ولذا قال (ص) :

أَعِدْ ذِكْرَ خَيْرِ الخَلْقِ فَالعَوْدُ أَحْمَدُ وَلِلْقَلْبِ فى التَّذْكارِ وَصْلٌ مُجَدَّدُ
وَأَقْسِمْ عَلَى حَقٍّ وَلَسْتَ تُفَنَّدُ يَمِيناً لَقَدْ حَلَّ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ
مِنَ الْحُبِّ وَالتَّشْرِيفِ فى الرُّتْبَةِ الْعُلْيَا

(ش) (أعد) من الإعادة (ذكر) مدح (خير الخلق) خير مخلوقات الله ملكا وجنًّا وإنسا (فالعود أحمد) فتثنية الأمر وتكراره أكثر حمدا ، وقيل فى المثل السائر « العود أحمد » قاله أبو عبيدة :

قال امرؤ القيس :

وأحسن فيما كان بينى وبينه فإن عاد بالإحسان فالعود أحمد

(وللقلب) خبر مقدم (فى التذكار وصل) مبتدأ مؤخر (مجدد) نعت (وأقسم) أحلف (على حقّ ولست تفند) لايكذبك أحد ولا ينسبك أحد إلى الفند : وهو ضعف العقل ونقصانه ، ومنه : « لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون » ومفعول أقسم (يمينا) بالله فقل والله (لقد حل) نزل (النبى محمد) صلى الله عليه وسلم (من الحب) من حب الله إياه (والتشريف فى الرتبة العليا) لقد نزل النبى فى الحب عند الله ، وتشريفه فى المنزلة العليا التى لايبلغها أحد سواه صلى الله عليه وسلم ولا يعلم كنهه إلا الله الذى خلقه (ص) :

أَمَا وَالَّذِى أَعْلَى عَلَى الخَلْقِ رُسْلَهُ ... لَاعْلَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مَحَلَّهُ

فَأَصْبَحَ لَا مَخْلُوقَ يَعْشُرُ فَضْلَهُ ... يُقِرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ

مِنَ الرُّسْلِ إِلْهَامًا مِنَ اللهِ أَوْ وَحْيَا

(ش) (أما) حرف استفتاح بمنزلة ألا (والذى أعلى على الخلق رسله) عليهم الصلاة والسلام ، و (ل) قد (أعلى عليهم أجمعين محله).

المعنى : حلفت بالله الذى أعلى رسله على جميع الخلق لأرفع منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على منزلتهم أجمعين عليهم الصلاة والسلام ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين (ف) بسبب أن الله أعلى محله على محلهم (أصبح) صلى الله عليه وسلم : أى صار (لا مخلوق يعشر فضله) أى لا يأخذ أحد من مخلوقات الله عشرا من معشار فضله (يقر) من أقر الرباعى (له) صلى الله عليه وسلم (بالفضل) بتفضيل الله إياه (من) فاعل يقر (كان قبله . من) بيانية (الرسل) يكون ذلك الإقرار (إلهاما من الله أو وحيا) أوحاه الله إليه ، والإلهام يكون بواسطة ملَك ، وهو إلقاء معنى فى القلب على طريق الفيض ، وقيل الإلهام ما يقع فى النفس من عمل الخير، والوسواس : ما يقع فى النفس من الشر وما لا خير فيه ، والإيجاس : ما يقع من الخوف ، والأمل : ما يقع من تقدير نيل الخير ، والخاطر : ما يقع من التقدير لا على الإنسان ولا له ، وحقيقة الوحى من الله تعالى: ما يخلقه فى قلب النبى، والملك من إدراك كلامه القائم بذاته ، ومن الملك إلى النبى صلى الله عليه وسلم إلقاء ذلك المعنى المدرك إليه ، وأصل الوحى السرعة ، ومنه الوحا الوحا : السرعة (ص) :

رَسُولٌ تَزَيَّا بِالْفَضَائِلِ بِزَّةً ... حَلِى لِلدُّنَا وَالدِّينِ ذَاتًا وَحَوْزَةً

يَخِفُّ ارْتِيَاحًا لِلسَّمَاحِ وَهِزَّةً ... يُقَصِّرُ عَنْهُ النَّظْمُ وَالنَّثْرُ عِزَّةً

وَلَوْ أَنَّ ذَا أَغْيَا وَلَوْ أَنَّ ذَا أَعْيَا

(ش) (رسول) مبلغ أمر الله (تزيا) تجمل وتزين ، أو تهيأ وتخلق (بالفضائل) جمع فضيلة (بزة) هيئة جميلة أو تخلق تخلقاً بأعمال الفضائل (حمى) منع صلى الله عليه وسلم (للدنا والدين ذاتا) حقيقة تمييز أو مفعول به (وحوزة) ناحية ، وحوزة الإسلام حدوده ونواهيه : أى حفظ لهما حقيقتهما وما كان من ناحيتهما من الناس (يخفّ ارتياحا) نشاطا (للسماح) الكرم (وهزة) نشاطا وفرحا (يقصر عنه) من التقصير : أى يعجز عن مدحه ، أو عن إتيان فضائله ومعجزاته صلى الله عليه وسلم (النظم) فاعل يقصر (والنثر عزة) غلبة ورجحة تمييز . يعنى : لما كانت فضائل النبى صلى الله عليه وسلم ومناقبه ومآثره لا يأخذها حدّ ولا تدخل تحت عدّ قصر عنه النظم والنثر ، كما يقصر الإنسان عمن لا يقاومه ويعلم أنه يقهره ويغالبه (ولو أن ذا) النظم (أغيا) بلغ الغاية وأربى (ولو أن ذا) النثر (أعيا) أى أعجز فى النثر ، لف ونشر مرتب (ص) :

لَهُ رَاحَتَا خَيْرٍ يَفِيضُ جَدَاهُمَا ... نَدًى وَهُدًى أَحْيَا الْقُلُوبَ سَدَاهُمَا

فَلَا مُدْرِكٌ فِى الخَصْلَتَيْنِ مَدَاهُمَا ... يَدَاهُ غَمَامٌ أَوْ شِفَاءٌ كِلَاهُمَا

فَقَدْ نَقَعَ الْأَظْمَاءَ وَاسْتَنْقَذَ الْعُمْيَا

(ش) (له) صلى الله عليه وسلم (راحتا) كفّا (خير يفيض) يسيل ويكثر (جداهما) أى عطيتهما يفيض (ندى) عطاء تمييز (وهدى) رشدا (أحيا القلوب) مفعول أحيا (سداهما) ندى الليل وبه يعيش الزرع ، وهو أيضا المعروف (فلا مدرك فى الخصلتين) الندى والهدى (مداهما) أى لا يدرك أحد غايتهما

مح الندى والهدى (يداه غمام) سحاب (أو) بمعنى الواو (شفاء) دواء (**كلاهما**) أى يداه صلى الله عليه وسلم غمام كلاهما وشفاء كلاهما (فقد نقع الأظماء) سكن العطش : جمع ظمىْ (واستنقذ العميا) جمع أعمى والألف للإطلاق ، فإن سألت عن ذلك ألا ترى أنه قد سكن الأظماء جمع ظمىْ : وهو العطش من نقع الماء العطش: سكن العطش ، واستنقذ العميا : أى خلص العمى من عمايتهم ، ويحتمل أن المراد به عمى القلب أو عمى الجارحة ، وكل صحيح ، وفيه لف ونشر مرتب .

والمعنى : أنه يصف النبي صلى الله عليه وسلم بنبع الماء من بين أصابعه ، وأنه يبرئ الأمراض بمس يده ، أو إشارة إلى كرمه وجوده (ص) :

فَكَمْ رَاحَ فى ذَاتِ الْإِلٰهِ وَكَمْ غَدَا ... يَقُودُ مَنِ اسْتَعْصَى وَيَقْمَعُ مَنْ عَدَا
يُحَاذَرُ مِنْهُ الْبَأْسُ يُلْتَمَسُ النَّدَى ... يُهَابُ وَلاَ لَيْثُ الْعَرِينِ إِذَا بَدَا
وَيُرْجَى وَلاَ غَيْثُ الْغَمَامِ إِذَا أَحْيَا

(ش) (فكم) كثير من الزمان (راح) عمل فى الرواح (فى ذات الإله) طاعة الله (وكم غدا) كثير من الزمان عمل فى الغدوّ التى هى البكور ، المراد يعبد مولاه دائما لاخصوصية للوقتين (يقود) يسوق صلى الله عليه وسلم (من استعصى) من طلب أن يعصى الله ويمنعه العصيان إلى الهدى سوق الراعى الماشية إلى المرعى (ويقمع) يقهر (من عدا) شريعته :

* ومن لم يصاحبنا شدهناه شدهة *

(يحاذر) يخاف من الحذار : وهو التنبيه على مكروه ، بحدّ (منه) صلى الله عليه وسلم (البأس) شدة حربه وشجاعته :

* فلما انتهى بأساً أمد بجرأة *

(يلتمس الندى) أى يطلب عطاؤه وجود يمينه (يهاب) يخاف (ولا ليث) أسد

(العرين) مأواه الذى يألفه (إذا بدا) أى يهاب إذا ظهر ، ولا يهاب ليث العرين مثل ذلك إذا بدا « من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه » وفى بعض النسخ إذا عدا : أى يهاب صلى الله عليه وسلم أكثر من هيبة الأسد عند اعتدائه وصولته ، المراد لايتبعه باسل إذا ظهر (ويرجى) صلى الله عليه وسلم (ولا غيث) مطر (الغمام) السحاب (إذا أحيا) يعنى أنه صلى الله عليه وسلم يرجى عطاؤه ولا يرجى غيث الغمام كرجائه إذا أسبل ودقه ، يسمى المطر غيثاً إذا جاء وقت الحاجة ، والحيا إذا أحيا الأرض (ص)

يُرِيحُ مِنَ الْبَلْوَى يُزِيحُ عَنِ الرَّدَى ... يَدُلُّ عَلَى التَّقْوَى يَسُوقُ إِلَى الْهُدَى

يُطِبُّ مِنَ الشَّكْوَى يَصُولُ عَلَى الْعِدَا ... يَفُوقُ الْوَرَى ذَاتاً وَيَسْبِقُهُمْ مَدَى

وَيَبْهَرُهُمْ نُوراً وَيَفْضُلُهُمْ زِيّاً

(ش) (يريح من البلوى) البلية : أى هو صلى الله عليه وسلم يدخل العباد فى الراحة من مشقة البلوى ويدفعها عنهم ، أو يريحهم من شدة يوم القيامة (يزيح عن الردى) أى يبعدهم عن الهلاك : أى يباعدهم عما يرديهم (يدل) صلى الله عليه وسلم الناس (على) عمل (التقوى) :

* معيناً على التقوى مغيثاً على الهلك *

(يسوق) الناس (إلى الهدى) سوق الراعى الماشية إلى المرعى (يطب) يعالج ويبرئ (من الشكوى) من أمراض الأجسام والأرواح (يصول) يستطيل ويثب صلى الله عليه وسلم (على العدا) على أعدائه ليقاتلهم ، وهذه إشارة إلى شجاعته وثبوته عند ملاقاة العدو :

* ثبيت مناط القلب والجو أغبر *

(يفوق) يعلو النبى صلى الله عليه وسلم (الورى) الخلق (ذاتا) حقيقة ، وذات

الشيء : حقيقته وماهيته (و يسبقهم) أى الورى (مدى) غاية . وفى نسخة : ويفضلهم :

* فأحرز خصـــل السبق والـكل خلفه *

أى أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الخلق خَلقاً وخُلقاً (و يبهرهم) يغلب الورى (نورا) إضاءة (و يفضلهم زيا) أى أفضلهم هيئة وحسنا وجمالا ، والمنصوبات : تمييزات وبحسب هذا البيت أن يكتب فى الـكراريس لـكثرة المدح فيه ، حتى قيل إنه سلطان الأبيات فى هذه العشرينيات (ص) :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَسْطَعْ مِنَ الضُّرِّ مَنْفَذَا وَلاَذَ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَتَعَوَّذَا
أَصَابَ مُجِيرًا مِنْ أَذَى الدَّهْرِ مُنْقِذَا يَجُودُ بِلاَ مَنٍّ وَيُغْضِى بِلاَ أَذَى
فَـلِلَّهِ مَا أَحْبَى وَلِلَّهِ مَا أَحْيَا

(ش) (إذا المرء) الإنسان (لم يسطع) من الاستطاعة : أى لم يجد القدرة (من) أجل (الضر) الذى نزل به (منفذا) مخرجا (ولاذ به) صلى الله عليه وسلم : أى التجأ إليه (من بأسه) شدة الضر (وتعوذا) أى تحصن به من ذلك (أصاب) المرء (مجيرا) مخلصا (من أذى) ضر (الدهر) الزمان (منقذا) مخلصا ، وهو توكيد معنوى لمجيرا (يجود) يعطى (بلا منّ) قطع أو نقص ، ومنه: « لاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى » (ويغضى) يعفو ويسامح (بلا أذى) بلا ضر . وفى نسخة : يقضى وهو أولى لإفادته معنيين ، وحمل الشيء على فائدتين أولى من حمله على فائدة (فلله) در (ما أحبى) أعطى (ولله) در (ما أحيا) أى در عطائه شيء عظيم إعطاؤه ، وشيء عظيم إحياؤه للخلق : أى ما أكثر جوده وإحياءه للخلق صلى الله عليه وسلم وشرائعه (ص) :

فَكَمْ تَرْحَةٍ قَدْ ذَادَهَا وَمَعَرَّةٍ وَمِنْ فَرْحَةٍ قَدْ قَادَهَا وَمَسَرَّةٍ
وَكَمْ بُسِطَتْ مِنْهُ لَدَى كُلِّ عُسْرَةٍ يَمِينُ نَوَالٍ تَحْتَ نُورِ أَسِرَّةٍ
فَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالصَّبَاحِ وَبِالسُّقْيَا

(ش) (فكم ترحة) ضد فرحة : أى حزن (قد ذادها) طردها (و) كم من (معرّة) مشقة وأذى قد ذادها : أى كثير منهما قد طردهما (و) كم (من فرحة) فعلة من الفرح (قد قادها) ساق النبى صلى الله عليه وسلم الفرحة وقادها بزمامها إلى الناس (و) كم من (مسرة) سرور عطفها على فرحة لاختلاف اللفظين (وكم بسطت منه) صلى الله عليه وسلم (لدى) عند (كل عسرة) نقيض اليسرة (يمين نوال) عطاء نائب فاعل بسطت على شأن التخميس، وعلى التفرقة خبر لمحذوف : أى له يمين نوال (تحت نور أسرة) هى التكاميش والخطوط فى الجبهة واحدها سرار، وجمع الجمع : أسارير، وكان صلى الله عليه وسلم : « إذا سر بأمر أشرق وجهه وأضاء » . والمعنى : تحت نور أسرّة وجهه (فأهلا وسهلا بالصباح و) أهلا وسهلا (بالسقيا) المراد بالصباح وجهه، و بالسقيا يده صلى الله عليه وسلم، فقولهم : أهلا وسهلا ومرحبا ورحبا جميع ذلك منتصب بفعل لايجوز إظهاره، وذلك الفعل المضمر يكون خبرا ودعاء، فيكون خبرا إذا قلت ذلك لمن قصدك : أى صادفت عندى مرحبا وأهلا : أى من يقوم لك مقام الأهل، وصادفت عندى رحبا وسعة، وإن قلت ذلك لمسافر كان الفعل المضمر دعاء فكأنك قلت : صادفت أهلا ومرحبا : أى ولقاك الله مرحبا، ولقاك الله مقام الأهل، وإنما جعلت العرب هذه الأسماء عوضا من الأفعال لكثرة الاستعمال

(ص) :

فَلِلَّهِ مَدْحٌ فِيهِ كَالْمِسْكِ يَعْبَقُ يُنِيرُ بِهِ فِكْرٌ وَيَعْذُبُ مَنْطِقُ

فَلِلّهِ صَدْرٌ مِنْهُ بِالْعِلْمِ مُشْرِقُ ... يَرَى مَا وَرَاءَ الْغَيْبِ وَالْجَفْنُ مُطْرِقُ

وَلَا عَجَبٌ فَالْقَلْبُ مُمْتَلِئٌ وَعْيَا

(ش) (فلله) العجب أو درّ (مدح فيه) صلى الله عليه وسلم (كالمسك يعبق) يلصق ويلزق ويفوح، من عبق به الطيب: لزق به، أى مدحه صلى الله عليه وسلم يوافق طبع المؤمن وتميل القلوب إليه كميلها إلى رائحة المسك (ينير به) بالمدح (فكر) المداحين، والفكر: اسم للتفكر وهو التأمل (ويعذب) بمدحه (منطق) يحلو الكلام. يعنى: إذا مدحه أحد يسمع الخلق ذلك (ولله) در (صدر) كائن (منه) صلى الله عليه وسلم (بالعلم) وهو معرفة الشىء على ما هو عليه (مشرق) مضىء (يرى) النبى صلى الله عليه وسلم (ما وراء الغيب) أى سر الغيب (و) الحال أن (الجفن) غطاء العين من أعلى وأسفل (مطرق) يقال أطرق الرجل ببصره: إذا أرخى عينيه ونظر إلى الأرض، وتقدم:

* يرى ملكوت العرش وهو بطيبة *

(و) الحال (لا عجب) فى ذلك (فالقلب) أى قلبه (ممتلئ) مشحون (وعيا) حفظا تمييز (ص):

فَأَعْظِمْ بِأَمْرِ الْمُصْطَفَى وَبِشَانِهِ ... يَفِيضُ الْهُدَى مِنْ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ

يُعَرِّفُهُ بِالشَّيْءِ دُونَ عِيَانِهِ ... يَقِينٌ يُرِيهِ الْأَمْرَ قَبْلَ كِيَانِهِ

فَيُمْضِي عَلَى تَحْقِيقِهِ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَا

(ش) (فأعظم) أى ما أعظم (بأمر) شأن (المصطفى) المختار عند الله (و) ما أعظم (بشانه) أمر المصطفى، وأعاد حرف الجر لاختلاف اللفظين (يفيض الهدى) ينبع الرشد (من) خلال (قلبه ولسانه) صلى الله عليه وسلم

(يعرّفه) صلى الله عليه وسلم (بالشيء دون عيانه) دون مشاهدة ذلك الشيء ومعاينته (يقين) فاعل يعرّفه ، وهو العلم وزوال الشك : أي يقين (يريه) يعلمه (الأمر) مفعول ثان ليعرفه ، والأول الضمير (قبل كيانه) حدوثه وأوانه ، والكيان : مصدر كان يكون كوناً وكياناً وكينونة ، وجملة يريه صفة يقين (فيمضى) ينفذ من الإمضاء (على تحقيقه) صلى الله عليه وسلم (الأمر والنهيا) فى ذلك الشيء على ما حققه به (ص) :

أَفَاضَ النَّدَى دِيناً لَهُ وَسَجِيَّةً　　أَتَى بِالْهُدَى قَوْلاً وَفِعْلاً وَنِيَّة

وَفِى كُلِّ بِرٍّ فَاعْتَقِدْهَا قَضِيَّةً　　يَزِيدُ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ مَزِيَّةً

فَقَدَّمَهُ إِجْمَاعًا عَلَيْهِمْ بِلاَ ثُنْيَا

(ش) (أفاض الندى) أكثر الكرم على الناس (دينا) تمييز ، وهو ما يتدين المرء به من الإسلام وغيره ، والطاعة (له وسجية) طبيعة (أتى) جاء النبى صلى الله عليه وسلم (بالهدى) الرشد (قولا) حال أو تمييز (وفعلا ونية) وهى لغة القصد (وفى كل باب فاعتقدها) أى نية (قضية) حكما : أى اعتقد وجوب النية فى حال كونها حكما يحكم بها فى أمر الطاعة قولا وفعلا . قال صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى» الحديث ، رواه البخارى. والاعتقاد : حكم النفس الجازم القابل للتغير ، وهو صحيح إن طابق فاسد إن لم يطابق ، و (يزيد) ينمو (على كل الأنام) المخلوقات (مزية) درجة وفضيلة (فقدمه) صلى الله عليه وسلم (إجماعا) بدليل إجماع الأمة ، وهو لغة العزم والاتفاق . قال تعالى : « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » (عليهم) أى على جميع الأنام ملكا و إنسا وجنا (بلا ثنيا) استثناء و بلا إخراج أحد منهم ، والاستثناء: الإخراج بالا أو بإحدى أخواتها عند النحاة .

(ص) :

تَقَدَّمْ أَجَلَّ الخَلْقِ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ   مَعَالِمُهُ فِى الفَضْلِ أَبْقَى مَعَالِمِ
بِنَاهَا جَلِيلُ القَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ   يَلُوذُ بِهِ فِى الحَشْرِ أَبْنَاءُ آدَمِ
فَيُوسِعُهُمْ بِرًّا وَيُحْسِبُهُمْ رَعْيَا

(ش) (تقدم) وهو جواب الأمر المتقدم فى قوله فقدمه إجماعا ، ويحتمل أن يكون جواب الشرط المحذوف : أى إن تقدمه كما قلت لك تقدم من التقديم ، أو من التقدمة (أجلّ) أعظم (الخلق من) بيانية (كل عالَم) وهو كل موجود سوى الله يقال عالم الجن وعالم الإنس وعالم الملائكة (معالمه) جمع معلم : وهو مايستدل به ، المراد به دلائل نبوته وبراهينه (فى الفضل) فى فضل الله إياه (أبقى) أخلد (معالم) دلائل (بناها) تلك المعالم (جليل) عظيم (القدر) الدرجة والجاه (من) بيانية (آل هاشم) والآل لايستعمل إلا فيما له شرف غالبا فلا يقال آل الإسكاف ، كما يقال أهله (يلوذ به) صلى الله عليه وسلم (فى الحشر أبناء آدم) أى يلجئون إليه ويستترون به من أهوال القيامة ، أبناء آدم فاعل يلوذ (فيوسعهم برا) إحساناً وخيراً ، والضمير لأبناء آدم (ويحسبهم) يكفيهم (رعيا) تمييز (ص) :

سِوَى مُبْغِضِيهِ مِنْ كَفُورٍ وَمُلْحِدٍ   فَهُمْ لِلرَّدَى وَالبُؤْسِ فِى اليَوْمِ وَالغَدِ
وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللهِ فِى كُلِّ مَشْهَدٍ   يَقِينَا الرَّدَى وَالبُؤْسَ حُبُّ مُحَمَّدِ
فَلَسْنَا نَخَافُ الدَّهْرَ أَزْلاً وَلاَ بَغْيَا

(ش) (سوى) غير (مبغضيه) أى مبغضين له (من) بيانية (كفور) أى كثير الكفر (وملحد) مائل عن الحق وهم أهل البدع (فهم) أى المبغضون

وا لمحدون كائنون (للردى) الهلاك (والبؤس) سوء الحال، أو الشدة، أو العذاب (فى اليوم والغد) فيه لف ونشر مرتب : أى فهم للردى فى اليوم والبؤس فى الغد، أو هلاكهم فى الدنيا القتل والأسر وكشف العار ، و بؤسهم فى الآخرة أشد من هذا كله « ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » (ونحن) جمع أنا من غير لفظها : أى نحن أيتها الأمة قائلون (بحمد الله فى كل مشهد) محضر : أى نحن أمته الحامدون لله على كل حال ، ونحن مبتدأ بحمد الله خبره ، أو خبره جملة (يقينا) يحفظنا (الردى) الهلاك (والبؤس) عذاب يوم القيامة (حب محمد) صلى الله عليه وسلم : أى حبه يدفع عنا كل ما يؤذينا من الهلاك وسوء الحال . وعن وهب ابن منبه قال : « كان فى بنى إسرائيل رجل عصى الله مائتى سنة ثم مات ، فأخذوه فألقوه على مزبلة ، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن أخرجه فصلّ عليه ، قال يا رب : بنو إسرائيل شهدوا على أنه عصاك مائتى سنة ، فأوحى إليه هكذا كان ، إلا أنه كان كلما نشر التوراة ونظر إلى اسم محمد صلى الله عليه وسلم قبّله ووضعه على عينيه، فشكرت له ذلك وغفرت ذنوبه وزوجته سبعين حوراء » (فـ) بسبب وقايته لنا (لسنا نخاف الدهر أزلا) ضيقا (ولا بغيا) تعدياً وظلماً (ص) :

دَعَانَا لِمَوْلاَنَا وَحُسْنِ ثَوَابِهِ ... وَذَكَّرَنَا بِالخَيْرِ وَهْوَ لِمَا بِهِ

فَمَا زَالَ فى الدُّنْيَا وَعِنْدَ مَآبِهِ ... يُنِيخُ أُولُو الحَاجَاتِ طُرًّا بِبَابِهِ

فَيَلْقَوْنَ أَمْناً فى المَمَاتِ وَفى المَحْيَا

(ش) (دعانا) نادانا (لمولانا) إلى عبادة مولانا . قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك » الآية (و) بشرنا بـ (حسن ثوابه) أى ثواب مولانا إذا أطعناه ، وأنذرنا بالعقاب إذا عصيناه . قال تعالى فيمن أجاب دعاءه : « أولئك على هدى

من ربهم وأولئك هم المفلحون » وكرر الإشارة تنبيها على اتصافهم بتلك الصفات (وذكرنا) أى وعظنا (بالخير و) الحال (هو لما به) أى والحال أنه صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه، وهو لما به : اسم لسكرات الموت كل من كان فى سكرات تقول له العرب وهولما به : أى فى سكرات الموت. الخير : هو النفع الذى لاضر معه ، والحسن : الذى لاقبح معه (فما زال) النبى صلى الله عليه وسلم (فى الدنيا) اسم الحياة التى نحن فيها (وعند مآبه) مرجعه إلى الآخرة بإحضار أجله (ينيخ) من أناخ الجمل فاستناخ : أبركه فبرك : أى ينزل (أولو الحاجات طرا) جميعا (ببابه) صلى الله عليه وسلم : أى بفنائه (فيلقون) يصادفون (أمنا فى الممات وفى المحيا) بفتح الميمين من الموت والحياة: أى فيصادفون أمانا فى حياته وموته . « من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، حياتى خير لكم، ومماتى خير لكم » الحديث . (ص) :

فَلِلّٰهِ مِنْهُ الْوَجْهُ قَدْ دَلَّ بِشْرُهُ ... عَلَى مَا حَوَى مِنْ رَحْمَةِ الخَلْقِ صَدْرُهُ
وَلِلّٰهِ مِنْهُ الْوَصْفُ قَدْ فَاحَ نَشْرُهُ ... يَطِيبُ عَلَى طُولِ التَّعَهُّدِ ذِكْرُهُ
فَنَنْشَقُهُ مِسْكاً وَنَطْعَمُهُ أَرْيَا

(ش) (فلله منه الوجه قد دل بشره) طلاقته : أى فلله در الوجه حال كونه منه صلى الله عليه وسلم قد دل طلاقة وجهه (على ما حوى) جمع (من رحمة الخلق صدره) قلبه من رحمة المخلوقين :

* هو الرحمة المهداة للكون كله *

(ولله منه الوصف) أى در الوصف، كان الذى منه صلى الله عليه وسلم (قد فاح) تضوع وسطع (نشره) رائحته الطيبة (يطيب) يحلو (على طول التعهد) مع طول

التكرار ، والتعهد : التحفظ بالشيء وتجديد العهد به (ذكره) ثناؤه لايمل مع الملازمة بل يزيد حلاوة :

* فمقداره لا يعلو وتذكاره يحلو *

(فننشقه) نشمه (مسكا) تمييز أو حال أو بدل أو عطف بيان (ونطعمه أريا) عسلا : أى نأكله أو نطعمه عسلا ، لأن الطعم يطلق على الأكل ، ومنه : « فإذا طعمتم فانتشروا » (ص) :

وَلِلهِ مِنْهُ عَطْفُهُ وَسَمَاحُهُ　　وَلِلهِ نَوْمٌ قَدْ نَفَاهُ انْتِزَاحُهُ
صَحِيحٌ مَلِيحٌ جِدُّهُ وَمِزَاحُهُ　　يَهُزُّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ امْتِدَاحُهُ
فَنَفْنَى اشْتِيَاقاً لاَ نَمُوتُ وَلاَ نَحْيَا

(ش) (ولله) حال كونه (منه) صلى الله عليه وسلم (عطفه) شفقته وهو بدل من المبتدأ المحذوف : أى الذى هو درّ أو خبر لمبتدأ محذوف : أى هو عطفه (وسماحه) كرمه وجوده (ولله) در (نوم) أى نوم الناظم الذى يشتاق إلى زيارته وعاقته العوائق (قد نفاه) طرده (انتزاحه) بُعده عن النبى ، أو بعد النبى صلى الله عليه وسلم عنه وعدم الوصول إليه (صحيح مليح) حسن (جده ومزاحه) والجد : ضد الهزل ، والمزاح الدعابة : أى جده صحيح ومزاحه مليح ، أو جده صحيح مليح ومزاحه صحيح مليح. قال فى الشفاء بعد كلام : روى من مزاحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته رضى الله عنهم أجمعين ، وتأكيدا فى تحبيبهم ومسرة نفوسهم، كقوله: «لأحملنك على ابن الناقة . وقوله : للمرأة التى سألته عن زوجها ، أهو الذى بعينه بياض» وهذا كله صدق ، لأن كل جمل ابن ناقة ، وكل إنسان بعينه بياض . وقال صلى الله عليه وسلم : « إنى لأمزح ولا أقول إلا حقا » وجاءته امرأة عجوز فقالت له : اسأل الله أن يدخلنى

الجنة ، فقال يا أم فلان : إن العجوز لاتدخل الجنة فولت وهى تبكى ، فقال أخبروها لا تدخلها وهى عجوز ثم قرأ : إنا أنشأناهنّ إنشاء ، فجعلناهنّ أبكاراً عرباً أتراباً » (يهز) يحرك (قلوب المؤمنين امتداحه) وتقدم :

* فنهتز كالأغصان ماس رطيبها *

(فننحى) أى نذوب (اشتياقا) مفعول لأجله (لانموت) بنزع أرواحنا فنستريح بلقاء محبوبنا فى الآخرة (ولا نحيا) حياة طيبة، أو لانحيا حياة الراحة لعدم اللقاء والوصول إلى القبر (ص) :

لَنَا رَغْبَةٌ فِيـــهِ تُشَابُ بِهَيْبَةٍ وَرُبَّ حُضُورٍ فى مَوَاطِنِ غَيْبَةٍ
وَمَهْمَا رَجَوْنَا الْفَلْحَ مِنْ بَعْدِ خَيْبَةٍ يَهُبُّ عَلَيْنَا الرَّوْحُ مِنْ أَرْضِ طَيْبَةٍ
فَنَهْتَزُّ لِلُّقْيَا وَنَقْنَعُ بِالرَّيَّا

(ش) (لنا) معشر الأمة (رغبة) حب (فيه) صلى الله عليه وسلم (تشاب) تخلط (بهيبة* ورب حضور) أى كثير من حاضرين مع الحبيب بالقلوب (فى مواطن) مواضع (غيبة) فى الأشخاص والصور ؛ ويحتمل أن يكون الحضور ضد الغيبة : أى وكثير من حضور كائن فى أماكن غيبة ، وتقدم :

و إلا فكم من حاضر وهو غائب ولى فيهم قلب وفى الحى صورة

(ومهما رجونا) طمعنا (الفلح) الفوز وقضاء الحوائج (من بعد خيبة) خاب الرجل: إذا لم ينل مطلوبه (يهبّ) من هبت الريح هبوبا : إذا تحركت (علينا الروح) الرحمة أو طيبة الريح ونسيمه (من أرض طيبة) مدينة (فنهتزّ) نتحرك (للقيا) أى للقائنا إياه (ونقنع) من القناعة : وهى الرضا بالشىء اليسير (بالريا) الريح الطيب ، ومنه قول امرئ القيس :

إذا التفتت نحوى تضوّع ريحها نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

(ص) :

إِلَى اللهِ أَشْكُو بَثَّ قَلْبِي وَوَجْدَهُ ‏ لِبُعْدِ حَبِيبٍ لَمْ أَشَأْ قَطُّ بُعْدَهُ

مُنَايَ مِنَ الدَّارَيْنِ لُقْيَاهُ وَحْدَهُ ‏ يَضِيقُ نِطَاقُ الصَّبْرِ عَنْهُ وَبَعْدَهُ

وَهَلْ يَأْلَفُ الإِظْمَاءَ مَنْ يَبْتَغِي الرِّيَّا

(ش) (إلى الله) لا إلى أحد من الناس (أشكو) من الشكاية (بث) نشر (قلبى) فؤادى (و) أشكو إلى الله (وجده) حزنه ، وهذا الكلام معناه منتزع من القرآن ، وهو « إنما أشكوا بثى وحزنى إلى الله» (لبعد حبيب) أى لأجل بعد حبيبى أو حبيب الله ، وهو صلى الله عليه وسلم :

* حبيب لمولاه حبيب لخلقه *

(لم أشأ) أرد (قط بعده) أى لم أرد أن يبعد عنى فيما مضى من الزمان ، يريد ولا فيما بقى من زمانه؛ قيل ناجى موسى عليه السلام ربه وقتاً من الأوقات ، قال يا رب : « جعلتنى كليما وجعلت محمدا صلى الله عليه وسلم حبيبا ، فما الفرق بين الحبيب والكليم ؟ قال الله له : يا موسى الكليم الذى يعمل برضا الله ، والحبيب الذى يعمل الله مايرضى حبيبه ، وقال يا موسى : الكليم الذى يكون صائم الدهر قائم الليل يصوم أربعين يوما و يقوم أربعين ليلة ، ثم يأتى إلى طور سيناء ثم يناجى ربه ، والحبيب ينام فى فراشه فأرسل إليه جبريل عليه السلام فيأتى به فى طرفة عين ، وأبلغه إلى مكان لم يبلغه أحد من المخلوقات» صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم (مناى من الدارين لقياه وحده) حال ، أى ما أتمنى شيئا فى الدنيا والآخرة إلا لقاءه صلى الله عليه وسلم حال كونه منفردا (يضيق نطاق الصبر) والنطاق : ما يشد به الوسط فوق الثياب ، أو ائتزار فيه تكة تلبسه النساء وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة والأسفل يجر على الأرض ، وهو هنا استعار

لقلة الصبر من عدم زيارته والوصول إليه (عنه) عن القلب (و بعده) أى يضيق نطاق الصبر بعد ذلك الحبيب (وهل) لا (يألف) يأنس (الإظماء) بكسر الهمزة : أى العطش (من يبتغى) يطلب (الريا) الشبع الكامل من الماء (ص) :

لَقَدْ مَسَّنَا طُولُ الْفِرَاقِ بِنَصْبِهِ فَصِرْنَا نُحِبُّ الْمَوْتَ ضِيقاً بِكَرْبِهِ
فَيَا لَيْتَنَا مِتْنَا اخْتِرَاماً بِحُبِّهِ يَسِيرٌ عَلَيْنَا الْمَوْتُ فِى جَنْبِ قُرْبِهِ
وَمَنْ قَصَدَ الْمَحْبُوبَ لَمْ يَسْأَلِ الْبُقْيَا

(ش) والله (لقد مسنا طول الفراق بنصبه) بتعبه ومشقته ، أو شره و بلائه ومنه : « لايمسنا فيها نصب » (فصرنا) كنا (نحب الموت) الذى هو الانتقال من دار إلى دار (ضيقا) مفعول له (بكربه) بشدة حزنه (فيا) قوم (ليتنا متنا اختراما) اقتطاعا واستئصالا (بحبه) صلى الله عليه وسلم ، يقال اخترمهم الدهر واستأصلهم ، ونصب اختراما بفعله المحذوف : أى ليتنا متنا واخترمنا الدهر اختراما بسبب حبه مع عدم الوصول ، أو نصب بفعله المذكور إذ هو بمعناه : أى متنا اختراما كما تقول متنا موتا (يسير) سهل هين ، واليسير : القليل (علينا) معاشر العاشقين (الموت) فاعل سد مسد الخبر (فى جنب) طالب أو حق (قربه) صلى الله عليه وسلم كأن قائلا قال له : لم قلت يسير علينا الموت ؟ فأجابه بقوله (ومن قصد المحبوب) أى مشى إلى محبوبه (لم يسأل) يطلب (البقيا) اسم من البقاء : أى من قصد محبوبه لم يطلب البقاء ولم يرده ؛ فإن قيل لِمَ لَمْ يسأل البقاء ولم يطلبه ؟ ، إذ ببقائه يصل إلى زيارته ويتبرك بملامسة ترابه ، والنظر إلى الروضة الشريفة ، فالجواب : أن الموت هو اللقاء لهذا الحبيب (ص) :

فَيَا رَبَّنَا فِى أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ أَمِتْنَا عَلَى تَصْدِيقِنَا بِاصْطِفَائِهِ

فَإِنَّا وَذو الْأَشْوَاقِ يَعْيَا بِدَائِهِ يَشُقُّ عَلَيْنَا الْعَيْشُ دُونَ لِقَائِهِ
إِذَا الدِّينُ لَمْ يَكْمُلْ فَلَا كَانَتِ الدُّنْيَا

(ش) (فيا ربنا) خالقنا ومدبر أمرنا المعبود بحق (فى أرضه وسمائه) كما قال: «وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله» أى المعبود فيهما، وقد جرت عادة الشيوخ إذا فرغوا من التصانيف أو التأليف نظماً ونثراً، جعلوا آخر ذلك ذكر الموت لأنه مأوى كل من له حياة، ولذلك دعا الشيخ رحمه الله بالموت على الإيمان متوسلا بحرمة المختار عليه الصلاة والسلام مدى الأزمان (أمتنا على تصديقنا) إيماننا (باصطفائه) أى بحرمة اختيار الله إياه، وهو من باب إضافة المصدر لمفعوله (فإنا) أصله إننا (وذو) صاحب (الأشواق) جمع شوق: وهو الحب (يعيا) يعجز (بدائه) بمرضه، وجملة وذو الأشواق معترضة بين اسم إنّ وخبرها وهو (يشقّ) يصعب (علينا العيش) الحياة (دون لقائه) صلى الله عليه وسلم (إذا الدين لم يكمل) يتم (فلا كانت) وجدت (الدنيا).

يعنى: أنه إذا لم يكمل الدين بحج بيته وزيارة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم فلا وجدت الدنيا ولا كانت. أو المعنى: إذا الدين لم يكمل الخ من حصل من قواعد الإسلام الخمس الأربع، وله القدرة فلم يحج فلا كانت الدنيا، وقوله: الدين فاعل لفعل محذوف واجب الحذف يفسره الفعل المذكور.

إلى هنا انتهى حرف الياء، وبانتهائه انتهى الكتاب بأمكن اختصار ضحوة يوم الاثنين التاسع من ثانى الربيعين الذى هو من سنة ست وستين بعد ثلاثمائة وألف.

قال الفقير الحقير خديم نعال الرجال سيدى (الحاج محمد غِبرِيمَ) التجانى عامله الله بلطفه والمسلمين : قد منّ الله تعالى علىّ بإتمام هذا الكتاب الموسوم « بالنوافح العطرية » المختصرة من النفحة العنبرية ، وأخذت زبدها ودررها ، واقتطفت ثمرها ، على أننى لا أباهى بشرط البراءة من كل عيب ، ولا قلت إنه جمع سلامة ، كيف والبشر محل النقص بلا ريب .

ولله در القائل حيث قال :

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
سوى محمـــد الذى عليـــه جبريل هبط

فإن ظفرت بفائدة شاردة فادع لى بالتجاوز والمغفرة ، أو بزلة قلم أو لسان أو تصحيف ووهم ، فافتح لى باب المعذرة ولا بد من عيب ، وإن تجده فسامح ، ولا تبحث عن العيوب ، فإنى لست بعربى ولا ممن يعرف النحو، ومن أقام العذر أسقط عنه اللوم . قال قائلهم :

إذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه وكل امرئ لايقبل العذر مذنب

نسألك اللهم كما مننت علينا بإتمام هـذا الكتاب ، أن تتم وتكمل لنا بالقبول وتعميم نفعه ، وتجعلنا من السابقين الأولين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأن تنظمنا فى جملة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأن لاتخيب آمالنا ، فأنت الجواد الكريم الذى لايخيب ولا يخذل من انقطع عمن سواك .

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادى إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ، صلاة تملأ الأزل والأبد زماناً ومكاناً، مضروبة فى كل عدد ، بعدد ما فى علمك يا واحد يا أحد . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

ألحقنا بهذا المختصر ثلاث قصائد ، للشارح محمد غبريم ، عامله الله باللطف والفضل والتكريم ، تتميا للفائدة وإتحافا للإخوان .

القصيدة الأولى المسماة : « سعد السعود فى مدح سيد الوجود » ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على السيد الفاتح الخاتم الناصر الهادى إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

عَجَباً لِقَلْبٍ لاَ تَزَالُ هُمُومُهُ تَنْمُو وَتَرْسَخُ فى الضَّلاَلِ نُجُومُهُ
مِنْ شَوْقِ لَيْلَى وَالرَّبَابِ وَزَيْنَبٍ وَسُعَادَ وَالصَّاحِى[1] يَطِيبُ نَعِيمُهُ
حَتَّى أَطَاعَ الْوَجْدَ فِيهِ جَنَانُهُ[2] وَعَصَى الْعَوَاذِلَ جَهْرُهُ وَكَتُومُهُ
مُسْتَوْلِياً كُلَّ الْقُوَى مُسْتَهْلِكاً حَتَّى تَلاَشَى[3] لِلْهُيَامِ رَمِيمُهُ
يَبْكِى بُكَاءَ ثَوَاكِلٍ وَنَوَادِبٍ حَتَّى يَسِيحَ بِخَدِّهِ لُهْمُومُهُ[4]
وَلَكَمْ لِصَبٍّ هَائِمٍ سَهِرٍ صَدًى فَيَزِيدُهُ شَجْوًا وَهَزَّ رَمِيمُهُ[5]
يَا حَاكِياً أَخْبَارَ عُشَّاقٍ خَلَوْا قُلْ قَدْ تَخَلَّفَ بَعْدَ كُمْ مَكْلُومُهُ[6]
بَلِّغْ كَلاَماً أَعْرَبَتْهُ مَدَامِعِى تَجْرِى الشُّئُونُ[7] وَلاَ يَزُولُ دُيُومُهُ[8]
تَرْوِيهِ عَنْ قَلْبٍ وَعَنْ مُهَجٍ وَعَنْ عِشْقٍ حَوَاهُ وَالضَّلاَلُ نَدِيمُهُ

(١) عن الشوق . (٢) قلبه . (٣) اضمحل وتفرق .
(٤) أصل اللهموم : السحاب الغزير القطر ، والمراد هنا الدموع .
(٥) رمقه البائس . (٦) المجروح الذى جرحه الشوق .
(٧) جمع شأن : محل جريان الدموع . (٨) جمع ديم : وهو المطر الدائم

عَنْ ذَلِكَ الْحُبِّ الْقَدِيمِ لِمَنْ هُمُ ... أَقْوَاتُ رُوحِي فَالْوُصُولَ أَرُومُهُ(١)
ولَتَسْأَلَنَّ أَحِبَّتِي بِتَلَطُّفٍ ... وَتَوَدُّدٍ حَتَّى تُحَصِّلَ لِيمَهُ(٢)
حَيَّا الْإِلَٰهُ أَحِبَّتِي وَسَقَاهُمُ ... مُزْناً يَجُودُ بِوَدْقِهِ مَرْكُومُهُ
يَحْيَا بِهِ الرَّبْعُ الجَدِيدُ وَلَمْ يَزَلْ ... حَيًّا يَمِيسُ بِغُصْنِهِ تَرْخِيمُهُ
عَجَباً لِصَبٍّ كَيْفَ كَانَ يَهُمُّهُ ... هَجْرُ الْمُحِبِّ وَأَحْمَدٌ مَأْمُومُهُ(٣)
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا بَدْرٌ بَدَا ... وَتَلَتْهُ شَمْسٌ فِي الْبَدَا وَنُجُومُهُ
أَمْ كَيْفَ يَغْرَثُ(٤) بَالُهُ(٥) جَهْلاً لِمَا ... شَرَعَ الْإِلَٰهُ وَمِنْهُمُ تَعْلِيمُهُ
أَمْ كَيْفَ يَجْهَلُ قَلْبُهُ وَلَدَيْهِمُ ... أُمُّ الْكِتَابِ مُمَوَّجاً تَيْمِيمُهُ(٦)
أَمْ كَيْفَ يَعْوَجُّ دِينُهُ مُتَحَيِّرًا ... حِلْفَ الضَّلَالِ وَمِنْهُمُ تَقْوِيمُهُ
شَمْسٌ عَلَى فَلَكِ الْكَمَالِ مُضِيئَةٌ ... بَدْرٌ عَلَى فَلَكِ الْعُلَى دَيْمُومُهُ(٧)
حَبْرٌ عَلَى عِلْمِ الْإِلَٰهِ مُعَلَّمٌ ... فَاللَّوْحُ يَنْفُذُ مَا نَفَاهُ(٨) نَهِيمُهُ(٩)
بَلْ هُوَ رُوحُ الْكَوْنِ بَلْ هُوَ عَيْنُهُ ... إِنْسَانُهَا هُوَ حَيُّهُ قَيُّومُهُ
أَوْجُ التَّعَاظُمِ مَرْكَزُ الْعِزِّ الَّذِي ... لِجَنَابِ كَعْبَتِهِ الْأَنَامُ تَحُومُهُ
وَالْكُلُّ مِنْهُ كَائِنٌ وَبِوَضْعِهِ ... قَامَ الزَّمَانُ وَغَابَ عَنْهُ نُجُومُهُ
هُوَ مَرْكَزُ التَّشْرِيعِ وَهْوَ جَدِيرُهُ ... هُوَ بَحْرُ عِلْمِ أُلُوهَةٍ وَهَمُومُهُ(١٠)

---

(١) أطلبه وأرومه . (٢) صلحه وسلمه .
(٣) مقصوده ومراده . (٤) يجوع .
(٥) قلبه . (٦) تبحيره . (٧) صحراؤه الواسعة .
(٨) تكلمه . (٩) لسانه : أصله الصوت .
(١٠) هو البئر الكثيرة الماء .

تَعْنُو لِمَنْصِبِهِ المَنَاصِبُ كُلُّهَا　　إِذْ كُلُّ فَضْلٍ حَاطَهُ إِقْلِيمُهُ
وَلَهُ الرِّسَالَةُ بِالأَصَالَةِ مُطْلَقاً　　فَالْغَيْرُ مُغْتَرِقٌ بِهِ فَيَعُومُهُ
فَهُوَ الرَّسُولُ إِلَى الأَنَامِ جَمِيعِهِ　　كُلَّ العُصُورِ وَنَابَ عَنْهُ زَعِيمُهُ
فَالأَنْبِيَا مِنْ قَبْلِهِ نُوَّابُهُ　　كَالأَوْلِيَاءِ وَخَصَّهُمْ تَكْرِيمُهُ
وَبِهِمْ عَنِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ قَدِ اكْتَفَى　　كُلُّ الأَنَامِ لِأَنَّهُمْ لُمْلُومُهُ(١)
مَنْ ذَا الَّذِى(٢) كَانَ النَّبِيَّ وَآدَمٌ　　مِنْ بَيْنِ طِينٍ وَالْمِيَاهِ قَمِيمُهُ(٣)
وَلَكَمْ لَهُ مَجْدٌ تَلِيدٌ فِى الْعُلَى　　وَطَرِيقَةٌ فَاقَتْ فَبَانَ وُسُومُهُ
وَلَكَمْ لَهُ فِى كُلِّ عَصْرٍ مَوْقِفٌ　　وَلَهُ عُلُوٌّ خَرَّ عَنْهُ نُجُومُهُ
وَأَتَى انْكِسَارَ الدَّهْرِ يَجْبُرُ صَدْعَهُ　　جَبْرًا تَعَذَّرَ هَيْضُهُ(٤) وَكُلُومُهُ(٥)
وَأَطَاعَهُ دَهْرٌ فَتَمَّ نَقِيصُهُ　　وَأَفَاقَ فِيهِ عَلِيلُهُ وَسَقِيمُهُ
ذَاكَ الرَّسُولُ الأَبْطَحِيُّ مُحَمَّدٌ　　ذَاكَ الَّذِى يَعْنُو إِلَيْهِ زَوِيمُهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ قَدْرَ جَلَالِهِ　　فِى كُلِّ لَمْحٍ كَالسَّلَامِ يُدِيمُهُ
وَإِذَا أَرَدْتَ سَمَاعَ آيَاتٍ لَهُ　　فَاصْغَ لِمَا يَتْلُو بِهِ قُرْذُومُهُ(٦)
أَللهُ بَايَنَ أَمْرَهُ لِيَخُصَّهُ　　بَيْنَ الْبَرِيَّةِ إِذْ بِهِ تَكْرِيمُهُ
إِنْ قِيلَ أُمِّيٌّ فَمَدْحٌ بِالْعُلَى　　وَلِغَيْرِهِ سَبٌّ جَلَا تَذْنِيمُهُ(٧)

---

(١) زمرته وجماعته .
(٢) هو القائل حين قيل له متى كنت نبيا ؟ قال : « كنت نبيا وآدم بين الطين والماء » .
(٣) مجندل مطروح .　　(٤) كسره بعد الجبر .
(٥) جروحه .　　(٦) هو الشاعر الدون
(٧) عيبه ولؤمه .

فى شَقِّ صَـدْرٍ مِنْهُ طَابَ حَيَاتُهُ ‏ ‏ ‏ وَلِغَيْرِهِ مَوْتٌ يَزُولُ نَعِيمُهُ

وَإِذَا أَرَدْتَ تَتَبُّعًا بِخِصَـالِهِ ‏ ‏ ‏ فَالْمُلْكُ عَلَى النَّهْجِ فِيهِ عَمِيمُهُ

نَاهِيكَ رَدُّ الشَّمْسِ بَعْدَ غُرُوبِهَا ‏ ‏ ‏ وَالشَّمْسُ تَنْكِصُ قَهْقَرَى وَتَعُومُهُ

وَأَطَاعَهُ قَمَرٌ وشُـقَّ مُطَاوِعًا ‏ ‏ ‏ وَالْبَدْرُ أَقْوَى أَنْ تَشَقَّ جُرُومُهُ(١)

وَأَظَـلَّهُ غَيْمٌ لِحَرِّ هَجِيرَةٍ ‏ ‏ ‏ وَالصَّخْرُ لَانَ لَهُ ودَانَ خَصِيمُهُ

ولَـكَمْ أَطَاعَ أُمُورَهُ الْعَجْمَاءُ والْـ ‏ ‏ ‏ أَشْجَارُ وَالْعَـاتِى تَدُومُ شُئُومُهُ

ولَـكَمْ تَفَجَّرَ مِنْ يَدَيْهِ عُيُونُ مَا ‏ ‏ ‏ وَالْأَيْدِ أَدْمَى أَنْ يُصَبَّ رَذُومُهُ

كَمْ ضَرْعِ شَاةٍ دَرَّ بَعْدَ جَفَافِهَا(٢) ‏ ‏ ‏ ورَبَا(٣) نُضَارٌ(٤) حِينَ حَانَ نُجُومُهُ

كَمْ مِنْ نَخِيـلٍ غُرِّسَتْ بِيَمِينِهِ ‏ ‏ ‏ وبِعَامِهِ ثَمَرَتْ وَجَا عُرْهُومُهُ(٥)

ولَرُبَّ ضِلِّيلٍ هَـدَاهُ دُعَاؤُهُ ‏ ‏ ‏ وبِهِ غَوِىٌّ يَهْتَدِى وَيُقِيمُهُ

ولَـكَمْ مَرِيضٍ صَحَّ حِينَ دَعَا لَهُ ‏ ‏ ‏ ولَـكَمْ جَرِيحٍ صَحَّ مِنْهُ وُصُومُهُ

ولَـكَمْ صَحِيحٍ عُلَّ حِينَ دَعَا عَلَيْـهِ ‏ ‏ ‏ وحَـلَّهُ مَـكْرُوهُهُ وسُمُومُهُ(٦)

ولَـكَمْ طَعَامٍ قَلَّ أَشْبَعَ مَعْشَرًا ‏ ‏ ‏ وسَـقَاهُمُ مَاءٌ يَقِلُّ سُجُومُهُ

ولَـكَمْ تَكَلَّمَ جِذْعُ نَخْلٍ عِنْدَهُ ‏ ‏ ‏ والجِذْعُ أَجْمَدُ أَنْ يَفُوهَ نَهِيمُهُ(٧)

ولَـكَمْ أَتَتْهُ غَزَالَةٌ بِشِكَايَةٍ ‏ ‏ ‏ والضَّبُّ فى النَّادِى بَدَا تَـكْلِيمُهُ

ولَـكَمْ جِبَالٍ سَلَّمَتْهُ تَحِيَّةً(٨) ‏ ‏ ‏ والصَّلْدُ أَصْمَتُ(٩) أَنْ نَعَى وزَمُومُهُ

---

(١) جمع جرم : وهو الجسد .
(٢) يبسها .
(٣) زاد .
(٤) هو الخالص .
(٥) عرجونه .
(٦) جمع سم .
(٧) لسانه : أصله الموت .
(٨) مصدر معنوى .
(٩) المصمت : الذى لاجوف فيه .

وَلَكَمْ ذِرَاعِ سُمَّ أَخْبَرَهُ بِمَا ... قَدْ كَانَ مِنْ سِحْرٍ وَبَانَ ذُمُومُهُ(١)
وَلَكَمْ دَعَا مُسْتَسْقِياً وَلَكَمْ دَعَا ... مُسْتَصْحِياً وَلَهُ السَّمَاءُ تَغِيمُهُ
وَلَهُ خِصَالٌ(٢) لاَ تُعَدُّ لِحَاسِبٍ ... لاَ سِيَّمَا الإِحْصَاءُ حَارَ زَعِيمُهُ
عُقِدَ اللِّوَا لِمُحَمَّدٍ وَبِوَصْفِهِ ... قَامَ الدُّهُورُ وَلَمْ يَزُلْ تَفْخِيمُهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا دَامَ الرِّضَى ... عَدَّ الشُّئُونِ(٣) وَمِثْلُهَا تَسْلِيمُهُ
وَأَتَى الْوَرَى بِشَرِيعَةٍ فِي فَتْرَةٍ ... وَالنَّاسُ ضُلاَّلٌ عَلاَهُمْ عَرِيمُهُ(٤)
وَأَجَارَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا قَدْ شَانَهُمْ(٥) ... فَأَنَارَ دَهْرًا مِنْ ظَلاَمٍ يَضِيمُهُ(٦)
وَأَتَى بِوَقْتِ السَّعْدِ فِي غِبِّ الْمَدَى(٧) ... يَلْقَاهُ سَعْدٌ وَالْمَعَالِي تَرُومُهُ(٨)
وَإِذَا أَرَادَ الْأَمْرَ فِي كَوْنٍ جَرَى ... وَفْقَ الْمُرَادِ وَمَالَهُ تَهْزِيمُهُ
كَانَتْ لَهُ هِمَمٌ تَفَانَتْ جَنْبَهَا ... هِمَمُ الدُّهُورِ وَمَا بِذَاكَ وُهُومُهُ(٩)
وَلَكَمْ لَهُ مِنْ هِمَّةٍ بَعْدَ الدُّنَا ... رَوْمَ الشَّفَاعَةِ فِي مَقَامٍ يَقُومُهُ
وَلِسَانُ فَضْلٍ مِنْهُ قَالَ أَنَا لَهَا ... وَأُجِيرُ كُلَّ مُوَحِّدٍ وَأَسُومُهُ(١٠)
وَكَسَتْهُمُ ثَوْبَ الصَّغَارِ مَخَافَةٌ ... تَسَعُ الْخَلاَئِقَ دُونَهُ فَتَشِيمُهُ
إِذْ أَنْجَبَتْهُ أَمِينَةٌ فِي لَيْلَةٍ ... جَلَّتْ بِهِ نُورًا وَسَرَّ بَرِيمُهُ(١١)
فَتَرَاءَتِ الْأَرْجَا تَدَلَّتْ أَنْجُمٌ ... كَالْآلِ يُدْنِي مَا نَأَى وَيُصِيمُهُ(١٢)

---

(١) عيوبه . (٢) معجزات .
(٣) جمع شأن : وهو الأمر . (٤) وهو الداهية .
(٥) عابهم . (٦) يظلمه . (٧) آخر
(٨) تطلبه . (٩) جمع وهم .
(١٠) أخلصه وأنجيه من كل خوف . (١١) صبحه
(١٢) ينصبه على رأى العين .

وَلَهُ الطَّهَارَةُ فِى الْوِلاَدَةِ وَالنَّقَا وَلَهُ النَّجَابَةُ صَانَهَا تَنْعِيمُهُ
وَرَبَا يَتِيماً وَالإِلٰهُ يَرُبُّهُ(١) مُتَدَرِّجاً بِالخَيْرِ طَابَ جَمِيمُهُ(٢)
وَفُؤَادُهُ شُـــقَّ وَأُخْرِجَ مُضْغَةٌ سَوْدَاءُ وَاسْتَخْلَى وَطَابَ نَعِيمُهُ
فَعَلَيْهِ مَنَّ اللهُ فِى طَوْرَاتِهِ وَلِذَاكَ بَاشَرَ جِـــبْرَئِيلُ نَدِيمُهُ
وَحَشَاهُ(٣) تَوْحِيـدًا وَعِلْمَ سِيَاسَةٍ وَجَمِيـعَ حُـكْمٍ وَالْعُلُومُ عُلُومُهُ
فَلِذَاكَ مَا إِنْ ضَلَّ قَطُّ وَمَا غَوَى وَالنُّطْقُ عَنْ أَهْوَا نَفَتْهُ حُلُومُهُ(٤)
حَتَّى أَتَاهُ الْوَحْىُ وَهْوَ مُقَـــدَّسٌ لَمْ يُدْنِهِ غَاوٍ وَلاَ تَسْخِيمُهُ(٥)
مَا كَانَ يَجْحَدُ فَضْـلَهُ إِلاَّ غَبِى أَوْ جَاهِلٌ غِمْرٌ تَوَجَّ جَحِيمُهُ
وَدَرَى أَمَانَتَـــهُ أُنَاسُ زَمَانِهِ مُذْ كَانَ طِفْلاً هٰـكَذَا تَقْوِيمُهُ
وَلَـكَمْ تَبَيَّنَ وَقْتَ مَوْلِدِ أَحْمَدٍ مِنْ آيَةٍ تُغْنِى وَأُسِّسَ كُومُهُ(٦)
مِنْهَا لِسَاوَةَ فِيـــهِ غَيْضُ بِحَارِهَا وَلِقَيْصَرٍ فِيـــهِ تُشَقُّ أُطُومُهُ
وَلَـكَمْ لِفُرْسٍ أُخْمِدَتْ نِيرَانُهُمْ وَهَلاَكُ أَبْرَهَةٍ كَذَا عَيْشُومُهُ(٧)
حُرِسَ السَّمَاءُ بِأَنْجُمٍ وَمَلاَئِكٍ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ طَمَا(٨) يَحْمُومُهُ(٩)
وَبِحَارُ دُنْيَا(١٠) صِرْنَ حُلْوًا سَائِغاً لَبَنًا يَـلَذُّ طُعُومُهُ وَنَسِــيمُهُ

---

(١) يصلح أمره . (٢) أصله . (٣) ملأه .
(٤) جمع حلم : وهو العقل . (٥) أغصانه . (٦) تعظيمه .
(٧) فيله . (٨) ارتفع . (٩) دخانه .
(١٠) قال الناظم وسبب نظمى هذه القصيدة أنى رأيت بين النوم واليقظة إنسانا لم أعرفه فقال له : لم أدر أن أهل السير والأخبار والمحدثين جهلوا أم تجاهلوا ، نسوا أم تناسوا أن محمد ابن عبد الله أخى أبى طالب حين ولد صارت بحار الدنيا لبنا خالصا سائغا إلى أن مضت تلك الساعة =

وَإِذَا تَوَلَّى فَاسْتَبَانَ أُجَاجُهَا ... حَتَّى اسْتَدَارَ زَمَانُهُ وَمَرُومُهُ
وَهَلُمَّ جَرًّا إِنْ أَتَى الْيَوْمُ الَّذِى ... فِيهِ الْوِلَادَةُ طَابَ فِيهِ طُعُومُهُ
لَمَّا أَتَى أُمَّ الْقُرَى بِرِسَالَةٍ ... قَالُوا جَمِيعاً مَا لَنَا مَفْهُومُهُ
فَدَعَاهُمُ جَفْلَى (١) وَلَمَّا يَنْتَقِرْ ... وَإِلَى الْقِيَامَةِ ضَمَّهُمْ تَعْمِيمُهُ
فَدَعَا الْإِلٰهَ بِأَنِّى الْمَغْلُوبُ فَانْتَصِرَنَّنِى ... فَدَحَاهُمُ حَاطُومُهُ (٢)
وَلِنَفْسِهِ لَمْ يَنْتَصِرْ لٰكِنَّهُ ... نَصَرَ الْإِلٰهَ وَمَا بِذَا تَلْوِيمُهُ
بَحْرٌ يَخِفُّ عَلَيْهِ كُلُّ سَفِينَةٍ ... لَمْ يُعْنِهِ (٣) عَبْرٌ وَلَا تَعْرِيمُهُ (٤)
وَإِذَا الدِّلَاءُ تَسَابَقَتْ فِى مَغْرَقٍ ... مَلَأَ الْجَمِيعَ وَمَا تَكَدَّرَ خِيمُهُ (٥)
فَتَوَدَّ طَوْدٌ صَبْرَهُ وَسُكُونَهُ ... فَالطَّوْدُ يَهْوِى (٦) وَالْحَلِيمُ حَلِيمُهُ
لَمَّا أَرَادَ اللّٰهُ دَوْمَ ثَنَائِهِ ... أَسْرَى بِهِ لَيْلاً يَطِيبُ نَسِيمُهُ
مِنْ مَكَّةٍ حَتَّى انْتَهَى الْأَقْصَى الَّذِى ... فِيهِ الْعَجَائِبُ وَالصَّفَا وَرُسُومُهُ
حَمْلاً عَلَى ظَهْرِ الْبُرَاقِ مُعَظَّماً ... لِلْمُنْتَهَى الْأَعْلَى يَعِزُّ نُجُومُهُ
وَهُنَاكَ جِبْرِيلٌ تَأَخَّرَ وَاقِفاً ... وَعَلَا عُلُوًّا مَا عَلَاهُ أَنِيمُهُ

= ثم تصير ملحا أجاجا إلى أن استدار الزمان إلى تلك الساعة، ثم تصير لبنا خالصا سائغا هكذا إلى هلم جرا إلى انقضاء الدنيا ، وإن أردت أن تمدح النبي صلى الله عليه وسلم فاجعل هذه المعجزة في القصائد وقد كنت قبل ذلك مشتغلا بمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيت في عجائب المخلوقات للقزويني : أن في اليوم السادس من كانون الثانى ساعة تصير فيها المياه المالحة عذبة ، هل هى هذه الساعة أم لا ، والله أعلم .

(١) وهى الدعوة العامة ، والنقرى عكس ذلك . (٢) خطمه وجدبه .
(٣) ثقل . (٤) خلطه . (٥) طبيعته وشيمته .
(٦) يخر .

حَتَّى دَنَا مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الْعُلَى ... زَادَ الدُّنُوَّ وَعَظَّمَهُ تَكْرِيمُهُ
وَرَأَى وَشَاهَدَ ذَا الجَلَالِ بِعَيْنِهِ ... مَا زَاغَ مِنْهُ الطَّرْفُ وَهْوَ حَمِيمُهُ(١)
أَدْرَاهُ أَحْوَالَ الْوَرَى وَعُلُومَهُمْ ... قَدْ سَادَهُمْ كُلاًّ وَفَاضَ عُلُومُهُ
أَكْرِمْ بِهِ نُورًا وَأَصْبَحَ مُتْحَفًا ... كُلَّ المَعَارِفِ وَالْإِلٰهُ عَلِيمُهُ
حَتَّى يَنَالَ الْغَايَةَ الْقُصْوَى الَّتِي ... مَا فَوْقَهَا عُلْوٌ وَلَا دَيْمُومُهُ(٢)
وَأَتَى لِمَكَّةَ وَالسَّعَادَةُ لِبْسُهُ ... قَبْلَ الصَّبَاحِ وَمَا يَهُبُّ مَنُومُهُ
وَهُوَ الَّذِي طَلَبَ الْكَلِيمُ مَقَامَهُ ... فَانْدَكَّ طُورُ النَّيْلِ فَازَ حَلِيمُهُ
وهُوَ الَّذِي سَفَرَ اللِّثَامَ فَأَطْرَقَتْ ... مُقَلُ الْأَنَامِ وهَابَهُ حَيْزُومُهُ(٣)
وَهُوَ الَّذِي طَمَعُ الْوَرَى مُتَقَاصِرٌ ... عَنْ نَيْلِ رُتْبَتِهِ بِهَا تَقْدِيمُهُ
شَمْسٌ تَسَتَّرَ حَوْلَهَا إِذْ مَا بَدَتْ ... كُلُّ الْكَوَاكِبِ إِذْ بِهَا تَسْنِيمُهُ(٤)
وهُوَ الَّذِي قَدْ خُطَّ فِي الْعَرْشِ اسْمُهُ ... وصِفَاتُهُ وَنُعُوتُهُ وَرُسُومُهُ
وَهُوَ الَّذِي جَاءَ الْمَسِيحُ مُبَشِّرًا ... بِقُدُومِهِ الْمَرْضِيِّ فَازَ خَدِيمُهُ
يَا مَنْ يَرَى مِنْ خَلْفِهِ كَأَمَامِهِ ... يَا مَنْ يَعِزُّ بِمَدْحِهِ كُثْمُومُهُ(٥)
يَا مَنْ شَرِيعَتُهُ لِكُلِّ شَرِيعَةٍ ... نَسَخَتْ وَدَامَتْ فِي الْعَلَاءِ نُجُومُهُ
وَجَمِيعُ آيَاتِ النَّبِيِّينَ انْقَضَتْ ... وَكِتَابُهُ بَاقٍ رَعَاهُ عَلِيمُهُ
نَصَرَ الْإِلٰهُ مُحَمَّدًا بِمَسِيرَةِ الشَّهْرِ الْكَمِيلِ وحَاطَهُ تَعْظِيمُهُ

---

(١) حبيبه وصفيه . (٢) صحراؤه وفلاته .
(٣) صدره وقلبه . (٤) ترفيعه . (٥) بليده .

صَلّى عَلَيْهِ اللهُ مَا دَامَ الْعُلَى ... وَتَجَلَّتِ الأَسْمَاَ وَدَامَ غُيُومُهُ
وَالأَرْضُ قَدْ جُعِلَتْ طَهُورًا مَسْجِدًا ... وَلِرُمْحِهِ لِلنَّصْرِ حَلَّ غَنِيمُهُ
وَهُوَ الَّذِى ذَكَرَ الحَصَى بِيَمِينِهِ ... وَلَهُ فُؤَادٌ لاَ يَنَامُ رَقِيمُهُ
نُورٌ تَكَوَّنَ قَبْلَ نَشْأَةِ آدَمٍ ... صَحَّتْ نُبُوَّتُهُ وَقَامَ رُسُومُهُ
وَرَآهُ جِبْرِيلٌ مُنِيرًا طَالِعاً[1] ... قَدْ ظَنَّهُ نَجْماً وَبَانَ نَدِيمُهُ
وَالْمُنْتَهَى يُدْنَى إِلَيْهِ وَيَنْجَلِى ... كُلُّ الغُيُوبِ لَهُ وَنَارَ صَرِيمُهُ
يَا كَامِلَ الذَّاتِ وَيَا حَسَنَ الثَّنَا ... يَا مُحْسِناً عَمَّ الأَنَامَ نَعِيمُهُ
يَا مَنْ تَنَزَّهَ فِى عُلاَهُ وَسَبْقِهِ ... يَا مَنْ يُبِينُ بِمَدْحِهِ زُعُومُهُ
وَصُنُوفُ لُغَاتِ الْوَرَى مَحْصُورَةٌ ... إِنْ رِيمَ[2] مَدْحُكَ فَالْقُصُورُ يُصِيمُهُ[3]
قَدْ حُزْتَ مِنْ جِنْسِ الفَضَائِلِ وَالْعُلَى ... مَا قَدْ تَعَذَّرَ لِلْوَرَى تَقْدِيمُهُ
فَلَكَ التَّصَرُّفُ وَالتَّحَكُّمُ وَالْغِنَى ... فِى أَجْمَعِ الدَّارَيْنِ قَدَّ[4] صَرُومُهُ[5]
وَلَكَ الإِحَاطَةُ بِالْعَوَالِمِ كُلِّهَا ... شَهِدَتْ بِمُكْنَتِهِ الْوَرَى وَزُمُومُهُ[6]
أَنْتَ الَّذِى طَرَزَ الأَنَامَ جَمَالُهُ ... وَجَلاَلُهُ وَكَمَالُهُ وَقُدُومُهُ

---

(١) أشار بقوله : ورآه جبريل منيرا طالعا ... قد ظنه نجما . . .

إلى ما رواه صاحب التشريفات عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام فقال له ياجبريل : كم عمرت من السنين ؟ فقال لا أدرى غير أنى عرفت كوكبا يظهر فى الحجاب الرابع كل اثنين وسبعين ألف سنة مرة فرأيته اثنين وسبعين ألف مرة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وعزة ربى أنا كنت ذلك الكوكب » فاذا ضربنا عدة المرائى فى عدد السنين بلغ خمسة آلاف ألف ألف ومائة ألف سنة وثمانين ألف ألف سنة هذا عدد سنى النبى صلى الله عليه وسلم قبل خلق الخلق اه .

(٢) إن أريد وطلب . (٣) يسكته ويصمته . (٤) قطع .
(٥) سيفه القاطع . (٦) خياره .

أَنْتَ الَّذِى لَوْلاَكَ لَمْ يَبْدُ الْوَرَى ... أَبَدًا وَدَامَ بِغَيْبِهِ مَعْــدُومُهُ
يَا مَنْ يَمُنُّ وَلاَ يُمَنُّ عَلَيْهِ يَا ... مَنْ فَضْلُهُ عَمَّ الْوَرَى وَعُلُومُهُ
يَا مَنْ جَرَى الْمَاءُ النَّمِيرُ بِرَاحِهِ ... أَشْرِبْ فُؤَادِى مِنْ عُلُومٍ تَقِيمُهُ(١)
فَامْنُنْ عَلَىَّ بِرُؤْيَةٍ يَحْيَا بِهَا ... كُلِّى وَبَعْضِى فَالصَّلاَحَ أَرُومُهُ
فَإِذَا اعْتَنَيْتَ بِكُلِّ أَمْرٍ حَائِدٍ ... صَارَ السَّوَاءَ وَصَحَّ مِنْهُ سَقِيمُهُ
وَإِذَا اعْتَنَيْتَ عَلَى فُؤَادٍ جَاهِلٍ ... فَاضَ الْعُلُومُ بِهِ وَرَاجَ(٢) فُهُومُهُ
وَإِذَا فَتَحْتَ حِجَابَ قَلْبٍ بِالْهُدَى ... قَامَ الْعُيُونُ بِهِ وَفُكَّ عُكُومُهُ(٣)
وَإِذَا تَفَلْتَ عَلَى مِيَاهٍ مُرَّةٍ ... صَارَتْ فُرَاتًا وَاضْمَحَلَّ(٤) وَخِيمُهُ(٥)
وَإِذَا رَدَدْتَ بِأَعْيُنٍ مَفْقُوءَةٍ ... صَارَتْ تَحِدُّ وَمَا بِهَا تَبْلِيمُهُ(٦)
وَإِذَا أَخَذْتَ جَرِيدَ نَخْلٍ يَابِساً ... فَيَصِيرُ سَيْفُهُ مَا بِهِ مَثْلُومُهُ
وَإِذَا جَبَرْتَ كَسِيرَ سَاقٍ قَدْ وَهَى ... صَارَ الصَّحِيحَ ولَمْ يَزُلْ تَقْوِيمُهُ
وإِذَ أَخَــذْتَ تَتَبُّعاً فِى مِثْلِ ذَا ... صَارَ الْقَلاَمُ مُــكَسَّرًا وقَضِيمُهُ(٧)
أَللهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ مَا فِى الْوَرَى ... مِثْلٌ لِأَحْمَدَ والْــكِتَابُ يُقِيمُهُ(٨)
والْمُلْكُ والْمَلَــكُوتُ فِى قَامُوسِهِ(٩) ... كَالْقَطْرِ قِلاًّ فَوْقَ ذَاكَ عُلُومُهُ
كُلُّ الْوُجُــودِ بِجَنْبِهِ مُتَزَبِّدٌ ... فَهْوَ الصَّرِيحُ وغَيْرُهُ جُلْهُومُهُ(١٠)
وطَوَى السَّمٰوَاتِ الْعُلَى بِعُرُوجِهِ ... طَىَّ السِّجِلِّ كَمُدْلِــجٍ لِمُلُومِهُ(١١)

---

(١) تفيضه وتتبعه . (٢) قام وأنفق . (٣) رباطه .
(٤) تلاشى . (٥) وباؤه . (٦) تقبيحه وتعييبه .
(٧) قرطاسه الأبيض . (٨) يشهده . (٩) بحره اللجى .
(١٠) جماعته المجتمعة الـكثيرة . (١١) ركبانه وجماعته .

فَالْعَرْشُ والْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْمُنْتَهَى   مَجْلاَهُ والجَالِي (١) يَعِزُّ خَدِيعُهُ
وأَتَى بِأَخْبَارِ الْأُلَى دَرَجُوا ومَنْ   يَأْتِي ومَا يَأْتِي فَصَابَ هَمُومُهُ (٢)
مَنْ جُنْدُهُ الْأَمْلاَكُ مِنْ فَوْقِ السَّمَا   والْعَرْشُ مَهْدٌ والْبُرَاقُ هَمُومُهُ (٣)
زُوِيَتْ لَهُ أَرْضٌ كَرِىٌّ صَحِيفَةٍ   ولَكَمْ لَهُ خُلُقٌ يُضِيءُ عَظِيمُهُ
أَللهُ يَشْهَدُ أَنَّنِي فِي كُلِّ مَا   قَدْ قُلْتُهُ مُتَحَقِّقٌ وَشَهِيمُهُ (٤)
اللهُ حَسْبِي مَا لِأَحْمَدَ مُنْتَهَى   جَاءَ الْقُرْآنُ بِمَدْحِهِ وَيُدِيمُهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ عِدَّةَ خَلْقِهِ   مِلْءَ الدُّهُورِ وَهٰكَذَا تَكْرِيمُهُ
يَا سَابِقاً لِلْخَلْقِ طُرًّا نُورُهُ   يَا ذَا الَّذِي أَحْيَا الْأَنَامَ قُدُومُهُ
يَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ظُهُورُهُ   يَا مَنْ يَبِينُ بِمَدْحِهِ قُرْزُومُهُ (٥)
يَا مَدَّةَ الْإِمْدَادِ نُقْطَةَ خَطِّهِ   يَا ذِرْوَةَ الْإِحْسَانِ عَمَّ نَعِيمُهُ
وَمَنَحْتَ فَيْضَ الْفَضْلِ كُلَّ مُفَضَّلٍ   وَلِكُلِّ ذِي فَضْلٍ لَدَيْكَ أُرُومُهُ (٦)
وَنَبَعْتَ عِلْمَ اللهِ أَبْحُرَ مَنْبَعٍ   وَلِكُلِّهِمْ حَظٌّ بِهِ تَعْلِيمُهُ
مَا فِي الْخَلِيقَةِ رَحْمَةٌ وَفَضِيلَةٌ   جَادَ الْإِلٰهُ بِهَا وَكَانَ يُدِيمُهُ
مَا كُلُّ خَيْرٍ عَمَّهَا إِلاَّ بِهِ   قَدْ نَالَهُ مَنْ نَالَهُ وَيَرُومُهُ
سَعْدُ السُّعُودِ وسَعْدُ كُلِّ مُسَعَّدٍ   مِنْهُ اسْتَمَدَّ وَزَانَهُ تَرْجِيمُهُ
هَادٍ بِهِ يَهْدِي الْإِلٰهُ فُؤَادَ مَنْ   قَدْ خَصَّهُ بِالسَّعْدِ جَادَ قَسِيمُهُ

---

(١) الناظر .
(٢) سحابة الماطر .
(٣) ناقته القوية الحسنة المشى .
(٤) عاقل صحيح .
(٥) شاعره الدون .
(٦) أصله .

صُبْحٌ بَدَا مِنْ غَيْرِ سَبْقِ دُجُنَّةٍ ... وَالصُّبْحُ يَسْبِقُهُ دُجًى وَبَهِيمُهُ
نُورٌ عَلَى نُورٍ وَمَنْ يَهْدِى بِهِ ... ذَاكَ السَّعِيدُ وَغَيْرُهُ مَحْرُومُهُ
كَنْزُ الحَقَائِقِ طَلْعَةُ الحَقِّ الَّتِى ... طَلَعَ الْوُجُودُ بِهَا وَقَامَ فَقُومُهُ(١)
عَيْنُ المَعَارِفِ كُلُّ بَحْرٍ زَاخِرٍ ... مِنْهَا اسْتَمَدَّ وَلَمْ يَزَلْ تَسْنِيمُهُ
مُتَحَقِّقٌ وَأَحَاطَ بِالعَيْنِ الَّتِى ... فِيهَا المَعَانِى وَاللُّغَى وَفُهُومُهُ
نُورٌ لِأَكْوَانٍ وَبَرْقٌ أَسْطَعٌ ... لِسُطُوعِهِ السَّبْعُ الطِّبَاقُ تَشِيمُهُ
مُزْنٌ بِهِ مَلَأَ الَّذِينَ تَعَرَّضُوا ... لِسُكُوبِهِ المَشْفُوهِ فَاضَ دُيُومُهُ
بِدْعٌ صَبُورٌ ثَابِتٌ ذُو عِزَّةٍ ... قَرْمٌ شَهِيدٌ مُشْفِقٌ وَكَسُومُهُ(٢)
تَاجُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ إِكْلِيلُهُ ... مِفْتَاحُ جُودِ اللهِ وَهْوَ حَكِيمُهُ
بَحْرٌ أَحَاطَ بِكُلِّ مَعْلُومِ الْوَرَى ... لِلْبَحْرِ مَوْجٌ لَا يَزُولُ حُسُومُهُ(٣)
جِلٌّ عَزِيزٌ وَاصِلٌ مُتَمَطِّنٌ ... كَافٍ جَلِيلٌ عَاقِبٌ وَسَمِيمُهُ(٤)
ظِـــلٌّ ظَلِيلٌ دَائِمٌ تَظْلِيلُهُ ... شَافٍ كَبِيرٌ جَامِعٌ وَقَثُومُهُ(٥)
سَيْفٌ صَقِيلٌ قَاطِعٌ مَنْ قَدْ أَبَى ... دِينَ الْإِلَهِ وَحَــــلُّهُ مَسْمُومُهُ
وَالٍ يُوَالِى كُلَّ مَنْ قَدْ أَمَّهُ ... مَنْ كَانَ نِكْسًا أَوْ صَفَا مَحْمُومُهُ(٦)
زَاكٍ مُنِيرٌ وَاصِلٌ يَدْنُو إِلَيْـ ... ـهِ طَالِبٌ مِنْ فَضْلِهِ وَجَهُومُهُ(٧)

---

(١) القثوم : الأمر الذى لم يجر على السواء . (٢) الماضى فى الأمور .
(٣) تتابعه . (٤) مرفوع . (٥) الجامع للخير .
(٦) نقى القلب عن الغل والحسد . (٧) هو العاجز الضعيف .

حانٍ شَفِيعٌ صَادِقٌ مُتَفَضِّلٌ ... بَرٌّ رَءُوفٌ لِلْوَرَى ورَحِيمُهُ

غَيْثٌ غِيَاثٌ نِعْمَةٌ يَدْرُونَهَا ... غَوْثٌ يُغَاثُ بِفَضْلِهِ مَلْمُومُهُ(١)

رُوحٌ مُبِينٌ نَاصِحٌ مُتَوَكِّلٌ ... مُهْـدٍ سِرَاجٌ كَامِلٌ تَحْلِيمُهُ

وحَبِيبُ رَبِّ الْعَرْشِ وَهْوَ صَفِيُّهُ ... وَنَجِيُّهُ وَخَلِيلُهُ وَكَلِيمُهُ

عَدْلٌ بِهِ عُرِفَ الْعَدَالَةُ وَالْعُلَى ... كَهْفٌ مَكِينٌ مُجْتَبًى وَحَمِيمُهُ

فَرْدٌ كَرِيمٌ ذُو تُقًى وَبَسَالَةٍ ... حَقٌّ أَمِينٌ مُنْتَقًى وَحَلِيمُهُ

مُنْجٍ وَصُولٌ عَنْ ذُنُوبٍ مُقَدَّسٌ ... مُحْيٍ كَفِيلٌ طَاهِرٌ وَرَخِيمُهُ

دَاعٍ عَفُوٌّ قَدْ أُجِيبَ دُعَاؤُهُ ... لَوْحٌ حَفِيظٌ سِرُّهُ وَعُلُومُهُ

خَتْمٌ بِهِ خَتَمَ الإلٰهُ رِسَالَةً ... وَنُبُوَّةً عَمَّتْ وَطَابَ حَمِيمُهُ

مَحْضٌ عَظِيمٌ مُؤْمِنٌ مُتَفَضِّلٌ ... قُطْبٌ صَفُوحٌ حَاشِرٌ وَحَزِيمُهُ(٢)

مِصْبَاحُ فَضْلٍ سَيِّدٌ مُتَجَرِّدٌ ... عَنْ حُبِّ دُنْيَا قَدْ صَفَا حَيْزُومُهُ

صِدْقُ الْمَقَالَةِ فَاتِحٌ مُتَوَاضِعٌ ... حَـبْرٌ أَدِيدٌ قَيِّمٌ وَبَذِيمُهُ(٣)

طِبٌّ خَبِيرٌ طَيِّبٌ مُتَقَدِّمٌ ... مَاحٍ رَفِيعٌ كَامِلٌ مَعْصُومُهُ

هُوَ مَنْ حَوَى فِطَرَ الخَلاَئِقِ كُلِّهَا ... وَبِهِ يَسَاسُ عَلَيْهِمُ وَيَسُومُهُ(٤)

يَا صَاحِبَ الْمِعْرَاجِ وَالْقُرْبِ الَّذِي ... غَارَ الْعَمَاءُ بِهِ وفَازَ نَدِيمُهُ

يَا صَاحِبَ الْقُرْآنِ وَالنُّورِ الَّذِي ... نَارَ السَّمَاءُ بِهِ فَشَا تَهْرِيمُهُ(٥)

يَا ذَا الْهِرَاوَةِ وَاللِّوَاءِ وَكَوْثَرٍ ... هَـٰذَا نَزِيلٌ قَدْ نَفَتْهُ هُمُومُهُ

---

(١) مجنونه . (٢) صاحب همة . (٣) القوى العاقل عند الغضب .

(٤) يكلفهم . (٥) تكريمه .

يَا ذَا الأَمَانَةِ والشَّفَاعَةِ والرِّضَى ۝ وأَتَاكَ فَدْمٌ قَدْ رَمَتْهُ كُلُومُهُ

يَهْدِيهِ نُورٌ كَانَ مِنْكَ إِلَيْكَ مِنْ ۝ طَلَبِ الهِدَايَةِ كَيْ يُجَارَ سَلِيمُهُ

ورَمَاهُ دَهْرٌ بِالدَّوَاهِي وقَلْبُهُ ۝ سَاهٍ يَمُرُّ لِسَهْوِهِ مَعْلُومُهُ

ودَهَاهُ حَجْبٌ والجَهَالَةُ والدُّنَا ۝ ودَهَاهُ حِرْمَانٌ ودَامَ غُمُومُهُ

أَلْهَتْهُ آمَالٌ وشَيْطَانٌ غَوِى ۝ والنَّفْسُ والأَهْوَا وصَارَ بَهِيمُهُ

وبِهِ أَحَاطَتْ لِلْهَلَاكِ ذُنُوبُهُ ۝ حَيْطَ الدَّوَائِرِ نُقْطَةً وشُئُومُهُ

مَا فِى الجَهَالَةِ والبَلَادَةِ مَنْزِلٌ ۝ إِلَّا ولَهُ حَظٌّ بِذَاكَ عَظِيمُهُ

مَا فِى النَّذَالَةِ والرَّذَالَةِ مَنْزِلٌ ۝ إِلَّا نَزَلْتُ بِهِ وكُنْتُ أَشِيمُهُ(١)

هٰذِى طِبَاعٌ سَيِّئَاتٌ طُبِعْنَ لِى ۝ هٰذِى دَهَتْنِى والزَّوَالَ أَرُومُهُ

قَدْ رُمْتُ تَبْدِيلاً بِأَحْسَنِ وَصْفِهَا ۝ رَوْمًا لِنَصْرٍ رَامَهُ مَظْلُومُهُ

قَلْبِى هَوَاهُ بِالْعُلُومِ الَّتْ بِهَا ۝ تَحْيَا الْقُلُوبُ وفَاتَهُ تَعْلِيمُهُ

قَلْبِى خَرَابٌ فَابْنِهِ بِتَعَلُّمٍ ۝ وتَحَفُّظٍ حَتَّى حَوَتْهُ عُلُومُهُ

لَقَدِ اتَّخَذْتُكَ وُصْلَةً ووَسِيلَةً ۝ جُدْ لِلسُّوَيْئِلِ أَنْ يَزُولَ هُمُومُهُ

جَاءَ الحَدِيثُ(٢) بِأَنَّ مَنْ قَدْ أَمَّنَا ۝ وجَبَتْ عَلَىَّ حُقُوقُهُ ومَرُومُهُ

أَنْتَ الرَّسُولُ مِنَ الإِلٰهِ لِكُلِّ مَنْ ۝ كَانَ الإِلٰهُ مَلِيكَهُ وحَكِيمُهُ(٣)

أَنْتَ الَّذِى أُعْطِيتَ مَخْزَانَ الهُدَى ۝ فَامْنُنْ عَلَىَّ بِهِ وأَنْتَ كَرِيمُهُ

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَا دَامَ الجَدَى ۝ عَدَّ الأَنَامِ ومِثْلُ ذَا تَسْلِيمُهُ

---

(١) أنتظره .

(٢) كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « من قصدنا فقد وجب حقه علينا » .

(٣) معطوف على الإله

اللهُ يَعْلَمُ أنَّ مِثلَ مُحمَّدٍ ... مَا فى الْوُجُودِ ومَا بِذَاكَ وُهُومُهُ
فَلَهُ اجْتِبَاءٌ وَاصْطِفَا وَمَزِيَّةٌ ... وَلَهُ سَخَاءٌ يَسْتَهِلُّ سُجُومُهُ
وَبِهِ أَحَاطَتْ عِصْمَةٌ وَأَمَانَةٌ ... وَلَهُ السِّيَادَةُ زَانَهَا تَكْرِيمُهُ
وَلَهُ جَمَالٌ وَالْكَمَالُ مَعَ الصَّفَا ... وَلَهُ الْمُرُوءَةُ وَالْحَيَاءُ يَحُومُهُ
وَلَهُ النُّهَى وَالْعِلْمُ وَالتَّقْوَى مَعًا ... وَلَهُ رِضًا قَدْ زَانَهُ تَفْخِيمُهُ
وَلَهُ الزَّهَادَةُ وَالْعُلَى وَتَوَاضُعٌ ... وَلَهُ الْكَرَامَةُ صَانَهَا تَهْرِيمُهُ(١)
وَلَهُ الْمَعَزَّةُ وَالْمَوَدَّةُ وَالسَّنَا ... وَلَهُ سَنَاءٌ تَسْتَنِيرُ نُجُومُهُ
وَلَهُ الْفَطَانَةُ وَالْمَهَابَةُ وَالْجَدَى ... وَلَهُ فَخَارٌ يَسْتَطِيرُ حُسُومُهُ
وَالْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ وَالتَّعْدِيلُ فى ... كُلِّ الْأُمُورِ وَكُلُّ ذَا مَرْقُومُهُ
عَزْمٌ وَحَزْمٌ وَالْعَدَالَةُ وَالنَّقَا ... أَمْنٌ وَمَجْدٌ وَالْعَلَاءُ يَسُومُهُ
حَسَبٌ وَجُودٌ وَالْجَلَالَةُ وَصَفْهُ ... خَلْقٌ وَخُلْقٌ وَالْفِنَاءُ هَمُومُهُ(٢)
وَلَهُ التَّوَكُّلُ وَالنَّجَاءُ وَسُؤْدَدٌ ... وَرَعٌ وَزُهْدٌ كُلُّ ذَاكَ زَوِيمُهُ(٣)
وَلَهُ السَّمَاحَةُ وَالْبَهَاءُ مَعَ الْقِرَى ... حِلْمٌ وَصَفْحٌ وَصْفُهُ وَرُسُومُهُ
شَرَفٌ عَلَا مَاقَدْ عَلَا حَتَّى عَلَا ... فَوْقَ الْعَلَاءِ وَفَازَ مِنْهُ قَسِيمُهُ(٤)
وَلَهُ صِفَاتٌ غَيْرُ ذَاكَ فَإِنْ تُرِدْ ... تَكْثِيرَ وَصْفٍ زِنَ مِنْهُ يَتِيمُهُ(٥)
فَبِصِيغَةِ التَّفْضِيلِ وَالتَّعْجِيبِ صُغْ ... كُلَّ الصِّفَاتِ لِكَىْ يُثَارَ تُخُومُهُ(٦)

---

(١) تعظيمه .
(٢) ناقته السريعة المشى
(٣) مجموع فى ذاته .
(٤) الكامل الجمال .
(٥) هو الفرد الذى يعز وجوده .
(٦) حدوده وفصوله .

حُمِيَ الْفَضَائِلُ وَالضِّيَاءُ وَحُسْنُهُ   وَالنُّورُ مِنْهُ وَمِثْلُ ذَاكَ نَسِيمه
كَالشَّمْسِ يَحْجُبُهَا السَّحَابُ مَعَ الصَّفَا   وَالشَّمْسُ شَمْسٌ وَالسَّحَابُ يُضِيمُهُ
وَلَوِ ابْتَغَيْتَ الحَصْرَ فِى آيَاتِهِ   رُمْتَ المُحَالَ وَكُنْتَ فِيهِ تَهِيمُهُ
كَيْفَ النِّهَايَةُ وَالْبُلُوغُ لِمَدْحِ مَنْ   قَالَ الْإِلٰهُ وَقَوْلُهُ تَعْلِيمُهُ
إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ آيَةً   فَإِذَا قَرَأْتَ فَمَا(١) بِهَا تَعْظِيمُهُ
وَكَذَاكَ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ لِآيَةٍ   جَلَّ الْإِلٰهُ وَجَدَّ فِيهِ نَعِيمُهُ
يَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِ ذَا   أَكْرِمْ بِهَا مَدْحًا تَطِيبُ فُهُومُهُ
فَهُوَ الَّذِى نَابَ مَنَابَ إِلٰهِهِ   فَلَهُ التَّصَرُّفُ حَبَّذَا تَحْكِيمُهُ
وَلَهُ الْأُمَّةُ الْعَدْلُ الَّتِى مِنْ جَاهِهِ   سَادُوا الْبَرِيَّةَ إِذْ لَهُمْ تَرْجِيمُهُ
وَلَهُ الصَّحَابَةُ كَالنُّجُومِ مَنِ اقْتَدَى   بِهِمُ فَبَانَ فَلَاحُهُ وَنُجُومُهُ
وَالْأَوْلِيَاءُ الْعَارِفُونَ بِرَبِّهِمْ   كَالْأَنْبِيَاءِ وَعَمَّهُمْ تَكْرِيمُهُ
يَا سَيِّدِى يَا عُمْدَتِى أَنَا كَالَّذِى   أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ وَيَرُومُهُ
أَنَا حَائِرٌ أَحْيَرُ مِنْ ضَبِّ الْكُدَى   ضَلَّتْ مَذَاهِبُهُ وَتَاهَ حُلُومُهُ
يَا مَنْ لَهُ أُمُّ الْكِتَابِ أَتَاكَ قَدْ   م(٢) لَايَعِى شَيْئًا وَبَانَ وُصُومُهُ(٣)
يَا مَنْ تَلَذُّ بِمَدْحِهِ الْأَفْوَاهُ وَالْ   أَسْمَاعُ وَالحَادِى حَلَا تَرْنِيمُهُ
يَا مُصْطَفَى يَا مُجْتَبَى يَا مُرْتَضَى   هٰذَا مَدِيحٌ بَانَ مِنْهُ بَعِيمُهُ(٤)
أَنْتَ الشَّفِيعُ لِكُلِّ رِبْذٍ مُذْنِبٍ   أَنْتَ الْمَلَاذُ وَكَهْفُهُ وَرَقِيمُهُ

(١) موصولة .   (٢) عيي عن الكلام ، والأحمق : القليل العقل .
(٣) عيوبه .   (٤) البعيم : الذى لايقول الشعر .

حَلَّ النزيلُ بِساحَةٍ وَسِعَ الوَرَى   خَيْرَاتُهَا وَرَشَادُهَا مَأمُومُهُ
مُسْتَجْدِيًا مُسْتَهْدِيًا مِنْ هَدْيِ مَنْ   صَانَ الشَّرِيعَةَ وَالحَفِيظُ عَصِيمُهُ
فَتْحٌ وَرُشْدٌ وَالأَمَانَةُ وَالرِّضَى   هَدْىٌ وَعِلْمٌ طِلْبُهُ وَمَرُومُهُ
وَالمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ   يَبْغِى الخُطُوبَ وَلاَ يَزُولُ عَزِيمُهُ
وَالمَرْءُ مَا لَمْ تَهْـدِهِ لِمَفَازَةٍ   أَعْمَى يَتِيهُ(١) وَمَا يَبِينُ أَدِيمُهُ(٢)
وَسِعَ السُّكُوتُ لِكُلِّ مَنْ رَامَ الثَّنَا   كَالحُوتِ يَمْلأُ فَاهُ مَا وَيُزِيمُهُ(٣)
يَا مَنْ رَعَى حَقَّ الإِلٰهِ وَخَلْقِهِ   جُدْ لِلْخُوَيْدِمِ أَنْ يَرُوجَ نَظِيمُهُ
يَا رَبِّ بَلِّغْ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّـدٍ   مَدْحًا بِهِ سُؤْلٌ نَفَى قُرْزُومُهُ(٤)
قَدَّمْتُهُ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاىَ إِذْ   مَالِى ثَرَاءٌ يُرْتَضَى تَقْدِيمُهُ
يَا رَبَّنَا بِالرَّحْمَـةِ المُهْدَاةِ وَا   سِطَةِ الوُجُودِ وَمَنْ بِهِ تَكْرِيمُهُ
بِمُحَمَّـدٍ وَبِآلِهِ وَصِحَابِهِ   وَكِتَابِهِ البَاقِى يَبُذُّ عُلُومُهُ
فَأَنِلْ مُنَى قَلْبِى وَأَعْطِ سُؤَالَهُ   لِأَفُوزَ بِالفَوْزِ العَظِيمِ أَرُومُهُ
أَغْنِى بِهَا الرِّضْوَانَ مِنْكَ تَجُدْ بِهِ   وَإِذَا رَضِيتَ فَزْتُ وَهُوَ أَحُومُهُ(٥)
يَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ لِشِعْرِى رِضًى لَدَى   حَـبْرٍ عَمِيمٍ جُودُهُ وَنَعِيمُهُ
وَالبَحْرُ مِنْهُ كَامِلٌ كَصِفَاتِهِ(٦)   مُتَنَاسِبُ الأَجْزَاءِ ثُمَّ تَمِيمُهُ

---

(١) يتحير . (٢) طريقه . (٣) يسكته ويصمته .
(٤) القرزوم : الشاعر الدون . (٥) أطلبه وأرومه .
(٦) أى إن صفاته صلى الله عليه وسلم كاملة كالجملة المتناسبة الأجزاء عند الحساب وهى عدد معروف عندهم من النصف إلى العشر يجمع الكسور ، وهى عدد سبع سنين من غير زيادة ولا نقصان ، هى ألفان وخمسمائة وعشرون .

أُسَمِّيتُهُ سَعْدَ السُّعُودِ وبَيْتُهُ كَرَمٌ يُشِيرُ لِعدِّهِ غِبْرِيمُهُ[1]

صَلَّى الإِلٰهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ تُعْطِي الْمُنَى والسُّؤْلَ ثُمَّ تُدِيمُهُ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ غَيْرَ مُقَيَّدٍ فَالْقَيْدُ حَدٌّ والحُدُودُ تُذِيمُهُ

وعَلَى الأَمَاثِيلِ آلِهِ سُبُلِ الْهُدَى أَهْلِ الْوِلَايَةِ ضَمَّهُمْ تَكْرِيمُهُ

وعَلَى الصِّحَابِ الْقَائِمِينَ مَقَامَهُ والتَّابِعِينَ وهٰكَذَا تَسْلِيمُهُ

---

(١) غبريم : لقب الناظم تم به البيت

القصيدة الثانية وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على السيد الذى منه استمدت العلوم وكثرت الآثار ، واختلفت الفهوم ، وعلى آله وصحبه ما طلعت النجوم ، وما هطلت الغيوم .

أما بعد : فهذه قصيدة سميتها : « بث الشوق والشكوى فى طلب الوصل والجدوى إلى ذى الفضل والتقوى » عليه الصلاة والسلام ، من عالم السر والنجوى ، وعلى آله وصحبه المنقذين من الدعوى ، لناظمها الفقير الحقير محمد غبريم عامله الله والمسلمين بلطفه الخفى الأقوى آمين ، بل ألف آمين .

قال الناظم :

إِلَى أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ وجَّهْتُ وِجْهَتِى ... وَفِى الْقَلْبِ حَاجَاتٌ تَعِزُّ لِفَوْهَتِى

أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ عُدَّتِى ... أَلاَ يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّكَ عُمْدَتِى

أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ بِهِ أَنَا ... طَ إِيجَادَ كُلِّ الخَلْقِ رَبُّ الْبَرِيَّةِ

عَلَيْكَ صَلاَةٌ مِنْ سَلاَمٍ رَفِيقُهَا ... سَلاَمٌ يَلِى آبَادَ آبَادِ أُخْرَةِ

أَيُدْرِكُنِى ضَيْمٌ مِنَ الذَّنْبِ مُوبِقٌ ... لِقِلَّةِ إِحْسَانِى وَأَنْتَ سَفِينَتِى

أَلاَ يَارَسُولَ اللهِ يَا مَنْ رَآهُ جَبْـ ... ـرِئِيلُ مُنِيرًا طَالِعاً قَبْلَ نَشْأَةِ (١)

رَأَى النُّورَ نَجْماً ثَاقِباً مُتَعَدِّدًا ... بِتَسْكِيبِ آلاَفٍ بِعِ أَىِّ حِقْبَةِ

---

(١) سبق شرح هذا البيت فى ص ٤٨٢ .

عَلَيْكَ سَلَامٌ تَابِعٌ وصَلَاتُهُ   مِنَ اللهِ مَا دَامَتْ إِفَاضَةُ رَحْمَةِ

أَتَخْذُلُنِي والنَّصْرَ مِنْكَ رَجَوْتُهُ   وخُلُقٌ عَظِيمٌ خُطَّ فِي بَعْضِ سُورَةِ

وإِنْ مَسَّنِي سُوءٌ بُلِيتُ بِكَرْبِهِ   فَمِنْكَ رَجَوْتُ الْيُسْرَ مِنْكَ بِلُطْفَةِ

أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ بِبَابِهِ   يَنَالُ أُولُو الحَاجَاتِ كُلَّ كَرِيمَةِ

وَمَنْ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَبْدَعُ مِنْهُ فِي   كَمَالَاتِهِ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ وَرِفْعَةِ

وَتَعْدِيلِ جِسْمٍ وَالجَمَالِ مَعَ الصَّفَا   وَسَمْتٍ وَوَقَارٍ وَالحَيَاءِ وَعِفَّةِ

وَحَسَبٍ وَنَسَبٍ وَالتُّقَى وَتَوَاضُعٍ   وَشَرَفِ جُدُودٍ وَالذَّكَا وَمُرُوءَةِ

وَعَقْلٍ وَعِلْمٍ وَالنَّقَا وَزَهَادَةٍ   وَصَبْرٍ وَحِلْمٍ وَالرِّضَا وَمَعَزَّةِ

وَجُودٍ وَعَدْلٍ وَالْكَرَامَةِ وَالْهُدَى   وَشُكْرٍ وَبَسْطٍ وَالنَّجَا وَشَجَاعَةِ

وَعَفْوٍ وَبِرٍّ وَالْبَهَا وَمَكَانَةٍ   وَإِيفَاءِ وَعْدٍ وَالسَّنَا وَجَلَالَةِ

وَخَلْقٍ وَخُلْقٍ وَالزَّكَا وَمَهَابَةٍ   وَأَمْنٍ وَمَجْدٍ وَالسَّنَاءِ وَهِمَّةِ

وَوَرَعٍ وَتَثْبِيتٍ وَفَخْرٍ وَسُؤْدَدٍ   وَشَرْحٍ وَرَفْعِ الذِّكْرِ فِي كُلِّ خُطْبَةِ

وَعَزْمٍ وَحَزْمٍ وَالنَّدَى وَتَوَكُّلٍ   وَخَفْضِ جَنَاحٍ ثُمَّ لِينٍ وَفِطْنَةِ

وَحَمْدٍ وَوَضْعِ الوِزْرِ وَالشُّكْرِ وَالجَدَى   وَإِسْرَاءِ لَيْلٍ ثُمَّ رُؤْيَةِ سِدْرَةِ

وَنُطْقٍ بِإِيحَاءٍ وَرُؤْيَةِ رَبِّهِ   وَتَعْلِيمِهِ بِالسِّرِّ ثُمَّ بِحُجَّةِ

إِلَى مَا وَرَاءَ الحَصْرِ مِنْ حُسْنِ وَصْفِهِ   وَمَا مَا دَرَاهُ الخَلْقُ مِنْ حُسْنِ سِيرَةِ

وصُغْ كُلَّ وَصْفٍ مِنْ مَحَاسِنِ وَصْفِهِ   بِهَمْزَةِ تَفْضِيلٍ وتَعْجِيبِ صِيغَةِ

لِتَعْلَمَ أَنَّ الْمُصْطَفَى أَبْدَعُ(١) الْوَرَى   وَتَعْلَمَ أَنَّ الْوَصْفَ خَارِجُ طَاقَةِ

عَلَيْكَ صَلَاةٌ كَالسَّلَامِ تَدُومُ مِنْ   إِلٰهِي مَا مَرَّتْ دُهُورٌ وَكَرَّتِ

عَلَيْكَ بِحَاجَاتٍ نَزَلْتُ كَثِيرَةٍ   فَمِنْهَا حِجَابُ الْقَلْبِ مِنْ رَيْنِ حُوبَةِ

أَحَاطَتْ ذُنُوبِي وَلَا طَوْقَ لِي بِهَا   لِتُخْرِجَنِي مِنْ رَحْمَةٍ لِشَقَاوَةِ

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِالْمُصْطَفَى فِي نَوَازِلٍ   يُنْجِيهِ مِنْهَا رَبُّهُ كَالشَّكِيمَةِ

إِذَا نَزَلَتْ لِي نِعْمَةٌ أَوْ مُصِيبَةٌ   جَعَلْتُكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى خَيْرَ عُرْضَةِ

أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ بِمَدْحِهِ   تَنَزَّلَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ بِرُمَّةِ

وَمَنْ قَلْبُهُ شُقَّ وَأُخْرِجَ مُضْغَةً   وَمُلِّئَ بَعْدَ الْغَسْلِ مِنْ كُلِّ دِرْيَةِ

لِذَلِكَ لَمْ يَسْبِقْهُ جَهْلٌ وَلَا هَوًى   وَلَا الضِّغْنُ بَلْ صَافٍ بِكُلِّ مَذَمَّةِ

عَلَيْكَ سَلَامٌ كَامِلٌ كَالصَّلَاةِ مِنْ   إِلٰهِيَ مَا الْأَشْيَاءُ قَامَتْ وَقَرَّتِ

أَيَا حَقِّ جَدِّي النَّحْسُ وَالْفَضْلُ وَاسِعٌ   وَأَنْتَ الَّذِي وَالَيْتَ أَجْنَاسَ رُتْبَةِ

فَنِيتُ بِشَوْقٍ فِيكَ فِي الْقَلْبِ شَاعِلٍ   مُقِيمٍ وَنَارُ الشَّوْقِ فِيهِ اسْتَمَرَّتِ

أَجِدْ وُصْلَتِي فَضْلًا عَلَيْكَ وَمِنَّةً   وَدَاوِ كُلُومِي وَاشْفِنِي كُلَّ عِلَّةِ

ظَنَنْتُكَ خَيْرًا ذَا جَدِيرٌ عَلَيَّ هَلْ   تُخَيِّبُ ظَنِّي فِيكَ أَخْسَرَ خَيْبَةِ

أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ بِقَلْبِهِ   عُلُومُ جَمِيعِ الْخَلْقِ فِي كُلِّ ذَرَّةِ

وَمَنْ لَيْسَ فِي الْإِبْدَاعِ أَكْمَلُ مِنْهُ لَا   كَمَالَ لِشَيْءٍ فَوْقَهُ مِنْ بَرِيَّةِ

---

(١) بأن تقول مثلا : فى صوغك هو أبدع الناس وأحسنهم وأرفعهم وأعدلهم ، وأعدله الناس وأجلهم وأن تقول أحسن به أو ما أحسنه ، وأجله وأرفعه إلى آخر الأوصاف المذكورة فى الأحد عشر بيتا إلى ما وراء الحصر وما لايعلمه إلا الله تعالى اه .

عَلَيْكَ سَلاَمٌ مِنْ سَلاَمٍ تَقَدَّمَتْ ... عَلَيْهِ صَلاَةٌ كُلَّ عَصْرٍ وبُكْرَةِ
وهَبْ لِيَ فَتْحاً مِنْ لَدُنْكَ ورَحْمَةً ... ونُورًا وأَسْرَارًا ورُوحًا لِجُثَّتِي
فَلاَ رُوحَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ قَبْلِ فَتْحِهِ ... ولاَ مَوْتَ بَعْدَ الْفَتْحِ مِثْلُ النُّبُوَّةِ
وإِنْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِرَحْبِهَا ... فَإِنَّكَ مَقْصُودٌ لِعَوْنِي ونُصْرَتِي
ومَنْ يَبْتَغِ الحَاجَاتِ عِنْدَ مُحَمَّدٍ ... يَجِدْ رَبَّهُ عَوْناً عَلَى كُلِّ بُغْيَةِ
ومَنْ يَطْلُبَنْهَا دُونَهُ مُتَسَــــــلِّلاً ... فَيَجْزِيهِ حِرْمَاناً وخِذْلاَنَ دَعْوَةِ
أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا أَيُّهَا الَّذِي ... بِرُؤْيَتِهِ كُلُّ الْهُمُومِ اضْمَحَلَّتِ
وقَدْ نَاسَبَتْ أَجْزَاءُ(١) حُسْنِكَ جُمْلَةً ... كَمَا كَانَ لِلتَّفْضِيلِ أَكْمَلُ نِسْبَةِ
ويَا حَسَــــــناً أَوْصَافُهُ وثَنَاؤُهُ ... ومُنْقِذًا كُلَّ الْوَرَى شَرَّ جُذْوَةِ(٢)
عَلَيْكَ صَــلاَةٌ مُخْلِفٌ تَسْلِيمُهَا ... مِنَ اللهِ رَبِّي خِلْفَةً بَعْدَ خِلْفَةِ
تَوَلَّ أُمُورِي كُلَّهَا أَنْتَ طَبُّهَا ... لِأَمْشِيَ فِي آثَارِكَ الْأَثَرِيَّةِ
أَغِثْنِي أَغِثْنِي يَا عَزِيزًا عَلَيْهِ مَا ... عَنِتُّ حَرِيصاً رَاحِمًا خَيْرَ رَأْفَةِ
فَقَلْبِيَ لاَهٍ غَيْرُ حَافِظِ مَا مَضَى ... وعَقْلِيَ واهٍ لاَ يَعِي كُلَّ حِكْمَةِ
وقَرِّبْنِي مِنْكَ نَجِيًّا مُعَــلَّمًا ... خَصَائِصَ أَسْمَــاءٍ فَوَائِدَ نِعْمَةِ
وذَنْبِي كَثِيرٌ شَامِلٌ عَدَدَ الحَصَى ... سِوَى أَنَّنِي فِيهَا قَصَدْتُكَ قِبْلَتِي
أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ لَهُ ارْتِقَا ... ويَا مَنْ لَهُ الْأَشْجَارُ جَاءَتْ لِدَعْوَةِ

---

(١) والجملة المتناسبة الأجزاء عند الحساب ألفان وخمسائة وعشرون وهى أعداد أيام سبع سنين من غير زيادة ولا نقص ، وهذا العدد لا كسر فيه من نصف إلى عشر ، والله أعلم .

(٢) مثلث الجيم .

عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ إِلٰهِي مُسَرْمَدٌ وَآلٍ وَصَحْبٍ كَالصَّلَاةِ الزَّكِيَّةِ
وجُدْ واعْفُ واقْبَلْ وارْضَ عَنِّي رِضًى فَقُلْ
إِلَيَّ قَتِيلَ الحُبِّ قَدْ حَانَ وُصْلَتِي

فَسَلْ كُلَّ مَا تَهْوَى وَسَلْ كُلَّ مَا تَشَا لِأُوتِيَ كُلَّ السُّؤْلِ مَنًّا وَمُنْيَةِ
أَلَا يَارَسُولَ اللهِ يَا مَنْ بِمَدْحِهِ تَنَزَّلَتِ الرَّحْمَاتُ أَصْحَابَ مِدْحَةِ
وَمَنْ لَيْسَ يَغْفُو قَلْبُهُ غَيْرَ عَيْنِهِ وَلَهُ جَمَادَاتٌ تَفُوهُ كَهَضْبَةِ
لَهُ قَدْ زَوَى اللهُ الْأَرَاضِيَ كُلَّهَا إِلَى أَنْ رَآهَا بِالْعُيُونِ الحَدِيدَةِ
عَلَيْكَ صَـلَاةٌ يَسْتَمِرُّ سَلَامُهَا مِنَ اللهِ مِلْءَ العِلْمِ فِي غَيْرِ فَتْرَةِ
وَنَجِّ وَخَفِّفْ كُلَّ أَمْرٍ يَئُودُنِي وَزَكِّ وَطَهِّرْ كُلَّ كُلِّي وَجُمْلَتِي
أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ أَطَاعَهُ أَطَاعَ إِلٰهَ الخَلْقِ فِي أَيِّ حَالَةِ
وَمَنْ كَلِمَاتُ اللهِ مِثْلُ صِفَاتِهِ بِغَـيْرِ نَفَادٍ فِي نَمَاءٍ وَنُضْرَةِ
لَهُ تُقْلَبُ الْأَعْيَانُ وَالنَّصْرُ بِالصَّبَا وَإِطْلَاعُ غَيْبٍ وَالنَّجَا مِثْلُ عِصْمَةِ
عَلَيْكَ صَلَاةٌ وَالسَّلَامُ شَرِيكُهَا مِنَ اللهِ مَا دَامَتْ شُئُونٌ أُقِيمَتِ
وَعَلِّمْنِيَ الْأَسْمَـاءَ بِالجُودِ كُلَّهَا وَأَغْنِي بِهَا فِي الْفَضْلِ مَرْكَزَ نُقْطَةِ
وَصُبَّ عُلُومًا كَانَ مِنْكَ مُفَاضُهَا عَلَى قَلْبِيَ المَجْذُوبِ مِنْ جَهْلِ كِينَةِ
بِذَيْلِكَ فَاسْتَمْسِكْ مُسْتَشْفِيًا بِذَا طُفَيْلُكَ لَا يَشْقَى بِخِذْلَانِ خَيْبَةِ
أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ بِحُبِّهِ يُكَمَّلُ لِلْإِنْسَانِ إِيمَانُ صِحَّةِ
وَيَا مَنْ عُقُولُ الخَلْقِ فِي دَرْكِ كُنْهِهِ حَيَارَى بِتَعْمِيقِ المَعَانِ وَفِكْرَةِ

عَلَيْكَ صَلاَةٌ والسَّلاَمُ مُشَارِكٌ   مِنَ اللهِ مَا دَامَتْ أَسَامٍ تَجَلَّتِ

وأَسْقِ بِمَاءِ السَّلْسَبِيلِ وكَوْثَرٍ   شَرَاباً بِلاَ ظَمْءٍ لِصَاحِبِ شُرْبَةِ

لَقَدْ عِيلَ صَبْرِى ثُمَّ لاَ لِىَ قِبْلَةٌ   سِوَاكَ ولَمْ أَفْتَأْ أُلاَزِمُ قِبْلَتِى

أَيَا مَنْ وقَاهُ اللهُ بِالْعَنْكَبُوتِ والْـ   حَمَامَةِ فِى غَارٍ عَلَى ظَهْرِ هِجْرَةِ

عَلَيْكَ صَلاَةٌ مَا لَهَا مِنْ نِهَايَةٍ   كَمَا لِسَلاَمٍ مِنْ إِلَهِ الْبَرِيَّةِ

وأَرْنِىَ مِرْآةً بِنُورٍ صَقِيلَةً   لِتَطْبَعَ ذَاتِى حُسْنَهَا أَىَّ طَبْعَةِ

فَكَمْ لِلْفَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ عِنَايَةٌ   تُدَمِّرُهُ والرُّوحُ بَالِغُ جُبَّةِ

ولِلدَّهْرِ نَفَحَاتٌ تَهُبُّ بِرَحْمَةٍ   ولِلْعَبْدِ بَعْدَ الْيَأْسِ أَلْطَافُ زُلْفَةِ

ولِلهِ كَمْ لُطْفٍ خَفِىٍّ عَلَى النُّهَى   تَقَاصَرَ فِى إِدْرَاكِهِ كُلُّ حِيلَةِ

عَلَى حَسَبِ اسْتِعْدَادِهِ فِى اجْتِهَادِهِ   يَجِىءُ جَنَى الْإِمْدَادِ فِى كُلِّ نَهْجَةِ

وفِى الصَّلَوَاتِ وَالسَّلاَمِ عَلَى النَّبِى   تَفَنَّنْتُ تَجْدِيدًا لِشَوْقِ الْأَحِبَّةِ

وأَهْدِى بِهَا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاىَ فِى   جَمِيعِ شِكَايَاتِى ابْتِغَاءَ لِنُصْرَةِ

لِيُكْرِمَنِى بِالْفَيْضِ فِى كُلِّ صِيغَةٍ   كَرَامَةَ صِدِّيقٍ وفَتْحَ خَلِيفَةِ

يُجَدِّدُ لِى فِى كُلِّ نَفَسٍ مَوَاهِباً   إِلَى آخِرِ الْآبَادِ فِى كُلِّ لَمْحَةِ

وشَارَكْتُ رَبِّى فِى الصَّلاَةِ عَلَى الرِّضَى   مَعَ الْمَلَإِ الْأَعْلَى الْكِرَامِ الْمُطِيعَةِ

لِيُخْرِجَنِى مِنْ ظُلْمَةِ الطَّبْعِ والْهَوَى   إِلَى النُّورِ مَصْحُوباً بِلُطْفٍ ونَفْحَةِ

ويُعْرِجَنِى مَرْقَى الْكَمَالِ مَعَ الرِّضَى   ويَجْذِبَنِى الْأَنْوَارَ نَحْوَ الْعَلِيَّةِ

ويَرْضَى لِىَ الْإِسْلاَمَ دِيناً ومَنْهَجًا   ويُكْمِلَ لِى دِيناً لِإِتْمَامِ نِعْمَةِ

ألاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ لِنَصْرِهِ … أقَرَّ جَمِيعُ الرُّسْلِ حِينَ الرِّسَالَةِ

وَيَا مَنْ لَهُ الرَّحْمنُ أسْرَى مُرَقِّياً … إلَى الحَضَرَاتِ الخَمْسِ مَارَّ الخَلْوَةِ

وَإنَّكَ نُورٌ لاَمِعٌ تَمْلأُ السَّمَا … وَنِلْتَ لِتَقْوَى كُلَّ عِلْمٍ وَتُحْفَةِ

وَمَنْ وَضَعَ الآصَارَ عَنَّا مُخَفِّفاً … كَتَخْفِيفِ خَمْسٍ بَعْدَ خَمْسِينَ قَرَّتِهِ

عَلَيْكَ صَلاَةٌ كَالسَّلاَمِ تَرَادَفَتْ … مِنَ اللهِ مَا الأشْيَاءُ قَامَتْ وَمَرَّتِ

أعِنِّي عَلَى فَتْحٍ مُبِينٍ مُكَاشِفٍ … وَذَكِّرْنِيَ عَهْدِي عَلَى حِينَ غَفْلَتِي

وَأسْقَطْتُ لِلْحِبِّ المُسَمَّى مُحَمَّدًا … جَمِيعَ ضَمِيرٍ لِي وَكُلَّ إضَافَةِ

وَجِئْتُ بِلاَ قَلْبٍ إلَيْهِ بِقَالِبٍ … ذَلِيلاً مُطِيعاً ذَاهِلاً عَنْ حَقِيقَتِي

لِيُحْيِيَ قَلْبِي المَيْتَ عَنْ جَهَالَةٍ … وَيَمْلأَهُ بِالْعِلْمِ خَيْرَ خَزِينَةِ

ألاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ لَهُ القَمَرْ … قَدِ انْشَقَّ تَصْدِيقاً لَهُ أيَّ شَقَّةِ

وَيَا مَنْ يَرَى مِنْ خَلْفِهِ كَأَمَامِهِ … وَيَا مَنْ نَأى عَنْهُ ذُبَابٌ كَظُلَّةِ

وَمَنْ صَلَّتِ الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِخَلْفِهِ … وَمَنْ أبْرَأَ الآلاَمَ مِنْ كُلِّ عِلَّةِ

عَلَيْكَ صَلاَةٌ وَالسَّلاَمُ تَوَافَقَا … مِنَ اللهِ مَا الأكْوَانُ مِنْهُ اسْتَمَرَّتِ

وَحَاجَاتُ نَفْسِي لِلْمَدَادِ كَثِيرَةٌ … كَمَا لِيَ آمَالٌ تَطُولُ لِمُدَّتِي

وَأكْبَرُهَا رِضْوَانُ رَبِّي وَحِفْظُهَا … عَلَيَّ بِمَحْضِ الفَضْلِ أكْبَرُ مِنَّةِ

وَذَنْبِيَ يَسْتَوْلِي مَلاَكِيَ قَائِدًا … إلَى جُرُفٍ هَارٍ لأعْمَقِ حُفْرَةِ

فَأنْقِذْنِ يَا ذَا الشَّفَاعَةِ وَاللِّوَا … مِنَ المَكْرِ وَالخُسْرَانِ بَلْ كُلِّ فِتْنَةِ

ألاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ يُظِلُّهُ … سَحَابٌ لِحَرِّ الشَّمْسِ حَرَّ الظَّهِيرَةِ

وَمَنْ دَرَّ ضَرْعُ الشَّاةِ فى مَسْحِ كَفِّهِ … وَرَدَّ بِهَا بِالشَّمْسِ عَيْنَ قَتَادَةِ
عَلَيْكَ صَــــلاَةٌ تَابِعٌ تَسْلِيمُهَا … مِنَ اللهِ مَا الأَحْقَابُ مَرَّتْ وَكَرَّتِ
فَأَلْبِسْنِى مِنْ سِرِّ نَصْرِكَ عِصْمَةً … تَـكُفُّ بِهَا عَنِّى بَلاَ كُلِّ مُثْلَةِ
فَتَطْلُعَ شَمْسُ النَّصْرِ وَالْعَوْنِ فى سَمَا … ءِ وَجْهِى وَتَعْمَى كُلُّ عَيْنٍ غَمِيزَةِ
وَأَلْبِسْنِى تَاجَ الخِــــلاَفَةِ جَهْرَةً … وَعَمِّمْنِى بِالحِفْظِ أَجْمَــــلَ سُتْرَةِ
وَأَلْبِسْنِى ثَوْبَ الْقَبُولِ مُؤَيَّدًا … بِنَفْحَةِ خَـيْرٍ مِنْكَ فى أَىِّ حَالَةِ
أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ هُوَ الَّذِى … لَهُ الشَّمْسُ رُدَّتْ كَالسِّهَامِ الرَّمِيَّةِ
عَلَيْكَ صَلاَةٌ مِنْ إِلٰهِى تَطِيرُهَا … سَــلاَمٌ يَلِيقُ قَدْرُهُ كَالْوَسِيلَةِ
وَفَهِّمْنِى فى كُلِّ عِــــلْمٍ حَقِيقَةً … وَأَلْقِ إِلَىَّ الإِذْنَ فى كُلِّ كِلْمَةِ
وَحَقِّقْنِى فى كُلِّ سِرٍّ مُطَلْسَمٍ … لِامْشِىَ فى آثَارِكَ الحِـكْمِيَّةِ
وَحَقِّقْنِى فى كُلِّ عِلْمٍ تَجَلِّيًا … لِأَحْفَظَ كُلَّ الحِفْظِ كُلَّ الشَّرِيعَةِ
أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ دُعَاؤُهُ … شَفَى أَهْلَ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ المَرِيضَةِ
وَكَمْ قَدْ شَفَا الدَّاءَ الْعُضَالَ بِهِ وَكَمْ … بِهِ أُحْيِيَ الأَمْوَاتُ مِنْهُ بِدَعْوَةِ
عَلَيْكَ صَــــلاَةٌ وَالسَّلاَمُ تَلاَزَمَا … تَلاَزُمَ أَعْرَاضٍ لِجِسْمٍ وَجُثَّةِ
فَأَرْنِى جِسْماً صِيغَ بِالنُّورِ كَامِلاً … مُنِيرًا إِذَا مَا الشَّمْسُ فى اللَّيْلِ ضَلَّتِ
وَصَافِحْنِى كَفًّا عَلَيْهِ كَرَامَةٌ … لِتُكْرِمَنِى بِالسَّعْدِ مِنْ قَبْلِ شَقْوَةِ
وَزَوِّدْنِى فَتْحًا مُبِيناً لِتَمْحُوَ الْ … جَهَالَةَ مِنْ قَلْبِى وَسَائِرِ جُمْلَتِى
أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ تَنَوَّرَتْ … بِمَوْلِدِهِ أَرْضُ لِبُصْرَى كَدَجْلَةِ

وَمَوْلِدُهُ يَبْنِي لِدِينٍ أَسَاسَهُ	بِلَيْلٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ إِلَّا بِفَرْحَةِ
هَوَاتِفُ بُشْرَى الْمُصْطَفَى قَدْ تَتَابَعَتْ	بِأَنْ وُلِدَ الْمُخْتَارُ قُطْبُ الشَّرِيعَةِ
فَنُورٌ مُبِينٌ جَاءَنَا مِنْ إِلَهِنَا	عَلَى فَتْرَةٍ مِنْ رُسْلِهِ وَالنُّبُوَّةِ
هُوَ النُّورُ كُلُّ النُّورِ ضَوْءًا وَرِفْعَةً	لَقَدْ جَاءَنَا نُورٌ جَلَا كُلَّ ظُلْمَةِ
عَلَيْكَ صَلَاةٌ عَاطِفٌ تَسْلِيمُهَا	مِنَ اللهِ يَتْرَى كَرَّةً مِثْلَ دِيمَةِ
أَلَا فَاقْرِنِي خَيْرًا كَثِيرًا وَنُصْرَةً	وَرُوحًا وَرَيْحَانًا وَجَنَّاتِ نِعْمَةِ
يُلَذِّذُنِي تَكْرِيرُ إِسْمِكَ دَائِمًا	تَلَذُّذَ ظَمْآنٍ لِمَاءٍ وَجُرْعَةِ
فَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ مُغَاضِبِي	وَلَيْتَكَ تَرْضَانِ رِضًى كَالطَّبِيعَةِ
وَلَيْتَكَ تُعْطِي وَالْأَنِيمُ أَشِحَّةٌ	فَكَانَ الَّذِي نَرْجُوهُ مِثْلَ بَسِيطَةِ
فَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ	وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْخَلْقِ دَكٌّ بِدَكَّةِ
إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ فَالْقَصْدُ حَاصِلٌ	وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ كَتُرْبَةِ
أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ بِعِلْمِهِ	تَعَلَّمَتِ الْأَمْلَاكُ وَالرُّسْلُ مُدَّتِ
وَمَنْ أَرْهَصَ اللهُ لَهُ مُعْجِزًا كَمَا	تَدَاعَى لَهُ إِيوَانُ كِسْرَى بِرَجْفَةِ
وَمَنْ خَمِدَتْ نِيرَانُ فُرْسٍ لَهُ وَمَنْ	لَهُ خَرَّتِ الْأَوْثَانُ مِنْ حِينِ بِعْثَةِ
وَمَنْ حُفِظَتْ مِنْ كُلِّ جِنٍّ لَهُ سَمَا	كَمَا حُفِظَ الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ رَبْذَةِ
أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي مُقَدِّمٌ	إِلَيْكَ جَلَالَ اللهِ خَيْرَ عَزِيمَةِ
فَأَمْدِدْنِي فِي كُلِّ مَا أَنَا قَارِئٌ	مِنَ الْوِرْدِ وَالْقُرْآنِ بَلْ كُلَّ قُرْبَةِ
سَأَلْتُكَ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَوَجْهِهِ	وَمَا تَدْرِيهِ مِنْ جَلَالٍ وَعِزَّةِ

فَلاَ تَرْدُدَنِّى خَائِباً فى مَسَائِلِى ... وَأَعْطِ مُرَادِى عاجِلاً غَيْرَ بُطْئَةِ
مُرَادِى عَزِيزٌ مُعْسِرٌ غَيْرَ أَنَّهُ ... يَسِيرٌ إِذَا جَادَتْ عَلَيَّ أَحِبَّتِى
أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ هُوَ الَّذِى ... بِإِرْسَالِهِ قَدْ سُدَّ بَابُ النُّبُوَّةِ
عَلَيْكَ صَلاَةٌ مِنْ إِلٰهِى رَدِيفُهَا ... سَلاَمٌ مَتَى مَا دَامَ شَأْنُ الْبَرِيَّةِ
وَبَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاىَ أُهْدِى الصَّلاَةَ لِلرَّ ... سُولِ لِيَرْضَانِى بِأَخْذِ الْهَدِيَّةِ
أَرُومُ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَنَوَى الْقَضَا ... أُعَلِّلُ نَفْسِى وُصْلَةً أَىَّ مُدَّةِ
عَسَى الْكَرْبُ مِنِّى أَنْ يَزُولَ مُشَتَّتاً ... فَعِنْدَ لِقَاءِ الْحِبِّ نِسْيَانُ حَبَّةِ
وَكَمْ فَرَحٍ مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ وَكُرْبَةٍ ... وَكَمْ فَرَجٍ لِلّهِ مِنْ بَعْدِ شِدَّةِ
وَكَمْ دَعْوَةٍ مِنْ بَعْدِ طَرْدٍ مُجَابَةٍ ... وَكَمْ لِلْفَتَى مِنْ بَعْدِ مَنْعٍ عَطِيَّةِ
أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ بِكَفِّهِ ... تَفَجَّرَ مَاءٌ مِثْلَ أَفْوَاهِ قِرْبَةِ
وَمِنْ طَعَامٍ قَلَّ أَشْبَعَ صَحْبَهُ ... وَأَوْرَاهُمُ مَاءٌ قَلِيلاً بِرَكْوَةِ
عَلَيْكَ سَلاَمٌ وَالصَّلاَةُ تَجَدَّدَتْ ... تَجَدُّدَ خَلْقِ اللهِ مِنْهُ وَنِعْمَةِ
وَأَصْلِحْ لِى فى ذُرِّيَّتِى وَعَافِنِى ... بِدُنْيَا وَأُخْرَى كُلَّ ضُرٍّ وَفِتْنَةِ
لَكَ الْمُعْجِزَاتُ الْوَافِيَاتُ فَمَنْ يَرُمْ ... لَهَا عَدَدًا تَتْبَعْهُ أُخْرَى كَمَوْجَةِ
أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ بِاللهِ أَرْضِنِى ... بِرُؤْيَاكَ فى نَوْمٍ وَفى كُلِّ يَقْظَةِ
وَأَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ وَالاَكَ خَلْقَهُ ... فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعْ قَالَ أَنْتَ خَلِيفَتِى
وَلَوْلاَ حِجَابٌ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ... لَعَايَنْتُ رَأْىَ الْعَيْنِ عَيْنَ الْحَقِيقَةِ
إِذَا فُزْتُ بِالْغُنْمِ الَّذِى لَيْسَ فَوْقَهُ ... نِهَايَاتُ غَايَاتٍ لِرَائِمِ غَايَةِ

أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ بِجُودِهِ تَعَرَّضَتِ الْأَنْهَارُ فِى كُلِّ مُزْنَةِ
وَمَنْ أَسْرَاهُ اللهُ نُورًا مُنَوَّرًا إِلَى حَضَرَاتِ الْقُدْسِ أَطْهَرِ بُقْعَةِ
وَأَصْبَحَ مَتْبُوعًا مُطَاعًا مِنَ السَّمَا وَأَصْبَحَ مَتْحُوفًا بِكُلِّ كَرِيمَةِ
وَمَنْ جُنْدُهُ الْأَمْلَاكُ فِى غَزَوَاتِهِ وَمَنْ حَسْبُهُ الرَّحْمنُ مِثْلُ الصَّحَابَةِ
وَمَنْ جُودُهُ الدُّنْيَا وَجَنَّاتُ عَدْنِهِ وَمَنْ بَعْضُ مَعْلُومَاتِهِ لَوْحُ حِفْظَةِ
وَمَنْ هُوَ نُورٌ كَامِلٌ مُطْلَقٌ سَطَعْ وَمَنْ سِرُّهُ يَسْرِى لِدَاخِلِ كِلْمَةِ
وَمَنْ جَاءَهُ نَصْرُ الْإِلٰهِ وَفَتْحُهُ وَمَنْ سَبَّحَتْ فِى كَفِّهِ حِصْىُ هَضْبَةِ
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللهِ كَالتَّسْلِيمِ ـــلًا مَا مَرَّ دَهْرٌ دَاهِرٌ كَالْعَقِيقَةِ
أَلاَ فَاشْهَدَنِّى فِى الْمَمَاتِ مُذَ كَرِّا لِـكِلْمَتِي الْإِخْلَاصِ سَاعَةَ غَمْرَةِ
أَلاَ فَاحْضُرَنْ عِنْدَ السُّؤَالِ مُلَقِّنًا جَوَابًا صَحِيحًا غَيْرَ عِيٍّ وَفَهَّةِ
أَلاَ خَطِيبَ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ خَوَتْ بِمَوْلِدِهِ أَصْنَامُ كُلِّ قَبِيـــلَةِ
وَمَنْ هُوَ فِى يَوْمِ الْقِيَامَةِ سَـيِّدٌ كَمَا سَادَ كُلَّ الْخَلْقِ أَوَّلَ مَرَّةِ
وَمَنْ كُلُّ الْخَلْقِ تَحْتَ لِوَائِهِ لَهُ ثُمَّ تَمَّ الْفَخْرُ عِنْـدَ الشَّفَاعَةِ
وَمَنْ يَسْتَجِرْ مُسْتَنْجِدًا بِمُحَمَّدٍ مِنَ اللهِ يَلْقَ الْأَمْنَ فِى كُلِّ وَقْعَةِ
أَتَمْنَعُنِى وَالدَّارُ غَيْرُ مُسَـكَّرٍ لِقَاصِدِ هَدْىٍ أَوْ لِطَالِبِ إِرْبَةِ
وَسِيرَتُكَ الْعُظْمَى كَثِيرٌ فَمَنْ يَرِدْ فَيَقْرَأْ فِى الْقُرْآنِ كُلَّ عَشِيَّةِ
وَإِنَّكَ كَالْبَحْرِ الْمُحِيطِ لِعَارِفٍ فَمِنْ أَىِّ وَجْهٍ جَاءَ فَازَ بِغَرْفَةِ
وَقَدْ جَاءَ فِى الْأَخْبَارِ مَنْ أَمَّنَا وَجَبْ عَلَيْنَا لَهُ حَقٌّ بِغَـــيْرِ ضَعِيفَةِ

فَإِنْ تَنْسَخُ فَالْمَرْجُوُّ مِنْكَ صَلَاحُ مَا   بِبَاطِلِنَا مِنْ كُلِّ أَدْوَا ضَغِينَةِ

فَحُبُّ رِيَاسَاتٍ وَتَقْدِيمُ مَنْزِلٍ   نَهَانِي عَنِ الْأُخْرَى كَجَمْعٍ وَأُكْلَةِ

وَيَقْبُحُ أَمْنُ الْمَكْرِ لِي كُلَّ حَالَةٍ   وَيُحْزِنُنِي خَوْفِي بِرَدِّ فَرِيضَتِي

يُخَوِّفُنِي إِنْذَارُ رَبِّي بِنَارِهِ   يُقَوِّي رَجَائِي اتِّكَالِي لِرَحْمَةِ

وَيُنَشِّطُنِي تَبْشِيرُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ   وَيُكَسِّلُنِي خَوْفُ الرِّيَاءِ وَسُمْعَةِ

وَصَالِحَ أَعْمَالِي خَلَطْتُ بِسَيِّئٍ   وَيُفْرِحُنِي فِي الْيَوْمِ تَجْدِيدُ تَوْبَتِي

وَلَمْ أَدْرِ مَا يُقْضَى عَلَيَّ وَلَيْتَنِي   دَرَيْتُ وَلَكِنْ غَابَ عَنِّيَ خَتْمَتِي

أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ تَعَزَّزَتْ   بِسَاحَتِهِ أَعْلَامُ كُلِّ فَضِيلَةِ

وَمَنْ آدَمٌ مِنْ جَاهِهِ مُتَوَسِّلٌ   وَصَلَّى عَلَيْهِ قَبْلَ حُكْمِ الْأُبُوَّةِ

عَلَيْكَ صَلَاةٌ وَالسَّلَامُ مُكَرَّرًا   عَلَى كَرِّ مَرِّ الدَّهْرِ مِنْهُ وَحِقْبَةِ

وَشَابِكْ وَبَيِّضْ كَفَّ ذِي الْجَهْلِ وَالضَّنَى

وَقَوِّمْ وَقَوِّ كُلَّ عُضْوٍ وَمُهْجَتِي

لِتَجْعَلَنِي بَيْنَ الْأَحِبَّةِ مُصْطَفًى   قَوِيًّا أَمِينًا غَيْرَ فَظٍّ وَلَا عَتِي

وَنَوِّرْ عَلَيَّ الْوَجْهَ بِالنُّورِ مِنْكَ فِي   مُوَاجَهَةٍ إِيَّايَ قَابِلْ حَقِيقَتِي

وَمَتِّعْ عُيُونِي بِالْمُعَايَنَةِ الَّتِي   تُكَرِّمُنِيهَا بِالْهُدَى وَالطَّرِيقَةِ

وَأَرِنِي وَجْهًا كُلُّ مَنْ شَافَهُ نَجَا   وَرَبِّ وَأَتْحِفْ كُلَّ رُشْدٍ وَطُرْفَةِ

وَعَزِّزْ وَنَجِّ وَانْصُرَنَّ عَلَى الْعِدَا   وَمَجِّدْ وَكَرِّمْ بِالصَّلَاةِ وَفُلْحَةِ

أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ إِلَيْهِ حَنَّ جِذْعٌ وَتُسْقَى الْأَرْضُ مِنْهُ بِدَعْوَةِ

وَمَنْ هُوَ نَبِيٌّ قَبْلَ نَشْأَةِ آدَمٍ   وَحَقَّ لَهُ مِنْ قَبْلُ خَتْمُ النُّبُوَّةِ
عَلَيْكَ صَلَاةٌ وَالسَّلَامُ تَلَازُمًا   لُزُومَ مَعَانٍ بِالْحُلَى الْمَعْنَوِيَّةِ
عَلَيْكَ بِحَاجَاتِي نَزَلْتُ مُنَادِيًا   مَتَى تَنْتَظِرْ فِي نُصْرَتِي وَإِعَانَتِي
لَجَأْتُكَ مُضْطَرًّا وَفِي الْقَلْبِ حَاجَةٌ   لِوَسَاطَةٍ مَعْهُودَةٍ مُسْتَقِيمَةِ
أَفِضْ لِي مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْأَنْوَارِ وَالْ   مَعَارِفِ وَالْأَذْوَاقِ بَحْرَ الْحَقِيقَةِ
وَعِلْمٍ وَتَوْحِيدٍ وَفَتْحٍ وَمَوْهِبٍ   وَقُرْبٍ وَأَخْلَاقٍ وَأَنْوَاعِ تُحْفَةِ
وَتَحْقِيقِ حَضَرَاتِ الْمَقَامَاتِ كُلِّهَا   لَطَائِفِ أَنْوَارٍ وَأَحْوَالِ قُرْبَةِ
وَشَوْقٍ وَمَحْوٍ ثُمَّ صَحْوٍ مُؤَدَّبًا   وَعَيْنِ يَقِينٍ ثُمَّ أَمْنٍ وَعِصْمَةِ
وَجَمْعٍ وَفَرْقِ الْجَمْعِ وَالْوَارِدَاتِ مَا   تُحِيطُ بِهِ الْأَشْيَاءُ مِنْ عَيْنِ فَيْضَةِ
أَلَا يَا إِمَامَ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ حَوَى   بِإِسْرَائِهِ أَصْنَافَ كُلِّ فَضِيلَةِ
وَجُزْتَ خِلَالَ الْعِزِّ وَحْدَكَ حَيْثُ لَا   يُدَانِيكَ خَلْقٌ بِالْفَلَاةِ الرَّفِيعَةِ
عَلَيْكَ صَلَاةٌ وَالسَّلَامُ مُتَابِعٌ   مِنَ اللهِ مَا دَامَ انْفِعَالَاتُ قُدْرَةِ
وَحَقِّقْ رَجَائِي كُلَّ مَا قَدْ سَأَلْتُهُ   لِأَنَّكَ بَابُ اللهِ فِي كُلِّ وِجْهَةِ
فَمَنْ رَامَ فَوْزًا بِالْمُرَادِ وَحَادَ عَنْ   صِرَاطِكَ أَخْطَا عَنْ سَوَاءِ طَرِيقَةِ
وَآثَرَ قَلْبِي حُبَّ دُنْيَا وَصَفْوَهَا   وَأُشْرِبَ فِيهِ كَامْتِزَاجِ الشَّرِيبَةِ
فَأَنْقِذْنِي مِنْ حُبِّهَا وَانْهَهَا عَنِ الْ   هَوَى لِأَرَى آثَارَ أَفْعَالِ أُسْرَةِ
أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ دُعَاؤُهُ   يَعُمُّ جَمِيعَ الْخَلْقِ مِنْ غَيْرِ ثُنْيَةِ
أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ ضَاقَتْ مَذَاهِبِي   أَيَلْحَقُ بِي ضَيْمٌ وَأَنْتَ وَسِيلَتِي

وَلاَ تَنظُرَنْ لُؤْمِى، وَسُوءَ تَأَدُّبِى ... وَلٰكِنَّكَ أَصْفَحْ لا تُنَاقِشْ طَبِيعَتِى
أَتُبْعِدُنِى مِنْ قُرْبِ سَاحَتِكَ الَّتِى ... تَوَسَّعُ كُلَّ الخَلْقِ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ
أَتَطْرُدُنِى وَالمَكْرُمَاتُ طَبَائِعٌ ... وَآلَفَكَ العَجْمَاءُ حِلْمًا بِقَفْرَةِ
أَتَمْنَعُنِى وَالجُودُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ ... تَعَلَّمَ مِنْكَ الصَّبْرَ أَجْنَاسُ هَضْبَةِ
وَإِنِّىَ قَدْ مُهْمَلٌ فِى دُجًى وَقَدْ ... تَعَلَّمَ مِنْكَ العِلْمَ أُمَنَا أَئِمَّةِ
أَلاَ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مَنْ كِتَابُهُ ... بَقِى بِبَقَا الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ نُسْخَةِ
وَمَنْ دِينُهُ يُسْرٌ قَوِيمٌ مُحَنَّفٌ ... وَأُمَّتُهُ كَانُوا كَذَا خَيْرَ أُمَّةِ
عَلَيْكَ صَلاَةٌ وَالسلاَمُ مَعًا مِنَ الْ ... إِلٰهِ عِدَادَ الخَلْقِ تَتْرًا بِسُرْعَةِ
فَيَغْلِبُنِى جَيْشٌ عَلَىَّ عَرَمْرَمٌ ... هَوَائِى وَشَيْطَانِى وَنَفْسِى مُضِلَّتِى
وَيَكْسَلُ جِسْمِى عَنْ أَدَاءِ فَرَائِضِى ... خَمِيسُ ذُنُوبِى حَارِبٌ بِعِبَادَتِى
كَثِيرَاتُ حُوبِى صَاعِدَاتٌ إِلَى السَّمَا ... حَقِيقٌ عَلَىَّ أَنْ أُبِثَّ شِكَايَتِى
وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ مَدْحَكَ وَاجِبٌ ... صَدَقْتُ إِلَيْهِ عَنْ مُهِمِّى أَعِنَّتِى
وَإِنِّى مَتَى أَعْزِمْ عَلَيْهِ يَرُدُّنِى ... قُصُورِىَ عَنْ تَتْبِيعِ تِلْكَ المَزِيَّةِ
وَمَا لاَ يُنَالُ كُلُّهُ مِنْ مُهِمَّةٍ ... فَلَيْسَ يُخَلَّى جُمْلَةً مِثْلَ جِيفَةِ
فَإِنْ كَانَ مَدْحٌ لِلنَّبِىِّ كَبَائِرًا ... فَهَا أَنَا ذَا مِنْ حِلْفِ كُفْرٍ وَبِدْعَةِ
وَحَيْثُ إِلٰهُ الخَلْقِ يَمْدَحُهُ رِضًى ... فَنَمْدَحُهُ لِلْمَوْتِ مِنْ غَيْرِ فَتْرَةِ
وَمَا زَالَ يَهْجُو عَنْ جَنَابِ نَبِيِّهِ ... يَذُبُّ وَيُرْدِى كُلَّ حِلْفِ ضَلاَلَةِ
أُشَارِكُ فِى الإِمْدَاحِ رَبِّى وَخَالِقِى ... وَمَا زِلْتُ أَشْدُو مِلْءَ فَمِّى وَشِدْقِى.

وَقَاصَيْتُ فِى الإِمْدَاحِ حَتَّى عَجَزْتُ أَنْ
أَكُونَ كَمِثْلِ بَاقِلٍ ذِى الْفَهَاهَةِ

وَعَاصَيْتُ أَهْوَائِى لإِيرَادِ وَصْفِهِ تَفَرَّقَتِ الأَوْصَافُ فِى كُلِّ قِبْلَةِ

وَلَمْ أَدرِ صَيْدًا مَا أُجَارِيهِ خَلْفَهُ وَيَمْنَعُنِى مِنْ دُونِهِ بُعْدُ شُقَّةِ

وَعَالَيْتُ حَتَّى لاَ عُلُوَّ لِقَاصِرٍ وَخَرَرْتُ عَنْهَا خَاسِئاً خَوْفَ عِلْيَةِ

وَغَالَيْتُ حَتَّى لاَ غُلُوَّ لِمُقْصِرٍ تَضَاءَلْتَ عَنْهَا عَاجِزًا خَوْفَ كَبْرَةِ

وَنَاهَيْتُ حَتَّى لاَ مُحَالَ فَإِنَّهُ إِلَى اللهِ رَبِّى مُنْتَهَى كُلِّ شَيْئَةِ

وَبَالَغْتُ فِى التَّفْتِيشِ حَتَّى ضَعُفْتُ بَلْ
فَقُلْتُ عَسَى رَبِّى يَنُوبُ بِدَهْشَتِى

نَعَمْ لاَ غُلُوَّ فِى امْتِدَاحِ مُحَمَّدٍ فَأَيْنَ مُقَاصَاتِى وَأَيْنَ بَلاَغَتِى

وَأَيْنَ مُعَاصَاتِى وَأَيْنَ عَلاَوَتِى وَأَيْنَ مُغَالاَتِى وَأَيْنَ نِهَايَتِى

وَلاَ حَوْلَ إِلاَّ بِالإِلٰهِ لِمَنْ بِهِ تَرَى وَالثُّرَيَّا حَائِطٌ أَىَّ حَيْطَةِ

فَلِى أَجَلٌ قَدْ عُدَّ وَالتَّعْدَادُ فِى فَضَائِلِهِ آنَاهُ أَيَّامِ طِيلَتِى(١)

لَهُ الأَرْضُ قَبْضٌ وَالسَّمٰوَاتُ طَيُّهُ لَهُ الْعَرْشُ بَسْطٌ وَالدُّهُورُ تَوَلَّتِ

وَلَوْلاَهُ لَمْ يُوجَدْ وُجُودٌ وَلَمْ يَزَلْ عَدِيماً عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَبْلِ نَشْئَةِ

وَكَانَ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ بِحَيْثُ يَكُونُ اللهُ رَبَّ الْبَرِيَّةِ

وَآتَاهُ سَبْعاً مِ الْمَثَانِى هِىَ الْ قُرْآنُ الْعَظِيمُ جَامِعاً كُلَّ شِرْعَةِ

---

(١) أى عمرى .

كِتَابٌ عَزِيزٌ يُعْجِزُ الخَلْقَ كُلَّهُمْ ... تَحَارُ النُّهَى فى نَظْمِهِ وَبَلاَغَةِ

وَإِنْ أُسْتَنْبَأُ(١) أَحَقٌّ فَقُلْتُ إِى ... وَرَبِّى إِنَّ المَدْحَ حَقُّ الحَقِيقَةِ

أَلاَ يَا شَفِيعَ النَّاسِ فَاقْبَلْ شَفَاعَتِى ... فَشَفِّعَنِّى فى وَالِدَىَّ وَوُلْدَتِى

وَصَحْبِى وَأَشْيَاخِى وَمَنْ قَدْ عَهِدْتُهُ ... بِخَيْرٍ وَجِيرَانٍ وَكُلٍّ عَشِيرَتِى

فَهَذَا قَصِيدِى ضِمْنُهُ شَكْوَى شُدْ ... تُهُ مُنْشِدًا مُسْتَنْسِخًا تَاءَ رَحْمَةِ

فَيَالَيْتَ شِعْرِى هَلْ يُحَصَّلُ لِى قَبُو ... لُ شِعْرِى لَدَى ذِى الْجُودِ مِنْ غَيْرِ رَدَّةِ

وَأَبْيَاتُهُ نُورٌ وَشَهْرُ نِظَامِهِ ... رَبِيعُ نَبِى تَارِيخُهَا خَطُّ نُسْخَةِ

عَلَيْهِ صَلاَةُ اللهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ ... يُصَاحِبُهَا مَا طَافَ خَلْقٌ بِكَعْبَةِ

وَقَدْ مَلاَ قَبْلاً وَبَعْدًا بِلاَ انْتِهَا ... عَلَى حَقٍّ قَدْرِ المُرْتَضَى كُلَّ لَحْظَةِ

وَمِقْدَارِهِ الأَعْلَى العَظِيمِ وَآلِهِ ... وَصَحْبٍ وَأَتْبَاعٍ لَهُمْ أَهْلِ قِبْلَةِ

« تمت القصيدة الثانية ، ويليها القصيدة الثالثة »

---

(١) أى استخبرنى مستخبر .

القصيدة الثالثة ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، اللهم صل على السيد المسمى بالأسماء الحسنى المنعوت بالصفات الأسنى ، وعلى آله وصحبه ومن والاه الموعودين بالحسنى .

أما بعد : فهذه قصيدة تهنئ المسماة : « بنفحة الوارد الربانى فى مدح قطب الختم أحمد التجانى » رضى الله عنه وأرضاه ، وعنا به لمنشدها محمد عبريم بن العالم محمد عامله الله باللطف والفضل والتكريم ، ومطلعها :

لى أَحْمَدَ التِّجَّانِى أَنْهِى قَصِيدِى	قَصَدْتُ إِلَيْهِ بِالْفُؤَادِ الْكَمِيدِ
جُوبُ بِمَدْحِ الْعَيْنِ كُلَّ تَنُوفَةٍ	أَهِيمُ لِشَوْقٍ فى الْفُؤَادِ عَتِيدِ
لِلْقَلْبِ طَىٌّ لِلْفَيَافِى بِمَدْحَــةٍ	وَلِلْعَيْنِ طَىٌّ لِلسَّمَاءِ الْبَعِيــــدِ
لِصَّبِّ شَوْقٌ يَعْتَرِى كُلَّ سَاعَةٍ	وَلِلدَّهْرِ شَأْنٌ كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدِ
جُوسُ خِلَالَ الشَّوْقِ أَطْلُبُ مُنْتَهًى	فَلَا مُنْتَهَى إِلَّا وُصُولُ مُفِيــــدِ
نا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ حُبِّهِ	أَعَزُّ وَأَقْوَى مِنْ قَوِىٍّ شَـدِيدِ
ا ذَاكَ إِلَّا جَـذْبُهُمْ لِمُرِيدِهِمْ	فَلِلْمَغْنَاطِيسِ انْجِذَابُ حَـدِيدِ
نْ طَبْعُهُ جَمْعُ الْجَوَامِـعِ كَاسْمِهِ	وَمَنْ هُوَ زُبْدُ النُّورِ خَيْرُ وَلِيدِى
نْ فَيْضُهُ هَمْعُ الْهَوَامِـعِ الْأُولَى	بِهِ قَصَدُوا وَاسْتَمْسَـكُوا بِالْمَجِيدِ
فَضَّلَ اللهُ التِّجَّانِىَّ أَحْمَـدَا	عَلَى الْأَوْلِيَا النُّجَبَاءِ غَيْرَ بَدِيدِ

فَمَنْ شاَء فَلْيُؤْمِنْ بِمَا قَدْ رَوَيْتُهُ ... ومَنْ شاَء فَلْيَكْفُرْ بِكُلِّ سَدِيدِ
فَمَنْ شاَء فَلْيُؤْمِنْ فَإِنِّى حَلَفْتُ بِالْـ ... إِلٰهِ الْعَزِيزِ والحَكِيمِ الرَّشِيدِ
لَئِنْ تَسْأَلَنِّى عَنْ حَقِيقَةِ أَحْمَدٍ ... أُجِبْكَ بِقَوْلٍ صَحَّ تَحْتَ الْوَرِيدِ
فَمَا هُوَ إِلاَّ صِرْفُ نُورِ مُحَمَّدٍ ... تَبَيَّنَ بَعْدَ الْكَتْمِ عِنْدَ الْحَمِيدِ
وذَا نَجْلُهُ حَقًّا كَمَا هُوَ نُورُهُ ... وهَا هُوَ خَيْرُ الْجِنْسِ خَيْرُ الْحَفِيدِ
وسِرُّ أُبُوَّةٍ فى الْبُنُوَّةِ قَدْ سَرَى ... كَمَا سِرُّ نَخْلٍ فى النَّوَى والْبَدِيدِ
وسِرُّ نُبُوَّةٍ فى الْوِلاَيَةِ كَامِنٌ ... وسِرُّ آبٍ يَسْرِى سُرًى لِلْوَلِيدِ
وَأُذْهِبَ رِجْسٌ عَنْهُمْ ثُمَّ طُهِّرُوا ... لِأَجْلِ نَبِيِّ اللهِ خَيْرِ عَقِيدِ
عَجِبْتُ انْتِقَادَ الجَاهِلِينَ لِجَهْلِهِمْ ... مِنَ التَّرْجُمَانِ مِنْ رَسُولٍ شَهِيدُ
فَلِلْوَرْقِ والدِّينَارِ دَفْنٌ لِمُدَّةٍ ... فَيُخْرَجُ عِنْدَ الاحْتِيَاجِ الشَّدِيدِ
تَنَوَّرَهُ مَنْ يُسْعِدُ اللهُ ثُمَّ مَنْ ... عَنِ النُّورِ يَعْشُو فى ضَلاَلٍ بَعِيدِ
يُرَبِّى مُرِيدًا أَمَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ... ومَا هُوَ إِلاَّ النَّقْلُ لِلْمُسْتَزِيدِ
وإِنْ شَاءَ يَظْهَرْ لِلْمُرِيدِ مُرَبِّيًا ... عَلَى حَسَبِ الإِقْبَالِ مِنْ مُسْتَفِيدِ
فَإِنْ يَسْخُ فَالْمَرْجُوُّ كَشْفُ الحِجَابِ كَىْ
نَرَاهُ عَلَى التَّحْقِيقِ غَيْرَ حَفِيدِ
يُفِيضُ عَلَيْنَا كُلَّ عِلْمٍ وحِكْمَةٍ ... مُعَلَّمَةٍ مِنْ جَدِّهِ والشَّهِيدِ
فَيَغْسِلُ رَيْنَ الْقَلْبِ صَفْوُ رَحِيقِهِ ... لِكَىْ أَتَحَلَّى بِاللِّبَاسِ الجَدِيدِ
ورَبِّى عَسى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ نَهْـ ... جِهِ كَىْ أُرَوَّى بِالرَّحِيقِ الرَّغِيدِ

لَقَدْ كَانَ حَيْثُ اللهُ رَبٌّ خَلِيفَةً ... وَغَوْثاً يُرَبِّيهِمْ بِفَيْضٍ مَدِيدِ
وَقَدْ كَانَ قُطْبَ الاوْلِيَاءِ جَمِيعِهِمْ ... وَجَامِعَهُمْ فِى كُلِّ خَــيْرٍ نَضِيدِ
وَذَاكَ هُوَ الْقُطْبُ الْمُكَتَّمُ أَمْرُهُ ... وَبَيْنَهُمُ حَجْبٌ بِقَصْرٍ مَشِــيدِ
سِوَى جَدِّهِ الْمُخْتَارِ يَعْلَمُ أَنَّهُ ... يُوَارِثُهُ فِى الْخَتْمِ (١) ثُمَّ الْوَلِيدِ
وَلَهُ مَقَامٌ خَصَّهُ اللهُ فِى الْأَزَلْ ... مَقَامٌ تَنَاهَتْ دُونَهُ كُلُّ بِيدِ
وَمَا فَوْقَهُ إِلاَّ مَقَامُ نُبُــوَّةٍ ... لَهُ كُلُّ عِلْمٍ دُونَهَا بِالْوَصِــيدِ
يُفِيضُ عَلَى الاغْوَاثِ غَيْباً وَمَشْهَدًا ... وَلَيْسُــوا عَلَى أَمْدَادِهِ بِشَهِيدِ
أَيَا أَحْمَــدُ التِّجَّانِ يَا غَايَةَ الْمُنَى ... نَزِيلُكَ نَادَى طَالِباً بِزَهِيــدِ
أَخَذْتُ سَبِيلاً وَاصِلاً شَيْخَنَا إِلَى الرَّ ... سُولِ وَيَهْدِينِى لِنَهْجٍ وَطِيدِ
كَأَنِّى الَّذِى أَحْتَاجُ لِلْوَصْلِ وَاللِّقَا ... وَلِلْعَائِدِ الْمَوْجُودِ خَــيْرَ عَهِيدِ
عَسَى أَنْ تَجُودَ وُصْلَةً أَشْتَفِى بِهَا ... عَنِ الْغَيْرِ أَسْتَغْنِى بِخَـيْرِ قَعِيدِ
يُعَجِّلُ مَا قَدْ كَانَ لِى ضَامِناً بِهِ ... وَيَجْمَعُ شَمْلاً لِى بِلَمٍّ أَكِيدِ
وَإِنِّى وَإِنْ كُنْتُ الْعَرُوضَ عَرَفْتُهَا ... لَذَبَبْتُ عَنْ شَيْخِى بِأَلْفَىْ قَصِيدِ
يَرَاعِى قَصِيرٌ فِى صِنَاعَةِ أَبْيُتٍ ... وَلَسْتُ الْقَوَافِى فِى الْغِنَا بِمُجِيدِ
فَمَا لاَ يُنَالُ كُلُّهُ مِنْ مُهِمَّةٍ ... فَلَيْسَ يُخَالَى جُمْلَةً كَالَّحِيدِ (٢)
وَلَٰكِنَّ خَيْطَ النُّورِ مِنْ شَيْخِنَا يَحِيـ ... ـصُ شَقَّ فُؤَادِى بِالرِّضَى وَمَزِيدِ
لِلُطْفٍ خَفِىٍّ مِنْ عِنَايَةِ رَبِّنَا ... يَفُوزُ الْفَتَى مِنْ شَيْخِهِ كَالْعَبِيدِ

---

(١) الرزانة والعقل .

(٢) كالملحود فى الرمس .

أيا صاحبَ الأنوارِ والاسرارِ والْ   معارفِ والأحظى ببختٍ جريدِ (١)
ويا دوزَ أنوارٍ ودوزَ إحاطةٍ   ويا ملجأَ الملهوفِ خيرَ عميد
عليكَ بحاجاتي نزلتُ فأعطني   وما خيرُكمْ للحبِّ غيرُ فقيدِ
فكمْ منْ مُريدٍ نالَ فوقَ مُرادِهِ   وكمْ منْ مُريدٍ نالَ خيرَ زعيدِ
فيا فوزَ منْ يأتي لوِردِكَ وارتوى   ويا فوزَهُ يا فوزَهُ منْ سعيدِ
هوَ الخيرُ كلُّ الخيرِ في وِردِهِ لمنْ   يُريدُ الصِّراطَ المُستقيمَ بجيدِ
تمسَّكْ بحُبِّ الشَّيخِ أحمدَ ذي الوفا   ومنْ هوَ في الإنجاءِ خيرُ عميدِ
تمسَّكْ بهِ إنْ أعضلَ الدَّهرُ في العِدَى
فما هوَ إلاَّ النُّجحُ للمُستفيدِ
فكمْ منْ كراماتٍ لهُ فاتتِ المدى   تناقلها الرُّكبانُ كلُّ عتيدِ
وكمْ منْ عُلومٍ غامضاتٍ حكيْنَ في الْ   خفاءِ السُّها جلَّى بغيرِ قليدِ (٢)
وكمْ نُشرتْ أورادُهُ المُنجياتُ في الْ   قُرى وحواليْها بنشرٍ قعيدِ (٣)
وما زلتُ أستسقيهِ منْ فيضِ جُودِهِ   لأروى ويَرويني بماءٍ صريدِ (٤)
بدايتُهُ للأولياءِ نهايةٌ   نهايتُهُ لمْ يحوِها كلُّ صيدِ (٥)
لذا فاقَ كلَّ العارفينَ بربِّهمْ   ولهُ اختصاصٌ منْ عليٍّ شهيدِ
ولهمْ مقاماتٌ لغيرِ عليَّةٌ   مقامُ التِّجانِي منْ علٍ وحريدِ (٦)
هوَ المرءُ لا يشقى جليسٌ لهُ ولا   يُذادُ بلا علمٍ بخيرٍ قعيدِ

---

(١) تام .   (٢) ملوى .   (٣) جراد .
(٤) خالص .   (٥) جمع أصيد .   (٦) معتزل .

بِهِ خَتَمَ اللهُ الوِلايَةَ كُلَّهَا كَمَا جَدُّهُ فى الخَتْمِ خَيْرُ جَدِيدِ[1]
وجَاءَ بِمَا يَسْبِى عُقُولَ أُولِى النُّهَى بِإِيضَاحِ تَفْسِيرِ القُرآنِ جَدِيدِ
كَذَاكَ حَدِيثُ المُصْطَفَى جَدَّدَتْ لَنَا عِبَارَاتُهُ إِجْلاءَ مَعْنًى مَهِيدِ[2]
ونِسْبَتُهُ تَكْفِيكَ فَضْلاً ومَنْصِباً إِلَى خَيْرِ خَلْقِ اللهِ خَيْرِ أَصِيدِ[3]
وأَكْرِمْ بِهِ جَدًّا وأَبْدِعْ بِهِ أَبًا وأَفْضِلْ بِهِ مِنْ مُعْتَزًى وحَشِيدِ
لَهُ نَسَبٌ عَالٍ عَلَى كُلِّ مُعْتَلٍ إِلَى أَنْ عَلاَ سَبْعاً بِغَيْرِ جَحِيدِ
تُحِيطُ بِهِ فى كُلِّ وجْهٍ فَضَائِلٌ كَمَا قَدْ كَفَاهُ اللهُ كُلَّ تَلِيدِ
فَمَنْ فَضْلَهُ يُؤْمِنْ فَذَالِكَ مُؤْمِنٌ ومَنْ يَكْفُرَنْهُ فَهْوَ شَرُّ وَقِيدِ
أَيَا مَنْبَعَ الأَنْوَارِ والعِلْمِ والعَطَا أَيَا مَخْزَنَ الأَسْرَارِ لِلْمُسْتَفِيدِ
أَيَا نُورَ أَنْوَارٍ ودَوْرَ إِحَاطَةٍ أَيَا مِفْتَاحَ الغَيْبِ لِلْمُسْتَزِيدِ
ويَا كَنْزَ أَسْرَارٍ وخَيْرَ مُوَلَّدٍ لِأَحْمَدَ ذِى الإِفْضَالِ خَيْرِ عَمِيدِ
مَدَحْتُكَ أَرْجُو السُّؤْلَ والفَضْلَ والمُنَى ومَنْ يُعْطِ مَا لَمْ نُعْطِهِ لِبَلِيدِ
وأَرْجُو عَطَاءً مِنْ لَدُنْكَ وحِكْمَةً وتَرْبِيَةً مَوْعُودَةً مِنْ شَهِيدِ
وكَشْفَ الغِطَا والفَتْحَ والسِّرَّ والرِّضَى
فَكَفُّكَ مَبْسُوطٌ لِغَمْرٍ كَسِيدِ
وقَدْ قَالَ خَيْرُ الخَلْقِ مَنْ أَمَّنا وجَبْ عَلَيْنَا لَهُ حَقٌّ بِغَيْرِ طَرِيدِ
وأَنْتَ لَهُ فى كُلِّ حَالٍ مُتَابِعٌ وأَنْتَ لَهُ فى السَّيْرِ خَيْرُ وَلِيدِ

---

(١) عظيم البخت والحظ . (٢) زبد المنى . (٣) فتاه

قَصَدْتُكَ دُونَ الْخَلْقِ طُرًّا فَمَنْ يَرِدْ ... لِسَاحَتِكَ الْوُسْطَى يَفُزْ بِالْحَشِيدِ
بِبَحْرٍ طَوِيلٍ قَدْ عَرَفْنَا مَدِيحَهُ ... فَمَا هُوَ إِلاَّ مَدُّهُ لِلنَّشِيدِ
فَيَارَبِّ بَلِّغْ لِلتِّجَانِي مَدَائِحِي ... وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ سُؤَالٍ شَدِيدِ
قَصِيدِيَ تَهْنِيءٌ لِرُؤْيَا رَأَيْتُ فِي الْ ... مَنَامِ فَهَزَّتْنِي لِشُكْرٍ حَمِيدِ
فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُحَصَّلُ لِي رِضًى ... لِشِعْرِي لَدَى ذِي الْجُودِ غَيْرَ صَدِيدِ
فَهَذَا قَصِيدِي فِيهِ مَا فِيهِ مِنْ مُنًى ... فَمَا هُوَ إِلاَّ وِرْدَةٌ لِسَعِيدِ
وَلِلْبَيْتِ نُزْلٌ ثُمَّ شَعْبَانُ شَهْرُهُ ... وَتَارِيخُهُ فِي كُلِّ غَدْرٍ بَدِيدِ
فَحَمْدًا وَشُكْرًا لِلْإِلٰهِ الَّذِي بِهِ الْ ... خِتَامُ كَبَدْءٍ فِي قَضَاهُ غَرِيدِ
صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى النُّقْطَةِ الَّتِي ... بِهَا دَارَتِ الْأَكْوَانُ غَيْرَ جَحِيدِ
مَعَ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا قَالَ قَائِلٌ ... إِلَى أَحْمَدَ التِّجَّانِي أُهْدِي قَصِيدِ

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

بحمد الله وحسن توفيقه تم طبع كتاب :

[النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية فى حل ألفاظ العشرينية]

فهو حقا نفحة إلهية عطر الله بها للمؤلف ذكره وثناءه ، لما اشتمل عليه من شرح ألفاظ العشرينية ، فى مدح خير البرية ، من حصه الله بهبات سنية ، ومكانة علية . فله الفخر بهذا الشرح الذى جمع كل مزية ، من ثروة لغوية وأحاديث قدسية ونبوية ، وتواريخ دهرية .

مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برياسة : أحمد سعد على .

القاهرة فى { ٤ رجب سنة ١٣٧٠ هـ
١٠ إبريل سنة ١٩٥١ م

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبى

فهرست النوافح العطرية